دكتور عبد الغفار حامد هلال
أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

اللهجات العربية
نشأة وتطورا

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين
القاهرة تليفون: ٢٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٢٣٩٠٣٧٤٦

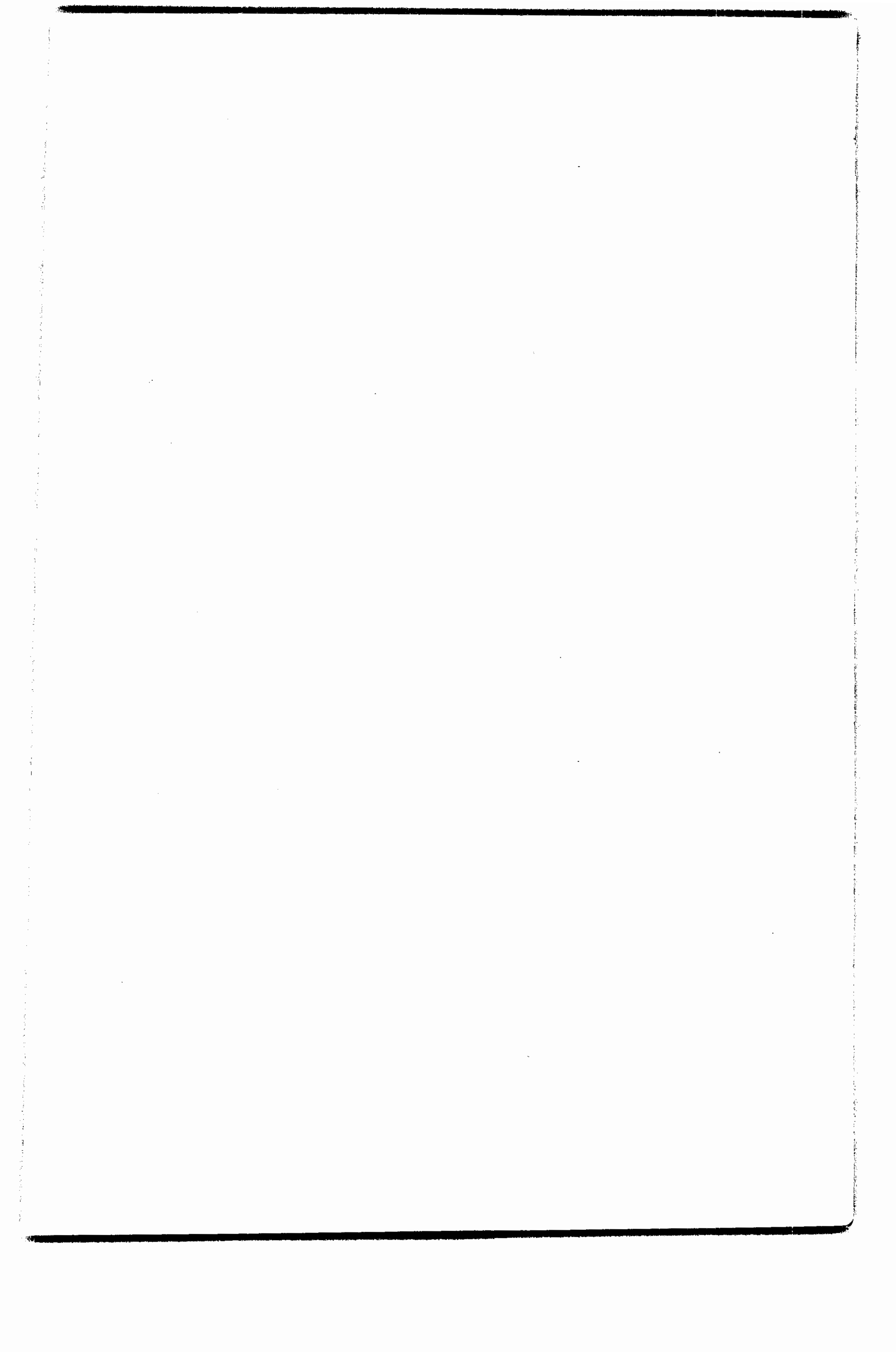
اسم الكتاب: اللهجات العربية
نشأة وتطورا
اسم المؤلف: دكتور عبد الغفار حامد
هلال
الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -
عابدين - القاهرة.
٥٥٢ صفحة: ١٧ × ٢٤سم
رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٣٣٠١
الترقيم الدولى I.S.B.N
977- 225-249-x

برٌّ ودعاء

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

وإننى أهب ثواب هذا العمل الخالص إلى والدىّ اللذين وجهانى، وغرسا فىّ حب البحث العلمى، وأفاضا علىّ من رضاهما ما مكننى -بعون الله- من السير فى طريق الله لخدمة لغة القرآن وعلومه وسنة رسوله ﷺ، والله عز وجل أسأل أن يتغمدهما برحمته، وأن يجزيهما عنى وعن كل ما أفدته وأفيده من هذه العلوم خير الجزاء وأوفاه، وأدعو ـ كما أمرنى المولى عز وجل. ﴿ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ [الإسراء: ٢٤].

المؤلف





مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيدنا ومعلمنا الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فالحمد لله الذى وفقنى إلى دراسة علم اللهجات العربية حتى نجنى ثمرة هذه الدراسة فى تعليم كتابه القرآن الكريم، وتعليم لغته التى هى أفضل اللغات على الإطلاق، لأنها تحمل رسالة الإسلام إلى العالمين وتكشف عن جواهر علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتنشرها فى الناس تضىء لهم سبيل حياتهم بالإصلاح والاستقامة.

وقد كان لابد أن أعيد النظر فى كتابى هذا (اللهجات العربية نشأة وتطورًا) ليظهر فى طبعته الجديدة مع التمحيص والتدقيق لمسائله وقضاياه، وقد فعلت ذلك بحول الله تعالى وعونه وأضفت إلى هذه الطبعة ما ينبغى أن يزيد الأمر وضوحًا وجلاء فقدمت مدخلاً عن بيئات اللهجات العربية فى الجزيرة العربية التى هى المهد لهذه اللغة العريقة مما يكون عونا للباحث علي إضاءة الطريق أمامه وهو يخوض فى دروب هذا الكتاب، ويكون منيرًا له كل الجوانب فيزيد فهمًا وعلمًا.

ثم إننى أضفت فى نواح كثيرة زيادات علمية تتناسب مع تجدد العصر وتحديث المعالجة فى الدرس اللهجى.

ورأيت أن أضيف إلى الدرس اللهجى الحديث دراستى الميدانية الحديثة للهجة صنعاء، وقد بذلت فيها جهدًا كبيرًا استغرق جمع مادتها العلمية عامين قضيتهما فى صنعاء، وأجريت كثيرًا من المحاورات والمناظرات مع أصحاب اللهجة بطريق المشافهة والتسجيل الصوتى المعملى على أحدث نظام فى دراسة اللهجات الحديثة وبيان صلتها بالفصحى، ولعل ذلك يساعد على التقريب بين الفصحى ولهجاتها،

لتعود العربية إلى سابق عهدها على ألسنة أهلها كما كانت على ألسنة الأسلاف من العرب الفصحاء.

وأرجو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ـ كما ينفع بكتبى الأخرى التى أبذل فيها جهدى حسبة لله تعالى.

وأدعو لناشر هذا الكتاب أن يجزيه الله خيرًا على نشره العلم وأن يجعله فى ميزان حسناته.

والله الموفق والهادى سواء السبيل

القاهرة فى: ١٧ من جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ.

الموافق: ١٠ من يونيه ٢٠٠٩م.

دكتور

عبد الغفار حامد هلال



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذى أنزل القرآن بالعربية وكان سياجا لها حفظا وسلامة وكفل لها التوحد والسلطان والنفوذ بين لغات العالم، والصلاة والسلام على من علمه ربه لهجات العرب فقال: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى». وبعد.

فليست العربية بدعا من اللغات فى نشأتها وتطورها وتوحدها فقد كان العرب قبائل متعددة متوزعة فى شتى أنحاء الجزيرة العربية الواسعة التى تشتمل على بيئات كثيرة يلتقى فيها بعضها ببعض وينفصل بعضها عن بعض بعوامل جغرافية وثقافية وحضارية فى أزمنة وأماكن خاصة أدت إلى سماع بعضهم ألسنة من غير بنى جنسه مما وقع تحت تأثيره وحسه، وكانت لهم لهجات مختلفة على حسب تنوع بيئاتهم وتعدد ألوان حياتهم وثقافاتهم، ولا ريب أن ذلك كان له أثره فى استقلال بعض هذه اللهجات -أحيانًا- واتصال بعضها بغيرها أحيانا أخرى وكان هذا وذاك عاملين على الانقسام تارة والتوحد تارة أخرى.

ثم كتب لبعض هذه اللهجات أن يحيا ولبعضها أن يموت نتيجة أسباب كثيرة ثم ظهرت لغة عامة تحدث بها العرب جميعًا فى محافلهم وأسواقهم ومجالات القول عندهم.

ولما نزل القرآن الكريم عمل على شد أزر هذه اللغة الموحدة واستمرار حياتها راسخة البنيان عالية الذرا.

وإذا كانت اللغات العالمية دائمة التغير يعروها الضعف والشيخوخة والاكتهال كلما مرت بها حقبة من الزمان فإن العربية - بعد التوحد ونزول القرآن الكريم - حظيت بالثبات فى أصواتها وكلماتها وتراكيبها ولم يعترها الضعف أو الوهن فلا تزال ـ والحمد لله ـ تجرى على ألسنة المتحدثين المثقفين بها بصورة تقارب ـ إن لم تماثل تماما ـ ما كان ينطق به أسلافنا من العرب الفصحاء.

وكان لحديث علماء اللغة الجامعين لها والواضعين لقواعدها - فى شتى فروع علم اللغة - جهد كبير فى الحفاظ عليها لتظل أداة لفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد دعاهم حبهم لها وشغفهم بها لارتباطها بمصدرى التشريع أن يحيطوها بالتقدير والإكبار والحفظ والصون وأن ينفوا عنها ما يحتمل أن يحولها عن مسارها الحيوى فأسقطوا من حسابهم الحديث عن بعض اللهجات التى كانت ظواهرها غير مستحسنة أو شذت عن الاتجاه العام للعربية النموذجية، فأهملها الرواة أحيانًا، وتركوها تموت وتختفى أو جمعوا بعضها وحاول علماء اللغة إخضاعه للمقاييس العامة ببعض التوجيهات والتأويلات أو الحكم عليها بالندرة أو الشذوذ أو نحو ذلك مما أطلقوه من مصطلحات وتسميات.

وإن هذه اللهجات التى كانت فى لغة العرب تكشف للباحث والدارس المراحل التى مرت بها وخط سيرها وتوصل نتائج دراستها إلى ما يفيد اللغة العربية إذا أحسنا فهمها ومعرفة سلوكها.

وهذا الكتاب يتناول بالحديث حياة العربية حين كثرت فيها اللهجات وتنوعت وحين توحدت فى لغة عامة للعرب جميعًا.

ويبدأ الكتاب بمدخل عن الجزيرة العربية وما جرى على ألسنة أهلها من لجهاتها المتنوعة.

واقتضت الدراسة والبحث أن يكون هذا الكتاب مشتملا على خمسة أبواب تتدرج فيها دراسة هذا الموضوع المهم.

تحدثت فى الباب الأول عن الكلام والقول واللغة واللهجة والصلة بينها اشتقاقا ومعنى وطبيعة جغرافية وحضارية.

وفى الباب الثانى عرضت عوامل انشعاب اللغة إلى لهجات مع تطبيق ذلك على نشأة العربية وتنوع لهجاتها.

وخصصت الباب الثالث بالتوحد اللغوى وأسبابه وأثر ذلك فى العربية الباقية.

وكان حديثنا فى الباب الرابع عن اختلاف اللهجات العربية ومظاهره فتناولنا - بالعرض والبحث - آثار اللهجات العربية ودراستها، ثم عالجنا ما اختصت به

من مظاهر عديدة فى عدة فصول تحدثنا فيها عن الإبدال فى الحروف والحركات والتغيير فى بعض الصيغ اللغوية واختلاف الأوجه النحوية وطرائق العرب فى إظهار الحروف وإدغامها ونقص بعض الحروف وزيادتها.

ثم عرضنا فى الباب الخامس لأهمية البحث اللهجى الحديث وأدواته وطرقه والإفادة منه فى دراسة اللغات واللهجات وسقنا صورا لدراسة بعض اللهجات الحديثة لنفيد منها فى دراسة فصحانا العربية.

وكانت لنا جولات واسعة فى كتب اللغة والنحو والأدب فتشنا فيها عن آثار هذه اللهجات لينضم بعضها إلى بعض ونستقبل القاصى والدانى ونبحث عن شواردها وأوابدها بين أحاديث متفرقة فى بطون المراجع وأمهات الكتب حتى نقف على حقيقة هذه اللهجات وطبيعتها وشواهدها فيما نقل إلينا من نصوص موثوق بها مما أمكننا العثور عليه ومحاولة تفسيره من الوجهة اللغوية.

وحديثنا يتناول بيان آراء اللغويين فى هذه الظواهر من خلال دراستهم لها وتصورهم لما بقى منها فى إطار القواعد والأسس التى رسموها ثم كانت لنا وقفات مع آرائهم بالتأييد أو المناقشة أو التفسير والتوجيه والترجيح أو التضعيف على حسب مقاييس علمية اتخذناها طريقًا لإثبات ما صح ونفى مازيف، وعالجناها من منظور موضوعى يعتمد على بعض ما جد فى مجال الدراسة اللغوية على المستوى الصوتى والمعجمى والدلالى والتنظيمى دون أن ننساق وراء بعض التفسيرات التى تنأى عن المناهج العلمية الصحيحة التى تحكم لغتنا وتتفق وطبيعتها.

ولعلنا نكون قد أضفنا بهذا العمل العلمى نواحى جديدة فى بحث لهجات العرب وتوجهها اللغوى.

والله أسأل رشادا وتوفيقا

دكتور

عبد الغفار حامد هلال

القاهرة فى: ١١ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٠هـ

المــوافــق: ٨ من يناير سنة ١٩٩٠م.

مدخل

لا شك أن دراسة اللهجات تمثل جانبًا أساسيًا فى فهم اللغة العربية، والوقوف على أسرار القراءات القرآنية من خلالها.

واللهجات العربية مفتاح الدخول إلى عالم اللغة التى اصطفاها الله تعالى لتكون لغة الكتاب العزيز الباقى إلى يوم القيامة، ولغة أهل الجنة.

ومعرفة هذه اللغة تتأتى لمن يعرف محل نزولها وهو الجزيرة العربية وما جرى على ألسنة أهلها من لهجاتها المتنوعة.

والباحث الدقيق يتخذ من دراسة البيئات المتعددة للهجات العربية طريقًا للوصول إلى اللغة الموحدة التى نزل بها القرآن الكريم.

ولذلك كان لزامًا على المطلع على هذه اللهجات أن يعرف جوانب البيئات فى الجزيرة العربية وانتشارها عليها منذ الأزمان الموغلة فى القدم، وبتطبيق المقاييس اللغوية الحديثة عليها نتبين طبيعتها، ويمكن أن يفهم الباحث والقارئ ما يترتب عليها من عناصر البحث اللهجى مما تتناوله الدراسة اللهجية فى كتابنا هذا وتعد دراسة البيئات اللهجية مدخلاً طبيعيًا ضروريًا قبل الشروع فى مراد الدراسة والبحث اللهجى.

جزيرة العرب تمتد حدودها شرقًا من الخليج العربى وغربًا إلى بحر القلزم (البحر الأحمر) وشمالاً إلى نهر الفرات وبادية الشام وجنوبًا إلى المحيط الهندى (البحر العربى) وخليج عدن.

وقد قسم الجغرافيون الجزيرة العربية مناطق عدة ويظهر ذلك بصور مختلفة عند القدامى منهم من الرومان واليونان والجغرافيين العرب كالهمدانى فى صفة جزيرة العرب، وياقوت الحموى فى معجم البلدان، والقلقشندى فى قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان وغيرهم.

والراجح من الآراء تقسيمها خمسة أقسام:

الحجاز - تهامة - نجد - العروض - اليمن.

أولاً: الحجاز:

هو عبارة عن سلاسل جبلية تمتد من شمال اليمن إلى بادية الشام من طرفها قريبًا من (أيلة). وهى ما تسمى الآن (العقبة) وهذه السلسلة الجبلية تسمى جبل السراة، وتفصل بين منطقة تهامة غربًا ونجد شرقًا ولذلك أطلق عليها اسم الحجاز لحجزها بين هاتين المنطقتين.

ويشتمل الحجاز على عدة أودية من بينها: الليث، ويلملم، ومُرّ الظهران، وينبع، وإضم، ووادى ذى الرمة، ووادى القرى وما يتصل به من وادى (العلا) ويفصل بعض الجغرافيين الحديث عن بعض الوديان فيه فيذكرون أن وادى القرى هو فى شمال الجزيرة قريبًا من منطقة الحجر - التى بها ديار ثمود قوم صالح- ويحده وادى العلا شمالاً والمدينة المنورة جنوبًا وكان به طريق للقوافل قديمًا.

ووادى العلا الذى يقع شمالى وادى القرى يتصل به - كما ذكرت - وربما عُدّ جزءًا منه وهو يؤدى إلى تبوك التى وصل إليها الرسول ﷺ بجيشه للدفاع عن أطراف الدولة الإسلامية ضد الروم سنة تسع من الهجرة.

وفى الجهة الجنوبية من وداى القرى وادٍ آخر يسمى وادى الحمض ويتصل به عند قرية (الوجه).

وفى الحجاز - كذلك - وادى السلسلة، وله التقاء بوادى القرى - أيضًا - وهو محل لمدن أثرية كانت قائمة قديمًا اندثرت معالمها وبقيت آثار تدل عليها.

وفى شمالى الجزيرة وادى نخال على مقربة من المدينة، ووادى بدا وهو قريب من العقبة.

أما وادى إضِم فيقع غربى الحجاز على ساحل البحر الأحمر.

وفى الحجاز بعض الواحات كخيبر وفدك.

ويضم الحجـاز عددًا من المدن كمكة والطائف وجدة والمدينة وتبـوك وهى مدن تستقر فيها الحياة والتحضر وإن وجدت بعض الأطراف التى يعيش فيها البدو.

ثانيًا: تهامة:

وهى عبـارة عن سهل ضـيق يقع على ساحل البـحر الأحـمر ممتدًا فى مـنطقة منخفضـة فى الجهة الغربية من الحـجاز وتسمى (الغور) نظرًا لهـذا الانخفاض فى الأرض وتحجز جبـال السراة بين نجد وتهامة، وتسمى تهـامة الأشعريين - عك - حكَم - كنانة - ذات عرق - الجحفة.

وفى تهامـة بعض الموانى مثل الوجـه وينبع وتسمى تهـامة باسم مـا تحاذيه من الأمـاكن والمناطق ففى الجنوب تـسمى تهـامة اليـمن وفى الشـمال تسـمى تهامـة الحجاز.

ثالثًا: نجد:

هى هضبة تقع شـرقى جبل السراة إلى أطراف العراق و(السـماوة) وهى تنحدر ناحية الشرق حتى تتصل بالعروض.

وجزءها العالى من جـهة الحجاز يسمى (العالية) وجـزءها المنخفض إلى العراق يسمى (السافلة) وهى مـحاطة بالصحراء ففى الشرق صـحراء (الدهناء) بينها وبين البحرين وفى الشمال صحراء(النُّفود)، وفى الجنوب صحراء الربع الخالى.

وفى نجد بعض الوديان والواحات.

رابعًا: العروض:

تقع بين نجد واليمن وسميت العروض لأنها تعترض بينهما.

وبعض الجغرافـيين يطلق العروض على اليمـامة فحسب وبعضـهم يطلقه على اليمامة والبحرين وما يتصل بهما من الكويت والأحساء وقطر.

وسميت منطقة اليـمامة باسم اليمامة بنت سهم بن طسَم وهى المعـروفة بالبصر الحاد.

يقع فى جنوب العـروض الربع الخـالى من [نجـران] وفى شمـاله (الثُّـويرات) شمالى (الزّلفى) وفى الشرق الدهناء وفى الغرب هضبة نجد.

ويذكر بعضهم أن اليمامة كانت تسمى اليمامة الخضراء.

خامساً: اليمن.

فى الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة.

وأرضه منخفضة من جهة شاطئ البحر وعالية من الاتجاه إلى الداخل.

ومن المدن الشهيرة فيه، صنعاء - مأرب - عدن - نجران - الشحر - عمان.

قيل سـمى اليمن بهذا الاسم لأنه من اليُمن وهو ازدهـار الخير والحضـارة كما تحدث القـرآن الكريم حـين قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وقيل، سمى بذلك لأنه يقع عن يمين الكعبة يعنى فى جهة الجنوب التى تقابل الشمـال (الشام) حتى سـميت الريح التى تهب من الجنوب (اليـمانية) فى مـقابل الريح التى تهب من الشمال (ريح الشمال).

وقيل سـمى بذلك لأن (يعرب) بن (قحطان) من سكان اليـمن الأوائل قال له والده قحطان، (أنت أيمن ولدى).

****

العرب فى الجزيرة

يذكر المؤرخون أن العرب الذين سكنوا الجزيرة أنواع: بائدة وباقية.

فالبائدة: هم الذين بادوا وطمست آثارهم ممن أهلكهم الله تعالى لكفرهم بأنعمه كعاد وثمود فى الأحقاف والحجر .

والباقية: هم الذين بقيت ذريتهم.

وهم عرب عاربة وعرب مستعربة.

فالعاربة هم الخلص فى العربية وهم عرب الجنوب من قحطان والمستعربة هم الذين تلقوا العربية عن العرب العاربة وهم من ذرية إسماعيل - عليه السلام.

فالجنوبيون هم القحطانيون نسبة إلى قحطان الذى قيل إنه من ولد سام بن نوح أو من غيره من العربِ القدماء قبله.

وقد تفرعت منه قبائل اليمن التى بقى بعضها هناك وهاجر بعضها إلى شمالىّ الجزيرة.

فقحطان أنجب ابنه (يعرب) و(يعرب) أنجب (يشجب) الذى أنجب (سبأ) ومن أولاد سبأ (حمير وكهلان).

قبائل حمير: سكنوا اليمن غرب صنعاء.

ومن أشهرهم قبيلة قضاعة التى هاجرت إلى الشمال وتفرع من هذا الأصل:

مَهْرة: سكنوا بمنطقة أبْين إلى حضر موت.

عذرة وبلْى: حول وادى القرى وما يتصل به من وادى (العلا).

جهينة ومزينة: عند (رضوى) و(الأشعر) (ما بين الينبع ويثرب).

بنو القين: سكنوا بين تيماء ومُعان.

كلب: مساكنها السماوة وتعد تدمر وحماه ودومة الجندل وتبوك من مدنها وقراها.

بهراء: قريبا من حمص عند البحر الأبيض شمال ديار كلب.

تنوخ: جهة اليسار لمنازل بهراء (اللاذقية).

قبائل كهلان: تفرع من هذا الأصل:

كندة: وكانت تسكن فى حضر موت.

همدان: وكانت تقطن فى شمالى صنعاء بينها وبين صعدة.

مَذْحِج: سكنوا الجوف.

أنمار: هى قبيلة تفرع منها بطون[1] منها:

خثعم: كانت تسكن فى بيشة وترْج.

بجيلة: إخوة خثعم لأبيهم وكانت أمهم تسمى (بجيلة) وسكنهم فى سروات اليمن.

الأزد: وهى قبيلة أسد تسكن اليمن ثم الحجاز ولها بطون كثيرة: أزد عمان وأزد السراة وأزد غسان والأوس والخزرج وخزاعة.

طيئ بن أدد: خرجت -كالأزد- من اليمن إلى الحجاز.

جذام: تسكن بين مدين إلى تبوك.

لخم: قبيلة يمنية هاجرت إلى الشمال فى الجفار بين الرملة ومصر ومنها فى الجولان ومنها فى حوران.

والشماليون هم العدنانيون ومقرهم نجد والحجاز وتهامة نسبة إلى عدنان أحد أحفاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ولعدنان ولدان (معدّ) و(عك) وأنجب (معدّ) ابنا هو (نزار) ولنزاز ولدان (مضر) و(ربيعة).

وكما ينسب العدنانيون إلى عدنان ينسبون إلى (نزار) بن (معدّ) بن (عدنان) فيسمون -أيضًا- بنى نزار.

---

(١) البطن: ما دون القبيلة وفوق الفخذ.

والعرب يقسمون جماعة الناس منهم على حسب أجزاء جسم الإنسان إلى: الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وذلك من الأكثر إلى الأقل، فالشعب من شعب الرأس، والقبيلة من قبيلة الرأس لاجتماعها، والعمارة الصدر: ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهى الساق. اللسان ١٦/١٩٩.

ومن (مضر) و(ربيعة) تفرعت البطون العدنانية.

قبائل مضر: تتفرع إلى خندف وقيس عيلان.

الفرع الأول خندف: هم ولد إلياس بن مضر، وقد سموا بهذا الاسم نسبة إلى أمهم (ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) وكانت تخندف أى تسرع فى مشيها وخندف قبائل كثيرة منها:

تميم: وبها بطون عديدة: (بنو العنبر -بنو يربوع- بنو طُهَيَّة).

الرباب: ولد عبد مناة بن أُد بن طابخة وهم: أشيب وتيم وعدىّ وثور وضبة وعوف وكانت تميم تسكن فى نجد والعراق وأنحاء من جزيرة العرب و(عكل) فى العالية.

وهذيل: منازلهم (عرنة) و(عرفة) و(بطن نعمان) و(نخلة) و(رحيل) و(أوطاس) وغيرها.

وكنانة: تسكن فى واد بتهامة (مقابل الحجاز).

وقريش: تتفرع إلى قريش البطاح لأن قصيا أسكنها أبطح مكة وقريش الظواهر لأنها سكنت بظهر مكة أى خارج مكة.

الفرع الثانى من مضر: قيس عَيلان:

قيل: سمى عَيلان نسبة إلى فرس كانت له أو لأنه كان عالة على أخيه (إلياس) لفقره.

وهى قبائل عدة منها:

ثقيف: كانت ديارهم بالطائف.

هوازن: كانت ديارهم بنجد الطائف.

ولهوازن بطون من أهمها وأكبرها بنو عامر بن صعصعة وكانت تسكن فى نجد، وتفرع من عامر بطون منها: كلاب ونمير وكعب، وتفرع من كعب: عقيل وقُشير وعجلان.

سليم وغطفان: ومن أشـهر بطون غطفان: فـزارة وذبيان وعبس وكـانت عبس تسكن القصيم.

غنيّ.

قبائل ربيعة: كانت تسكن ما بين الجزيرة والعراق ومن أكبر قبائلهم وأشهرها:

أسد: كانت تسكن من تيماء قصبة الكوفة ومن أسد تفرع فقعس ودبير.

وائل: من بطونها بكر بن وائل وكانت تسكن منطقة من اليمامة إلى البحرين.

ومن بطونها تغلب وكانت تقطن جزيرة الفرات.

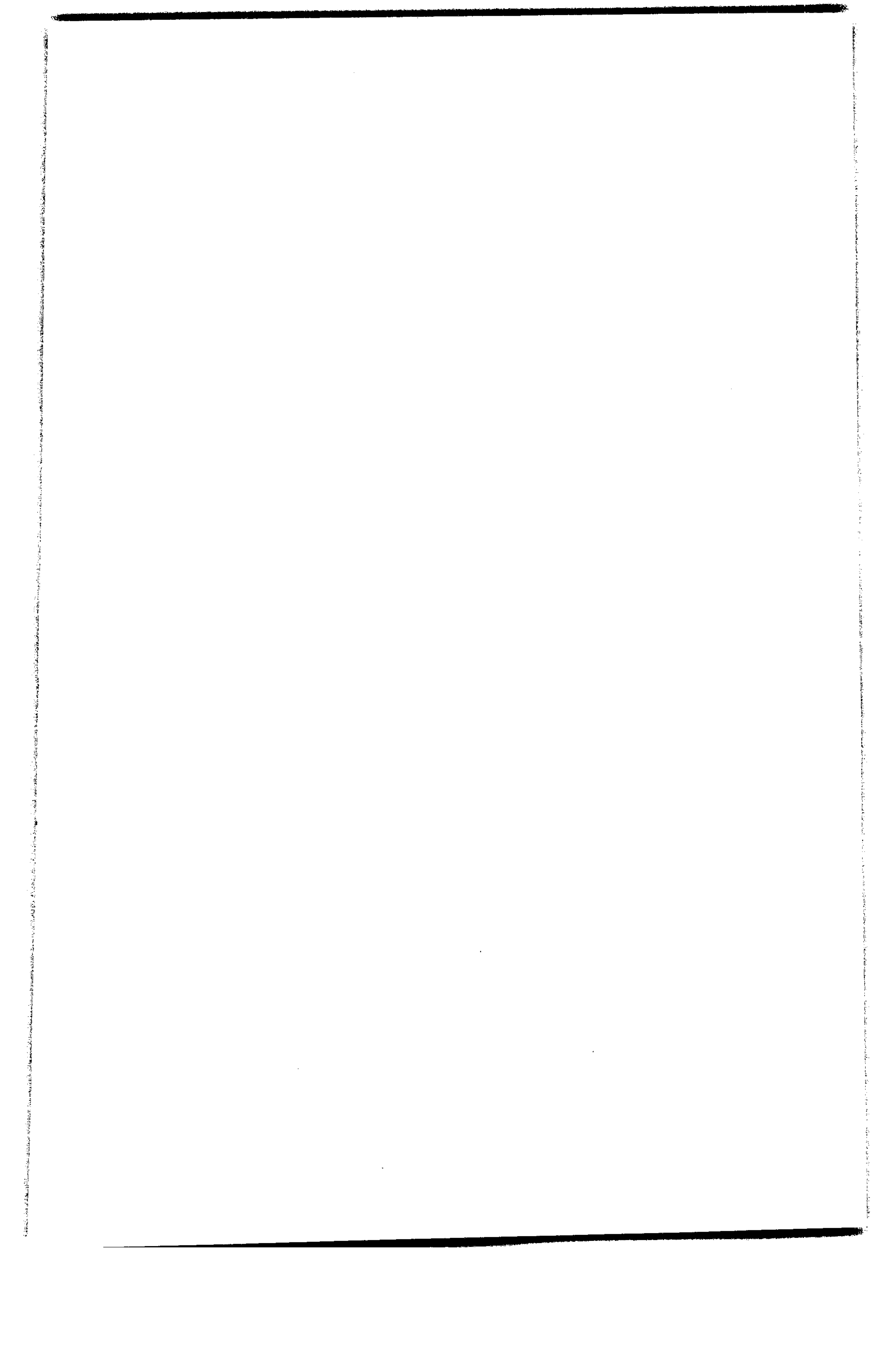
والعرب المستعربة فريقان كما رأينا: حجازية غربية ونجدية شرقية.

والعربية -فى الحقيقة- مـأخوذة عن العرب الذين بادوا وبقيت منهم بقية كانت النواة للعرب الباقية.

****

الباب الأول

الكلام والقول واللغة واللهجة والصلة بينها



الكلام والقول

لا يستطيع باحث أن يفرق بين الكلام واللغة أو يعزل أحدهما عن الآخر «فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقا حقيقياً بلا علامات لغوية أى كلمات فالتفكير بلا كلمات عائم»[١]، «والكلمات أهم مكونات اللغة وتسمى وحدات لها»[٢]، «وما يسميه النحاة أقسام الكلام وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف ليس فى الواقع إلا أقسام اللغة فقول صاحب الألفية الكلام وما يتألف منه يجب أن يصير إلى: اللغة وما تتألف منه»[٣]، «فالكلام الذى هو نشاط إنسانى نطقى نتيجة لإرادة المتكلم» يعد الباعث لكلمات اللغة بحيث يجعلها حية بعد موتها ووجودها فى طوايا العقل أو المعاجم، فاللغة بمادتها المكونة لها توجد فى القواميس أو تختزن فى عقل الجماعة الإنسانية التى تتخذها وسيلة للتفاهم ولها قواعد خاصة يفهمها أصحابها ويراعونها فى استعمالهم من ناحية النظام الصوتى والصرفى والنحوى، واللغة بهذا الوصف تسمى «باللغة المعينة»[٤] التى هى نتاج جمعى يستعمله الأفراد «وللكلام علاقة باللغة المعينة ولذلك يجب أن يدخل فى الدراسة لأنه الجانب العملى منها»[٥]، وفى الدراسات الصوتية الحديثة يستخدم الكلام طريقًا لمعرفة الاتجاهات الصوتية فى لغة ما أو لهجة ما وتلك من أبرز الوسائل الناجحة لمعرفة حقائق صوتية لم يهتد الباحثون إليها من خلال الدراسات القديمة تبعًا لأن دراسة القدماء بنيت على الوصف النظرى للأصوات دون تطبيق عملى لها - فى معظم الأحيان - لعدم توافر الأجهزة الحديثة لديهم.

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق ص ٤٠

(٤) اللغة (فندريس) ص ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥.

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ٣٢-٣٥.

وعلماء العربيــة القدامى فى تناولهم للكلام والقول لا يأتون بمتكلمــين ليسجلوا أقوالهم ويطبقوا عليها وإنما يبحثون المسألة من وجهة نظر أخرى هى بيان معنى كل منهما وهل له صلة باللغة أو لا ؟ ولا ريب أنهم مصــيبون فى بحثهم إذ الكلمات ـ كمــا رأينا ـ هى مكونات اللغة وأساســها وقد عــرض ابن جنى للكلام والقول على طريق الاشتقاق الأكبر محللا معنييهــما وتصرفاتهما والفرق بينهما ومعللا كل ذلك بما يعن له من أسباب وقد مزج بين طريقى النحويين واللغويين فى ذلك.

الكلام: عرف الكلام بأنه «كل لفظ مســتقل بنفسه مفيد لمعنــاه وهو الذى يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفى الدار أبوك، وصه، ومــه، ورويد، وحاء، وعاء، فى الأصــوات وحس ولب وأف وأوه، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام»[1]، وقال: إن الكلام اسم من كلّم بمنزلة السلام من سلّم وهمــا بمعنى التكليم والتسليم وهما المـصدران الجاريان على كلّم وسلّم، قال الله سبحانه ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال عز اســمه ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦][2] وهو جنس للجمل المركبة لأدلة:

١- أن العرب حددوا للدلالة على الواحد لفظ (كلمة).

٢- أن المصدر كـذلك حاله، فإذا قيل: قـام محمـد فهو كلام وإذا قــيل: قام محمد وأخوك جـعفر فهو أيضًا كلام كما كان لمـا وقع على الجملة الواحدة كلاما وإذا قيل: قام محــمد وأخوك جعفر وفى الدار ســعيد فهو أيضًا كـلام كما كان لما وقع على الجملتــين كلاما وهذا طريق المصدر لما كان جنســا لفعله، ألا ترى أنه إذا قام قومة واحدة فقــد كان منه قيام وإذا قام قومتين فقد كــان منه قيام وإذا قام مائة قومة فقــد كان منه قيام، فالكلام إذن إنما هو جنس للجمل التــوام مفردها ومثناها ومجموعها كما أن القيام جنس للقومات مفردها ومثناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام.

---

(١) الخصائص ١/ ١٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٥.

٣- استعملت العرب لفظ (كلام) وما بمعناه من كلمة حديث ومنطق فى أشعارها فى مقام الشجو وأحاديث المحبين «ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تتملك قلب السامع، إنما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه ورقة حواشيه» وقد ساق ابن جنى أمثلة كثيرة لهذا الاستعمال من أشعار العرب كقول كثير عزة:

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركّعا وسجودا

وقول الراعى:

وحديثها كالغيث يسمعه راعى سنين تتابعت جدبا

فأصاخ يرجو أن يكون حيًّا ويقول من فرح هيا ربًّا

وقول ذى الرمة:

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وقد عقب على كل مثال ذكره بما يوضح أن لفظ الكلام أو الحديث أو المنطق لابد أن يكون عبارة عن «كلام مفيد مستقل بنفسه ولو بجملة واحدة فإن نقص عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب» بل إن كل مقام من المقامات التى ذكرها الشعراء يستدعى جملا كثيرة حتى يتحقق لكل منهم ما أراد[1].

٤- يقتضى اختصاص الكلام بالجمل التامة المستقلة بنفسها اشتقاق لفظ الكلام فهو -كما يرى ابن جنى- من الكلم والكلام والكلوم وهى الجراح لما يدعو إليه ولما يجنيه فى أكثر الأمر على المتكلمة[2]، قال: (وجرح اللسان كجرح اليد) ومنه قوله:

قوارص تأتينى ويحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وإنما ينقم من القول ويحقر ما ينثى ويؤثر وذلك ما كان منه تاما غير ناقص ومفهوما غير مستبهم، وهذه صورة الجمل وهو ما كان من الألفاظ قائمًا برأسه غير

---

(١) المصدر السابق ١/٢٧- ٣٢.

(٢) يقصد المتكلمين.

محتاج إلى متمم له فلهذا سموا ما كان من الألفاظ تاما مفيدًا كلاما لأنه فى غالب الأمر وأكثر الحال مُضِرّ بصاحبه وكالجارح له[1].

هذا البيان كان دفاعا عن معنى الكلام على الطريقة النحوية، ثم قرن ابن جنى ذلك ببحث مادة (ك ل م) وتقلباتها على الطريقة اللغوية فتعرض لمادة (ك ل م) وتقلباتها على طريقة الاشتقاق الأكبر الذى يعد هو مبتكره فبين أنها «حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة هى: (ك ل م) - (ك م ل) - (ل ك م) - (م ك ل) - (م ل ك) وأهملت منه (ل م ك) فلم تأت فى ثبت.

فالأصل الأول (ك ل م) يأتى منه الكلم وما تصرف منه بمعنى الجرح والكلام ما غلظ من الأرض وفى كل ذلك شدة وقوة، ومنه:

(عليها الشيخ كالأسد الكليم)

إذا جرح فحمى أنفا وغضب فلا يقوم له شىء، ومنه الكلام وذلك أنه سبب كل شر وشدة فى أكثر الأمر ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: **«من كُفِى مَئونة لقلقه وقبقبه وذبذبه دخل الجنة»**[2]، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى لسانه: **«هذا أوردنى الموارد»** وهو باب واسع.

والثانى: (ك م ل) كمل الشىء - مثلثة الميم - فهو كامل وكميل وعليه بقية تصرفه والتقاؤها: أن الشىء إذا تم وكمل كان حينئذ أقوى وأشد منه إذا كان ناقصا غير كامل.

والثالث: (ل ك م) اللكم إذا وجأتَ الرجل ونحوه ولا شك فى شدة ما هذه سبيله.

والرابع: (م ك ل) منه بئر مكول إذا قل ماؤها، قال القطامى:

(كأنها قلب عادية مكل)

فالبئر إذا قل ماؤها كره موردها وجفا جانبها وذلك شدة ظاهرة.

---

(1) الخصائص ١/ ٣٢.

(2) اللقلق: اللسان، القبقب: البطن، الذبذب: الفرج. الجمهرة ١/ ١٢٦ وانظر كلام ابن جنى بالخصائص ١/ ١٤.

والخامس: (م ل ك) منه ملكت العجين عجنته فاشتد وقوى ومنه ملك الإنسان، ففيه قدرة للمالك عليه[1].

وبذلك يكون ابن جنى قد فسر مادة (ك ل م) وأبان عن معنى الكلام بما يفيد أنه عبارة عن «الألفاظ برؤوسها المستغنية عن غيرها وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها»[2].

القول: عرف القول بأنه كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا فالتام هو المفيد أعنى الجملة وما كان فى معناه نحو: صه وإيه والناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد ومحمد وإن، وكان أخوك إذا كانت الزمانية لا الحدثية فكل كلام قول وليس كل قول كلاما[3] هذا هو حقيقة معناه ثم إنه يستعمل مجازا بمعنى الاعتقاد والرأى فيقال: هذا قول فلان أى رأيه ومعتقده «وفلان يقول بقول أبى حنيفة ويذهب إلى قول مالك أى يعتقد ما كانا يريانه ولا يراد بذلك أنه يحكى لفظهما عينه من غير تغيير لشيء من حروفه ومثل ذلك أن تقول فى رفع زيد بالابتداء فى قولنا: زيد قام أبوه، هذا قول البصريين أى رأيهم وفى رفعه بما يعود عليه من ذكره هذا قول الكوفيين وأنت تريد بذلك اعتقادهم لا نفس حروفهم وإلا فإن عبارة القائل قد تتغير والمراد الرأى لا العبارة[4] ولا يصح هذا كلام أبى حنيفة أو كلام البصريين أو كلام الكوفيين إذ الكلام يتعلق بالألفاظ الصادرة عن كل منهم ولا علاقة له بالرأى والاعتقاد وذلك تخصيص وضعى لغوى»[5] وصح إطلاق القول على الاعتقادات والآراء لأنها تخفى فلا تظهر إلا بالقول فهى سبب له والقول دليل عليها كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابسا له ومثله فى الملابسة قول الله سبحانه: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم:١٧] فمعناه ـ والله أعلم ـ أسباب الموت إذ لو جاءه الموت نفسه لمات به لا محالة ومنه تسمية المزادة

(١) الخصائص ١/١٣-١٧.

(٢) المصدر السابق ١/٣٢.

(٣) المصدر السابق ١/١٧.

(٤) المصدر السابق ١/١٨.

(٥) ولهذا يصح أن تقول كلام فلان... إلخ إذا وضعت الكلام موضع القول متجوزا بذلك. الخصائص ١/١٨ وجواز ذلك فى القول دون الكلام مجرد اتجاه إلى الأليق فقط. الخصائص ١/ ٢٠.

الراوية والنجو نفسه الغـائط وهو كثير[1]، وتدور مادة (ق و ل) وتصرفـاتها حول الخفوف والحركة وتصرفاتها الستة كلها مستعملة.

الأصل الأول: (ق و ل)، وهو القول فالفم واللسان يخفان ويقلقان ويمذلان به.

الأصل الثاني: (ق ل و)، منه القلو حمار الوحش وقلوت الشيء وكل ذلك فيه إسراع وخفة.

الأصل الثالث: (و ق ل)، منه الوقل للوعل لأنه يصعد الجبل بحركة وسرعة.

الأصل الرابع: (و ل ق)، قالوا: ولق يلق إذا أسرع.

الأصل الخامس: (ل و ق)، منه لوق الطعـام واللوقة الزبدة وذلك فـيه تحـريك وخفة وإسراع.

الأصل السادس: (ل ق و) منه اللقوة للـعقاب لخـفتهـا وسرعة طيـرانها، ومنه اللقوة فى الوجـه كأن اضطراب شكله بها جـعله فى خفة وطيش، واللقـوة الناقة السريعة اللقاح، وكل ذلك يتضح فيه معنى الخفة والسرعة والحركة[2].

مقارنة بين الكلام والقول:

أوضح ابن جنى من خـلال حديثـه السابق فروقـا وصلات بين الكـلام والقول واستعمال كل منهما:

١- مادة (كلم) تدور حـول الشدة والقـوة، على حين تدور مادة (قـول) حول الخفوف والحركة.

٢- الكلام يستعمل فى الألفاظ المستقلة المفيدة والقول أعم فيستعمل فيما يكون مفيدا أو غيـر مفيد، وقد نبه على ذلك سيـبويه حين قال: «واعلم أن قلت فى كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولا»[3]، ثم قال فى التـمثيـل: «نحو قلت زيد منطلق» فهـذا يعنى أن الكلام

---

(١) الخصائص ١/١٩، ٢٠.

(٢) المصدر السابق ١/٥-١١.

(٣) الكتاب ١/٦٢.

الذى يحكى بالقول لا يصدق إلا على التام المستقل المعنى «وأن القول لا يستحق هذه الصفة»[1].

٣- الكلام لا يستعمل فى الاعتقادات والآراء والقول يستعمل فيها، ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه فعبر لذلك عنه بالكلام الذى لا يكون إلا أصواتًا تامة مفيدة وعدل به عن القول الذى قد يكون أصواتا غير مفيدة وآراء معتقدة[2]، وإنما عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول دون الكلام «من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام وذلك أن الاعتقاد لا يفهم إلا بغيره وهو العبارة عنه كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره، ألا ترى أنك إذا قلت قام وأخليته من ضمير فإنه لا يتم معناه الذى وضع فى الكلام عليه لأنه إنما وضع على أن يفاد معناه مقترنا بما يسند إليه من الفاعل وقام هذه نفسها قول وهى ناقصة محتاجة إلى الفاعل كاحتياج الاعتقاد إلى العبارة عنه فلما اشتبها من هنا عبر عن أحدهما بصاحبه وليس كذلك الكلام لأنه وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه والقول قد يكون من الفقر إلى غيره على ما قدمناه فكان إلى الاعتقاد المحتاج إلى البيان أقرب وبأن يعبر به عنه أليق[3]، واختصاص القول بالاعتقاد والرأى تخصيص لغوى وضعى كما ذكرت فيما سبق لمجرد أنه الأليق به من ناحية المعنى ولذلك صح استعمال الكلام فيه أيضًا ألا ترى إلى قول رؤبة:

لو أننى أوتيت علم الحكل   علم سليمان كلام النحل

فحديث النحل أشبه بالاعتقاد فكان الأجدر به القول إلا أنه أوقع الكلام موقعه[4].

---

(١) الخصائص ١/١٩.   (٢) المصدر السابق ١/١٨.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠.
(٤) انظر تعقيب الأستاذ النجار فى الخصائص ١/ ٢٢.

٤- يستعمل كل من الكلام والقول مجازا فى الأصوات غير الإنسانية ومما جاء منه فى الكلام:

فصبحت والطير لم تكلم جابية[١] طمت بسيل مفعم

ومن استعمال القول فى مثل ذلك:

قالت له الطير تقدم راشدا إنك لا ترجع إلا حامدا

امتلأ الحوض وقال قطنى

بينما نحن مرتعون بفلج قالت الدلح الرواء إنيه

وقالت له العينان سمعا وطاعة وأبدت كمثل الدر لما يثقب

وذلك كثير فى القول دون الكلام لسعة مذاهب القول عن الكلام حتى ليشمل المفيد وغيره «وإذا جاز أن نسمى الرأى والاعتقاد قولا وإن لم يكن صوتا كانت تسمية ما هو أصوات قولا أجدر بالجواز ألا ترى أن الطير لها هدير والحوض له غطيط والسحاب له دوى فأما قوله:

(وقالت له العينان سمعا وطاعة)

فإنه وإن لم يكن منهما صوت فإن الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقالتا سمعا وطاعة وقد حرر هذا الموضع وأوضحه عنترة بقوله:

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان - لو علم الكلام - مكلمى

وامتثله شاعر آخر فقال:

فلو قدر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول[٢]

فالكلام والقول وما يعبران عنه وما اشتقا منه وما دارا حوله من معنى فيه أصوات وحركات ينجم عنها أصوات تتضح من استعراض حديث ابن جنى السابق عنهما، ويؤخذ من هذا كله أن ما يسمى بالكلام والقول هو عبارة عن مجموعة

(١) الجابية: الحوض الضخم وطمت: غمرت. يقال: طم الماء يطم طما وطموما: علا وغمر وجاء السيل فطم كل شيء: أى علاه. انظر اللسان (طم) ج ١٥/ ٢٦٢، ٢٦٣، (جبى) ١٨/ ١٤٠.
(٢) الخصائص ١/ ٢٢-٢٥.

من الأصوات تتجزأ إلى مجموعات صغيرة يمكن أن تسمى كل منها وحدة صوتية وهذه الوحدة الصوتية تأتلف مع أختهـا فى التركيب لتكوّن معنى من المعانى المرادة للمتكلم، هذه الوحدة هى مـا يعرفه علماء اللغة والنحـو باسم الكلمة وكل كلمة مركـبة من مـجموعـة من الأصوات الفـردية التى تجتمع هى الأخـرى لتكوّن هذه الوحدة الصـوتية المركـبة الدالة على المعنى المراد منـها والذى وضعـها له المجـتمع المعين، فالنحاة يجعلون الكلام الذى هو الألفاظ المفيـدة تعبيرا صوتياً ونشاطًا يرمز مفهومه إلى أجزاء ثلاثة هى: الاسم والفـعل والحرف، وكل منها يسمى فى عرف العلماء، كلمة، قال ابن مالك:

كـلامنا لفظ مـفـيـد كـاسـتـقم   واسم وفـعل ثم حـرف الـكلم[1]

واحـــده كلـمـــة والقـــول عم   وكلـمـــة بهـــا كـــلام قـــد يؤمّ

وهذه الوحدة التى عرفت باسم (كلمة) عرفهـا النحاة بأنها قول مفرد[2] أو لفظ مفرد[3] أو قول مفرد مسـتقل أو منتوى فيه، فالمستقل مثل مـحمد - جاء والمنتوى فيه مثل فاعل قم وهو الضمير أنت[4] وهم يقصدون بكلمة قول أنها لفظ ولما كان القول (الذى هو كل لفظ) يشـمل المفرد والمركب والتام والناقص (الكلمـة الواحدة وما هو أكثر من كلمة) حددت التعريفات مفهوم الكلمة بقولها (مفرد).

وقد عاب الدكتور تمام حسان هذه التعريفات بما يأتى:

١- أنها لا تفرق بين الصوت والحرف أى بين عملية النطق والنظام الذى أجرى عليه.

٢- أنها تخلط بين الوظيفة اللغوية والمعانى المنطقية والوضعية.

٣- أنها لا تفـرق بين وجود الكلمـة وعدمهـا فى تعريفهـا وهذا ما يؤدى إلى الخلط فى التفكير[5].

---

(١) الكلم اسم جنس جمعى لأنه يفـرق بينه وبين واحده بالتاء واحده كلمة كنبق ونبـقة. الخصائص ١/ ٢٥، حاشية الخضرى ١/ ١٧.

(٢) الشذور ص ٥.

(٣) الأشمونى ١/ ٢٦.

(٤) همع الهوامع ص ٣.

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٢٦.

ولذلك عرفها بقوله

«صيغة ذات وظيفة لغوية معينة فى تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغير موضعها أو يستبدل بها غيرها فى السياق، وترجع فى مادتها غالبًا إلى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد»[1].

ويبدو لى أن تعريف الأقدمين لا عيب فيه بل هو دقيق تماما وموجز واف بالمعنى المطلوب منه، فهو:

أولاً: لا يخلط بين القول والكلمة واللفظ بل فيه تحديد لها ولا عيب أن تلتقى معانى الألفاظ الثلاثة لاشتمال الأصوات عليها فكل لفظ يمكن أن يطلق عليه قول لأن القول هو ما يتلفظ به وكل لفظ بهذا المعنى هو قول والكلمة ليست إلا لفظًا فلا مانع من إطلاق اسم القول عليها، وهذا لا يعد خلطا بل يعد اشتراكًا فى جنس هو جزء التعريف مثل الإنسان حيوان ناطق حيث يشترك فى لفظ الحيوان مع الإنسان سائر الحيوانات ولم يعب ذلك أحد والجزء الآخر من التعريف يمنع ما يراد منعه فكلمة ناطق تمنع ما عدا الإنسان من الدخول فى التعريف، وقد أضيف إلى تعريف الكلمة ما منع غيرها من الدخول معها وهو (مفرد) فكلمة مفرد أخرجت المركبات سواء كانت تامة أو ناقصة.

ثانيًا: فيما يبدو لى أنه لا يصح إدخال الوظيفة اللغوية فى تعريف أجزاء اللغة، وهذا غير موجود فى تعريف الأقدمين بل هو موجود فى تعريف الدكتور تمام نفسه، وبالرجوع إليه يمكن فهم ما أقول.

ثالثًا: ليس هناك خلط فى التفكير بالإشارة إلى الكلمات المضمرة مثل أنت فى قم بل هذا مجرد تلميح إلى أن الكلمة تارة تكون واضحة مرئية وأخرى مستترة قياسًا على وجودها الخارجى.

وقد عرف مييه الكلمة بأنها ربط معنى ما بمجموعة ما من الأصوات صالحة لاستعمال جراماطيقى[2]، وهذا التعريف صالح للمورفيمات والجمل وأجزاء

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٢.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ٢٧، ٢٨ وانظر اللغة (فندريس) ص ١٢٤.

الجمل أيضًا، وعند جاردنر[1] «أن الكلمات ذات وجهين فى طبيعتها فوجه هو المعنى ووجه آخر هو الصوت وحيث تكون الكلمات فى ملك كل شخص تكون من ناحيته جواهر طبيعية مكونة من منطقة المعنى من جهة ومن صورة صوت معين من جهة أخرى، هذا الصوت صالح لأن يعاد نطقه بالإرادة والكلمات فى حقيقتها نفسية وهى مواد للمعرفة والتكلم مع أنها فى أحد جانبى طبيعتها تشير إلى حدث عضوى تمكن إعادته بحسب الإرادة».

والتعريف الأول للكلمة شامل لها ولغيرها، والثانى يدخلها فى عالم الفلسفة وعلم النفس «وليس الباحث اللغوى بحاجة إلى أن يبنى أفكاره على أسس غريبة عن منهج اللغة... لاحظ فى تعريف جاردنر استعمال كلمات: الحقيقة ـ الطبيعة ـ الملك ـ المعرفة ـ التكلم ـ النفس».

ويلاحظ الدكتور تمام أن تعريف الكلمة لا يمكن اتحاده فى جميع اللغات بل لكل منها تعريف يستمد من طبيعتها ووسائلها الخاصة فى التركيب كما يقول فندريس[2]، ولكن يبدو لنا أن الكلمة التى هى وحدة لغوية تدل على معنى من المعانى لا تختلف بهذا التحديد من لغة إلى أخرى، فلا مانع من وضع تعريف شامل لها فهذا لا صلة له بطريق البناء الصرفى أو غيره من خصائص اللغات.

وأعتقد أن تعريف الكلمة العربية واف بالغرض المقصود، فالكلام والقول ـ كما رأينا ـ يعبران عن أصوات تفيد معانى خاصة يراها المتكلمون وتلك الأصوات التى يترجم عنها الكلام هى جوهر اللغة ومعناها والمراد منها كما يتبين ذلك من عرضنا للغة ومفهومها عند عالمنا ابن جنى وغيره من قدامى ومحدثين.

***

---

(١) عالم لغوى إنجليزى.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٣٥ وما بعدها وانظر اللغة ص ١٢٤.

اللغة واللهجة

• اللغة

تاريخها:

منذ التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة تفاهم - وكما يقول فندريس «أصبح تكرار القول بأن الإنسان كائن اجتماعى أمرا مبتذلاً ولعل من أدل السمات على الطبيعة الاجتماعية فى الإنسان تلك الغريزة التى تدفع على الفور الأفراد المقيمين معًا إلى جعل الخصائص التى تجمعهم مشاعة بينهم ليتميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لهم هذه الخصائص بنفس الدرجة»[١]، وهذه الوسيلة تتنوع من «مجتمع بدائى إلى مجتمع حضارى» فالسلوك الجماعى على ثلاث درجات «بلا رموز جماعية وبرموز جماعية غير شعورية وبلغة»[٢]، ونحن الآن بصدد بيان أرقى الوسائل التى وصل إليها الإنسان فى تفاهمه مع أخيه وهى اللغة الصوتية.

ولم تعرف كلمة (اللغة) طريقها إلى الظهور بين مفردات العربية إلا بعد انتهاء القرن الثانى الهجرى وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد فشو اللحن. . . ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لفظ (اللغوى) إلا فى القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف فى اللغة وتميزت العلوم العربية واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها. . . وخلف ذلك اللقب الراوية وممن عرفوا به فى القرن الرابع أبو الطيب اللغوى وابن دريد والأزهرى وغيرهم[٣].

ويعتقد أن الكلمة لم ترد فى الأدب العربى قبل القرن الثامن الهجرى فقد جاءت أول مرة فى شعر لصفى الدين الحلى[٤] وهو:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ... فتلك له عند الملمات أعوان

---

(١) اللغة ص ٣٠٢.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص ٥٣.

(٣) تاريخ آداب العرب ١/٣٣٧، ٣٣٨.

(٤) توفى سنة ٧٥٠هـ وانظر ديوانه ص ٤٥٣.

فهافـهت على حفظ اللغات وفهـمها   فكل لسـان فـى الحـقـيـقـة إنسـان

ويعبـر القرآن الكريم عن اللغة بكلمـة لسان[1] مثل قـوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢﴾ [الأحقاف: ١٢]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]، وهذه الكلمة هى المشهورة فى اللغات السامية، ففى العبرية Lashoon بمعنى اللغة يقال: Hallashoon ha- evrit (اللغة العبرية) وفى بقية الساميات كذلك.

ومن هنا يقول الدكـتور أنيس: «يظهر أن العرب القـدماء فى العصور الجـاهلية وصدر الإسلام لم يكونـوا يعبرون عما نسـميه نحن باللغة إلا بكلمـة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى فى معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية، وقد يستأنس لهذا الرأى بما جاء فى القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدها فى معنى الـلغة»[2]، ولكن مـادة (ل غ و) التى تعنى الصوت والكلام قـد وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف والشـعر المعتمد كثيرًا، وسيـتبين ذلك من حديثنا عن اشتقاقها وتصريفها، وتطلق كلمة لغة عند القدماء ويراد منها اللهجة[3] وتقابل باللغات الأجنبية longue فى الإنجليزية بمعنى لسان أو لغة[4]، langue فى الفرنسية بالمعنى السابق[5]، وبذلك تتفق اللغتان الإنجليزية والفرنسيـة مع العربية فى التعبير باللسان عن اللغة وفيهمـا مع ذلك كلمات أخرى لمعنى اللغة لا تطلق على اللسان وقـد تطلق على اللهـجة أيضًـا، وهذه الكلمـات فى اللغات الـتى تقدمت تفـهم اشتراكها فى الصدور عن أصل واحد.

---

(١) وردت كلمة لسان بمعنى اللغة ٨ مرات فى القرآن الكريم، انظر المعجم المفهرس ص ٦٤٧.

(٢) فى اللهجات العربية ط٢ ص ١٤.

(٣) المصدر السابق ط٣ ص ١٦.

(٤) قامـوس إنجليزى عربى تأليف مـحمد طه محـمود ط الاستـقامة ص ٣٨٣ وتطلق بمعنى اللغـة أيضًا فى الإنجليزية كلمة Language ص ٢١٦.

(٥) قاموس فرنسى عـربى تأليف إسكندر شـحـاتة لندن طـ٢ ص ٢١٠ وتـطـلق كلمة Langage بمعنى لغة أو لهجة أو نطق أو أسلوب وهناك ألفاظ أخرى غير ذلك.

اشتقاقها وتصريفها:

يذكر اللغويون ومنهم ابن جنى وأرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل لغا يلغو إذا تكلم أو من لغِى يلغَى - بكسر الغين فى الماضى وفتحها فى المضارع - إذا لهج، يقول ابن جنى: أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعْلة من لغَوت أى تكلمت وأصلها لُغوة ككُرة وقُلة وثُبة كلها لاماتها واوات لقولهم كَروت بالكرة وقلوت بالقُلة ولأن ثُبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لغات ولغون[1] ككُرات وكُرون وقيل منها لغِى يلغَى إذا هذى ومصدره اللغا قال:

ورُبَّ أسراب حجيج كُظَّمِ   عن اللغا ورفث التكلُّمِ

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٢] أى بالباطل وفى الحديث: «**من قال فى الجمعة صه فقد لغا**» أى تكلم[2].

ويأخذ عليه أستاذنا الدكتور قناوى أنه غير جار على المشهور من القواعد الصرفية التى تقول: إذا حذف حرف من الموزون حذف ما يقابله من الميزان، وكون أصلها لُغوة يلزم عليه الجمع بين العوض والمعوض وقلما يجتمعان[3]، ويجرى هذا النقد على ما قاله الأزهرى وغيره من أن أصلها لغوة بوزن فُعلة[4]، وما نبه عليه أستاذنا الدكتور قناوى ملحظ صرفى دقيق[5].

ومن نص ابن جنى السابق يفهم أنه يرى اشتقاق لغة من لغا يلغو بمعنى تكلم أو من لغِى يلغَى بمعنى هذى، وبالاشتقاق الأول قال صاحب القاموس وبالثانى قال صاحب المفردات، ففى القاموس: لغا لغوًا تكلم ج لغات ولُغون[6]، وفى المفردات: لغِى بكذا أى لهج به لهج العصفور بلغاه أى بصوته ومنه قيل للكلام الذى يلهج به الناس فرقة فرقة لغة[7] ومع ذلك ذكرا الاشتقاق الثانى وما يتعلق

(١) ملحق بجمع المذكر.
(٢) الخصائص ١/ ٣٣.
(٣) محاضرات أستاذنا الدكتور قناوى.
(٤) اللسان ٢٠/ ١١٦، ١١٨.
(٥) الأشمونى ٤/ ٣٤٠- ٣٤٣ ومنار السالك ٢/ ٣٦٦، ٤١١، ٤١٢ وانظر الكتاب وتعليق الأعلم على قول الشاعر (هما نفثا فى فىَّ من فمويهما) ٢/ ٨٣.
(٦) القاموس ٤/ ٣٨٦.
(٧) المفردات ص ٤٥٢.

بالمادة من معــان لغوية يقال: لغِـيت تلغَى نحو لقِيت تلقَى واللغــو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكرة فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيــور قال أبو عبــيدة لَغْو ولغًــا نحو عَيب وعــاب ـ وأنشد (عن اللغا ورفث التكلم)، وقد يسمى كل كلام قبيــح لغوا قال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٣٥] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وقال: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٥٢] أى كفُّوا عن القبيح ولم يصرّحوا وقيل مــعناه: إذا صادفوا أهل اللغو لم يخوضوا معهم ويستعمل اللغو فيما لا يعــتد به ومنه اللغو فى الأيمان أى ما لا عقد عليه وذلك ما يجــرى وصلا للكلام بضرب من العادة قــال تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ومن هذا أخذ قول الشاعر:

ولســتَ بمأخــوذ بـلغــو تقــوله ... إذا لم تُعــمِّــد عــاقــدات العــزائم

وقوله تعالى: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أى لغوا فجعل اسم الفاعل وصفا للكلام نحو كاذبة وقيل لما لا يعتد به فى الدية من الإبل لغو وقال الشاعر:

(كما ألغيت فى الدية الحوار)[1]

وذكر صاحب القاموس بعض ما تقدم[2]:

ويبدو مــن استعــراض مادة (لغــو) فى الكتابين الســابقين أن الأول يمــيل إلى ترجيح أحدهما والثانى بالعكس على ما بينته.

وقيل إن فعله لغــى إلا أنه فُتح حرف الحلق فيكون ماضــيه لغا ومضــارعه يلغو ويلغَى[3]. وقد قصدت بذكر كلام اللغويين بنصه وطوله أن أبين تأصل كلمة (لغة) فى العربية وموادها وقد استعملت فــيما أوردته بمعناها الحقيقى الذى هو الأصوات الإنسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة.

---

(١) المفردات ٤٥١، ٤٥٢ والحوار - بضم الحاء وكسرها - الأخيرة رديئة عند يعقوب، ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل، وقيل: هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة. اللسان ٥/ ٣٠١.

(٢) القاموس ٤/ ٣٨٦.

(٣) لسان العرب ٢٠/ ١١٧.

وبناء على ذلك لا يقبل القول الذى ذهب إليه بعض المحدثين من أن كلمة لغة دخيلة على العربية وأنها معربة من كلمة Logs الإغريقية التى تعنى كلمة أو فكرة ويعزز ذلك - عندهم - التشابه بين الكلمتين[1] والزعم بأن الكلمة لم ترد فى آداب العرب المتقدمين ولا فى القرآن الكريم زعم باطل، فقد ثبت لذى عينين وقوعها فى القرآن وقول العجاج السابق كما وقعت فى الحديث «من قال لصاحبه يوم الجمعة... إلخ كما ورد فى المعاجم العربية (لغا يلغو) إذا تحدث ولغِى يلغَى إذا لهج مع تصرفات أخرى لمادة (لغو) ونصوص كثيرة موثوق بها وذلك كله يثبت عربية كلمة (لغة) وإن شاركت غيرها من اللغات الأخرى للتشابه فى الأصل الأول للغة الإنسان.

ننتقل بعد ذلك إلى بيان معنى (اللغة):

حدها ابن جنى بأنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2] ووافقه على ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب[3] ويميل إلى ذلك علماء الاجتماع فهى عندهم:

نظام من رموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة.

فيستفاد من كل من هذين التعريفين أن اللغة وسيلة مهمة فى الربط بين أفراد المجتمع والتعبير عن شئونهم المختلفة فكرية كانت أو غير فكرية، من كل ما يهمهم فى حياتهم الخاصة والعامة.

بيد أن لبعض الباحثين ملاحظات عليه جد مفيدة، فهذا التعريف يقصر اللغة على الأصوات الإنسانية المعبرة عن أغراض ويخرج غيرها كالأصوات الإنسانية التى لا تعبر عن غرض، كغطيط النائم، وتخرج كذلك أصوات الحيوانات المعبر

---

(١) اللسان والإنسان د. حسن ظاظا ص ١٣١، ١٣٢.

(٢) الخصائص ١/ ٣٣.

(٣) القاموس ٤/ ٣٨٦ ولسان العرب ٢٠/ ١١٨.

بها عـن أغراض وما كـان المعبـر به عن الغرض غـير صـوت، كالعقـد والنصب والإشارة بالرأس أو غيرها مـن أعضاء الجسم، والإشارات التى تستعـملها السفن، والإشـارات التى تسـتخـدم فى الجـيوش، ومـا يتـفاهم بـه الصم وبعض السكان الأصليين فى أمـريكا، وأستراليا وبعض العـشائر فـى أواسـط أفريقيـا، وما يظهر على الإنسان من الانفعالات النفسية التى تظهر فى حالات المرض والغضب والفرح والحزن ونحـو ذلك، وكذلك الأصوات الصادرة عن كل مـا له صوت أو له صلة بحدوثه ولو كان جماداً آلة أو نحوها كأصوات المدافع وآلات الحرب.

وقـد عـد صاحب هـذا الـنقد خـروج مـا تقـدم عن نطاق اللغـة ـ فـى رأى الأقدمين ـ قـصوراً فى التعريف، وبنى ملحظه على أن هذه الأشيـاء الخارجة عن التعريف أصبحت ـ على وجه الحقيقة العرفية ـ من وسائل التفاهم فكان ينبغى أن تدخل فيه، لكن تعريف الأقدمين خص اللغة بما تقدم أولاً.

ويدل لذلك أن مرادهم بالأصوات ينحصر فى ذات المقاطع لأنها هى المعبرة عن الأغراض، لا الأصوات المرسلة كالتى تصدر من الحيوانات، والمراد بالقوم بنو آدم، ولا يشمل معنى هذا اللفظ غـيرهم، فأما استعماله للـجن فى مثل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] فهو استعـمال مجازى، فلا يعترض به على الحقيقة[١].

ولعل علمـاءنا القدامى ـ حـين خصـوا اللغة ـ فى اصطلاحـهم العلمى - بما يصدر عن الإنسـان من الأصوات المعبرة عـن الأغراض قصدوا الحـديث عن اللغة التى تلبى حاجـات الجماعة، ويهتم بهـا المجتمع لأنها الوسـيلة التى تفى بأغراض الناس وشئونهم فى الحياة.

ولذا نرى أن التعريف واف بالغرض المطلوب.

---

(١) انظر محاضرات فى فقه اللغة لأستاذنا الدكتور محمد قناوى، وقد خالف الأستاذ عبد الله العلايلى سائر اللغويين فعـد اللغة غاية لا وسـيلة، وهو قول ينبـو عنه التحـقيق. انظـر: مقدمـة لدرس لغة العرب ص ١٥ - ٢٤.

وعلماء الفلسـفة والمنطق يبنون تصورهم لهـا على أساس وظائفهـا التى حددها الأستاذ جفونز وهى:

١- أنها وسيلة للتوصيل.

٢- أنها مساعد آلى للتفكير.

٣- أنها أداة للتسجيل والرجوع.

ويبدو أن الوظيفتـين الأولى والثالثة واحدة فهمـا عبارة عن: توصيل الأفكار، سواء أكان ذلك بالأصوات المنطوقة بالفعل، أم بالتسجيل والكتابة ليرجع إليها فيما بعد[١].

ويعرفها علماء النفس بـأنها: استعمال رموز صوتية منظمـة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر[٢].

ويبدو أن المناطقـة وعلماء النفس يقـصرون اللغة على نقل الأفكار فـحسب وذلك تحديد غير واف بالغرض، فاللغة لا تقف عند حد التعبير عن الأفكار بل هناك مـوضوعات أخـرى تخص الناس فى شؤونـهم العامة، وهـناك أحداث الترفيه والتـسلية، فقد تستعمل للـتعبير عن العواطف والمشاعـر المختلفة، وقد تستخـدم للترنم بالغناء، وسوق القصص، والحكايـات والأساطير، وكل ذلك للتسرية عن النفس، والتخفيف من أعباء الحياة ومشكلاتها.

ومعنى ذلك أن اللغة أكثر من أن تكون أداة للفكر، أو تعبيرًا عن عاطفة. اللغة جزء من كياننا السيكلوجى الروحى، وهى عملية فيزيائية واجتماعية[٣]، وهذا كله يثبت أن اللغة هى الرابطة الحيوية بين أفراد المجتمع والتى تعبر عن حاجاته، وتجمع شمله، وتوحـد أهدافه وهذا مـلاحظ فى تعريف علماء الـعرب، ووافقـهم عليه علماء الاجتماع.

---

(١) اللغة بين الفرد والمجتمع (جسبرسن) ص ٨ واللغة والمجتمع د. السعران ص ١٣.

(٢) اللهجات العربية د. نجا ص ٥.

(٣) محاضرات فى اللهجات د. أنيس فريحة ص ٩ واللغة بين الفرد والمجتمع ص ٩ - ١١.

● **اللهجة[1]:**

اشتقاقها:

ورد اشتقاقها بوجهين:

الوجه الأول: أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه: إذا تناول ضرع أمه يمتصه ولهج الفصيل بأمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج.

الوجه الثانى: أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج يعنى أولع به واعتاده أو أغرى به فثابر عليه واللهج بالشىء: الولوع به[2].

وكل من الوجهين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التى يتبعها الإنسان فاللغة يتلقاها الإنسان عن ذويه ومخالطيه كالفصيل الذى يتناول اللبن من ضرع أمه فيمتصه كما أنه حين يتعلم اللغة يكلف بها ويولع كمن يتعلق بشىء معين ويولع به[3].

واللهجة هى لغة الإنسان التى جبل عليها واعتادها ونشأ عليها وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها.

معناها:

اللهجة: طريقة معينة فى الاستعمال اللغوى توجد فى بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة.

ويعرفها بعضهم بأنها: العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من من الناس تتكلم لغة واحدة[4].

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية فى غالب الأحيان ومن ذلك ـ

---

(١) يعبر القدماء عن اللهجة بكلمة (اللغة) فقد عقد ابن جنى بابا فى الخصائص بعنوان (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) وابن فارس يعقد بابا فى الصاحبى بعنوان (اختلاف لغات العرب من وجوه) وكذلك علماء آخرون كأبى على القالى فى (الأمالى فى لغة العرب).

(٢) تهذيب اللغة ٦/ ٥٤، ٥٥ والصحاح ١/ ٢٣٩ ولسان العرب ٣/ ١٨٣.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ص ٩١.

(٤) علم اللغة العام لروبنز ص ٥٢ ومقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أبو الفرج ص ٩٣.

فى لهجات العرب القديمة -: العنعنة وهى قلب الهمزة المبدوء بها عينا وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم يقولون فى أنك عنك، وفى أذن عذن على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير فى أوائل الكلمات.

كذلك: الكشكشة وهى فى ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شيئًا فيقولون: رأيتكش وبكش وعليكش فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها فى الوصل - أيضًا - ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها فى الوصل ويسكنها فى الوقف فيقول: منش وعليش[1] وغيرهم من العرب يبقى الكاف دون تغيير. كذلك: العجعجة فى لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون فى تميمىّ تميمجّ[2] وغيرها يبقى الياء ويجرى مثل ذلك فى العاميات ففى مصر تنطق الهمزة مسهلة فى رأس وفأس فيقولون: راس وفاس، كما يبدلون الثاء سينا فيقولون فى ثبت: سبت وفى بحوث: بحوس وغير ذلك كثير[3].

وهذا كله لاختلاف البيئات العربية وعوامل الاجتماع عندها وتطاول الأزمان عليها.

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها، فاسم المفعول إذا صيغ من الفعل الثلاثى الأجوف فإن عينه تعل عند الحجازيين سواء أكان واوياً أم يائياً مثل: مقول ومدين. ولكن التميميين يعلون الواوى ويتممون اليائى فيقولون: مبيوع ومديون، وعلى طريقة بنى تميم تجرى اللهجات العامية فى مصر وبعض جهات اليمن ونجد.

وقد يكون اختلاف الاستعمال اللغوى من جهة المعانى، وتذكر كتب اللغة كثيراً من ذلك ككلمة (وثب) فهى عند (حمير) بمعنى (جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز) و(السدفة) عند تميم (الظلمة) وعند قيس (الضوء)[4].

---

(١) المزهر ١/٢٢١، ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وفى الفرنسية نجد بعض القرى تنطق (a) فتحة حيث تنطق قرى أخرى (e) فتحة ممالة وتنطق بعضها (o) ضمة مفتوحة حيث تنطق القرى الأخرى (u) ضمة صريحة. اللغة ص٣١٠.

(٤) المزهر ١/١٨٨، ١٩١.

ولكن الاختلاف الصوتى يلعب الدور المهم فى اختلاف اللهجات وتنوعها، واللهجة اتجاه منحرف داخل اللغة، وكل من اللغة واللهجة يتصلان بالصوت، فاللغة ترتبط به من حيث إفادة المعنى، واللهجة من حيث صورة النطق وهيئته.

والاختلاف الصوتى يرجع إلى ما يأتى:

١- اختلاف فى مخرج بعض الأصوات اللغوية كالجيم فالعربية من وسط اللسان والمصرية من أقصاه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.

٢- اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف وتفخيمه عند القبائل المختلفة.

٣- اختلاف فى مقاييس بعض أصوات اللين. إذ إن أى انحراف يصيب تلك الحروف التى تعرف بحروف المد عند الأقدمين يؤدى إلى اختلاف فى نطقها.

٤- تباين فى النغمة الموسيقية للكلام: فذلك يختلف بين القبائل وعلى حسب البيئات المختلفة.

٥- اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض، فالجمهرة من العرب تقلب الواو تاء عند وقوعها فاء لافتعل مثل، اتصل هربا من تلاعب الحركات، ولكن الحجازيين لا يقلبونها تاء، فتتأثر بالحركات السابقة عليها فتقلب على حسب الحركات واوا بعد الضمة، وألفا بعد الفتحة، وياء بعد الكسرة فيقولون: إيتصل ـ ياتصل ـ موتصل...[1].

ويقول فندريس عن الفرنسية: «إننا نجد فروقًا ذات بال بين قرية وأخرى حتى ليمكننا أن نميز لهجة كل قرية منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات، ومن حيث النحو، ومن حيث المفردات[2]»، واللهجة إذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغنى عن أصلها، وتفى بحاجة الجماعة التى تتحدث بها أمكن أن تسمى لغة، وذلك حين تنضج قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية

---

(١) اللهجات العربية د. نجا ص٧ - ١٠ وفى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٦ بتصرف. وانظر ص ٢٢٢ من هذا الكتاب فقد نسب ابن جنى قلبها تاء إلى الحجازيين.

(٢) اللغة ص ٣١٠.

والتركيبية بحيث تجتمع لها عناصر الإفادة الكاملة والتعبير السليم كاللهجات العربية فى مصر، والمملكة العربية السعودية، والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من سائر البلاد العربية إذ يطلق عليها اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها، وباعتبار صلتها باللغة العربية الأم تعد كل منها لهجة لأنها لم تستغن عنها، بل إنها استمدت ـ ولا تزال تستمد ـ منها مقومات حياتها الأصلية.

وقد تساعد عوامل كثيرة على استقلال اللهجة وصيرورتها لغة قائمة بذاتها مشهورة لدى مجتمعها، بل وسواه من المجتمعات الإنسانية التى تكون على صلة بأهلها، وهذه العوامل يمكن لكل منها أن يقوم بهذا الدور فى استقلال اللهجة على النحو السابق وهى:

١- عامل عسكرى - سياسى.

٢- عامل دينى.

٣- عامل أدبى.

٤- عامل اجتماعى طبقى.

وقد يتدخل عاملان أو ثلاثة فى تكوين هذه اللهجة.

مثال الأول: اللهجات الروسية التشيكية والبلغارية أصبحت لغات رسمية معترفًا بها عندما استقلت هذه البلدان عن روسيا.

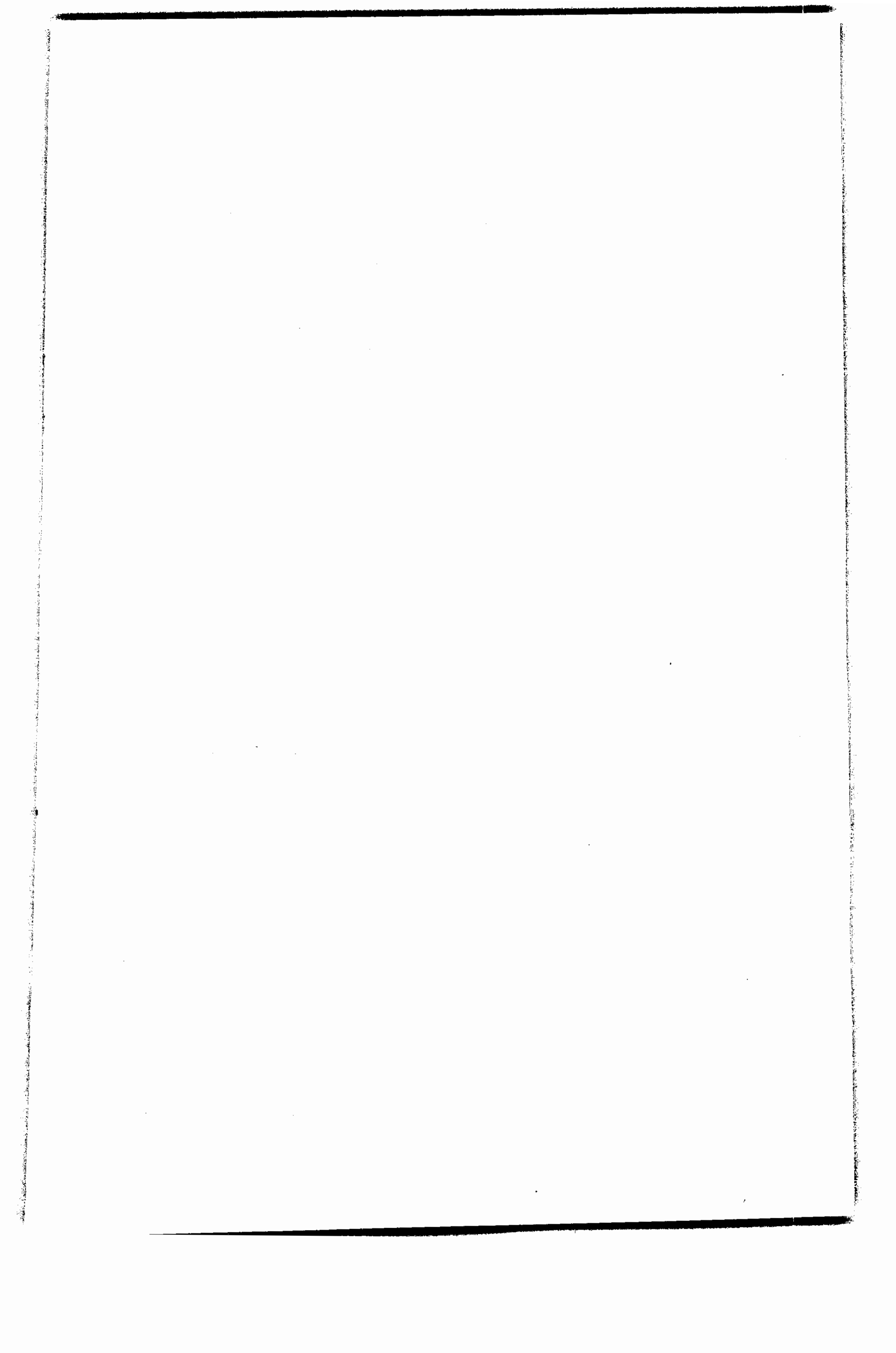
مثال الثانى: ارتقاء العربية الفصحى من لهجة حجازية نجدية إلى مرتبة أدبية سامية بفضل نزول القرآن الكريم بها.

مثال الثالث: لغة إيطاليا الحديثة فهى اللهجة التى كتب بها أدباء وشعراء أمثال: دانتى وبترارك ولوكاتشيو وأصلها لهجة فلورنسا.

مثال الرابع: لهجة باريس ـ بعد القرن السابع عشر ـ أصبحت المثال الأدبى الرفيع الذى ينبغى لكل كاتب ناشئ أن يحتذيه. وذلك ينطبق على لغتنا العربية النموذجية التى كان أساسها لهجة قريش، ثم استطاعت أن تتغلب على اللهجات الأخرى لتلك العوامل.

الباب الثانى

انقسامُ اللغة وتكوُّن اللهجات



منذ آدم ـ عليه السلام ـ واللغـات التى يستعملها نسله يتوالى عليـها الانقسام إلى لهجات، وبعد الطوفـان توزع أبناء نوح ـ عليه السلام ـ فى الأرض، فنشأت مجـموعات لـغوية تنسب إلى أبنائه الثـلاثة: سام، وحام، ويافث، وكـل منها له فروع متعددة فى القديم والحديث.

ولا ريب أن اللغة تبقى متحدة فى المجتمع الذى يتخذها أداة له إذا كانت حياته الاجتماعيـة والأرض التى يعيش عليها متحدة فى أهدافهـا وعوامل تكوينها، فإذا تغير شىء من ذلك كان إيذانا بانشعاب تلك اللغة إلى لهجات.

وقد عزا العلماء انشعاب اللغات إلى لهجات لعوامل أهمها:

١- اختلاف البيئات الجغرافية:

فالأرض التى يعيش عليها البشر مختلفـة، ففيها الجبال والسهول والوديان، وفيهـا الأراضى الزراعية والقاحلـة، ومتى اختلفت البيـئة الجغرافـية فإن ذلك يؤدى إلى اختـلاف اللغة، فإذا انتـشرت جمـاعة لغوية تعـيش فى مكان معين على أرض واسعة تخـتلف طبيعتهـا فإن ذلك يؤدى ـ مع تطاول الزمن ـ إلى انشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات، وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقيـا ونفسيا، كمـا هو الواقع فإنهـا ـ كذلك - تؤثر على أعـضاء النطق وطريقة الكلام.

٢- تنوع الظروف الاجتماعية:

لا ريب أن كل قوم لهم قوانينهم وطرقهم الخاصة فى معيشتهم وتفكيرهم سواء فى ذلك الشعوب المخـتلفة وطبقات الشـعب الواحد فكل شعب له ملامح ثقـافية وعادات وتقـاليد خـاصة تختلف عن الآخـر، فالمجـتمع الإنجليزى غـير المجـتمع الفرنسى غـير الأمريكى أو الرومى أو العربـى فى طريقة معيـشته وقوانينه العـامة والخاصة.

والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الأرستقراطية والدنيا أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها من أرباب المهن المختلفة وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات وتختلف.

بل يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذى لا يحد، وأنها فى تغيير دائم تبعا لأحوال الجماعات والأمكنة التى تعيش فيها فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة[١].

كما أن تغير تلك الأحوال التى تعيش فيها الجماعة تنعكس آثارها على اللغة فلا شك أن المهاجرين من الأسبان والإنجليز إلى أمريكا قد عرى لغتهم بعض التطور الصوتى فاختلفت الأسبانية والإنجليزية هناك عنهما فى موطنهما الأصلى.

والعرب عندما خرجوا من جزيرتهم إلى الأقطار المجاورة بعد الفتح الإسلامى قد عرى لغتهم بعض التطور، بل تشعبت إلى لهجات متنوعة[٢].

فاختلاف المكان والنواحى الاجتماعية ووسائل الحياة كانت له آثاره فى لغة الجماعة بعد ارتحالها من بلدها الأصلى بحيث برزت أمارات التغير هناك عنها هنا.

ومن كل ما تقدم ندرك أن نظام المجتمع واختلاف طبقاته وتغير أحواله قد يسبب تفرع لغته إلى لهجات.

٣- الاتصال البشرى وآثاره:

الإنسان مدنى بطبعه ـ كما يقول علماء الاجتماع ـ فهو فى حاجة إلى مساعدة أخيه الإنسان، ولذلك فقد يتصل بنو البشر لتبادل المنافع كما أن الإنسان قد يحتاج إلى الهجرة من وطنه الأصلى إلى مكان آخر بحثا عن القوت أو لأسباب أخرى دينية أو استعمارية.

وبدهى أن تلك الاتصالات تحتاج إلى معرفة هؤلاء وهؤلاء بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات، أو إخضاع جماعة ما لسيطرتهم، وهذا يؤدى إلى

---

(١) اللغة ص٣١٥.

(٢) اللهجات العربية د. نجا ص١٦ وفى اللهجات العربية د. أنيس ط٣ ص٢٣.

احتكاك اللغـات بعضهـا ببعض ونشوب صراع بينـها، فالتوسع وضـرورة الاتصال يقتضى معرفـة لغـات عـدة معـرفة جيدة[1]، بما يخلق اختلالا فى الأداء، فكثيرا ما لوحـظ أن تطور اللغات يزداد بسـرعة بازدياد انتـشارها فى الخـارج وازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها وتنوعـهم إذ إن انتشارها فى أقاليم تحتك فيـها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموغلة فى الذاتية، والتأثير الذى يقع عليها من الخارج يؤدى بها إلى التغير السريع[2]، وقد تتغلب إحدى هذه اللغات على الأخرى.

ونحن نشـاهد نطق الأجـانب للغـة العربـية إذا اتصلوا بـالعرب كـاليـونانيين والإيطاليين فلا يسـتطيعون النطق بالطريقـة العربية فهم - مـثلا - لا يمكنهم نطق الحاء فى مثل كلمة (محمد) فيحولونها إلى خاء.

وفى حالات الحـروب نجد لغات المغـزوين تتلاشى أمام لغـة الغزاة وتنزوى فى ضعف وتقهقر، وذلك واضح فى تغلب العربية على لغات البلاد المفتوحة كالقبطية فى مصر والفـارسية فى بعض بلاد فارس القديمة والآراميـة فى العراق والشام[3]، والأرمينية تقهقرت أمام الروسية فى أوربا[4]، لأن الضعيف عادة يجب أن يقلد من هو أقوى منه[5].

وقد تبـقى لغة المغزوين صاحـبة الهيبـة والاستعمـال فى شئون المجتـمع فإرادة الإغريق ألا يضـحوا لغتهم أمـام لغة فاتح يحتـقرونه هى التى حفظت الإغريـقية خلال العصور فلم تسـتطع التركية يوما أن تحل محلهـا أو حتى أن تنال منها، هذا إذا كثر عدد الغزاة.

أما إذا قل فـإن لغتهم قـد يصيبهـا الضعف كمـا حدث للغة النورمـانديين بعد غزوهم لإنجلترا فقد تغلبت الإنجليزية عليها لقلة عدد الغالبين ولـم يكن للنورماندية الفرنسية غير أثر قليل فى اللغة الإنجليزية[6].

---

(١) اللغة: ص ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق: ص٤٢٧.

(٣) فى اللهجات العربية: ص ٢٣.

(٤) اللغة ص ٢٠١.

(٥) اللهجات العربية: ص ١٦.

(٦) فى اللهجات العربية ط٣ ص٣٤.

فالباحث يرى أن هذه الاتصالات البشرية للمنافع أو للسيطرة واتصال اللغات نتيجة لذلك يعد عاملا من عوامل اختلاف اللغات عن أصلها بما يفرقها إلى لهجات «فتطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية لغة، بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا مهما فى التطور اللغوى»[1].

****

(١) اللغة ص ٣٤٨، ويضيف بعضهم عاملا آخر هو: اختلاف الأفراد فى النطق فسابير يذهب إلى أن اللهجات تنشأ من الميل العام إلى الاختلاف الفردى فى الكلام ويجعلون من ذلك ما يسمى بالقياس الخاطئ. انظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص٣٩.

تطبيق تلك العوامل على العربية

وكل تلك العوامل حدثت فى لغتنا العربية التى عاشت فى مناطق مختلفة فقد كانت الصحراء تمثل جانبا من بيئتها الطبيعية، ثم انتقلت الأمة العربية إلى الحضارة فوجدت مناطق زراعية وأخرى تجارية، وكان لذلك أثره فى اختلاف أحوال أهلها بين تنقل وترحال أو إقامة واستقرار.

ثم خرج العرب من جزيرتهم إلى المناطق المجاورة فى الشام والعراق ومصر فالتقت العربية مع أخواتها من الساميات كالعبرية والآرامية وغيرهما كما التقت مع لغات أخرى أجنبية كالفارسية والرومية والقبطية.

وكل ذلك كانت له آثار بعيدة المدى فى ظهور لهجات شتى للغة العربية وإليك تفصيل ذلك:

أ- العامل الاجتماعى والثقافى والجغرافى:

اللغة العربية ـ وهى إحدى لهجات اللغة السامية ـ كانت واحدة عند الناطقين بها ثم زادت وانقسمت بتأثير الحضارة والتطور، إذ إن العرب لم تستمر حياتهم على طريق واحدة وفى حدود لا تتغير، بل إنهم ـ كبقية البشر ـ تتغير أحوالهم الاجتماعية وما مر بهم من ثقافات، فدعاهم ذلك إلى تطور لغتهم لتناسب مظاهر حياتهم الجديدة.

وقد أخذت العربية فى التطور ـ كذلك ـ لانتقالها من البادية إلى الحاضرة فبعد أن كانت فى بقعة صحراوية يتمسك أهلها بمنطق آبائهم الفصيح، بدأت تنتقل بانتقال أهلها إلى مجتمع حضارى، فتتغير على الألسنة وتتطور تبعا لذلك على الرغم من نهجهم طريق السلف، فأهل الحضر يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب إلى اللغة العربية الفصيحة، غير أن كلام أهل الحضر مضاه لكلام فصحاء العرب فى حروفهم وتآليفهم، إلا أنهم أخلوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح[1].

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٩.

والفرق واضح بين صورة لهجات البادية التميـمية، ولهجات الحاضرة الحجازية المتمثلة فى القرشـية، فقد ارتفعت قريش فى الفصـاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء «فأما عنعنة تميم فإن تميما تقول فى موضع (أن): (عن) تقول عن عبد الله قائم وأنشد ذو الرمة عبد الملك:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة

وأمـا تلتلة بهـراء فإنهـم يقولون: تِعـلمون وتِفـعلون وتِصنعـون بكسـر أوائل الحروف.

وأما كشكشة ربيعة، فإنما يريد قـولها مع كاف ضمير المؤنث: أنكش ورأيتكش وأعطيتكش، تفعـل هـذا فـى الوقف، فإذا وصلت أسقطت الشين[1]، فقريش ما ترفعت عن ذلك إلا للـثقافات الاجتمـاعية التى نشأ أهلهـا عليها كذلك فبـيئة الحجاز الحضرية غير الصحراء التى يعيش بها بنو تميم.

ب- الاتصال البشرى بين العرب وغيرهم:

لم يعش العـرب فى عزلة عن غيـرهم، أو عن اتصال بعـضهم ببـعض، فالحـياة الاجتماعيـة تحتاج إلى صلات وروابط بين الأفراد والجماعات والشـعوب، وقد تهيأت لهم وسـائل هذا الاتصال عن طـريق تبادل المنافع وعن طريـق الغزو والسـيطرة كمـا عرفنا، ولا ريب أن الإسلام ـ بعد الفتوح ـ مـحا ديانات الشعوب التى تغلب عليها واحتلت لغته العربية الصدارة لديها، فى جميع الأعمال والشئون والمخاطبات العادية.

وقد تأثرت العربية ـ أيضا ـ بلغات البلاد المفتوحة وأثرت فيها، وإذا كانت قد كتب لهـا التغلب، فإنهـا قد فقـدت ـ أيضا ـ بعض مميـزاتها حتى انشـعبت إلى لهجات.

ويؤكد ذلك فـشو اللحن على ألسنة العـرب بعد انتشـار الإسلام واتساع رقـعة الدولة الإسلامـية، فقـد رووا أن النبى ﷺ سمع رجـلا يلحن فى كلامه فـقال: **(أرشدوا أخاكم فقد ضل)** ورووا أيضا أن أحد ولاة عمر - رضى الله عنه - كتب

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١١.

إليه كتابا لحن فيه، فكتب إليه عمر «أن قنع كاتبك سوطا» وغير ذلك، مما كان سببا في وضع علم النحو على يد أبي الأسود الدولي، ولذا منع علماء العربية الاحتجاج بكلام من كانت له صلة بالأمم المجاورة كلخم وجذام.

ومعنى ذلك أن احتكاك الشعوب يؤدى إلى احتكاك لغاتها[1]، وقد تبرز خصائص إحداها على الأخرى. «ولولا مقاومة المجتمع للتفكك اللغوى لأصبح العالم أمام حشد من صور التكلم التى لا تزيدها الأيام إلا تفرقا، ولكن الذين يتكلمون إحدى هذه اللغات يميلون دائما إلى المحافظة عليها كما هى»[2].

وقد أدى هذا الاختلاط بين العرب والأجانب ممن دخلوا الإسلام إلى تفرع العربية إلى لهجات فى البلاد المفتوحة كالمصرية والسورية والعراقية وغيرها من اللهجات التى نرى آثارها حتى اليوم.

ج- اختلاط القبائل العربية وأثره فى اللهجات:

وإن اتصال العربى بأخيه له كذلك أثره فى لهجة كل فريق حيث تؤثر وتتأثر بأختها، فقد دعت الحاجة الاجتماعية العرب إلى التلاقى والتعامل الاجتماعى «فإن العرب بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة فى دار واحدة، وهذا الاتصال الوثيق يؤدى إلى اتصال لهجاتهم بعضها ببعض فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره»[3].

فلقاء اللهجات مهم للعرب كأمور الحياة الأخرى التى يلتقون من أجلها، وإذا التقى العربى بغيره حدث واحد من ثلاثة أمور:

- تمسكه بلهجته الأصلية.
- انتقال لسانه إلى اللهجة الجديدة.
- اجتماع لهجته مع لهجة غيره.

---

(١) اللغة: ص ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢٦.

(٣) الخصائص ٢/ ١٥، ١٦.

وذلك يمكن فهمه من قول ابن جنى:

«اعلم أن العرب تختلف أحـوالها فى تلقى الواحد منها لغة غـيره، فمنهم من يخف ويسرع فيقول ما يسمعه، ومنهم من يستـعصم فيقيم على لغته إلبتة، ومنهم من إذا طال تكرّر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت فى كلامه»[1].

فعندما يلتقى العربى بأخيه ويتحـادثان أو يسمع كل منهما لغة الآخر فإما أن يحس أحدهما من كلا صاحبه ما يعجبه، فيتلقف كلماته بسرعة ويترك لهجته الأصلية، وإما أن يستعملها مع لهجته، وإما أن يتعصب للهجته الأولى فيستعصم بها.

ومن أمثلة تمسك العربى بلهجته الأصلية موقف أبى زياد الكلابى من نطق كلمة «النطع» بلهجته الخاصة وعدم اعترافـه بغيرها، فقد سأل أبا عبد الله الأعرابى عن قول النابغة الذبيانى.

على ظهر مبناة...

فقال أبـو عبد الله: النطع بفتح النون فـقال أبو زياد: لا أعرفه، فـقال: النطع بكسر النون فـقال أبو زياد: نعم، فقد أنـكر غير لغتـه كما ترى مع ما بينهـما من قرب[2].

وليس الغالب إن يبقى العـربى على لهجته غير متـأثرة بما يجاورها من لهجات إخوانه الآخرين، بل إن الأعم هو التفاعل بين تلك اللهجات بحيث تأخذ هذه من تلك وتلك من هذه.

ولذلك كان تبادل التـأثيرات اللغوية هو الشائع بين تلك اللهـجات المتولدة من لغة واحدة.

وقد عقد ابن جنى بابا (فى العربى يسمع لغة غيره أيراعـيها ويعتمدها أم يلغيها ويطّرح حكمـها)[3] ذكـر فيـه سـؤال أبى زيد للخليل عن الذيـن قالوا: مـررت

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٨٣.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨٣.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٤- ١٦.

بأخواك، وضربت أخواك، ممن يلزمـون المثنى الألف، فقال الخليل: هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا فى ييأس: ياءس، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها[1].

ومثله ياتزن وياتعد - عند أهل الحجاز فروا من يوتزن ويوتعد.

١ - الاحتمال بإبدال الياء ألفًا فى المثنى:

أخذ ابن جنى يفسـر قول الخليل على أن بلحرث بن كعب نظروا فى استـعمال أكثر العـرب للمثنى بالياء نصـبًا، وجراً فجـعلوا مكان الياء ألفًا فى لغتـهم حالتى النصب والجر، استخفافًا للألف.

«فلما كـان الأكثر عند العرب أن يجـعلوا الأفعال السابقـة ونظائرها من الفعل المثال والمثنى نصبًا وجراً بالياء شاع علـى أسماع بلحرث وعلموه فأرادوا أن يصنعوا لغتهم على شىء آخر هو إلزام المثنى الألف فكانوا بذلك مراعين للغة إخوانهم».

وبعضهم فسر قول الخليل على أن العرب جميعًا كانوا يستخدمون الياء فى المثنى حالتى النصب والجر ويستخدمـون الألف أيضًا فى الحالين إلا أن بلحرث بن كعب فضلت اسـتعمال الألـف فى أوجه الإعراب كلها، وإن كـان القياس يقـتضى رأى الجمهور، وهذا رأى أبى الحسن.

ورأى بعضـهم احتـمالاً آخر هو: أن بلحـرث بن كعب كـانوا - كغـيرهم من الجمهور - يستعملون المثنى بالياء فى النصب والجر ثم قلبت بلحرث بن كعب الياء ألفًا للخفة لأنها أسهل عليهم، وهذا القـلب بسبب الفتحة قبل الياء، وإن لم تكن الياء مفتوحة وهذا قول آخر لأبى الحسن الأخفش.

«فمن قال مررت بأخـواك قد كان مرة يقول: مررت بأخويك. - كـالجماعة - ثم رأى فيـما بعد أن قلب هذه الياء ألفًـا للخفة أسـهل عليه وأخف كما قـد تجد العربى ينتقل لسانه من لغة إلى أخرى».

---

(١) أى أبدلوا الياء فى ييأس أو فى أخويك ونحوه فى لغة غيرهم ممن يقولها بالياء وهم أكثر العرب، فجعلوا مكانها ألفًا فى لغتهم فقول الخليل يحتمل الأمرين.

ولكن ابن جنى لم يرتض هذا التـفسيـر، لأن الاحتمـال الأقوى - عنده - أن يكون بلحرث بن كعب قد نطقوا بالألف من أول الأمر، ولـم يكونوا ينطقون المثنى بالياء، ثم تحولوا إلى الألف، لأن الياء هى القياس للفرق بين المرفوع وغيره، وهى الأقوى والجمـاعة عليه، فكيف ينتقلون من الأقوى إلـى الأضعف وهم لم ينطقوا قط بالياء، ولـم يبدلوها ألفًا؟ لكن بلحرث راعت لغة الكافة الكثيرة فصنعوا لغتهم من أول الأمر بالألف، ولـم يعدلوا إليها من غيرها.

يقول ابن جنى:

«إنّ من يقـول مررت بأخواك يينـبغى أن يكونوا قـد سبقـوا إلى ذلك منذ أول أمرهم لأنهم - على فرض أنهم كانوا يستخـدمون الياء كالجمهور - لم يكونوا من قبل على ضـعف قياس ثم تداركوا أمرهم فـيما بعد فـقوى قياسهـم وكيف كانوا يكونون فى ذلك على ضعف من القـياس والجماعة عليـه، أفتجمع كـافة اللغات على ضعف ونقص حتـى ينبغ نابغ منهم فيرد لسانه إلى قـوة القياس دونهم. نعم ونحن نعلم أيضًا أن القيـاس مقتض لصحة لغة الكافة وهـى الياء فى موضع الجر والنصب ألا ترى أن فى ذلك فرقًا بين المـرفوع وبينهما وهذا هو القيـاس فى التثنية كما كان موجودًا فى الواحد».

٢- الاحتمال الثانى بإبدال الياء ألفًا فى ييأس ونحوه:

- وذلك على لغة أهل الحجاز - فشبـه مررت بأخواك بقولهم ياءس فى ييأس فصاحب الألف لاحظ صاحب الياء فى الفعل المثال وفى المثنى - كذلك.

فالأمران إذًا صائران إلى موضع واحد ولا يدل اخـتيارهم هذا على أن استخدام الياء ضعيف.

«فلم تكن الياء فى التثنيـة شاذة ولا دخيلة فى كلام العرب فيـقل الحفل بها ولا ينسب بلحرث إلى أنهم راعوها أو تخيروا للغتهم عليها» .

فالقصد هو التنويع فى الصناعة لا تضعيف رأى جمهور العرب.

وقد عقب ابن جنى على بعض هذه الأوجه بأن صاحب لغة يراعى لغة غيره، لأن العرب يتصل بعضهم ببعض، وهم خلق كثير منتشر متجاور لهم علاقات وارتباطات، وبعضهم يلاحظ صاحبه، ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره.

وقد يؤدى هذا التبادل للتأثير بين اللهجات - أحيانًا - إلى انتقال لسان العربى إلى غير لهجته إذا كثرت صلاته بها.

وقد تبقى لهجته الأصلية، مع ظهور سمات خاصة فيها من لهجة غيره، ولذلك صور متعددة تندرج تحت عنوان:

«تركب اللغات»

****

تركب اللغات

اقتضت الحاجة الاجتماعية أن يستعمل العربى ظواهر أو ألفاظًا خاصة بلهجة أخيه إلى جوار ما يستعمله فى لهجته الأصلية، ودراسة هذا الموضوع تنحصر فى جانبين:

١- جانب الأبنية. ٢- جانب الألفاظ.

١- التداخل فى الأبنية:

القدماء يجعلون من الممكن شكل عين الثلاثى فى الماضى والمضارع بإحدى الحركات الثلاث: الفتحة أو الضمة أو الكسرة، فيفترضون بالقسمة العقلية تسعة وجوه يرفضون منها ثلاثة، لأنها لم ترد عن العرب وهى:

- فعُل يفعَل، بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع.
- فعُل يفعِل، بضم العين فى الماضى وكسرها فى المضارع.
- فعِل يفعُل، بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع[١].

والأوزان الستة التى قبلوها لورودها عن العرب هى:

- فعَل يفعِل، بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع.
- فعَل يفعُل، بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع.
- فعَل يفعَل، بفتح العين فى الماضى وفتحها كذلك فى المضارع.
- فعِل يفعَل، بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع.
- فعِل يفعِل، بكسر العين فيهما.
- فعُل يفعُل، بضم العين فيهما.

---

(١) من أسرار اللغة ط٣ ص٣٠.

وقد نصوا على أن (فعَل يفعَل) بفتح العين فى الماضى والمضارع يكون فيما عينه أو لامه حرف حلق مثل: فتح يفتح، وقرأ يقرأ[1] كما عدوا باب (فعِل يفعِل) بكسر العين فيهما موقوفا على السماع.

وعلى هذا الأساس فكل ما خالف هذه الوجوه التى اعتمدوها يعد شاذا عندهم «ألا تراهم كيف ذكروا فى الشذوذ ما جاء على فعِل يفعُل بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع نحو نعِم ينعُم، ودِمت تَدوم، ومِت تموت، وقالوا أيضًا فيما جاء من فَعل يفعَل بفتح العين فيهما وليس عينه ولا لامه حرفا حلقيا نحو قلَى يقلَى وسلاَ يسلَى وجَبى يجْبَى وركَن يركَن وقَنَط يقنَط[2].

كما أن المعروف عندهم فى بناء الوصف من الفعل الثلاثى أن المفتوح العين يكون الوصف منه على فاعل، مثل كتب فهو كاتب، والمضموم العين يكون منه على فعيل مثل كرُم فهو كريم، وتلك قاعدة مشهورة عندهم فكل ما خالفها عد شاذا.

ومما عدوه شاذا ما ذكروه من فعُل بضم العين فهو فاعل نحو حمُض فهو حامض، وخثُر فهو خاثر، ولذلك نظائر كثيرة.

وهكذا شأن كل ما خالف القواعد عندهم، فإنه يوصم بالشذوذ، ولكن الأجدى فى ذلك هو الحمل على تركب اللغات، فهو لغات تداخلت فتركبت وهكذا ينبغى أن يعتقد وهو أشبه بحكمة العرب[3].

وتفسير التداخل فى الأبنية يدعونا إلى تقسيمها إلى نوعيها:

أ- أبنية الأفعال. ب- أبنية الأسماء.

---

(١) هذا ما تؤكده التجارب الصوتية الحديثة، فأصوات الحلق تحتاج بعد صدورها من مخرجها الحلقى إلى اتساع فى مخرجها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وتلك هى الفتحة -انظر: فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٢٨ ومن أسرار اللغة ط ٣ ص ٢٤.

(٢) الخصائص ١/ ٣٧٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٧٥ وانظر المغنى فى تصريف الأفعال للشيخ عضيمة ص ٤٠ وما بعدها.

أ- تفسير التداخل فى أبنية الأفعال:

«دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضى لصيغة المضارع، إذ الغرض فى صيغ هذه المثُل إنما هو لإفادة الأزمنة، فجعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه، وكلما ازداد الخلاف كانت فى ذلك قوة الدلالة على الزمان، فمن ذلك أن جعل العرب بإزاء حركة فاء الماضى سكون فاء المضارع، وخالفوا بين عينيهما فقالوا: ضرب يضرب وقتل يقتل وعلم يعلم»[1].

والقياس فيما ماضيه (فعِل) بكسر العين أن يكون مضارعه على (يفعَل) بفتحها نحو: ركب يركب وشرب يشرب، والقياس -كذلك- فيما ماضيه (فعَل) بفتح العين أن يكون مضارعه على (يفعِل) بكسرها نحو ضرب يضرب وسرق يسرق ففى الأول كسرت عين الماضى ففتحت عين المضارع وفى الثانى بالعكس لتحقيق المخالفة والتناظر بينهما «فكما فتح المضارع لكسر الماضى فكذلك -أيضًا- ينبغى أن يكسر المضارع لفتح الماضى».

وإنما جاءت المخالفة -أيضًا- فيما ماضيه (فعَل) بفتح العين مع كسر عين المضارع وضمها فقيل (يفعُل) نحو قتل يقتل ودخل يدخل خروجا على القاعدة السابقة التى تناظر بين (فعِل) بكسر العين و(فعَل) بفتحها فى عينى مضارعيهما، من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة، ولما آثروا خلاف حركة عين المضارع لحركة عين الماضى، ووجدوا الضمة مخالفة للفتحة خلاف الكسرة لها، عدلوا فى ذلك إليها فقالوا: قتل يقتل ودخل يدخل وخرج يخرج بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع[2].

أما ما نجده من الثلاثى مما تكون فيه حركة عينه فى الماضى والمضارع سواء وهو باب (فعَل) نحو كرم يكرم فعلى كل حال فاؤه فى المضارع ساكنة وموافقة حركة

---

(١) الخصائص ١/ ٣٧٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٧٩ وهذا القول تؤيده القوانين الصوتية الحديثة التى تجعل الضمة والكسرة أصواتا ضيقة يقابلها الفتحة التى هى الصوت المتسع، فإذا أردنا أن نخالف بين الماضى والمضارع أخذنا للأول الضمة أو الكسرة وأخذنا للمضارع الفتحة أو العكس بالعكس. انظر من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٣.

عينـه، لأنه ضرب قائم برأسـه، ألا تراه غيـر متـعد بخـلاف (فعَل) بفتح الـعين و(فعِل) بكسرها فأكثره متعد، فلما خالفهما خولف بينهما وبينه[١].

وفى الرباعى ومـا فوقه لم يـنظروا إلى هذا اللون من المخالفـة «فقـالوا دحرج يدحرج فحركوا فاء المضارع والماضى جميعًا وسكنوا عينيهما، وكذلك قالوا: تقطع يتقطع وتقـاعس يتقاعس وتدهور يتدهور ونحـو ذلك لأنهم أحكموا الأصل الأول الذى هو الثلاثى فقل حفلهم بما وراءه[٢].

وهذا كله كـان شرحـا لقانون المغـايرة الذى اعتـرف به المحدثون وأشـاروا إلى أهميته فى الاشتقاق وعد فيه ابن جنى موفقا كل التوفيق.

ولو لاحظنا ما وضـعه ابن جنى والقدمـاء من قواعد لاشـتقاق الأفـعال -على الوصف السـابق- لوجدنا أنهـا تتفق تمامًـا مع رأى المحدثين فـهم حين يعـالجون اشتقاق صيغة من أخرى يبحثون على ضوء أسس ثلاثة:

١- المغايرة polarity التى فطن إليها ابن جنى.

٢- وظيفة الفعل فى الكلام وتبعا لها يأخذ الفعل حركته بمجرد المصادفة ملتزمة فى اللهجة الواحدة وتختلف اللهجات فى إيثار حركة على أخرى.

٣- إيثار الحـروف المجاورة[٣] فى اللغات السـامية لحـركات خاصـة ومن بينها حروف الحلق.

وبذلك نسـتطيع أن نقف على أن الأبـنية المقـبـولة للفـعل الثـلاثى والتى علل لصحتها ابن جنى «لا يعـقل نسبتها للغة موحدة كاللغة النمـوذجية الأدبية» بل إنها

---

(١) الخصائص ١/ ٣٧٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٧٥.

(٣) أى لغيرها كإمالة حركة ما قبل تاء التأنيث مع الحروف المستفلة والنطق بها فتحة مع حروف الاستعلاء فى قراءة الكسائى، وفى اللهجة القاهرية نلحظ الارتباط بين الحروف والحركـات فى صيغة (استفعل) فما فيه حروف التفخيم تؤثر عينه الفتحة غالبًا حين تكون هذه الحروف فى الآخر، أو قبل الآخر، فى حين تؤثر الحروف الأخرى الكسرة مـثل: يستلبخ -يستفظع- يستـأمن- يستغفل- يستبشـر. (من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٤، ٣٥).

«تنتـمى إلى عدة لهـجـات كل منها التـزم بابا أو بابين، ويؤيد ذلك مـا ورد فى معاجم اللغـة من نحو: فقُه بضم العين صار فـقيها والكسر لهجـة كلاب ـسخن مـثلثة العـين والكسـر لبنى عـامر ـ حـضـر من باب نصـر وعلم والأخيـر لأهل المدينة[١]، ويؤيد هذا ما نراه فى اللغات السامية شقيـقات اللغة العربية ففى العبرية نجد أن الماضى فى الكثرة الغـالبة من الأفعال على وزن (فعَل) بفتح العـين وأحيانا على وزن (فعِل) بكسـر العين ثم يندر أن يكون على (فـعُل) بضم العين ونرى أن مضـارع الأول هو (يفعُل) بضم العـين ومضارع الوزنين الأخـيرين (يفـعَل) بفتح العين ولا نكاد نجد فى اللغـة العبرية ما يشذ عن هذا سوى بضـعة أفعال[٢]، وإذا تحققنا أن هذه الأبنيـة هى فى الأصل لهجات للقبائل العربيـة وأنها قد اتجهت هذه الاتجاهات وتركت ما عـداها فلا غرابة فى تفسيـر ما عد شاذا وخارجـا عليها بأنه لهجات تداخلت.

أولاً: ما خالـف الأوزان المقبولة مثل مـا جاء على فعِل يفعُل بكسـر العين فى الماضى وضمها فى المضارع كنعِم ينعُم وفـضِل يفضُل فنعِم بكسر العين فى الأصل ماضى يـنعَم بفتـحها ويـنعُم بضم العين فى الأصل مـضارع نعمُ بضم العـين ثم تداخلت اللغتان فاسـتضاف من يقول نعِم بكسر العين لغة من يقـول ينعُم بضمها فحدثت هناك لغـة ثالثة، فإن قلت: فكان يجب على هذا أن يستـضيف من يقول (نعم) بضم العين فى المضـارع من يقول (نعِم) بكسر العين فـتركب من هذا أيضًا لغة ثالثة وهى (نعُم ينعَم) بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع؟

قيل: منع من هذا أن (فعُل) بضم العين لا يختـلف مضارعه أبدا وليس كذلك (نعِم) بكسر العين لأن (نعِم) بـكسر العين قد يأتى فيه (ينـعِم وينعَم) بكسر العين وفتحها جميعًا فاحتمل خلاف مضارعه دون الأول[٣].

---

(١) اللسان ٥/٢٧٢، ١٧/٦٦، ٤١٨.

(٢) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٢ وما بعدها.

(٣) الخصائص ١/٣٧٨.

وكذلك (فضل يفضل): فيقدر أنه جاء على بابين بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع وبفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع فأخذ الماضى من اللغة الأولى والمضارع من اللغة الثانية فنشأت لغة ثالثة مركبة منهما[1].

ثانيًا: ما جاء بفتح عينى الماضى والمضارع وليست العين أو اللام حرفا حلقيا وله أمثلة منها:

قنط يقنط: فهما لغتان تداخلتا وذلك أن (قنَط يقنِط) بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع لغة، و(قنِط يقنَط) بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع لغة أخرى ثم تداخلتا فتركبت لغة ثالثة فقال من قال: قنَط يقنَط بفتح العين فيهما ولم يقولوا: قنِط يقنِط بكسر العين فيهما لأن آخذا إلى لغته لغة غيره قد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التى أضافها إلى لغته دون بعض.

وكذلك: ركن يركن: فيه لغتان: ركِن يركَن كعلِم يعلَم وركَن يركُن كقتل يقتل وحكى عنهم: ركَن يركَن (فعَل يفعَل) بفتح العين فيهما وهذا عند أبى بكر من اللغات المتداخلة كأن الذى يقول (ركَن) بفتح الكاف سمع مضارع الذى يقول (ركِن) بكسرها وهو (يركَن) فتركبت له لغة بين اللغتين وهى: ركَن يركَن بفتح العين فيهما[2]. فأما الأفعال التى جاءت عينا الماضى والمضارع فيها متوافقتين بالكسر مثل نعِم ينعِم وحسِب يحسِب ويئِس ييئِس فقد علل ابن جنى لها باحتمال التداخل وغيره تبعا لأنه لم يعرف لها ماض آخر مع (فعِل) بكسر العين يكون مفتوح العين يمكن به القطع بأنها من تداخل اللغات -على ما يرى- فقد أتى ماضى هذه الأفعال على (فعِل) بكسر العين أو (فعُل) بضمها وكل منهما لا يأتى مضارعه على (يفعِل) بكسر العين لأن قانون المخالفة يقتضى أن يكون مضارع (فعِل) بكسر العين (يفعَل) بفتحها ومضارع (فعُل) بضم العين (يفعُل) بضمها وقد جاءت كلها بالكسر فى الماضى والمضارع فيحتمل:

---

(١) الخصائص ١/ ٣٨٠، ٣٨١ والمحتسب ٢/ ٥.

(٢) المحتسب ١/ ٣٢٩، ٢/ ٥.

١- أنها من باب التداخل إلا أن الماضى من اللغة الأخرى مفقود وهو: «حسَب ـنعَم ـ بأَس ـ يبَس بفتح العـين» واستغنى عنه بالماضى الموجـود: «حسِب ـنعِم ـ بئِس ـ يبِس بكسر العـين» كما استغنوا بتـرك عن وذر وودع ونـحو ذلك[1] ويؤيده ما حكاه السيوطى عن الكسائى[2].

٢- أنها ليست من باب التداخل بل قيل (ينعِم) بكسر العين فى المضارع موافقة لماضيه (نعِم) على (فعِل يفعِل) بكسر العين فيهـما تشبيها له بباب (فعُل يفعُل) مما يوافق فيـه المضارع الماضى بالـضم «فكما أن فعُـل بضم العين بابه يفـعُل بضمـها كذلك شبـهوا بعض (فعِل) بكسر العين به فكسـروا عين مضارعه كمـا ضموا فى ظَرُف عين مـاضيه ومـضارعه فنعِم ينـعِم بكسر العين فـيهمـا محمـول على كرم يكرم[3] وحسِب يحسِب ويئس ييئس ويبِس ييـبِس بكسر العين فيها جميـعًا مشبه بباب كرُم يكرُم على ما قلنا فى نعِم ينعِم بكسر العين فيهما[4].

ب- تفسير التداخل فى أبنية الأسماء:

عرفنا أن للعرب قواعد خاصة فى اشـتقاق الأوصاف من الأفعال، فمن الثلاثى المفتـوح العين تأتى على فاعـل، ومن المضموم العـين تأتى على فعيل، ومـا جاء مخالفا لذلك عده الصرفـيون شاذا، ولكن ابن جنى يُخرِّج بعضه على أنه من باب تداخل اللغات فقـولهم: «شعُر فهو شاعـر وحمُض فهو حامض وخثُـر فهو خاثر وطهُر فهو طاهر بضم العين فى جميع الأفعال على نحو من هذا وذلك أنه يقال: شعـر وحمض وخثر وطهـر بضم العين وفتحـها فى جميع الأفـعال فجاء شـاعر وحامض وخـاثر وطاهر على شعَر وحـمَض وخثَر وطهَـر بفتح العين فى جـميع الأفعال ثم استغنى بفاعل عن فعيل وهو فى أنفسهم وعلى بال من تصورهم، يدل على ذلك تكسيرهم لشاعر على شعراء لما كان فاعل واقعا موقع فعيل كُسِّر تكسيره ليكون ذلك أمارة ودليلا على إرادته وأنه مغن عنه وبدل منه»[5].

---

(١) الخصائص ١/٣٧٨، ٣٨٨، واللسان ١/٣٥٥، ٨/١٤٦، ١٤٨ والبصـريون وسيبويه يردون هذا الرأى، انظر اللسان ٨/١٤٧ والكتاب ٢/٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) المزهر ١/١٩٤.

(٣) الخصائص ١/٣٧٩.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٨٠.

(٥) المصدر السابق ١/ ٣٨١.

وقد عد ابن جنى من التداخل قراءة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] بكسر الحاء وضم الباء (الحِبُك) يقول: لعل الذى قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والضم فكأنه كسر الحاء يريد الحِبِك بكسر الحاء والباء وأدركه ضم الباء على صورة الحبُك بضمهما فجمع بين أول اللفظة على هذه القراءة وبين آخرها على القراءة الأخرى[1]، ولا يأتى اعتراض الرضى على ابن جنى فى هذا الرأى بأن: «الحُبُك بضمتين جمع الحباك وهو الطريقة فى الجبل ونحوه والحِبِك بكسرتين مفرد وأنه يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع[2]، وذلك كما يقول محققو المحتسب: «مسلم فى التركيب من لغتين لأنه -حينئذ- أخذ من مفرد وجمع أما التركيب من قراءتين -إن صح الأخذ به- فلا يبدو بعيدًا لأن قراءتى الجمع والمفرد مرويتان والقارئ بالتركيب منهما يريد أن يروى ما يؤثر لا التعبير عما يريد التعبير عنه، وهذا فيما يبدو لى أصوب من اعتبارها خارجة على القواعد وقد حاول ابن جنى وصفها بذلك أولا ثم بدا له تخريجها على هذا الوجه المقبول، ويمكن إدراك الوصف الأول من قوله: «وأما الحِبُك بكسر الحاء وضم الباء فأحسبه سهوا وذلك أنه ليس فى كلامهم فِعُل أصلا بكسر الفاء وضم العين وهو المثال الثانى عشر من تركيب الثلاثى فإنه ليس فى اسم ولا فعل أصلا»[3].

وقد اعتبر الدكتور أنيس القول بالتداخل فى الصيغ «ناحية صناعية بحتة لا تسوّغها تلك الأمثلة التى رواها ابن جنى فضلا عن أنه لم يبين كيف تتداخل اللغات ولا الدوافع التى قد تدعو لمثل هذا التداخل فافتراض أن لهجة من اللهجات تستعير طريقة النطق بالماضى فقط دون مضارعه أو المضارع فقط دون

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٨٧.

(٢) شرح الشافية ص١٠، ١١ ط ١٣٤٥هـ وفى الصبان اعترض بأن التداخل فى جزءى الكلمة الواحدة غير معهود إنما المعهود التداخل فى الكلمتين نحو كُدت بضم الكاف تكاد فإن كُدت بالضم على لغة من قال كاد يكود وأكاد على لغة من قال: كاد يكاد ٤/ ٢٣٨، ٢٣٩ وقال أبو حيان: كسرت الحاء إتباعا لكسرة ذات وال حاجز غير حصين واعترض عليه أيضًا بأن (ال) كلمة برأسها فهى حاجز قوى يمنع من الإتباع. انظر المصدر السابق ٤/ ٢٣٩.

(٣) المحتسب وتعليق المحققين ٢/ ٢٨٧.

ماضيه أمر بعيد الاحتمال وذلك لأن الأوزان لا تستعار وإنما الذى يستعار هو الكلمات وليس هناك من مسوغ يمكن معه أن تنتقل القبيلة أو الرجل فيها من قوله نعِم ينعَم بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع إلى نعم ينعم بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع(١)، وقد ساق أدلة لرأيه هذا:

أ- من كلام ابن جنى نفسه من بعض القصص التى تقوم حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبى حاتم قال: قرأ علىّ أعرابى بالحرم ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ [الرعد: ٢٩] (طيبى لهم وحسن مآب) فقلت: طوبى فقال: طيبى قلت طوبى قال طيبى فلما اشتد علىّ قلت: طُوطُو فقال طِي طِي(٢).

ب- نلحظ فى اللهجات الحديثة أن الرجلين من أبناء لهجتين مختلفتين قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زمانا طويلا وكل منهما يلتزم لهجته وما نشأ عليه فإذا تأثر أحدهما بالآخر وأخذ يقلده فى لهجته لسبب من الأسباب تكلم كل منهما بعد مران طويل ومخالطة مستمرة لهجة واحدة أما أن تمتزج اللهجتان وينشأ منهما لهجة ثالثة فليس مما يقره المحدثون من الباحثين فى اللغات.

وقد اقترح الدكتور أنيس حلا لتلك المشكلة التى أعيت القدماء أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ماضيها ومضارعها ثم تُبَوَّب وتنسق وينظر إليها على أنها تنتمى إلى لهجات متعددة، . . ، وقد قام هو نفسه بعملية الجمع والتبويب هذه متخذا القرآن الكريم ومعاجم اللغة مصادر لبحثه وقد خرج من ذلك بنتائج يمكن حصر أهمها فيما يأتى:

١- الماضى المفتوح العين يكون مضارعه مضموم العين أو مكسورها إلا حين تكون لامه أو عينه من حروف الحلق فتفتح مع استثناء الأفعال القرآنية: نزع - قعد- رجع- بلغ- زعم- نفخ- نكح.

٢- الماضى المكسور العين لا يكون مضارعه إلا مفتوح العين.

---

(١) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٣، ١٥٤ بتصرف يسير ومن أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠.

(٢) الخصائص ١/ ٣٨٤.

٣- جعل باب (فعُل يفعُل) بضم العين فيهما (الذى لم يعثر فى القرآن الكريم له إلا على فعلين كبُر وبصُر) فرعا لصيغة (فعل) وأنه لا يلجأ إليها إلا حين يراد المبالغة فى معنى الحدث.

٤- لا يوجد فى القرآن الكريم باب (فعِل يفعِل) بكسر العين فى الماضى والمضارع[1].

٥- الأفعال المشتركة التى ورد لكل منها أكثر من باب ولم يختلف معناها قسم الاشتراك بينها إلى: الاشتراك بين بابى نصر وضرب -بين بابى ضرب وفرح- بين بابى نصر وفرح- بين بابى فرح وكرم- بين باب كرم وبابى ضرب ونصر، وقد جعل لكل من هذه الأقسام بابًا أصليًّا واحدًا يطرح ما عداه إلا فى القليل النادر الذى يأخذ وضعًا خاصًا، وبنى هذا الحكم على تقسيم المحدثين للأفعال إلى اختيارية واضطرارية والاختيارية فى عرفهم هى التى لنا اختيار فى حدوثها ولو كانت مما يعده القدماء لازما كجلس وقعد، والاضطرارية عندهم بعكس ذلك وهى ما ليس لنا اختيار فى حدوثها مثل كبر وضعف وقد لاحظ المحدثون أن كلا من هذين النوعين يختلف عن الآخر فى صيغته فبينما يؤثر أحدهما حركة من الحركات يؤثر الآخر حركة أخرى[2]، وبناء على ذلك حكم بأن الاشتراك فى بابى نصر وضرب يجب أن ينسب إلى لهجتين مختلفتين، وربما كانت تلك الأفعال من هذا النوع تستعمل فى لهجة واحدة، أما الاشتراك فى بابى ضرب وفرح أو فى بابى نصر وفرح فإذا كان الفعل من الأفعال الاختيارية حددنا له باب نصر أو ضرب وضربنا صفحا بباب فرح الذى نسبته له المعاجم أما إذا كان من الأفعال الإجبارية حددنا له باب فرح وضربنا صفحا عن باب نصر أو ضرب، والاشتراك فى بابى فرح وكرم يجعلنا نحكم بأنها من الباب الأول وحده، فإذا كانت الأفعال

---

(١) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٤١ وفى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٧.

(٢) يفهم من تفسيره للأفعال أن الحركة للفعل الاختيارى تكون عادة الفتحة فى المتعدى وبذلك يكون هو الأصل وفى الاضطرارى الكسرة والضمة فى اللازم ويفاضل بينهما عند الاجتماع فتقدم الكسرة على الضمة فتعد صاحبة الباب.

المشتركة من باب كرم وبابى ضرب ونصر فسرناها على أن معناها من باب كرم قد قصد فيه المبالغة وأن الفعل من بابى نصر وضرب قد حول إلى كرم للرغبة فى جعل المعنى من الصفات الغرزية الثابتة[1]، ونحن نجيب:

١- بأن تداخل اللغات ليس عملية صناعية بحتة بل استمدها ابن جنى من واقع اللغة وأتى بأمثلة مستعملة فى العربية الفصحى والقراءات القرآنية وقد أبان ابن جنى عن الأغراض التى دعت العربى إلى الاقتباس من لغة أخيه وهى كثرة الخلاط معه لما يحتاجه فى حياته بجوانبها المتعددة وقد بينا ذلك بوضوح فى أسباب نشأة اللهجات فى اللغة بما يبرهن على أن ابن جنى تكلم عن دوافع الانقسام والأخذ عن الآخرين عربا وغير عرب.

٢- القصة التى أوردها الدكتور أنيس رواية عن ابن جنى إن دلت[2] على امتناع تحول العربى عن لهجته إلى لهجة غيره فهناك -فيما روى عن ابن جنى أيضًا- قصص كثيرة تدل على تحول اللسان من لهجة إلى أخرى ويمكن أن ننقل القصة التى ذكرت عقب تلك القصة السابقة التى رواها الدكتور أنيس ونجتزئ بها عن غيرها: «فقد روى أن أبا عمرو سأل أبا خيرة عن قولهم استأصل الله عرقاتهم فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة لان جلدك» والأعرابى قد ينطق بالكلمة يعتقد أن غيرها أقوى فى نفسه منها، ألا ترى أن أبا العباس حكى عن عمارة أنه كان يقرأ ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] بالنصب - أى بنصب (النهار) دون تنوين سابق قال أبو العباس: فقلت له: ما أردت؟ قال: سابقٌ النهارَ بتنوين سابق فقلت له فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن أى أقوى...[3]، فكما أن العربى يتمسك أحيانًا بلغته ويعتصم بها قد ينتقل هو أو غيره إلى لغة أخرى فصيحة أو غيرها أو يتأثر بتلك اللغة بما يظهر فى لهجته التى يستعملها كما أوضح ذلك أبو الفتح ابن جنى.

---

(١) من أسرار اللغة ط ١٩٥١ ص ٤٦، ٤٧، ٤٨ وانظر مؤتمر المجمع اللغوى الدورة (١٦) ١٩٤٩-١٩٥٠.

(٢) لأن الواضح منها تعنت هذا العربى فى معارضة أبى حاتم.

(٣) الخصائص ١/٣٧٣، ٣٨٤ ٢/١٣ فى قصة أبى خيرة.

٣- تصور الدكتور أنيس لاثنين يعيشان معا ثم لا تتأثر لهجة أحدهما بلهجة الآخر تصور بعيد، فالإنسان منا فى حياته العادية إذا عاشر إنسانًا دون أن يسكن معه فقد تتسرب على مر الزمن بعض خصائص لهجته إليه وقد ينطق بها أحيانا بلا شعور منه أو إرادة وذلك واضح ملموس فما بالنا باثنين يعيشان معا فى بيت واحد؟ إن ذلك ولا شك سيترك أثرا يعد خليطًا من لهجتيهما، ولم تنشأ اللهجات العربية إلا من هذه المخالطة بين العرب وغيرهم بما تعد به خليطًا من مواد وطرائق عربية ممزوجة بغيرها من سمات اللغات الأخرى التى اتصلت بها وعاشرتها مع أهلها.

على أن الدكتور أنيس نفسه يميل إلى قبول معنى التداخل ويظهر ذلك من عبارات له تفيد توقعه لصحة هذا الرأى، فقد دافع عن ابن جنى بقوله «لعل ابن جنى أراد بتداخل اللغات أنه قد يتصادف أن نجد فى لهجة من اللهجات فعلا أو فعلين لا يتبعان طريقة الاشتقاق فى الأفعال الأخرى مثل نعِم ينعِم بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع وحينئذ نعلل مثل هذه الأفعال بأن الماضى أو المضارع غريب على هذه اللهجة أو أنه على هذه الصورة مستعار من لهجة أخرى تحت تأثير ظروف خاصة به، وعندما وقف أمام الأفعال (نكح -نزع- رجع- بلغ- قعد- زعم- نفخ) ليفسرها أطلق لقلمه أن يقول: «يظهر أنها تنتمى فى صيغتها للهجة أخرى غير اللهجة القرشية... وليس معنى هذا استعارة الصيغة أو طريقة الاشتقاق وإنما معناه استعارة هذه الأفعال بصيغتها الشائعة فى مصدرها الأصلى».

وأنا أفهم من مجرد أنها مستعارة معنى التداخل وإلا فكيف يمكن تصور ذلك دون هذا المعنى ولا فرق أن تكون مستعارة بلفظها أو بصيغتها فمجرد الاستعارة يعطيها هذا المفهوم الواضح الواقعى، على أن كلام الدكتور أنيس يدل على نظرة ليست قاطعة فعباراته تمتلئ بأسلوب: يظهر -وربما- ولعل- فإذا صح[1] وفى تعليقه على تقسيم الأفعال الذى اقترحه لم يكن جازما أيضًا.

---

(١) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠، ٣١ وفى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٩.

ولذلك يقول:

«ولعل من القبائل من كانوا يؤثرون صيغة (فعِل يفعُل) بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع ولعل منها من كانوا يقولون (فعُل يفعِل) بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع إلى غير ذلك من الاحتمالات التى ستكشف عنها بحوث المستقبل»[1].

جـ- التداخل فى الألفاظ:

وذلك بأن تضع قبيلة لفظًا من الألفاظ لمعنى وتضع له قبيلة أخرى لفظًا آخر فينتقل لفظ إحدى القبيلتين إلى الأخرى وتستعمله استعمالها للفظها[2]، ومن ذلك ما يلاحظ من اجتماع لهجتين عند رجل واحد يورد لفظتين أو أكثر لمعنى واحد فى لغته «وإذا كثرت على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة إنسان واحد فإن أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفا منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ فى المعنى الواحد على ذلك كله، هذا فى غالب الأمر»[3] ومعنى ذلك أن الترادف ينشأ من اختلاف اللهجات واجتماعها ويمكن إدخاله تحت (تداخل اللغات)[4].

وقد يكون اللفظ واحدًا مختلف الصورة من ناحية البنية وأحكامها الصرفية أو الصوتية فتستعمل إحدى القبائل الصورة المستعملة للفظ عند غيرها من شقيقاتها، فما يتعلق بالبنية والصرف كاستعمال فعل وأفعل بمعنى واحد فى قول الشاعر:

سقى قومى بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال

واستعمال صلة الضمير مرة وعدم استعمالها مرة أخرى فى قول الشاعر:

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ومطواى مشتاقان له أرقان

---

(١) وقد كان رأيه محل نظر من أعضاء المجمع اللغوى. انظر مؤتمر المجمع الدورة (١٦).

(٢) فقه اللغة د. نجا ٤/ ٢٦.

(٣) إذ من الجائز أن تكون قبيلته قد وضعت الألفاظ جميعًا لهذا المعنى وذلك احتمال ضئيل. الخصائص ١/ ٣٧٠-٣٧٣.

(٤) هناك المشترك والمتضاد وفيه تجتمع عدة معان للفظ واحد وبعضها ينشأ من اجتماع اللهجات أيضًا فيمكن أن يسمى ذلك تداخلا.

واستعمال الصلة رأى الجمهور وحذفها لغة لأزد السراة.

ومما يتعلق بالناحية الصوتية: الإبدال فى مثل سكر طبرزل وطبرزن، وأيم وأين للحية، فتلك لهجات مختلفة كما يصرح ابن جنى[١].

وقد اعترض الدكتور أنيس ـكذلكـ على تداخل اللغات فى الألفاظ بمعنى أن العربى قد يستعمل خصائص من لهجة غيره مع لهجته، فلكل لهجة صفات خاصة بها، وليس من المرجح أن يجتمع فى اللهجة الواحدة صفتان مختلفتان فى أمر واحد[٢].

والواقع أن ذلك ليس بممنوع، فالفرد منا ينتقل من بلدته ويذهب إلى غيرها فتتغير على لسانه بعض النواحى الصوتية ويميل إلى استخدام ألوان جديدة من البيئة التى انتقل إليها إما للحاجة أو للتظاهر ومجاراة الأوضاع الجديدة وقد تصبح مع مرور الزمن طبيعية عنده[٣].

وتعترف جمهرة الباحثين بالتداخل، فأستاذنا الدكتور نجا يعترف بالتداخل، ويعده من نظرات ابن جنى الثاقبة فى دراسته اللغوية، ومن الأمور الهامة التى عرض لها، لأنه أبان عن توليد أبواب جديدة لا تتفق والقواعد المعروفة نتيجة لاختلاط الاستعمالات العربية الناجمة عن كثرة ارتحال العرب من مواطنهم طلبا للعيش الذى ينشدونه[٤]، وعقد فصلا خاصاً من كتابه بعنوان «تداخل اللغات وتوافقها» بين فيه كيف تتداخل اللغات وأسباب ذلك ونتائجه[٥].

والأستاذ العلايلى يعترف أيضًا بتداخل اللغات وعقد له فصلا فى كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب» وعده ذا أثر فى توليد عدد من المواد والمشتقات إلا أنه يقول:

أظن أن من الخطأ الشك فى تأثيره وعمله، كذلك أظن أن من الخطأ المبالغة فى عمله إلى الحد الذى يصطنعه دارسو اللغة اليوم.

---

(١) الخصائص ١/ ٢٧٠ وما بعدها. (٢) فى اللهجات العربية ص ١٥٢.

(٣) مثل: عليه بفتح اللام وكسرها، عملت بفتح العين والميم وكسرهما ونحو ذلك مما نجده فى بيئاتنا.

(٤) فقه اللغة ط الجديدة ٤/ ١٦، ١٧ بتصرف.

(٥) المصدر السابق ٢٥ـ٢٧.

ويفسر ما حكاه ابن جنى من باب التداخل فى أبنية الأسماء مثل طهُر فهو طاهر وشعُر فهو شاعر على أنه ليس من تداخل اللغات، بل من تداخل الأوضاع بنسيان الخصوصية أو بتقاربها (قالوا أحب الرجل ومفعوله محبوب وحبّ وفاعله مُحِب) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حاب ومحب لتقارب الخصوصية بين المزيد والأصل، وأكثر ما يأتى من ذلك يعد فى نظره أثريات مضمحلة أو تنويعات لم تتعمم(١).

ويتخذ الأستاذ العلايلى من التداخل طريقًا إلى الاستفادة من النظام الجديد الذى يحاول تطبيقه فى اللغة العربية «ففى العمل اللغوى الجديد يمكن أن نداخل مثلاً فى هلك يهلك بين بابى ضرب وطرب، وباب ضرب هو الأصل، وباب طرب يدل على المفاجأة، فنداخل بينهما لإفادة شىء يجىء تارة مفاجئا وتارة على الطبيعة، فإذا حللنا عليه (هلك) مثلا دلت من باب (ضرب) على الهلاك الطبيعى ومن باب (طرب) على الهلاك الفجائى.

وفى التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح اليسير بالتسمم، ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه بتداخل الأوضاع(٢).

ويفسر اختلاف أبنية الأفعال على أنها تمثل مراحل التطور التى مرت بها لغتنا العربية، وأن العربى فى طور الاستقرار حاول تصحيح الماضى على الفتح والمضارع على الكسر، وأمات باب نصر والباب السادس، وقرر الباب الثالث فيما كان حلقى العين أو اللام وبقية الأبواب يلجأ إليها لحاجات معنوية، وما وقع حلقيا وليس من هذا الباب فأثرى(٣).

والحق أن رأيه فى أبنية الأفعال وتطورها واستخدام التداخل فى الوضع اللغوى الجديد اقتراح لا نعلم أن علماء اللغة المحدثين قد وافقوه عليه.

---

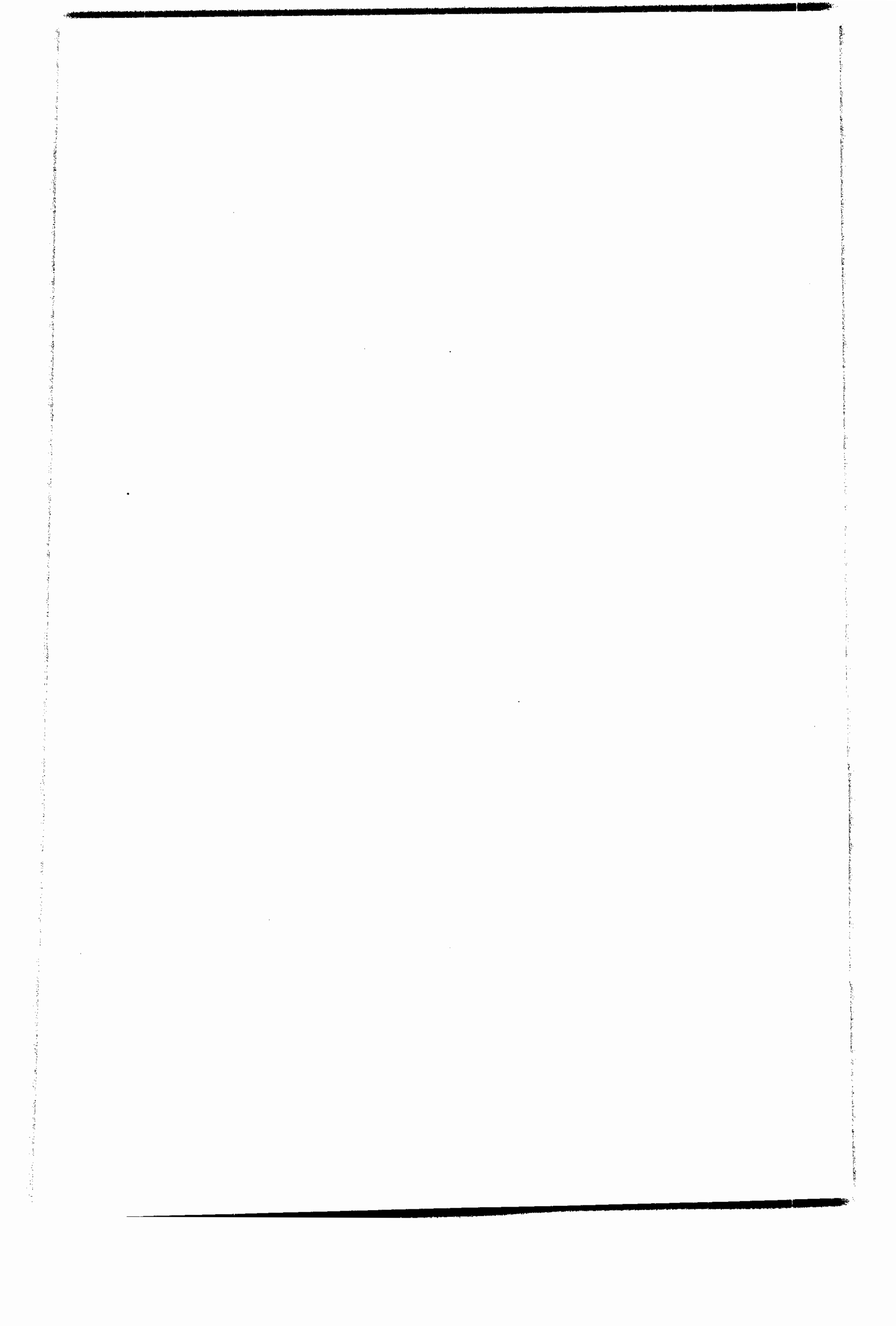
(١) مقدمة لدرس لغة العرب ص ٢٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٩.

(٣) المصدر السابق: ص ١٦٨، ١٦٩.

الباب الثالث

التوحد اللغوى والعربية الباقية



التوحد اللغوى بين اللهجات:

يحتاج الناس إلى اتصال بعضهم ببعض أفرادًا وجماعات وأممًا، ولهذا الاتصال آثاره اللغوية، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ويستفيد بعضها من بعض، والتأثر الذى يعترى لهجات اللغة الواحدة قد يبدو عاديًا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرًا كلهجات القرى والمدن فى أية دولة، فلكل منها سمات تمتاز بها من الأخرى، وبينها اشتراك فى مظاهر كثيرة تستخدمها من اللغة العامة ولذا لا تستعصى إحداها على الفهم خارج حدودها، اللهم إلا فى حالات العزلة التى تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الأقاليم التى تفصل بعضها عن بعض أمور جغرافية واجتماعية فإنها تؤدى إلى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها، وقد تستعصى على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة، وحين تتجاور اللهجات الخاصة فى المدن الكبرى والقرى المجاورة لها تزيد درجات التأثر، ففى داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ويحاول الأدنى تقليد الأرقى، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة، وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلى عن خصائص لهجاتهم وتقليد المدينة، لأن حضارة أهل المدن وثقافتهم تجعل الرغبة فى تقليدهم ملحة لدى الريفيين.

وقد أجريت بحوث فى هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى، وهى تعود فى معظمها إلى الثقافة والحضارة والنفوذ والسلطان وعدد الناطقين ونحو ذلك فإذا انفردت إحداها بمزية بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسى أو تجارى أو دينى واسع أو كثر عدد الناطقين بها فإن ذلك يدعو إلى تغلبها على أختها أو أخواتها من اللهجات الأخرى، وقد حدث هذا كثيرًا فى التاريخ اللغوى فاللاتينية التى صارت لغة إيطاليا المشتركة وأخيرًا لغة العالم بأسره كانت لغة روما أولاً وقبل كل شىء، أى لغة المدينة فى مقابلة الريف المجاور واللهجات القاصية على السواء(١).

---

(١) اللغة لفندريس: ص ٢٢٩.

واللهجة الباريسية أصبحت لغة فرنسا بتغلبها على اللهجات الأخرى (فالفرنسية إنما خرجت من العاصمة ومن طبقة اجتماعية بعينها من طبقات العاصمة وهى البرجوازية، وقد استقرت فى القرن التاسع عشر وسلم بها القصر ثم الأقاليم والكتاب الكبار باستعمالهم إياها زودوها بالقدرة على فرض نفسها نهائياً وعلى استمرارها لذلك لا نكاد نحس فيها أثرًا للهجات)[1].

ولهجة فلورنسا كانت مزاياها الذاتية ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة إذ كانت أقرب من غيرها إلى اللاتينية[2] ولهجة فلورنسا (فى إيطاليا) لهجة المجتمع الراقى بهذه المدينة هى التى صارت لغة إيطاليا.

ولهجة قريش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية قبل الإسلام لتحقق النفوذ السياسى والاقتصادى والدينى لها.

ويمكن أن تنشأ على أثر ذلك لغة مشتركة تحمل خصائص اللهجة المتغلبة وما بقى من خصائص اللهجات الأخرى المنحدرة.

وهذا التوحد اللغوى ـ الذى أشرنا إليه ـ يخضع لعوامل كثيرة أهمها:

١ - العامل السياسى:

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسى واحد يؤدى إلى تقارب لهجاتها ثم توحدها فى لغة عامة، فالساسة والحكام يجردون أحاديثهم العامة فى مختلف المناطق من المظاهر الصوتية والصرفية والمعجمية وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة أو طائفة حرفية ولو كان الحاكم من أبنائها ليكون ما يوجه إلى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية ونلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محط أنظار قاطنى المناطق الأخرى فيحاولون تقليد لهجاتها والتخلى عما تنفرد به لهجاتهم الأصلية ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية إلى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية، ويمكن أن نمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية التى كانت لهجة باريس ثم انتشرت فى جميع البلاد الداخلة فى المجال السياسى الفرنسى.

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٣٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٣٥.

واللاتينية صارت لغة إيطاليا المشتركة، وأخيرا لغة المجتمع الغربى بأسره[١] تبعا للنظام السياسى وذلك فى الإمبراطورية الرومانية[٢] القديمة وعدم خضوع الدولة لنظام سياسى واحد يضع الصعوبات فى طريق التوحد اللغوى، فألمانيا التى ظلت قرونا ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة[٣].

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية فى عامية متعلمى الألمان حتى فى أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الأوربية[٤]، ولذا قام انتشار الألمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة سياسية، فالألمانية المشتركة أولا وقبل كل شىء لغة كتابة تدين بنجاحها إلى أسباب دينية كما تدين بأصلها إلى الرغبة فى الاستعمار، وكانت هناك حركة مارتن لوثر وترجمته للكتاب المقدس، وهناك لغة المستشاريات فى المدن والإمارات الألمانية، والألمانية كانت تحتل الأراضى السلافية قدما بقدم وتحل محل اللغات السلافية فتكونت الألمانية المشتركة فى مدن الاستعمار فى ألمانيا الشرقية، تلك اللغة التى وصلت بفضل الإصلاح الدينى إلى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة وصارت لغة الكتابة فى ألمانيا المثقفة بأسرها[٥].

٢- العامل الاجتماعى والاقتصادى:

تقوم بين جماعات الشعب روابط النسب والمصاهرة، ويلتقون للتجارة وتبادل المنافع فى شتى المجالات، وقد تنشب بينهم المنازعات، وهذا يؤدى إلى اختلاطهم وقوة الاتصال بينهم ولذلك أثره فى التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتخلص من السمات التى تنفرد بها كل لهجة.

ومن الأمثلة التى توضح أثر هذا العامل ما حدث للهجات الجزيرة العربية من توحد ـ فى لغة عامة ـ قبل الإسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان، لما

(١) المصدر السابق: ص٣٢٩.

(٢) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص١٧٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٤.

(٤) اللغة: ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٥) المصدر السابق.

كان بين أهلها العرب من ارتباط فى النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة والجوار والتعامل التجارى وغيره من الصلات الاجتماعية.

٣- العامل الأدبى:

الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحد اللغوى، فالأدباء من قصاص وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب بمختلف طبقاته، ليروج ويذيع، وتلك اللغة التى يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية لأى إقليم من أقاليم الدولة، وهذا يهيئ سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة.

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر اللذان عنيت بهما الأسواق الأدبية كعكاظ وذى المجاز والمجنة، وكم جرى التنافس والمبارزة بين الشعراء فى هذه الأسواق ليحكم لهذا بالتفوق على ذلك وكانت تلك الأشعار مصدر إمتاع للجماهير العربية، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا قامت على أساس اللهجة القرشية وما استفادته من محاسن اللهجات الأخرى.

وفى أوربا توحدت لهجات مشتركة من أصل أدبى محض مثل الإيطالية التى استقرت لغة مشتركة ابتداء من القرن الرابع عشر بفضل هيبة الكتاب العظام وتأثيرهم مثل دانتى وبترارك ولوكاشيو وذلك فى وقت لم يكن لإيطاليا فيه أية وحدة سياسية، وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب استعملوا اللغة التى كانت تتكلم حولهم... واللغة التى رفعها (دانتى) إلى مرتبة اللغة الأدبية والتى صارت لغة إيطاليا المشتركة كانت أولا وقبل كل شىء لغة مدينة هى فلورنسا. ولغة المجتمع الراقى فى هذه المدينة[١].

٤- وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام كالإذاعة المسموعة والمرئية ودور الخيالة (السينما) والمسارح والصحافة وغيرها أثرها فى التوحد اللغوى فهى لسان حال الأمة والمعبر عن

---

(١) المصدر السابق: ص٣٣٥.

أغراضها السياسية والاجتماعية، وهى تستخدم لغة أشبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء ففى الأقطار العربية - مثلا - تستخدم الفصحى وبعض الأساليب العامية التى يفهمها الجميع، وتلك الوسائل - بلا شك - لها خطرها فى التأثير على الناس وتكوين لغة عامة.

٥- المدن الكبرى:

للمدن الكبرى أثرها فى نشوء لغة مشتركة إذ تتطلع إليها أنظار سكان الأماكن المجاورة لها والبعيدة عنها فيكثر الغادون إليها من كل صوب، وهم حين يلتقون داخل تلك المدن يحاولون - عادة - التخلى عن سمات لهجاتهم الأصلية، ويميلون إلى استخدام لغة عامة يفهمونها جميعا، فإذا أضفنا إلى ذلك أنهم يلتقون بالسكان الأصليين لهذه المدن أدركنا إلى أى حد يمكن أن تبرز لغة عامة يستعملها الشعب كله.

فالدور الأساسى الذى آل إلى أثينا بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية أدى إلى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللهجة الأتيكية ولكن زاد من قوة الأتيكية وإشعاعها شهرة شعرائها وفنانيها فكان لأثينا - بوصفها مركزا سياسيا وأدبيا وفنيا على السواء - شرف تأسيس اللغة المشتركة التى ظلت منذ القرن الرابع قبل الميلاد حتى التاسع بعد الميلاد أداة للتفكير عند جميع الإغريقيين[١].

وقد تكونت الإنجليزية المشتركة فى مدينة لندن التى ساعد موقعها على أن تكون ملتقى لمختلف اللهجات (هذا إلى أن تكون اللغة المشتركة صادف وقوعه فترة نمو لندن المفاجئ حيث أخذت تلتقى بين أحضانها طوائف المهاجرين على اختلافهم، يفدون عليها من الأقاليم، ويمتزجون بالسكان السابقين، هذه الهجرات أدت إلى شحن اللغة المشتركة بآثار اللهجات حتى لتجد نطق الإنجليزية فى القرن السابع عشر لم يثبت بعد، وأنه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف، ولا تزال بقايا منه موجودة حتى اليوم، ولكن هذه الهجرة الإقليمية أنعشت تبادل السكان بين

---

(١) المصدر السابق: ص٣٢٨، ٣٢٩.

العاصمة والأقاليم، ذلك التبادل المفيد الذى أدى أجل خدمة لانتشار اللغة المشتركة وإذا فإنجلترا تدين -أيضًا- بتوحيد لغتها توحيدا نسبيًا إلى أهمية عاصمتها)[1].

وفى مدينة القاهرة تتزاحم اللهجات من مختلف أقاليم الجمهورية بلقاءات أصحابها ولذا تميل إلى التوحد فيما يشبه أن يكون لغة عامة يفهمها الجميع.

٦- الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية:

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرءونه ويتعبدون به ويطبقون أحكامه ويدعوهم إلى الاجتماعات العامة فى الصلوات والأعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير فى التوحد اللغوى.

ولا شك أن العلم والثقافة والخدمة العسكرية تؤدى دورها فى اتخاذ لغة عامة فدور العلم والثقافة وطلابها الذين يفدون من مختلف الأقاليم ويلتقون فى المدارس والجامعات وقصور الثقافة والمكتبات وما شاكلها ولقاءات الثكنات العسكرية كذلك له أثره فى تخلى هذه الطوائف عما لا يفهم من لهجاتها ويتجهون بذلك إلى لغة عامة.

وقد حاول تيمورلنك أن يضع لغة لجيشه تسهل مهمة قواده، ومع فشل تلك المحاولة فإنها تدل على احتياج الجيوش إلى نظام لغوى مفهوم لدى أوساطها المتباينة[2].

وفى إطار هذه الأسباب الداعية إلى توحد النظام اللغوى فإن العالم العربى قد توافرت له علاقات كثيرة اجتماعية ودينية وسياسية وأدبية وثقافية وربطت بين أرجائه الإذاعة المسموعة والمرئية والصحافة وسبل المواصلات فبرزت فيه لغة مشتركة تتمثل فى العربية الفصحى التى تضيق هوة الخلاف بين اللهجات الدارجة المنتشرة فيه.

---

(١) المصدر السابق: ص٣٣١، ٣٣٢.

(٢) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ص ٢٤، ٢٦ واللغة والمجتمع للدكتور السعران ص ١٧٢، ١٧٥.

ولا ننسى أن نشير إلى أن اللغة المشتركة التى تنشأ عن الأسباب السابقة ونحوها لا تتخلص نهـائياً من خصائص اللهجـات المحلية، بل تبدو آثارها فيـها وتنعكس عليها.

ويتجلى هذا الأثر واضـحًا فى العربيـة الفصحى المعاصـرة واللهجات العامـية المتفرعة منها، وقد أشرنا -من قبل- إلى ما تحويه اللغات المشتركة فى ألمانيا وإنجلترا وفرنسا من آثار اللهجات المحلية التى شاركت فيها[1].

***

(١) انظر كتابنا: علم اللغة بين القديم والحديث ط ٢ من ص ١٦٥- ١٧٣.

العربية الباقية

يقتضينا الحـديث عن عوامل الانقسام والتوحد فى اللغـة، أن نبين موقف لغتنا العربية التى ورثناها عن أسلافنا من التوحد والانقسام.

فلغتنا العـربية بدأت على ألسنة العـرب الأولين وقبائـلهم القديمة من أمـثال (عاد) التى كانت تعيش فى جنوبى الجزيرة، وثمـود التى كانت تجاور الآراميين فى شماليها.

وهذا التفـرق للقبائل دعـا إلى ظهور لهجـات عربية هنا وهناك، إلا أن قـبائل الشمال تأثرت لهجاتها ـ فيما يبدو ـ بالآرامية التى هـى إحـدى اللـغـات السامية ـ أخوات العـربية ـ وقد وصلتنا نقـوش تحمل بعض هذه اللهجـات وتبين بعض معالمها الصوتية، وخصائص القواعد والمفردات فيها.

ولما اندثرت القبـائل القديمة المتـحدثة بهذه الـلهجات كانـت بقايا منهم لاتزال تحمل لغة الآباء، وتتحدث بها، وعن طريقها نقلت إلينا العربية الباقية.

وإذا صح أن نطلق على اللهجـات التى تحدثت بها قدامى القبـائل العربية اسم (العـربية البـائدة) ـ لأنها قـد بادت مع أهلهـا ـ فإننا نسـمى اللغـة التى وصلتنا بـ(العربية الباقية) لبقائها فينا حتى اليوم.

وقد عاشت العربية فى شمالى الجزيرة (نجد والحجاز وتهامة) واستطاعت فى القرن السادس الميلادى أن تبسط نفوذها فى الجزيرة كـلها وتدخل اليمن مرة أخرى، وتسيطر عليهـا وتمحو ما بقى فـيها من لهـجات، وتحل محلـها، وهذا لأن أهلها العـدنانيين استطاعوا أن يسيطروا على جـنوبى الجزيرة بعد أن ضعف نتيجة الغـزوات المتتالية من الفرس والأحباش، وتبعهم الزحف اللغوى، فتوحدت حينئذ لهجات الشمال والجنوب فى لغة عامة واحدة قبل الإسلام بحوالى مائة وخمسين عامًا تقريبًا[١].

(١) قبل القـرن الخامس الميلادى أخذت خـصائص اللهجـات العربية الشـمالية القديـمة واللهجات العـربية الجنوبيـة القـديمـة تـنصهـر وتخـضع لحـسن العـربيـة الفـتيـة ولذوقـهـا ومما لا جـدال فـيـه =

وإذا بحثنا عن أولية العربية الباقية فلن نستطيع الوقوف عليها لأن التاريخ اللغوى مجهول ولم تصلنا آثار ترشد إليه، وكل ما نعرفه أنه توافرت لدينا نصوص أدبية - شعرا ونثرا - متكاملة القواعد والنظام اللغوى وهذا يعبر عن لغة بلغت شأوها من النضج والقوة لكنه لا يرشد إلى فترة طفولة أيام كانت ساذجة ضعيفة غير مهذبة القواعد والتراكيب.

وهذه اللغة التى بلغت غايتها من النضج والتكوين هيئ لها أن تنتشر فى الجزيرة العربية الواسعة حيث تختلف البيئات والعادات والتقاليد بين الشمال والجنوب، والأحوال التى يعيش فيها أبناء العرب فى مواطنهم المتعددة ولذا لم تلبث أن انقسمت إلى لهجات عديدة فى أنحاء الجزيرة.

ولم يعش العرب فى جزيرتهم منعزلين بعضهم عن بعض وإنما كانوا يلتقون فى التجارة وفى الأسواق الأدبية التى يتبارى فيها الشعراء والأدباء ويقدمون نتاج قرائحهم، وقد أدت لقاءاتهم المتعددة، وسماع كل عربى للهجات إخوانه من المناطق الأخرى إلى أن يستفيد كل منهم من صاحبه من الناحية اللغوية كما يستفيد منه من النواحى التجارية والثقافية وغيرها.

وكان القرشيون يلتقون - كغيرهم من القبائل - بإخوانهم العرب من كل مكان، وقد ساعدت عوامل كثيرة على تهذيب لهجتهم، وتهيئة الفرصة لها لتحتل الصدارة بين اللهجات العربية الأخرى، وأهم هذه العوامل:

١ - نفوذهم الدينى:

كان القرشيون يحظون بتقدير العرب لهم، لأنهم هم الذين يتولون سدانة البيت الحرام والقيام على شئونه، وكانوا يستضيفون الحجاج ويقومون على سقايتهم[1]،

= أن ذلك الانتقال والتطور التدريجى للعربية قد حدث فى الحقبة التاريخية الواقعة بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين ومن الجائز أن يكون ذلك قد حدث قبل القرن الثالث الميلادى، انظر دراسات فى اللغة العربية د خليل نامى ص ١٧، ١٨.

(١) السيرة النبوية ١/ ١٢، ١٢٥، ١٣١ وتاريخ الأمم والملوك ٢/ ٢٦٠.

وتعليمهم مناسكهم[1]، وبعد حادث أبرهة الأشرم توطد مـركز قريش حتى قالت العرب عنهم: «أهل الله قـاتل عنهم فكفاهم مـؤونة عدوهم»[2]، وهذا كله جعل لقريش سلطانًا دينيًا يعترف به العرب جميعًا[3] حتى قيل عنهم «قريش أئمة الناس وهداتهم وأهل البيت وصريح ولد إسماعيل وقادة العرب»[4].

٢- نفوذهم التجارى:

انطلق القرشـيون فى أنحـاء الجزيرة وما حـولها من الأقطار فى الشـام وفارس والعراق ومصر والحبشة وكلهم ثقـة واطمئنان لما لهم من مكانة بين العرب أساسها النفوذ الدينى[5].

وكانت أنشطتهم التجـارية كبيرة وواسعة ففى روايـة للطبرى أن إحدى قوافلهم التجارية بلغت خمسمائة وألف بعير ومائة رجل، ولا ريب أن هذه القافلة التجارية الكبيرة كانت تحتاج إلى أدلاء ذوى معرفة وخبرة بالصحراء وطرق التجارة وحراس يحمـونها من السلب والنهب وكـانت قريش تستـخدم فى ذلك رجالاً من قـبائل العرب المختلفة فى الجزيرة ولا سيما البدو[6].

وقد ازدهرت تجـارة قريش ولا سيـما بعد انـهيار سـد مأرب سنة ٤٥٠م وطرد قبيلة خزاعة من مكة.

وكانت لهم سفن تنقل التجارة من الحـبشة وإفريقية الشرقية عبـر البحر الأحمر وكانت تنقل تجارتهـا وتجارة اليمن إلى أسواق فلسطين وتنقل تجـارة الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن[7]، وهكذا تجارة الأقطار الأخرى.

---

(١) الخصائص ١/ ٣٣.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ٢/ ١٣٩.

(٣) تاريخ العرب العام ص ٥١.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/ ٣٨، ٨٦ والسيرة النبوية ٤/ ١٥٢.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٢٥٢، ٢٧٧، ٣٢٧، ٣/ ٦٣، ٤/ ٥٦، والطبـقات الكبرى ١/ ٤٥، ٤٨ والسـيرة النبـوية ١/ ١٢٥، ٢/ ٦٩، ١٨٢، ١٨٠، ٢٨٨، وفتـوح البلدان للبـلاذرى ١/ ٦٧ ومغـازى الواقـدى ١/ ١٦، ٢٧.

(٦) السيرة ٢/ ١٨٢.

(٧) الطبقات الكبرى ١/ ٤٣ وموسوعة التاريخ الإسلامى د. أحمد شلبى ص ١٢٦.

ولا ريب أن ذلك كله جعل لقـريش مركزًا تجـارياً أثروا من ورائه ثروات طائلة ووطد صلاتهم بالقبائل العربية المختلفة.

وقد نزل القـرآن الكريم مشـيرًا إلى رحـلاتهم التجـارية صيفًـا وشتـاء قائلا: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ [قريش: ١، ٢].

٣- نفوذهم السياسى:

لا ريب أن القرشيين فى مكـة حظوا باستقرار ونظام[1] فى حياتهم الاجتـماعية نتيجة لما تمتعوا به من نفوذ دينى واقتـصادى واسع وقد تهيأ لهم طائفة من الزعماء الذين كـانوا يتدخلـون لفض النزاعات سـواء بين بطون القـبيـلة المتعـددة أو بين المتنازعين من غيرهم وكانت مكة حرمًا آمنًا من ورد إليه لا يظلم ولا يعتدى عليه، إلى جانب مـا كان لقريش من عـلاقات ودية طيبـة مع القبائل المخـتلفة فى داخل الجـزيرة وعلى أطرافهـا فى الطريق إلى الشـام أو العـراق ولعل للنفـوذ التجـارى واستخدام بعض هذه القـبائل فى شئون التجارة أثرًا بينًا فى تحقيق السـيادة القرشية إلى جانب ما تمتعوا به من نفوذ دينى أشرنا إليه من قبل، وكانت لهم أحلاف كثيرة مع القبائل، كل هذا جعل لهم سيادة سياسـية بين العرب جميعًا حتى قال أبو بكر الصديق عـقب وفاة النبى ﷺ والبحث فـيمن يخلفه: «لا تدين العـرب إلا لهذا الحى من قريش».

٤- نفوذهم اللغوى:

ونتيـجة لكل ما سبق اتسـع نفوذ القرشيـين اللغوى فنمت لهجـتهم وازدهرت وسادت اللهجات الأخرى فأصـبحت لغة عامة للعرب جميعًا واستـعملتها القبائل المختلفة فى نتاجها الأدبى الرفيع، يقول الدكتور إبراهيم أنيس:

«فبـيئـة مكة قد هيئت لـها ظروف وفرص بعـضهـا دينى وبعضهـا اقتـصادى واجتمـاعى مما ساعد على أن تصبح المركـز الذى تطلعت إليه القبـائل وشدت إليه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٦ والسيرة ١/١١٥، ١٢٢ والطبقات الكبرى ١/٤١، ٤٢، ٨٢ وغيرها

الرحال قرونًا قبل الإسلام وكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست فى كثير من صفاتها على لهجة مكة ولكنها استمدت أيضًا الكثير من صفات اللهجات»[1] ومما سهل سبيل الغلب أن أهلها بعدوا عن التعصب لها ففتحوا أمامها الطريق لتستفيد من اللهجات الأخرى ما حسن وعذب، وبهذا استطاعت أن تعبر عن كل حاجات الحياة وفنون الكلام وغنيت بكل الوسائل التى جعلتها مرنة تصلح لكل الأغراض[2].

وسواء أكانت لغة قريش وحدها هى اللغة الفصحى أم أضيف إليها بعض اللهجات الأخرى لتكوين اللغة المشتركة فقد أصبحت لغة العرب جميعًا قبل نزول القرآن الكريم لغة يحتذونها فى خطبهم وأشعارهم ونزل بها القرآن الكريم فقوى من شأنها ودعم من سلطانها.

وقد اعتبرت تلك اللغة أفصح اللهجات وأنضجها لما بعدت عن الأمور التى تخل بالفصاحة ولنستمع إلى هذا الحوار الذى دار بين معاوية بن أبى سفيان ورجل من السماط حول أفصح الناس قال معاوية للرجل: أى الناس أفصح؟ قال: قوم ارتفعوا عن رتة العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتيامنوا عن شنشنة تغلب ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير قال معاوية: من هم؟ قال: قومك يا أمير المؤمنين قريش قال: صدقت فممن أنت؟ قال: من جرم، قال الأصمعى: وجرم من فصحاء العرب[3].

وقد اعتبر ابن خلدون لغة قريش أفصح وأصرح من غيرها من اللهجات العربية «لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم»[4].

ويوضح ذلك أن ابن جنى يعتبر مقياس الفصاحة قائمًا على صحة السليقة والبعد عن الأعاجم وعدم التأثر بهم ويتبين هذا من الفصل الذى عقده فى

(١) مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ٨.
(٢) فقه اللغة د. وافى ص ١٤٠.
(٣) العقد الفريد ١/٢٠٧، وانظر: درة الغواص، ص ٢٤٩ - ٢٥١.
(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٣.

خصائصه بعنوان: (باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) يقول:

«ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر وكذلك أيضًا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها»[1].

وعلى هذا فليس اعتبار لهجة معينة أفصح من غيرها إلا بمقدار بعدها عن مظاهر الفساد واللحن وقد تحقق هذا في اللغة المشتركة التي كانت لسان العرب جميعًا ولا مجال للقول بأن العصبية هي التي جعلتها أفصح من غيرها.

وأما تغلب اللغة العربية على لغات الأمم التي دخلت الإسلام فكان لعوامل دينية ولسماحة الإسلام وإرادة المسلمين من هذه الأمم أن يؤدوا فرائضه بلغته وأن يحظوا بالمكانة في الدولة الإسلامية الجديدة ولعوامل داخلية في جوهرها الذي جعل الأجانب يعجبون بها وبطرائقها اللغوية.

يقول ابن جني وقد بهرته العربية بسحرها وجمالها: «لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها من الرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها والتنويه منها»[2].

ويقول أيضًا:

«إنا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمي وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه»[3].

وهذه شهادة عالم ثقة أدلي بها ليبين الدوافع التي جعلت المسلمين يتركون لغاتهم الأصلية ويتجهون إلى العربية يتكلمونها ويتحدثون بها وهذا هو الذي جعل العربية تصرع لغات البلاد المفتوحة وتقضي عليها.

---

(١) الخصائص ١/٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ٢/٥.

(٣) المصدر السابق ١/٢٤٣.

فالحق أحق أن يتبع وهو أن تفـوق العربية كان لعـوامل ذاتية من داخلها لا من خارجها.

وحقا ما قال الأستاذ العقاد:

«إن للأمم فى تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها يضيق بها نطاق البحث ومعظم هذه المفاخر دعوى لا دليل عليها وحجتها الكبرى أنانية قومية تشبه أنانية الفرد فى حبه لنفسه وإيثاره لصـفاته بغير حاجة إلى دليل أو مع القناعة بأيسر دليل، ولكن الفصـاحة العربية فـى دعوى أهلها مفـخرة لا تشبه هذه المفـاخر فى جملتها لأن دليلها العلمى حاضر لا يتـعسر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة، ولا حاجة له فى هذا الدليل إلى غير النطق وحسن الاستماع»[1].

ولكن بعض الباحـثين المحدثين يعارضـون هذا الرأى فيرى بعضــهم أن الذى جعل القدماء يقولون بسيادة القرشية سبب واحد هو أن النبىﷺ من قريش أما أن قريشًا لهم نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فتلك مسألة يرفضها الدرس اللغوى الصحيح، إذ أنه لا معنى لأن نقول: إن هناك لغة ـ مهما تكن ـ أكثر فصاحة من لغة أخرى[2].

ويقول الدكتور جواد على منكرًا أيضًا:

«وأما قولهم إن هذه اللغة الفصحى هى لغـة قريش، لإجماع العرب كافة على أن لغة القـرآن هى لغة قريش، وعدم ظهـور أحد أنكر هذا الإجماع أو جـادل فيه رغم ما كان من الخصومات السياسية بيـن قريش وغيرها من قبائل مضر، فقول لا يستند إلى حجج تاريخيـة، بل هو يصطدم مع واقع النصوص الجاهلية الواصلة إلينا، وبعضـها نصوص لا تبتـعد عن الإسلام بكثيـر، وقد كتبت كلها بـلهجات تختلف عن هذه اللغـة الفصحى التى نزل بها القـرآن ، وفى اختلافهـا عنها دلالة على أن الشعـوب التى كتبت تلك النصـوص لم تكن تكتب بعربيـة القرآن، وفى هذه الدلالة تفنيد لقول من قال إن لهجـة قريش هى الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية، لا فى الحجاز ونجد فحسب بل فى كل القبائل[3].

(١) اللغة الشاعرة ص ٥٤، ٥٥.

(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية: ص٤٢.

(٣) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٨/ ٦٤٠.

ويرى الدكتور تمام حسان أن الفصحى المشتركة هى لغة العرب جميعًا، وليست القرشية وحدها لأدلة:

١- أن القرآن نزل بلسان عربى مبين ولم ينـزل بلسان قريش، ولو كانت الفصحى أصلها لهـجة قريش لأشاد النبى ﷺ بفـصاحة لهجـته، مع أنه أشاد بفـصاحة نفسه، وأشـار إلى أنه نشأ فى سعد بن بكر - من عليـا هوازن - وليست أولى بالفصاحة من قـريش، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] فإذا كانت إحدى الآيتين تفسر الأخرى فإن (قومه) هنا هم العرب جميعًا لا قريش فقط.

٢- كانت للهجة قريش خـصائص لم تشع فى الاستعمال العربى كتـسهيل الهمزة وقد شـاع تحقيـقها فى النـص القرآنى مما يدل على أن بالنص القـرآنى ما ليس بلهجة قريش من الخصائص ويتحقق فى اللهجات الأخرى.

٣- أن القرآن نزل على سـبعة أحـرف، وتعددت قراءاتـه، وفى القراءات ظواهر لغوية لم تشتمل عليها لهجة قريش.

٤- خلو النصوص الأدبيـة الجاهلية من أثر لقـريش ولم يسمع عن شاعـر جاهلى قرشى فحل، على حـين نجد الشعر فى قبائـل عربية شمالية وجنوبيـة حجازية ونجدية.

٥- مخـاطبة الرسول ﷺ للقـبائل بلغاتـها مشـيرًا إلى أن هذه اللهجـات لها من الفصاحة ما للهجة قريش، ومن ثم لم يكن بها من افتقار إلى الأخذ عن لهجة قريش، ولم يكن بأهلها من إحساس بالضعة يدعوهم إلى ذلك.

٦- أن النحاة حين حـددوا قبائل الفصاحـة، وجعلوا لهجاتهم مـصادر فى النحو العربى، لم يقـصروا الأخذ على قريش، بل لم يقبلـوا الأخذ عن قريش وإنما سمعوا ممن عـداها من قبائل الحجاز ونجد ذاهبـين إلى سكان البرارى ممن كانوا أشد توحـشًا وجفـاء وأبعد إذعانًا وانقـيادًا وهم: قيـس وتميم وأسد وطيئ ثم هذيل.

٧- فقدان السند التاريخى الذى يفيد أن لهجة قريش هى الفصحى المشتركة فدعوى جعل القرشية هى الفصحى افتراض يتعارض مع الحقائق المسلمة التى تقدمت[١].

وهذه بذور لآراء استشراقية، إذ يذهب بعض المستشرقين إلى أن ما يسميه العلماء لهجة قريش يغلب على الظن أنه غير صحيح، إذ من الصعب أن نتصور لقريش لهجة خاصة مع ما نعرفه من عدم بقائها فى بيئة منعزلة عن القبائل الأخرى فقد كانت بيئتها موردا للقبائل العربية يأتون إليها للتجارة والحج والمفاخرة والمنافرة فى الأسواق، وكانت قريش بحكم زعامتها الدينية والاقتصادية دائمة الاتصال تقريبًا بهذه القبائل، وعلى هذا فإن لهجة قريش يمكن أن يقال إنه لا وجود لها وما هى فى حقيقة الأمر إلا خليط أو مزيج من لهجات القبائل الأخرى تكون على مر الزمن وانتهى به الأمر إلى أن يكون لهجة البيئة الحجازية التى تسكنها قريش[٢].

والحقيقة أن وقوع بعض الدخيل فى القرشية لا يؤدى إلى محو أصلها وتأصل الدخيل فيها، وهذا زعم استشراقى لهؤلاء المستشرقين الذين يحاولون بكل الوسائل ادعاء أن الفصحى غير لهجة قريش.

والقرشية ليست بدعا من اللهجات التى سادت لعوامل حضارية، ففى كل اللغات حدث مثل ذلك كأن صارت الباريسية لغة فرنسا ولغة روما لغة إيطاليا بل لغة الإمبراطورية الرومانية كلها.

وقد سادت القرشية الجزيرة قبل الإسلام حين عظم شأن قريش وتحقق نفوذها الواسع فى مكة وما حولها بل فى الجزيرة كلها.

ويقول الدكتور شوقى ضيف: «فنحن لا نعدو الواقع إذا قلنا إن لهجة قريش هى الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية لا فى الحجاز ونجد فحسب بل فى

---

(١) الأصول - الطبعة الأولى: ص ٧٨ - ٨١ بتصرف.

(٢) اللغة والنحو: ص٤٢، ٤٣.

كل القبائل العربية شمالا وغربا وشرقا وفى اليمامة والبحرين وسقطت إلى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمير واليمن وخاصة فى أطرافها الشمالية» وفى رأيه أن المستشرقين جانبهم التوفيق فى الحدس والفرض حين رفضوا نظرية العرب فى أن الفصحى هى عين اللهجة القرشية[1].

ويرى الرافعى أن نزول القرآن بلغة قريش يؤكد حقيقة السيادة القرشية يقول:

«الأصل أن القرآن نزل بلغة قريش لأن الرسول ﷺ قرشى، وليكون هذا الكلام زعيم اللغات كلها كما استمازت قربش من العرب بجوار البيت وسقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام وغيرها من خصائصها».

بيد أن الرافعى يبالغ فى نسبة السيادة للهجة قريش إلى حد زعم فيه أن القرآن لو نزل بغير ما ألفه النبى ﷺ من اللغة القرشية وما اتصل بها كان ذلك مغمزًا فيه، لأن العرب لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن وأساليبه وبين ما يأثرونه من كلام النبى ﷺ فيهون ذلك على قريش ثم على العرب فتنشق الكلمة ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء إلى حال لا يلتئم عليه أبدًا[2].

ويضطرب الرافعى فى عرضه لفكرته عن نزول القرآن بلغة قريش، فيقرر ـ مرة أخرى ـ أن هناك لغات أخرى نزل بها القرآن - إلى جانب لهجة قريش يقول:

«اللغات التى نزل بها القرآن غير لغة قريش هى لغة بنى سعد بن بكر الذين كان النبى ﷺ مسترضعًا فيهم، وهى إحدى لغات العجز من هوازن ثم لغات جشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف، وأولئك هم أفصح العرب جملة ثم خزاعة وهذيل وكنانة وأسد وضبة وكانوا على قرب من مكة يكثرون التردد إليها ومن بعدهم قيس ومن جاورهم فى وسط الجزيرة.

---

(١) تاريخ الأدب - العصر الجاهلى د. ضيف ١/١٣٣، ١٣٤.
(٢) تاريخ آداب العرب ٢/٦٢، ٦٣.

ونحن حين نثبت الفصاحة لقريش لا ننفيها عن غيرها، ومع ذلك بقيت آثار هذه اللهجات بارزة فى القراءات القرآنية التى جاءت تيسيراً على الناطقين المسلمين فى جميع الأمكنة والأزمنة كما نقله ابن الجزرى فى النشر، وقد قال ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف».

فالعرب كانوا يقرأون بلحونهم على تنوعها واختلافها من تحقيق الهمز وتخفيفه والمد والقصر والفتح والإمالة والإظهار والإدغام وضم الهاء وكسرها من عليهم وإليهم واستعمال الكلمات على أوجه مختلفة كبرىء وبراء وسرى وأسرى فى قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] وقوله سبحانه ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١]، إلى غير ذلك مما ذكرته كتب اللغة كالكامل للمبرد.

وفى كتب اللغة والنحو وردت شواهد وأمثلة لبعض هذه اللهجات التى مثلت بعض القواعد النحوية والظواهر اللغوية الصوتية والدلالية وغيرها مما يشهد أن بعضها له شهرة وذيوع وقوة فصاحة يمكن أن يحتج بها ويؤنس بنطقها كما قال ابن جنى: إن اللهجات كلها حجة.

فمن اللهجات البارزة: اللهجة التميمية والقيسية والأسدية وغيرها من لهجات هذه القبائل التى اشتهرت بالفصاحة وورد ذكر أصحابها فى كتب اللغة كالصاحبى والمزهر وغيرهما[1] ويعد الهمز صفة مستحسنة من صفات اللهجة التميمية بحيث أخذ به القرآن فى صورته المشهورة التى نزل بها وإن كان التسهيل إحدى القراءات المعتد بها كذلك لكن الهمز أشهر.

ومن آثار اللهجات المختلفة التى لا تزال باقية وتشهد بواقعها اللغوى الظواهر اللغوية المشهورة كالاشتراك والتضاد والترادف وتعدد الأوجه الإعرابية لبعض الألفاظ فى التراكيب اللغوية والقلب والإبدال وغيرها.

بل إن بعض الألفاظ تختلف من قبيلة إلى أخرى، وبعض هذه الألفاظ المنسوبة للهجات أخرى غير القرشية قد وقعت فى القرآن الكريم.

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ١٣٢.

ويذكر بعض العلماء أن نحو أربعين لغة وقعت فى القرآن: قريش وهذيل وكنانة وخثعم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت والعمالقة وأنمار وغسان ومذحج وخزاعة وسبأ وعمان وبنو حنيفة وطيئ وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلى وعذرة وهوازن واليمامة[1] مما تضمنته لهجة قريش وما لم تتضمن.

وقد حاول أحد الكاتبين أن يرسم العصبية المتمثلة فى لهجة قريش لأنهم آل النبى ﷺ ومنهم نشأ فنشأ الشرف معهم لهذه القبيلة، وتمشى الشرف، وتسرب إلى لهجتهم فجعلت أفصح اللهجات جميعًا وجعلت أساسًا للغة التى نزل بها القرآن وتنوسيت جميع اللهجات الأخرى[2].

ويقول: وقد توسع فقهاء اللغة العربية الأوائل وكثير من المتأخرين فى إثبات ما جاء فى الصاحبى لابن فارس من أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وكان عليهم أن يواجهوا مشكلة تعدد لهجات العرب التى كانوا يسمونها لغات فى الموازنة مع لغة قريش التى نزل بها القرآن فاتفقت كلمتهم على أن لغة قريش كانت أرقى لغات العرب وجعلوا من لغة قريش معيار الصحة والفصاحة ولا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش، وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الإسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها[3].

وهذا الحديث الطويل قصد به قائله الغض من شأن اللهجة القرشية ـ بخصاصة ـ واللغة العربية ـ بعامة ـ والغض من شأن أصحاب تلك اللهجة التى نزل بها القرآن الكريم والتقليل من أثرها فى تكوين اللغة العربية ومحاولة إرجاع هذا الأثر إلى العصبية للنبى ﷺ وإلى قبيلة قريش لا إلى العوامل الحقيقية فى تفوق هذه اللهجة وهى عوامل كثيرة: اجتماعية وسياسية ولغوية وكأن اللهجات

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ٢/ ٦٤.

(٢) مقدمة فى فقه اللغة العربية: ص٦٠ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ص ٦٧.

المنزوية المقهورة إنما قهرت - في زعمه - بحد السيف والجبروت والتسلط وغلبة قريش على بقية القبائل ونقول:

إن وجود النبى ﷺ فى الأمة العربية أمر جعلهم ـ بلا شك ـ أصحاب شرف وفخر وامتد هذا الشرف إلى الأمة الإسلامية كلها بحمل رسالة الإسلام التى صححت مسار الحياة الإنسانية وليس هذا تعصبًا بل بيان لحقيقة الأمة التى تنشر دين الله وشريعة الحق والعدل فهى - من هذا الجانب - مفضلة على الأمم الضالة الملحدة التى لا تعرف الله وحقوق الناس ولا تقيم العدل، ولذا امتدح القرآن الكريم الأمة الإسلامية فى إطارها العام ولم يخص العرب وحدهم حين قال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أما أن العنصرية امتدت إلى سيادة قريش على غيرها وسيادة لهجتها على سائر اللهجات واللغات الأخرى فهو غير وارد لا عن العرب ولا عن علماء العربية وما قاله هذا الكاتب محض افتراء.

فسيادة قريش ولهجتها لم تكن بعد الإسلام ـ كما تصور ـ بل من قبله وحقائق التاريخ ترشد إلى ذلك، وقد جاء الإسلام فوجد اللغة العامة - متمثلة فى معظم المادة اللغوية القرشية - فنزل بها وكان هذا مسايرة للواقع اللغوى الشائع فى البيئة العربية آنذاك.

وعلماء العربية تكلموا عن واقع موجود ولم يكونوا متحاملين أو قائلين بشىء لا تؤيده الحقائق العلمية والآثار.

وإذا كان هذا الكاتب قد اتهم أحمد بن فارس بالتعصب- ومن بعده ومن قبله علماء العربية الآخرين ـ حين عقد بابا فى كتابه (الصاحبى) بعنوان: «باب القول فى أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها»[1] فإن الباحث المنصف يرى

---

(١) ص ٦ وما بعدها.

أن أحمد بن فارس لم يكن متعصبا فى هذا الباب الذى عقده بل كان بصدد بيان بعض ما امتازت به العربية من غيرها من اللغات الأخرى، ولم يرد تفضيلا عصبياً ممقوتا.

والرجل لأنه فارسى الأصل يوازن بين العربية والفارسية التى يعرفها فيقرر امتياز العربية بوقوع الألفاظ المترادفة فيها ذلك لأنها تهيئ للمتكلم كثيرًا من نواحى الإبانة والإيضاح بما لا يتيسر فى اللغات التى تخلو من الترادف فللسيف والأسد والفرس ألفاظ مترادفة فى العربية على حين أن الفارسية لا تعبر عن ذلك إلا باسم واحد، يقول ابن فارس:

لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسما غير واحد، وفى لغة العرب أكثر من خمسمائة اسم، وهكذا غيرها من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك؟ كما يقرر امتياز العربية ببعض مظاهر البلاغة ووجوهها كالاستعارة والكناية والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من السنن الذى يقع فى القرآن وكلام العرب شعرا ونثرا وذكر لذلك أمثلة.

كما يقرر أن العربية لا تجمع بين الساكنين وقد تجتمع فى لغة العجم وعندما قال ابن فارس: (إن القرآن نزل بلهجة قريش) لم يكن ذلك تعصبًا لأنهم أتباع النبى وذووه وبسبب نزول القرآن بها بل لأن القريشية من قبل نزول القرآن الكريم كانت قد انتشرت بين العرب وأصبحت لغة عامة لأسباب أخرى كثيرة: اجتماعية ودينية وسياسية وتجارية لخصها ابن فارس حين قال:

«أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة فقريش قطان الحرم وجيران البيت الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش فى أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لأنهم الصريح

من ولد إسماعيل عليه السلام لم تشبهم شائبة[1]، ولم تنقلهم عن مناسكهم ناقلة، فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفا إذ جعلهم رهط نبيه الأدنين وعترته الصالحين.

وهذا دون شك بيان لبعض المزايا التى اختصت بها لغة العرب ولا عيب فى ذلك ولا تعصب على الإطلاق.

ولهذه المزايا قرر ابن فارس أن ترجمة القرآن أمر جد عسير إذ لا يمكن أن تحمل ألفاظ اللغات الأخرى المعانى التى تتضمنها التعبيرات القرآنية ذاوت المعانى الجامعة، فيقرر أنه لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن إلى شىء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله -عز وجل- بالعربية لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب[2].

و«لا وجه لمن يجيز قراءة القرآن فى صلاته بالفارسية، لأن الفارسية ترجمة غير معجزة، إنما أمر الله -جل ثناؤه- بقراءة القرآن العربى المعجز»[3] وهذه شهادة من أحمد بن فارس الذى لم يكن شعوبياً فى دعوته بل جهر بالحقيقة التى تقول:

إن مزايا العربية تجعل ترجمة نص القرآن غير صحيحة لأنها تفوّت كثيراً من المعانى التى لا يمكن أن يعبر عنها اللفظ غير العربى.

وهذا يدحض فرية الكاتب المشار إليه فى نقله إجازة ترجمة القرآن فهو بهذا يفتح مجالاً فاسداً من مجالات دعاواه الباطلة.

ومن نص ابن فارس السابق نفهم أن قبيلة قريش سادت العرب لعدة أمور:

١- أنهم قطان الحرم وسدنة البيت ويلجأ إليهم سائر العرب لتعلم المناسك وهذه السمة الدينية أكسبتهم تقدير العرب واحترامهم وحققت لهم الزعامة الدينية وهذا قبل الإسلام بكثير.

---

(١) انظر الصاحبى ص ١٦-٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ١٧.

(٣) المصدر السابق ص ٤٧.

٢- ونتيجة الزعامة الدينية وعوامل أخرى ـكالتجارة والأسواقـ أصبح لقريش زعامة سياسية على العرب ولا شك أن ذلك جعل غيرهم من القبائل يقلدهم فى لغتهم فمن عادة المعجب أن يقلد من يعجب به ومن عادة الطبقات الاجتماعية أن تخضع لصاحب السلطان الأقوى فى كل شيء وتحاول تقليده[1] مما جعل كثيراً من القبائل تترك كثيراً من مظاهر لهجاتها وتلجأ إلى محاكاة القبيلة ذات السيادة الطبيعية.

٣- ثم أضاف ابن فارس إلى ذلك أن القرشيين أنفسهم مع مالهم من زعامتين دينية وسياسية كانوا غير متعصبين للهجتهم فجعلوها تستفيد من لهجات إخوانهم العرب وتلك عادة لغوية تحقق الوفاء الكامل بحاجات المجتمع المتحضر الذى اتسع ليشمل قبائل العرب بأسرها فى مناطق الجزيرة الواسعة.

وكان للقرشيين اختيار وذوق رفيع فبعدوا عن كل شوائب اللهجات التى تحول بينها وبين الفصاحة مما يعكر صفوها أو يشينها يقول:

وكانت قريش ـمع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتهاـ إذا أتت الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب[2].

وهذا دون ريب جعل للقرشية سيادة على غيرها من اللهجات أفادها بالحسن الجيد وزحزح عنها القبيح الرديء حتى استوت فى صورة عامة سيطرت على اللهجات الأخرى وجعلتها تنزوى، ويقتصر تداولها على المجتمعات والبيئات الخاصة أما فى المجتمع العام فقد سيطرت لغة مشتركة معظم مادتها قرشي وبعضها من اللهجات الأخرى، ولما جاء الإسلام وجد العربية مستوية على سوقها فى إطار لغوى عام فنزل بها كتابه القرآن الكريم، ولم يكن ذلك تعصبا للهجة قريش على

(١) انظر كتابنا (علم اللغة بين القديم والحديث) ص ١٧٦ وما بعدها.
(٢) الصاحبى ص ٣٣، ٣٤.

الإطلاق، وقد تهيأت لها فوق الأسباب المشار إليها قوة وسعة وهيبة وسلطان حينما حالفها الحظ بنزول القرآن الكريم بها حيث اختار الله نبيه من رهط قريش، وهذا هو ما ذهب إليه ابن فارس وسائر علماء اللغة.

والذى يدل على أن القرشية ضمت إليها بعض مظاهر اللهجات الأخرى ولم نثر عليها ثورة تحكم واستبداد أن القرآن اشتمل على عناصر أخرى غير القرشية، وقد أشار ابن فارس إلى ذلك فذكر أن القرآن جاء بلهجات اليمن كالأرائك فى قوله سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الإنسان: ١٣] فالأريكة -بلغة أهل اليمن- الحجلة فيها سرير «الحجلة مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور»[١] وكذلك المعاذير فى قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٥] هى الستور وأهل اليمن يسمون الستر المعذار[٢].

وبعد هذا البيان نرى أن علماء العربية لم يقصدوا بمدح القرشية أنها أشرف لغات الأرض قاطبة على سبيل التعصب ضد غيرها، وإنما كان من باب بيان فضائل العربية ومزاياها، ومن هنا يفسد حكم الكاتب المشار إليه بأن كثرة التفاعلات بين العربية وغيرها من اللغات الأجنبية عنها هى التى أنضجت اللغة العربية إنضاجا عظيمًا وأكسبتها مرونة كافية، وخصوبة أفرغتها فى لهجة قريش وأمكنها ذلك وأهلها أن تكون وعاء لوحى عظيم فى عصر الرسول وأداة صالحة للتعبير الفكرى العميق حتى عصر ابن خلدون مما أهلها أن تقهر بعض ما جاورها من اللغات تمامًا كما قهرت اللغة اللاتينية عديدًا من لغات أوربا التى فتحها الرومان حتى نهاية العصور الوسطى وظهور القوميات الحديثة فى بداية نحو (١٤٠٠)م.

فهذا الحكم -فى رأينا- أصبح غير ذى موضوع، وأن ما بنى عليه يعد غير صحيح على الإطلاق بعد ما أوضحنا من صلات بين العربية وسواها من اللغات وأنها فرع اللغة السامية ذات الخصائص المستقلة.

---

(١) الصاحبى ص ٤٢ الأصل والتعليق.

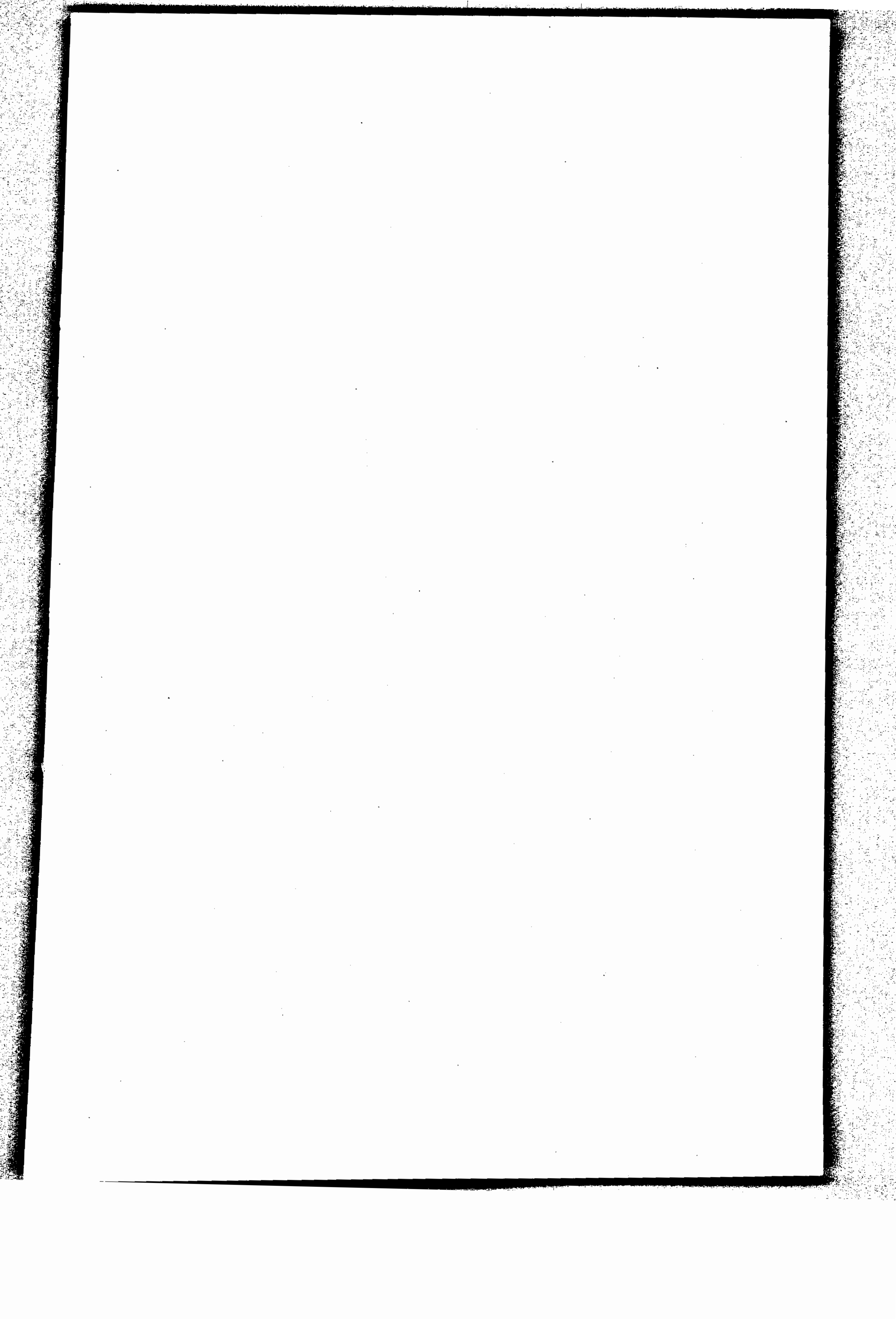
(٢) الصاحبى ص ٤٢.

ونضيف فى تفنيد هذا الزعم أن القرشية لم تكتسب الزعامة بين لهجات العربية نتيجة لما دخلها من ألفاظ هندية أوربية أو مصرية قديمة بل إن الثابت تاريخياً ولغوياً أن زعامتها كانت نتيجة عوامل كثيرة هيأت لها سبيل الغلب كما ذكرنا.

وبهذا يثبت ما قرره علماؤنا من أن للعربية خصائصها واستقلالها وإذا كانت قد انتفعت باتصالها بغيرها من اللغات فهذا فى حدود القليل الذى لا يخل بشخصيتها على حد ما ذكر الجواليقى فى كتابه (المعرب) والشهاب الخفاجى فى كتابه (شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) وأضرابهما من العلماء الذين أشاروا إلى بعض الألفاظ التى نقلت إلى العربية من اللغات الأخرى، بل ربما أفادت العربية أكثر مما استفادت، ويكفى أن نعلم أن نحو نصف اللغة الفارسية مستعار من اللغة العربية، وأن نصف ألفاظ اللغة التركية مأخوذ إما من الفارسية أو من العربية[1].

****

(١) دلالة الألفاظ د. أنيس ص: ١٥١.



الباب الرابع

اختلاف اللهجات العربية ومظاهره

آثار اللهجات العربية ودراستها:

بدأ الاختلاف اللهجى واضحًا فى الجزيرة العربية نتيجة لاتصال أهلها ولقاء بعضهم ببعض فى التجارة والأسواق التى كانت تعقد للأدب والشعر وهم وإن كانوا يلجأون فى هذه الأسواق إلى الفصحى فإن لهم لهجاتهم التى كانت تتسرب إلى منطقهم فى بعض الأحيان وكانوا يتكلمون بها فى شئونهم الخاصة.

وكان الحجازى يلاقى التميمى وكلاهما من عرب الشمال وكان يلتقى بأهل اليمن وقد علمنا أن اليمن كان المصدر الأساسى لكثير من الهجرات التى كانت تتم من الجنوب إلى الشمال وكانت رحلات أخرى تتم إلى اليمن من الشمال، وهنا وهناك اختلطت لهجات المهاجرين من كل صوب ولابد أن جزيرة العرب باتساعها ورحابتها كانت مدعاة إلى اختلاف البيئات مما هيأ للهجات أن تنشأ وأن تتصارع فيما بينها حتى أدى ذلك إلى سيادة لغة عامة بين العرب جميعًا.

ولم يكن الخلاف جوهرياً بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين العرب، وقد أورد ابن جنى ما يدل على أن الخلاف بين اللهجات فى الفروع لا الأصول، قال:

«فإن قلت: زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف، أفلا ترى إلى الخلاف فى (ما) الحجازية والتميمية وإلى الحكاية فى الاستفهام عن الأعلام فى الحجازية وترك ذلك فى التميمية إلى غير ذلك؟ قيل: هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته محتقر غير محتفل به، ولا معيج عليه، وإنما هو فى شىء من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به»[1] وهذا فى اللهجات العربية الشمالية والجنوبية بعد التوحد.

---

(١) يستثنى من ذلك بعض المظاهر اللهجية فى اليمن قبل الإسلام بزمن طويل حين كان للهجة اليمن خصائصها التى جعلت بعض اللغويين يكاد يرى أنها ليست من العربية فى شىء كما نقل ذلك عن أبى عمرو بن العلاء الذى يقول: (ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا) وابن جنى الذى يقول: (لسنا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة (بنى نزار) وابن خلدون الذى يقول: (وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصريف كلماته إلخ). انظر كتابنا: اللغة العربية خصائصها وسماتها ط ٣ ص ١٤٠، ١٤١.

ومع توحد هذه اللهجات تحت لغة عامة فإن بقايا اللهجات كانت تجرى على الألسنة فى نطاق بيئاتها المتعددة وظهر أثرها فيما كان النبى ﷺ يفعله من مخاطبة كل الوفود والقبائل التى ترد عليه بلغاتها وحديثه ﷺ: «**ليس من امبر امصيام فى امسفر**»[1] مما قاله الرسول لبعض اليمنيين وفيه استعمل المصطفى ﷺ (ام) للتعريف مكان (ال) على طريقة اليمنيين وذلك يعرف فى اللهجات العربية باسم: (طمطمانية حمير) وقد قال على -رضى الله عنه-: يا رسول الله: نحن بنو أب واحد وأم واحدة ونراك تكلم العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى).

وقد ظهر أثر هذه اللهجات فى قراءة القرآن الكريم فيما أوضحته بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات العربية المتعددة والحديث الذى رواه البخارى ومسلم والنسائى عن أبى بن كعب واضح فى هذا الصدد وفى نهايته:

«أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف».

وقد أخذ العلماء يشرحون هذا الحديث ويبينون وجوهه وما أريد بالسبعة فيه حتى جعل السيوطى من ذلك بابا لعرض هذه الآراء واستيفائها وهى تربو على الثلاثين[2].

ولما أخذ العلماء فى كتابة اللغة وجمعها وتدوينها نظروا إلى اللهجات على أنها شىء لا ينبغى الاهتمام به لأن المهم هو الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم ويمكن فهمه على أساس دراستها وكذلك فهم سنة النبى الكريم وهنا توافروا على الاهتمام بالفصحى ونبذ اللهجات كما خشوا أن يؤدى جمعهم للهجات إلى عدم جمع الكلمة الإسلامية ونقض الوحدة بين الأمة وأخذ العلماء ينظرون إلى اللهجات على أنها انحراف عن اللغة المثلى ونسبوها إلى العامة والسوقة ورموا بعضها بالرداءة أو المذمة كما فعل ابن فارس فى كتابه (الصاحبى): (باب الردىء والمذموم من اللغات) واقتبس السيوطى كثيراً مما ذكر فيه من اللهجات وقد اقتصر

---

(١) شرح المفصل ١٠/٣٤.

(٢) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الثانى عشر. وانظر كتابنا: القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث ط٢ ص٧٢ وما بعدها.

رواة اللغة فى الأخذ عن قبائل معينة بحجة أنها فصيحة دون غيرها مثل قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وبعض الطائيين[1].

وحين وضعت قواعد النحو واللغة لم ينظروا إلى اللهجات إلا على أنها تنضوى تحت إطار اللغة العامة، فحاول النحاة صهرها فى بوتقتها، وإخضاعها للقوانين اللغوية العامة إن طوعا وإن كرها، فإذا ثأبت عليهم رموها بالقبح أو الشذوذ أو الرداءة.

وقد روى ابن نوفل قال: سمعت أبى يقول لأبى عمرو بن العلاء: أخبرنى عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقال: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات[2].

وقد ألفت فى اللهجات بعض الكتب الخاصة التى تحددها وتبين بعض ألفاظها، وكانت تسمى كتب (اللغات) وهى كثير منها كتاب (اللغات) للأصمعى، وكتاب (اللغات) لأبى زيد الأنصارى وكتاب (اللغات) للفراء وكتاب (اللغات) لابن دريد وغيرها مما لم يصلنا ومما وصلنا منها كتاب (اللغات فى القرآن) أخبر به إسماعيل بن عمر المقرئ عن عبدالله بن الحسين بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس[3]، وكتاب (ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل) لأبى عبيد القاسم ابن سلام[4]، ويتصل هذان الكتابان بالنواحى الدلالية أكثر من غيرها، ففيهما كثير من اللهجات المنسوبة لقريش وتميم وهذيل وقيس وغطفان وثقيف وحمير والأزد وطيئ وهمدان وخزاعة وحضرموت وخثعم ومذحج وسبأ إلى غير ذلك، وفى القرآن بعض الألفاظ غير العربية فارسية ورومية ونبطية وسامية.. إلخ كذلك كتب التفسير وعلوم القرآن تحوى كثيرًا من اللهجات[5].

---

(١) المزهر ١/ ٢١١، ٢١٢. (٢) المصدر السابق ١/ ١٨٤، ١٨٥.

(٣) حققه ونشره صلاح الدين المنجد ط الرسالة ١٩٤٦م.

(٤) طبع مع تفسير الجلالين دار القلم ١٩٦٦ ونقل عنه السيوطى فى النوع السابع والثلاثين بالإتقان ١/ ١٧٥ وما بعدها.

(٥) انظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى والإتقان للسيوطى وغيرهما.

وإلى جانب ذلك المعاجم اللغوية فهى تشتمل على ثروة عظيمة من لهجات العرب كالجمهرة لابن دريد والتهذيب للأزهرى ولسان العرب لابن منظور الذى جمع مواد اللغة العربية التى تبلغ ثمانين ألف مادة، كذلك كتب النوادر كنوادر أبى زيد فيها بعض الجوانب اللهجية وكتب النحو كذلك وإن كانت لا تهتم كثيراً باللهجات لأنها (تتناول اللغة بالتقنين والتنظيم ولو أعطى النحاة اللهجات حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التى تبعد عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية)[1]، وفى كتاب سيبويه إشارات واضحة إلى هذه اللهجات كأن يقول «قوم من العرب يقولون»[2] أو ناس من العرب[3] أو بعض العرب الموثوق بهم[4] إلى غير ذلك، وسيبويه يصف اللهجة أحيانًا بأنها جيدة[5] وأحيانًا أخرى بأنها رديئة[6] أو رديئة جداً أو ضعيفة أو قليلة خبيثة[7].

وقد اهتم النحاة المتأخرون باللهجات اهتماما كبيرًا كابن مالك والرضى والسيوطى «ولابد لنا من التنبيه على أن الرواة والعلماء لم يدونوا اللهجات على مناطق العرب قبل تهذيب قريش للغة ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الإسلام وأشياء أصابوها فى أشعار العرب مما صحت روايته قبيل ذلك»[8].

وفى القرن الرابع بدت نظرية ابن جنى فى العناية باللهجات، وعدها حجة إذا كانت موافقة للقياس أو مخالفة له، فما وافقه قيس عليه، وما لم يوافقه حفظ ولم يقس عليه، وقد وضع تفصيل ذلك فى «باب فى اختلاف اللغات وكلها حجة»[9] وهو يعنى بذلك جواز استعمال اللهجات جميعًا.

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٥٧، ٥٨.
(٢) الكتاب ١/ ١٦٤.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٥٤.
(٤) المصدر السابق ١/ ٣٢٤.
(٥) المصدر السابق بتحقيق الأستاذ هارون ١/ ٨٢، ٢٠٥، ٣/ ٤٠٧.
(٦) المصدر السابق ط بولاق ٢/ ٢٩٤.
(٧) المصدر السابق ٢/ ٣٥٨.
(٨) تاريخ آداب العرب ١/ ١٢٠، ١٢١.
(٩) الخصائص ٢/ ١٠، والمزهر ١/ ٢٥٧.

وقد وضع ابن جنى فى هذا الباب قواعد لقبول اللهجة أو ردها.

١- فتقبل اللهجتان أو اللهجات إذا كانت على قدر واحد من الاستعمال والقياس وهذا معنى قوله بقبول اللهجتين إذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين.

وطبق ذلك على لغتى الحجازيين والتميميين فى (ما) فلغة التميميين فى ترك إعمالها يقبلها القياس، ولغة الحجازيين فى إعمالها -كذلك- يقبلها القياس لأن لكل واحد من القولين ضربا من القياس يؤخذ به، ويخلد إلى مثله[1].

لكن لك أن ترجح إحداهما على الأخرى إذا كانت أقوى قياسًا أو أكثر استعمالا فقال: لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أُنْسًا بها».

ويصرح فى موضع آخر بأن التميمية أقوى قياسًا من حيث كانت عندهم كهل[2].

ومع ذلك يفضل ابن جنى الأكثر استعمالا فى القرآن يقول: (إلا أنك إذا استعملت شيئًا من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية ألا ترى أن القرآن بها نزل).

وليس معنى ذلك أنه يناقض نفسه لأنه جعل القضية دائرة على أساس الاختيار بين قوة القياس وكثرة الاستعمال وهو يفضل ما كثر استعاله على ما قوى قياسه.

أما ما تساويتا فيه قياسًا واستعمالا فأنت بالخيار فيه، ومع ذلك وردت اللهجة التميمية فى بعض القراءات كما فى قراءة ﴿مَا هَذَا بَشَراً﴾ [يوسف: ٣١] (بشر) بالرفع و﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢] - برفع (أمهاتهم) ـ ولذا قدم فى كلامه الاستعمال على القياس.

(١) قياسها عند بنى تميم أنها حرف مشترك بين الأسماء والأفعال ومن حق الحرف المشترك أن يكون مهملا فهى كهل، قال سيبويه: (وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل، وهى القياس لأنها ليست بفعل وليس ما كليس ولا يكون فيها إضمار) الكتاب ١/٢٨.
وقياسها عند الحجازيين شبهها بليس فى ثلاثة أمور: الدلالة على النفى فى الحال، ودخول كل منهما على المبتدأ والخبر، واقتران الخبر بعد كل منهما بالباء مثل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، - ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].
(٢) الخصائص ١/١٢٥.

٢- إذا كانت إحدى اللهجتين أكثر استعمالا، وأقوى قياسًا من الأخرى فالمختار الأكثر استعمالاً الأقوى قياسًا، قال: فأما أن تقل إحداهما جداً، وتكثر الأخرى جداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية، وأقواهما قياسًا، ألا تراك لا تقول: مررت بك -بفتح الباء- ولا المال لك- بكسر اللام- قياسا على قول قضاعة: المال له -بكسر اللام- ومررت به- بفتح الباء- ولا تقول: أكرمتكش قياسا على لغة من قال: مررت بكش وعجبت منكش[1].

والأساس هو كثرة الاستعمال - على ما يبدو - وإن اعتمد معه قوة القياس -ليزيد الأمر وضوحًا - فالقياس على قول قضاعة قياس لا يعضده كثرة الاستعمال، مع أن كسر اللام يمكن أن يكون له وجه من القياس على المفرد الظاهر مثل (له) و(لزيد) والكشكشة ربما كانت موضحة للمؤنث وفارقة بينه وبين المذكر قياسًا حال الوقف.

٣- جواز استعمال اللهجة القليلة الاستعمال، الضعيفة فى القياس فى الشعر والسجع، وهو فى نظر ابن جنى مقبول عند الاحتياج إليه وغير منعى عليه فهو فى ذلك جرى على لهجات العرب وسننها، فلو استعملها إنسان لم يكن مخطئا لكلام العرب، لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ.

والجودة تأتى بكثرة الاستعمال، وقوة القياس، وهذا فيما وضع فى عصور الاحتجاج، أما كلام المولدين فلا يحتج به[2].

وهذا هو الأزهرى ينقل الروايات المتعددة عن قول العرب: ماء ملح ومالح وأن المسموع كثيرا هو ملح لا مالح الذى لم يجئ إلا فى بيت العزاز:

بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والطريا

ونقل عن يونس أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول (ماؤها مالح) وأنه يقال: سمك مالح وأحسن منه سمك مليح ثم قال الأزهرى:

هذا وإن وجد فى كلام العرب قليلاً فهى لغة لا تنكر[3].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٠.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٢.

(٣) التهذيب ٥/ ٩٨، ٩٩.

وهذا مما أعطى اللهجات أهمية لغوية يمكن أن يفاد منها فى اللغة والقراءات ويبعد بها عن الذم والتجريح، وكانت منطلقا لرد نقد النحاة لبعض القراءات وادعاء مخالفتها للفصاحة[١].

ولكننا لو ألقينا نظرات فاحصة على دراسة ابن جنى للهجات وهو مَنْ هو فى اللغة والنحو لوجدناه يسلك الطريق السديد فى معرفة اللهجات واحتجاجه بها ولها فلم يكن نحوياً عادياً يجمع ثم يكتب بطريقة تقليدية بل اعتمد على مصادر موثوق بها فى الوصول إلى هدفه وهى مشافهة الأعراب[٢].

وقد لاحظ الدكتور الراجحى ذلك صفة واضحة عند ابن جنى فقرر «أن أبا الفتح يدرك ما للمصدر البشرى من قيمة كبيرة فى استقاء اللغة، هذا المصدر الذى يعتمد عليه دارسو اللهجة فى المقام الأول والذى يسمونه the informer وفرق بين المشافهة لصاحب اللهجة وبين روايتها بطريق السماع عنه[٣] وقد نقل قوله فى ذلك:

«فليت شعرى إذا شاهد أبو عمرو وابن أبى إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعى ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما فى أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه غير متهم الرأى والنحيزة والعقل»[٤] فلا غرو -إذا- أن يكون للهجات نصيب كبير فيما وصلنا له من آثار علمية.

وكان ظهور اللهجات فى كتب ابن جنى ثمرة من ثمرات فكره وعلمه الغزير فقد درس اللغة وأبرز سماتها الخاصة وملامح جمالها وحيويتها وتوليدها واتساعها بمظاهرها المتعددة من الأصوات والاشتقاق والقياس والدلالة بما تشمله من معان

(١) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات. وكتابنا: القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث ط٢ ص٨٥ وما بعدها.

(٢) انظر ص ٢٩٤ من رسالتنا للدكتوراه عن (ابن جنى اللغوى).

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٦١.

(٤) الخصائص ١/٢٤٨.

متطورة ومتقابلة أو متلاقية وكل ذلك له صلة باللهجات التى هى المصدر الوثيق لكل ما وضع من مبادئ وما أرسى من دعائم وقد حرص دائمًا على بيان هذه الصلة فى دراسته لها، والباحث يرى فى كتبه لهجات للقبائل الآتية: قيس -بنى سليم- هذيل- عقيل- الحجاز وتميم- الأنصار- أزد السراة- بنى كلاب- بنى أسد- ربيعة- هذيل، وهذه اللهجات لها ما يسوغها من البيئة التى نشأ بها أصحابها فهناك بيئة البادية وبيئة الحاضرة ولكل منهما آثار على أهلها جسمياً واجتماعياً وفكرياً كما أن لها أثرا ملحوظًا فى كلامها واتجاهاتها الصوتية والمعنوية ولا ريب أن عالمنا ابن جنى قد أورد هذه اللهجات ليوضح خصائص العربية وسماتها المميزة أو ليحتج بها لقراءة وصفت بالشذوذ عند غيره.

وقد أبرزت كتب لغوية متعددة ألوانا ومظاهر من اللهجات العربية ككتاب فقه اللغة لابن فارس وفقه اللغة للثعالبى والأمالى للقالى، وأدب الكاتب لابن قتيبة وشرح الفصيح للبطليوسى ولابن درستويه ولابن خالويه ومعجمات اللغة وغيرها.

وكان أصحاب هذه المؤلفات يعبرون عنها (باللغات) ولم يظهر مصطلح اللهجات واضحًا إلا فى العصر الحديث الذى برزت فيه دراسة اللهجات واعتنى بها كثيرًا وظهرت فيها البحوث العلمية الجادة.

وقد وردت إلينا بعض الشواهد القليلة من الأبيات الشعرية وبعض الآثار الأدبية الأخرى التى تحمل طابع اللهجات المنزوية المقهورة، ويتمثل ذلك فى بعض ما ورد من الآثار التى صحت روايتها فى العصر الجاهلى والإسلامى أو ما سمعه الرواة من أفواه العرب المعاصرين لهم فى البدو والحضر.

ولم يكن همّ رواة اللغة حصر أنواع اللهجات وجمع كل نصوصها وشواهدها والعناية بحفظها من عوادى الزمن لتؤكد الجوانب اللغوية المتنوعة بين القبائل وتجعل لها تاريخًا يوضح آثارها وملامحها وصفاتها وما عرض لها من تغير مع مرور الزمن على لسان القبائل الناطقة بها وما بينها من صلات القرب أو البعد.

ولو أنهم فعلوا ذلك لأفادوا العربية إفادة كبيرة لتفسير أمورها والغامض من أسرارها.

مظاهر اختلاف اللهجات

إن الناظر فيما وصل إلينا من آثار هذه اللهجات يجدها تتنوع بين ما يتصل بالجانب الصوتى وما يتصل بالجانب الدلالى.

فما يتصل بالجانب الصوتى يتجلى فى الاختلافات التى تبدو فى تغير بعض الحروف والحركات من قبيلة إلى أخرى أحيانًا، وهذا ما يطلق عليه اللغويون اسم (الإبدال)[1] وعلى ذلك تختلف بنيتها وصيغتها، كما يمكن أن تختلف الحركات الإعرابية وغيرها من وجوه النحو بين القبائل، ويمكن أن يتقدم حرف على آخر فيما يسمى ظاهرة (القلب المكانى)، وقد يلاحظ الاختلاف بين القبائل فى حذف بعض الحركات أو الحروف أو زيادتها، وهذا كله يتعلق بالجانب الصوتى.

أما ما يتصل بالجانب الدلالى فيبدو فى اختلاف القبائل العربية فى معانى الألفاظ وتنوع دلالتها وقد نشأ عن تنوع الدلالة ظهور المشترك والمتضاد والمترادف فى ألفاظ العربية.

ومن ذلك ما روى أن أبا هريرة ـ وهو دوسى ـ[2] قال له النبى ﷺ يومًا: ناولنى السكين ـ وكانت قد وقعت من يده - فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد بلفظ السكين، فكرر له القول ثانية وثالثة، فلم يفهم، ثم قال أبو هريرة: آلمدية تريد؟ فقيل له: نعم، فقال: أو تسمى عندكم سكينا؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ.

وقد ينفرد عربى ببعض ما تقدم دون أن نعرف القبيلة التى سمع منها ذلك بأن تجمع العرب على نطق معين أو معنى خاص، ثم يسمع من أحدهم ما يخالف ذلك مما لم يسمع من غيره.

---

(١) ستتحدث ـ إن شاء الله ـ عنه تفصيلا بعد قليل ونتحدث أيضًا عن أهم المظاهر الأخرى.

(٢) دوس بطن من الأزد.

وقد ذكر ابن جنى بعض ذلك فى خصائصه فى أبواب منها: (باب فيما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور)[1] و(باب فى الشيء يسمع من العربى الفصيح لا يسمع من غيره)[2]، وقد ذكر ابن جنى تفسير هذا الوارد بأنه إذا كان العربى فصيحا فى غير ذلك وكان ما جاء به مما يقبله القياس إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان فإن الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به وألا يحمل على فساده... ويمكن أن يكون ذلك قد وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها، وعفا رسمها، وتأبدت معالمها[3].

وإما أن يكون شيئًا ارتجله كابن أحمر الذى ثبتت الشهادة بفصاحته، والأعرابى إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به، وقد حكى عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظًا لم يسمعاها ولا سبقا إليها، وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، فيحمل الأمر على ما يبدو وإن كان يحتمل غير ذلك، فمن شهرت فصاحته يقبل منه ما يورده، ويحمل أمره على ما عرف من حاله، لا على ما عسى أن يكون من غيره، وذلك كقبول القاضى شهادة من ظهرت عدالته، وإن كان يجوز أن يكون الأمر عند الله بخلاف ما شهد به، فالقاضى مأمور بحمل الأمور على ما تبدو لا على العمل بما عند الله لأنه لم يقع له به العلم[4].

أما إذا كان ما سمع منه يخالف القياس كرفع المفعول، وجر الفاعل، ورفع المضاف إليه، فينبغى أن يرد ذلك لأنه جاء مخالفا للقياس والسماع جميعًا.

وإذا كان العربى الذى سمع منه ذلك مضعوفًا فى قوله مألوفًا منه لحنه وفساد كلامه فالصواب أن يرد ذلك عليه ولا يقبل منه[5].

---

(١) الخصائص ١/ ٣٨٥-٣٩١.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢١-٢٨ وانظر ما نقله السيوطى فى المزهر ١/ ٢٥٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٨٦.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٣-٢٧.

(٥) المصدر السابق ١/ ٣٨٧، ٣٩١.

وإذا سمع ما هو ضعيف فى القياس من عدد كثير فالمحتمل أحد أمور:

١- أن يكون من نطق به لم يحكم قياسه على لغة آبائهم.

٢- أن يكون السامع قصر فى استدراك وجه الصحة.

٣- أن يكون هذا الضعيف الوجه قد تسرب إلى لسان هذا الفصيح من لغة غير فصيحة فاسدة الأصل ترددت على سمعه كثيرا فسرت فى كلامه، مع صحة لغته فى غيرها، فكأنه جمع بين لغتين، الأولى فصيحة هى لغته، والأخرى فاسدة انتقل لسانه إليها فى هذا الأمر الفاسد فقد يتوهم من يسمع فصاحته أن يقبل منه الفاسد ويدخل عليه ظنا أنه فصيح كلغته السائدة.

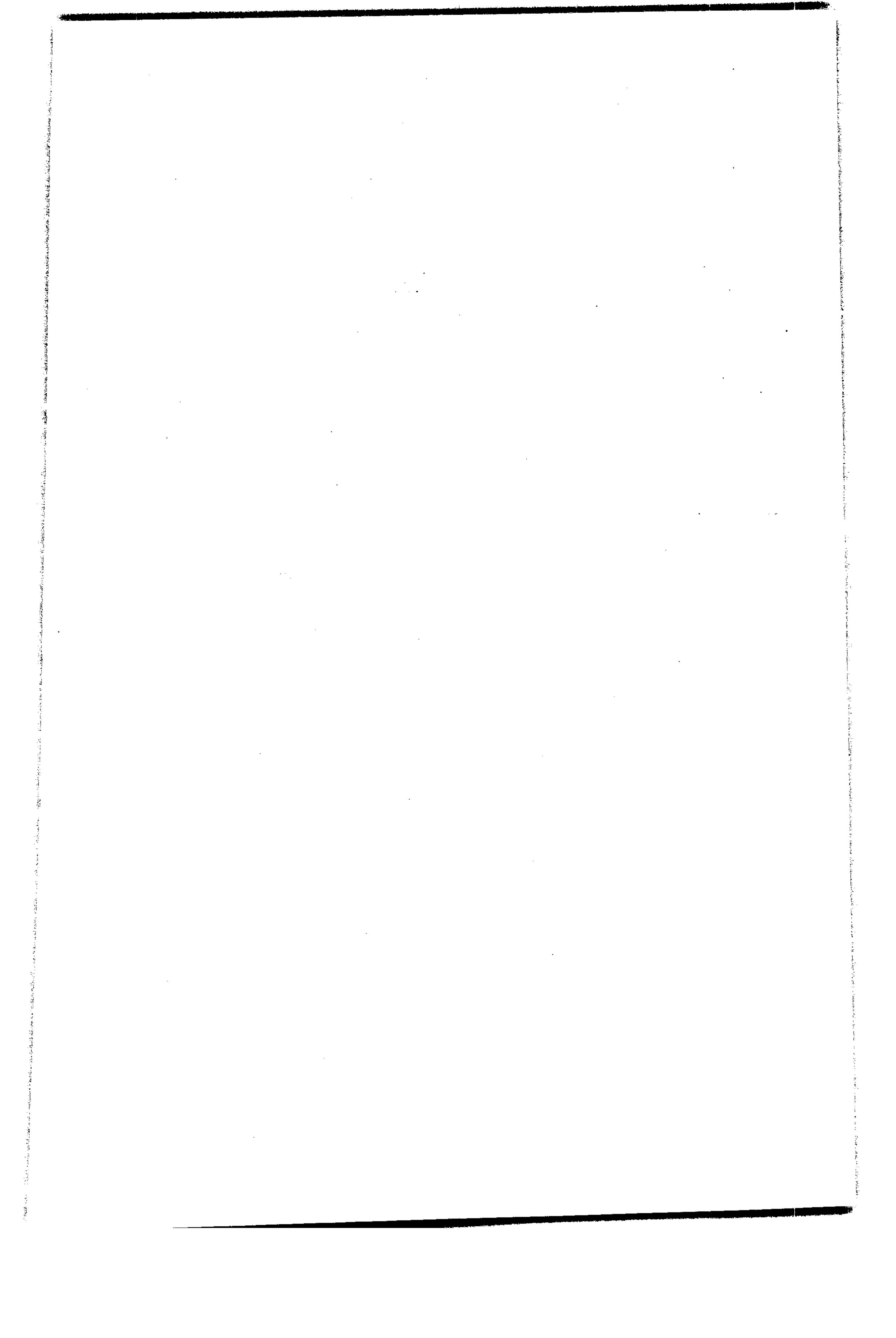
وهذا جائز إذا سلمنا بأن العربى ينتقل لسانه، وقد ينتقل إلى لغة فصيحة أحيانا، وإلى لغة فاسدة أحيانًا أخرى.

ويستبعد ابن جنى الاحتمال الثالث باعتبار أن العربى الفصيح ينفر من الخطأ فى اللغة، فلا يطاوعه لسانه عليه (فالفصيح إذا عدل به عن لغة فصيحة إلى أخرى سقيمة عافها، ولم يبهأ بها) وقد جرب ذلك ابن جنى بأن سأل أبا عبد الله الشجرى ـ وهو أعرابى فصيح ـ ومعه ابن عم له دونه فى الفصاحة يسمى غصنا، فقال لهما: كيف تحقران حمراء؟ فقالا: حميراء، قال لهما: فسوداء؟ قالا: سويداء، ووالى ابن جنى من ذلك أحرفا أخرى، وهما يجيئان بالصواب قال ابن جنى: فدسست فى ذلك (علباء) فقال غصن ـ الضعيف فى الفصاحة ـ: (عليباء)، وتبعه الشجرى، فلما هم بفتح الياء تراجع كالمذعور، ثم قال: آه: عليبى، ورام الضمة فى الياء.

ودلل ابن جنى بذلك على أن العرب ـ ولا سيما أهل الجفاء وقوة الفصاحة ـ يستنكرون خلاف اللغة استنكارهم زيغ الأعراب، ويتنبهون إلى زيغ الأعراب أكثر من خلاف اللغة لاعتمادهم على سماع لهجات كثيرة غير ما ينطقون به من ألسنة إخوانهم المجاورين لهم أو البعيدين عنهم[١].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٥، ٢٦.



الفصل الأول

الإبدال وأثره فى اللهجات

تعريفه: فى اللغـة مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمتـه مقامه[1] والأصل فيه: جعل شيء مكان شيء آخر[2].

وفى الاصطلاح: جعـل حـرف مكان آخـر مع الإبقـاء عـلى سـائر أحـرف الكلمة[3]. وينظر إليه الـلغويون على أنه جعل حـرف مكان آخر أو حـركة مكان أخرى.

والإبدال نوعان:

١- مطرد عند جميع العرب وهذا إذا استـوفى شرطه وجب تنفيذه وهو الخاص بحروف (هدأت موطيا) وقد تكفل علم الصرف بدراسته.

٢- الإبدال غير المطرد، وهو الذى لا يخضع لشرائط خاصة بحيث إذا لم ينفذ عد مخالفة مرتكبا سبيل الشذوذ وهذا لا يكون عند العرب جميعا ولكن يتنوع بين القبائل[4] فقبـيلة تقول أن وأخرى عن وهذا هو الذى تتنوع عن طريقـه اللهجات العربيـة ويمكن الانتفاع به فى دراسـتها كمـا يمكن الربط بين الألفاظ المتشـابهة فى

---

(١) شرح التصريح ٢/٣٦٦ ولسان العرب ١٣/ ٥٠، ٥١.

(٢) اللسان ١٣/ ٥٠.

(٣) فى كتب التصريف تفـريق بين الإبدال والتعويض والقلب وبيان للنسبة بينهـا فهى تعرف الإبدال بأنه: جعل حرف مكان آخر مطلقا والتعويض بأنه جعل حرف خلفا عن حرف آخر أو أكثر سواء كان المعوض فى غير مكان المعوض منه مـثل عدة وابن أو فى مكانه نحو اصطبـر ومخيريج فى تصـغير مسـتـخرج، فكل إبدال تعويض ولا عكس، والقلب هو: جعل حـرف من حروف العلة والهمزة مكان حرف منهـا مثل قام وقائم فكل قلب إبدال ولا عكس، وقـد خرج التـعويض عن تعـريف الإبدال بقيد المـكان. وخرج القلب بقـيد الإطلاق إذ هو يختص بكون المبدل فى مكان المبدل منه ولا يختص بحروف العلة، ومن راعى الاختصاص جعل بينها التباين، انظر الأشمونى مع الصبان ٤/٢٧٩، ٢٨٠ والتصريح ٢/٣٦٦ والخصائص ١/ ٤٦٥، ٢٦٦ والأشباه والنظائر ١/ ١٢٣- ١٢٥ ومقدمة الإبدال لأبى الطيب اللغوى ١/ ٩.

(٤) فقه اللغة د. نجا ص٢٦، ٢٧ واللهجات العربية ص٥٥.

اللغات السامية[١] فالعربية والسـريانية والعبرية وغيرها من أخـواتها ترجع إلى لغة واحدة هى السامية الأم إلا أنها اختلفت لاخـتلاف البيئات والأحوال وأحيانا يكون هذا الإبدال قياسيا، فـالثاء فى العربية تقابلها الشين فى العبـرية والتاء فى السريانية فـ(يثب) العربية يقابلها (Yashav) العبرية و(Yateb) السريانية وأمـثلة هذا التبادل كثيرة فى الأخوات الساميات[٢].

كما يمكن الربط عن طريق الإبدال بين اللغات الإنسـانية بعضها وبعض بكشف أوجه التشابه والاختلاف فى الأصوات كما فى (Cable) الإنجليزية و(كبل) و(حبل) فى العربية ويترتب عليه انتقال الكلمات من لغة إلى أخرى وهذا يكشف عن تفرع اللغات الإنسانية من أصل واحد ويمكن إجـراء مثل هذا النوع من البحوث الإبدالية بين العربية واللغـات الأخرى وتحديد الأصل فى هذه اللغات والمنقـول وهى عملية مطروحة للبحث والدراسة لكنها تحتاج إلى حيـدة علمية ودلائل موضوعية لإثبات الأصالة والفرعية فى اللغات ولعلنا نستطيع ـ إن شاء الله ـ أن نقوم بنوع من هذه البحوث فى دراسة مـقارنة بين العربية وغيرهـا لنضع الحقيقة الناصعـة أمام العيون بسبق العربية لسواها من اللغات الأخرى وإثبـات قدمها الراسخة فى وضع الألفاظ والدلالات اللغوية.

لهذا وغيره من المزايا كانت تلك الظاهرة مثار البحث بين علماء اللغة.

****

(١) فقه اللغة للدكتور محمد المبارك ص٥٠.

(٢) الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان ص٣٦، ٣٧ وفيه أمثلة للإبدال فى العبرية والآشورية.

آراء العلماء فى الإبدال

لما كانت ظاهرة الإبدال تمثل قدرا كبيرا فى تفسير ما قيل إنه من اللهجات العربية أرى من الضرورة العلمية ذكر آراء العلماء فى قضية الإبدال، وما حكموا فيه بتطور الألفاظ بعضها عن بعض أو ما نشأ منها عن طريق اختلاف اللهجات، وأسباب هذا الحكم أو ذاك.

وقد أولى ابن جنى هذه الظاهرة عناية فائقة فى بعض كتبه، ونسب إليه رأى أصبح شائعا فى أوساط اللغويين ممثلا للرأى القديم عند علماء اللغة العرب، ولذا كان علينا أن نورد رأيه مدعما بأدلته، ونبين من تابعه عليه من القدامى والمحدثين، ثم نذكر علاجا حديثا لهذه المشكلة اللغوية ليتضح تفرع الألفاظ العربية المختلفة فى بعض الحروف وطرق نشأتها، هل حدثت بطريق الإبدال والتطور الصوتى أو المعنوى أو نشأت عن لهجات متعددة لا صلة لإحداها بالأخرى؟ وبهذا نكشف نوع الصلة بين بعضها وبعض، ونضع أساسا صالحا للتفسير اللغوى الذى نرتضيه فيما حدث من اختلاف لفظى أو معنوى بين القبائل فيما يمكن تفسيره على أنه من الإبدال أو اختلاف اللهجات.

رأى ابن جنى:

إن ابن جنى قد عرض للإبدال كظاهرة لغوية لها أهميتها فخصص لها قدرا كبيرًا من مؤلفاته ـ كما ذكرنا ـ ويكفينا دلالة على هذا الاهتمام قوله فى اعتزامه أن يشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والإبدال «ونحن نعتقد إن أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والإبدال فإن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك أن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس[1].

ورأى ابن جنى يتلخص فى أنه نظر إلى كل كلمتين اتحدتا فى جميع الحروف إلا حرفا واحدا واتحدتا فى المعنى على أنهما تارة يكونان من الإبدال وأخرى من

(١) الخصائص ٢/٨٨.

اختلاف اللغات (اللهجات) وقد وضع مقياسا للحكم على الكلمتين متى تكونان من قبيل الإبدال ومتى تكونان من اختلاف اللهجات؟

«فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصلين كل واحد منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك فإن دل دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة»[1]، وقد تبين من كلامه العديد فى سر الصناعة والخصائص أن مقياسه هو أن اللفظين إذا تساويا فى الاستعمال والتصرف «فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منه بحمله على ضده» وعلى هذا فكل لفظة لغة لقوم بأعيانهم يقول فى سر الصناعة: علث الطعام - وغلثه والنشوع والنشوغ لغات كلها لاستوائها فى الاطراد والاستعمال[2] ويقول فى الخصائص «هتلت السماء وهتنت هما أصلان ألا تراهما متساويين فى التصرف يقولون هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهتل تهتالا وهى سحائب هتّن وهتّل[3] ويقول فى موضع آخر: «فأما قولهم إناء قربان وكربان إذا دنا أن يمتلئ فينبغى أن يكونا أصلين لأنك تجد لكل واحدة منهما متصرفا أى قارب أن يمتلئ وكرب أن يمتلئ»[4] فمن النصوص السابقة نفهم وجهة نظره فيما إذا تساوت الكلمتان فى

---

(١) الخصائص ٢/ ٨٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٧، ٢٤٨، علث وغلث الطعام: خلطه، والمادتان مذكورتان فى المعاجم (اللسان ٢/ ٤٧٤، ٤٧٨) ولعل إحداهما ناشئة عن الأخرى بطريق التصحيف، ومادة (نشع) - بالعين - فى المعاجم دون الغين، والنشوع هو السعوط والوجور الذى يوجره المريض أو الصبى والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم، ويقال: نشع الطيب: شمه (اللسان: ١٠/ ٢٣٢).

(٣) ٢/ ٨٢ بتشديد التاء المفتوحة فى هتّن وهتّل وتتفق اللام والنون فى المخرج وهو طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما الراء وتتفقان فى جميع الصفات وهذا يسوغ التبادل بينهما وقد جزم ابن جنى بأنهما أصلان يعنى أنهما فى لهجتين مختلفتين وليسا من الإبدال وقد ورد فى كتب اللغة ما يؤيد أنهما لهجتان ونسبت الكلمات التى باللام إلى أهل الحجاز وتميم وقيس وكثير من أهل نجد، ونسبت الكلمات التى بالنون إلى بنى سعد من مضر وبعض كلب (البحر ١/ ٣١٨ والتهذيب ١٥/ ٣٩٤ والقلب والإبدال ٢٨٧).

(٤) ٢/ ٨٦ ولا مانع من التبادل بين القاف والكاف لأنهما من مخرج واحد وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويتفقان فى الانفتاح والإصمات والهمس - على رأى المحدثين فى القاف - ويمكن نسبتهما إلى اللهجات أيضا، ولعل القاف مناسبة للقبائل البدوية لأنها من الأصوات المستعلية والكاف للقبائل الحضرية لاستفال الكاف ورقتها.

التصرف والاستعمال وهى أن تكون كل منهما لغة (لهجة)، أما إذا لم تتساو الكلمتان تصرفا واستعمالا بأن كانت إحداهما أكثر تصرفا أو أدور استعمالا فإنهما حينئذ من قبيل الإبدال وتكون الكلمة الكثيرة التصرف أو الاستعمال هى الأصل[1] والقليلة هى الفرع[2] وهذا يتضح لنا أيضا من كلام ابن جنى نفسه يقول فى الخصائص: «رجل خامل وخامن النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وذلك قولهم خمل يخمل خمولا وكذلك قولهم قام زيد فُمّ عمرو الفاء بدل من الثاء فى ثم ألا ترى أنه أكثر استعمالا»[3] ويقول فى سر الصناعة: «وأما قولهم فى الدرع نثرة ونثلة فينبغى أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفا فهى الأصل»[4] ويقول فى موضع آخر: «يقال تركته وقيذا أو وقيظا والوجه عندى والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [المائدة: ٣] بالذال ولقولهم وقذة يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوظة فالذال إذًا أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها هى الأصل»[5].

ويمكن بعد هذا أن نقول إن رأى ابن جنى هو: الكلمتان المتحدتان فى جميع الحروف ما عدا حرفا واحدا يكونان.

---

(١) المبدل منه. (٢) المبدل.

(٣) ٢/ ٨٤ ولا مانع من التبادل بينهما لتوافر العلاقة الصوتية فهما شفويان ومتفقان فى جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفاء والإصمات للثاء، ويجوز أن تكون كل منهما أصلا دون النظر إلى حكم ابن جنى بأصالة الثاء لكثرة التصرف، ومن الجائز نسبتهما إلى اللهجات على أن تكون الفاء للحجاز والثاء لتميم.

(٤) ١/ ٢٠٦ ومعانى المادتين متقاربة، فهما تدوران حول التفريق ونقل الشيء من مكان إلى غيره، ونثر معروفة فى التفريق ونثل: منها نثل الركية أخرج ترابها، ونثل كنانته: أخرج ما فيها من النبل، ونثل اللحم فى القدر وضعه فيه مقطعا، ومقياس التصرف ليس هو الأساس المطرد لمعرفة الأصل فيجوز أن يكون كل من الراء أو اللام أصلا أو أن اللام نشأت لثغة عن الراء أو كل منهما أصل فى لهجتين مختلفتين والراء لتميم واللام للحجاز (التهذيب ٢/ ٣٨٢، ٨/ ٩١، ١٢/ ٣٥٥، ١٣/ ١٥٨، ٢٥٧).

(٥) ١/ ٢٣٣ والتبادل سائغ بينهما لاتفاقهما فى المخرج والصفات ما عدا الاستعلاء والإطباق فى الظاء والاستفال والانفتاح فى الذال، وحكم ابن جنى بكثرة تصرف الكلمة بالذال غير سديد لكثرة تصرف الكلمة بالظاء أيضا كما ورد فى المعاجم (القاموس ٢/ ٤٠٠) واللائق بالأمر أن تكون الظاء فى بيئة بدوية تميل إلى التفخيم والأصوات المستعلية المطبقة، وأن تكون الذال من خصائص بيئة حضرية تميل إلى الترقيق والأصوات المستفلة المنفتحة.

١- **من الإبدال**: إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى وذلك ـ كما نقلنا عنه ـ إذا كانت إحدى الكلمتين أكثر تصرفا أو استعمالا من صاحبتها، وهذا يمكن حدوثه عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا.

٢- **من اختلاف اللهجات**: إذا لم يمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى، وذلك بأن تتساوى الكلمتان تصرفا واستعمالا ويكون عنده قبائل متعددة.

وهذا الحكم المبنى على الشيوع وكثرة التصرف قد تعرض لنقد بعضهم علماء اللغة فوجهته - عندهم - غير صالحة لأن تكون مقياسا علميا سديدا وحددوا وجوه الضعف فى نقاط نجملها فيما يلى:

١- مقياس التصرف لا ينبغى أن يعول عليه لجواز الاستغناء عن تصرفات الكلمة القليلة التصرف بتصرفات كلمة أخرى أو أن الكلمة متصرفة ولم يصل إليها الرواة «وعلى هذا فعدم الاشتقاق فى الظاهر لا يصح أن يكون مقياسا معولا عليه فى الحكم بالفرعية لما سبق».

٢- كثرة الاستعمال الذى يعتبره أصحاب هذا الرأى مقياسا للأصالة والفرعية لا يسير وفق أمر مطرد حتى يتخذ مقياسا لهذا الأمر فالكلمة قد تنتشر فى عصر وتهمل فى غيره مما يجعل الكلمة معرضة للأصالة والفرعية «وهذا ما يجعل ذلك الأساس غير مستساغ»[1].

على أنهم لاحظوا أن ابن جنى نفسه قد أحس بضعف هذا المقياس فى قرارة نفسه وظهر فى تطبيقه له بما يؤكد تشككه فى صلاحيته، يقول فى سر الصناعة: وقالوا خطر بيده يخطر وغطر يغطر فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أقل من صاحبه[2]، ويقول فى

---

(١) اللهجات العربية. د. نجا ص٥٧ وفقه اللغة له ٤/ ٢٩.

(٢) ١/ ٢٤٧، ظاهر أن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل بين الخاء والغين فكلاهما من حروف الحلق من أدناه وتتفقان فى الرخاوة والاستعلاء، ويبدو أن الاختلاف - هنا - اتجه إلى اختلاف اللهجات، والغين للبدو لميلهم إلى الحروف المجهورة والخاء للحضر لميلهم إلى المهموس وهو المشهور فى كتب اللغة.

الخصائص: «فأما قولهم ما قام زيد بل عمرو وبن عمرو فالنون بدل من اللام ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل هذا هو الظاهر من أمره ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأسها[1].

وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا[2] أن ابن جنى ومن تابعه قد تخلوا عن التزام هذا المقياس فيما ورد عنهم مما يجعلنا لا نوقن بالتزامه وحكى عن ابن جنى قوله فى سر الصناعة: «وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات فقد قالوا اجدمعوا فى اجتمعوا واجدزّ فى اجتزّ ومنه قول الشاعر:

فقلت لصاحبى لا تحبسانا ينزع أصوله واجدزّ شيحا

ولكننا عندما ننظر فيما كتبه ابن جنى عن الابدال نجده يستعمل مقياسه فى بيان الأصل والفرع وأجراه تطبيقا على كثير من الألفاظ التى يصدق عليها، فلعله يعده غالبًا وكثيرًا وقد يتخلف أحيانًا، وهذا الحكم الذى اعتمده ابن جنى اعتمده - أيضًا - علم اللغة الحديث وهو الذى قامت على أساسه الدراسات اللغوية وقوانين اللغة العربية.

ويشترط ابن جنى لتطبيق رأيه السابق تطبيقا صحيحا أن يكون الحرفان المختلفان فى الكلمتين متقاربى المخارج ويقوى ذلك بالتماثل أو التقارب فى بعض الصفات أيضا.

ويمكن إدراك هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من أهم مؤلفاته التى أشرنا إليها ومن ذلك قوله: «القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء والهاء والهمزة والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه[3] وقوله فى موضع آخر: ونحو من هذا التقريب فى الصوت قولهم فى سبقت صبقت وفى سقت صقت وفى سلق صلق وفى سويق صويق وذلك أن

(1) ٢/ ٨٤.

(2) اللهجات العربية ص ٥٨ وفقه اللغة العربية ص ٢٩ وسر الصناعة (باب الدال) ١/ ٢٠١.

(3) سر الصناعة ١/ ١٩٧.

القاف حرف مستعل والسين غير مستعل إلا أنها أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد[1]، وكثيرا ما عبر ابن جنى فى الإبدال بأن هذا الحرف أخ لهذا الحرف فالراء أخت اللام والباء أخت الميم والزاى أخت الصاد وهكذا[2]، وهذا الشرط أساسى لتحقق الإبدال ولذلك رأيناه لا يذكر فى كتبه شيئا مما لم يتحقق فيه هذا الشرط مما تباعدت مخارجه مثل خلع وجلع: ذهب حياؤه[3] والزحاليف والزحاليق وفى صدره علىّ حسيفة وحسيكة[4] ولم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط فى أى مثال من أمثلته على هذه الظاهرة اللغوية[5]، وربما أضاف إليها مقويا لها اشتراكها فى بعض الصفات كما قال عن إبدال التاء من السين فى النات وأكيات يريد الناس وأكياس: «فأبدلت السين تا لموافقتها إياها فى الهمس والزيادة وتجاور المخارج»[6] ويقول فى موضع آخر- معللا لقلب الثاء تاء فى افتعل من الثريد-: «وإنما قلبت

---

(١) المصدر السابق ٢٠١ ولا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى بجانب اشتراكهما فى الهمس ومع ذلك فاحتمال اللهجات أمر قائم، وتتأثر السين بأصوات الإطباق فتقلب إليها ونسبت هذه الظاهرة إلى قريش، ويقول أبو حيان: إنه اللغة الجيدة (البحر ١/ ٢٥) ولعل هذه الظاهرة أن تنسب إلى أهل البادية أجدر فصوت الإطباق فيه من الوضوح ما يتناسب مع البيئة الصحراوية (اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٥٠) وقد نسب ذلك إلى قوم من تميم هم بلعنبر أو إلى قوم من اليمن (الجمهرة ٢/ ١٥٤، ١٦٢) وربما كانت الصاد متطورة عن السين فى لهجة البدو (الكتاب: باب ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات ٤/ ٤٧٩، وسر الصناعة ١/ ٢٢٠).

(٢) الخصائص من ص١٤٧ إلى ص١٥٢ ج٢.

(٣) اللسان ٩/ ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٠ والعلاقة الصوتية بعيدة مع الربط بينهما لملابسة ما وربما دخل ذلك التصحيف (من أسرار اللغة ص٥٢).

(٤) المزهر ١/ ٢٦٨ والزحاليف أو الزحاليق آثار تزلج الصبيان من أعلى إلى أسفل، وفى اللسان ١٠/ ٣٩٢: الحسيفة والحسيكة: الغيظ والعداوة والعلاقة متباعدة بين الفاء والكاف ولذا فهما من اللهجات، فالصوت الشديد للقبائل البدوية والرخو للحجازية.

(٥) لم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط بمعنى البعد البعيد كالأمثلة المذكورة وإلا فإنه قال بإبدال السين من الشين فى مثل سده وشده وهما متباعدان مخرجا، ويظهر أن ابن جنى يلاحظ هذا التباعد بين السين والشين فيشك فى الإبدال بينهما، ولذلك لم يصرح فى باب السين بأنها تبدل من غيرها، وقال: ينبغى أن تكون السين بدلا منها بأسلوب التضعيف كما نرى، ولم يلتزم ذلك كثير ممن رووا ألفاظ هذه الظاهرة من القدماء كأبى الطيب اللغوى. انظر كتابه الإبدال جـ١ صحائف ٢٠٥ - ٢٥٢ ومقدمة محققه ص١٠، ١١.

(٦) سر الصناعة ١/ ١٧٢.

تاء لأن الثاء أخت التاء في الهمس فلما تجاورتا في المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدا»[1] ويبدو من ذلك أن ابن جني يقصد بتقارب المخارج اتحادها أو تجاورها.

ويتصل بتمام رأى ابن جنى في هذا الموضوع أن تكون الكلمتان متحدتي المعنى والاشتقاق وإلا فإذا كان المعنى مختلفا أو كان الاشتقاق مختلفا ولكنه أدى إلى تركيب اشتبه فيه ظاهر اللفظين فلا يعتبر هذا من الإبدال كما صرح ابن جنى في مواضع كثيرة فمن الأول ما ذكره عن كلمتى (ثوم وفوم) قال: «وذهب بعض أهل التفسير في قوله عز اسمه ﴿وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١] إلى أنه أراد الثوم فالفاء على هذا بدل عنده من الثاء والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال فومت الخبز أى خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء»[2]، ومن الثانى ما ذكره عن كلمتى (حثحثوا وحثثوا) في التعليق على قول الشاعر:

كأنما حثحثوا حصا قوادمه   أو أم خشف بذى شث وطباق

قال: «فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها وينقل عن أبى علىّ أستاذه قوله: وإنما حثحث أصل رباعى وحثث أصل

(١) المصدر السابق ١/١٨٩، وذلك مثل قولهم: اترد وهو مترد وجاء عكس ذلك يقلب التاء ثاء: اثرد ومثرد واثأر واثنى.

ونرى أن إبدالهما أمر مستقيم لقرب مخرجيهما إذ التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والثاء من طرفه إلا أنه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها فالفرق طفيف جدا والحرفان يتفقان في صفات كثيرة وهى الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات والثاء حرف يحتاج إلى مجهود عضلى في نطقه مما دعا إلى تسهيله والنطق بالتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع أهل البادية الذين يميلون إلى الأصوات الشديدة، على حين يميل الحضر إلى الأصوات الرخوة، (في اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٠- ١٠٧) وربما وقع التصحيف بينهما مثل في لسانه رثة والصواب بالتاء ولث السويق والصواب بالتاء، ويحيى ابن أكتم وهى بالثاء (تثقيف اللسان ٤٨- ٥٣ باب التصحيف إلى ص٧٣).

(٢) المصدر السابق ١/٢٥٢، ولا مانع - كما ذكرنا - من وقوع التبادل بين الثاء والفاء للتقارب في المخارج والاتفاق في بعض الصفات، ولكن اختلاف معنى اللفظين يؤكد عدم الإبدال كما ذهب إليه ابن جنى ووجد في معاجم اللغة ففيها: الفوم: الزرع أو الحنطة وأزد السراة يسمون السنبل فوما وقال بعضهم: الفوم الحمص لغة شامية والفوم الخبز أيضا يقال: فوموا لنا أى اختبزوا وينقل ابن منظور عن الفراء أن الفوم لغة قديمة وهى الحنطة والخبز معا. (اللسان ١٥/٣٥٧).

ثلاثى وليس واحد منهما من لفظ صاحبه إلا أن حثحث من مضاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثة فلما تضارعا بالتضعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما، ثم يقول: وهذا هو حقيقة مذهبنا ـ وإذا قامت الدلالة على أن حثحث ليس من لفظ حثث فالقول فى هذا وفى جميع ما جاء منه واحد وذلك نحو تململ وتملل ورقرق ورقق وصرصر وصرر[1].

موقف العلماء من هذا الرأى:

ونحن إذا استعرضنا آراء العلماء من قدامى ومحدثين فى حل هذه المشكلة اللغوية فإننا نجد من سار على درب ابن جنى كما نجد فى الوقت نفسه من خالفه وربما كانت الموافقة له أو المخالفة فى جانب من الموضوع وهذا يقتضينا أن نناقش أهم هذه الآراء لنقف على مدى الموافقة أو المخالفة فقد وافق ابن جنى فى رأيه السابق بجوانبه المختلفة ابن سيده وابن يعيش[2] وإن كان يبدو لنا من حديث ابن سيده عن الإبدال نوع من عدم الدقة، ومما يؤيد وجهة نظر ابن جنى قول ابن سيده: وأذكر الآن شيئا من المعاقبة وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة (عند القبيلة الواحدة من العرب) وإما لافتراق القبيلتين فى لغتين فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فلا حاجة إلى ذكره فى هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف[3] ويشترط ابن سيده توافر التقارب بين الحروف حتى يصح الإبدال فهو يقول: فأما ما لم يتقارب مخرجا ألبتة فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا[4].

وابن سيده كابن جنى يرى أنه لابد من اتحاد المعنى فى اللفظين حتى يمكن عدهما من باب الإبدال ولابد أن يكون المعنى حقيقيا لا تجوز فيه فبعض العرب

---

(١) سر الصناعة ١/١٩٧، ١٩٨، واضح أن ابن جنى لم يقل بالإبدال لبعد المخارج وإن اتفقت الثاء والحاء فى الصفات، وهى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات ونحن مع ابن جنى فيما ذهب إليه إذ لابد أن تكون المخارج متقاربة للحكم بالإبدال ولابد كذلك أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقا.

(٢) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ٤/٢٧.

(٣) المخصص ١٤/١٩.

(٤) المصدر السابق ١٢/٢٧٤.

يقـول: جمس الودك وجـمـد الماء ولا يقال جـمس الماء ولا جـمد الودك وكـان الأصمعى يخطئ ذا الرمة فى قوله:

ونقرى سديف الشحم والماء جامس[١]

وعلى هذا فإذا قـال بعضهم جـمس الودك وجمد فليس هذا بدلا إذ مع تبـاعد مخـرج السين والدال فى اللفظين لا يمكن الجمع بين معنـييهمـا إلا على ضرب من المجاز[٢]، وفكرة الأصالة والفرعية غير واضـحة عنده ولهذا رأيناه يعقد فى الفصل الواحد أبوابا مـختلفة فمنه البـدل ومنه ما يجرى مجرى الـبدل وباب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه وباب ما يجىء مقولا بحرفين وليس بدلا وباب المحول من المضاعف[٣] وابن يعيش ينقل فى شرح المفصل كـلام ابن جنى وأمثلته وينبه على تقارب المخـارج والصفات بين المتبادلين ويحكم بالأصالة والفرعية تبعا لكثرة التصرف والاستعمال على حسب مـا عـرفناه عن ابن جنى[٤] ومن ذلك مـا قاله فى إبدال الـطاء من التاء فى نحـو اصطبر وفحصت برجلى قال: فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد[٥] وقال عن إبدال الهاء من الهمزة إنهم «أبدلوها منها إبدالا صالحـا على سبيل التخفيف إذ الهمزة حرف شديد مسـتفل والهاء حرف مهموس خفيف فمخـرجاهما متقاربان إلا أن الهـمزة أدخل منهـا فى الحلق قـالوا: هرقت الماء أى أرقتـه... إلخ[٦] وقال:

---

(١) السديف: السنام المقطع وقيل شـحمه. الودك: الدسم وجمس وجمد بمعنى واحـد وقيل الجموس للودك والجمـود للماء والجـامس من النبات مـا ذهبت غضـوضتـه ورطوبته فـولى وجسا. الـلسان ٧/ ٣٤١، ٣٤٢،١١/١٧، ٤٨، ١٢/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) المخصص ١٢/ ٢٨٧. (٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٦٧- ٢٩٠.

(٤) انظر شرح المفصل ١٠/ ٧ وما بعدها.

(٥) المصدر السابق ٤٦، ٤٧. للتاء والطاء والدال علاقة صوتية تسوغ التبادل بينها فالمخرج واحد وقد يقتضى تجاور التاء مع حـروف الإطباق إبدال التاء طاء لمناسبتـها فى الاستعلاء والإطبـاق مع أنها أخت التاء فى المخرج وفحصط - بالطاء - تنسب إلى تميم الذين يفضلون الصوت المستعلى المطبق، فى حين تنسب التاء إلى الحجازيين الذين يفضلون الصوت المستفل المهموس

(٦) المصدر السابق ٤٢، لا مانع من حدوث التبادل بين الهمـزة والهاء لتدانى المخارج فهما من حروف الحلق ويتفـقان فى صـفات الاسـتفـال والانفتـاح والإصمـات ويمكن أن تكون بعض العرب نطقت بـإحداها والآخرون بالثانية ونسبت بعض الكلمات بالهاء إلى طيئ (اللهجات العربية ص ٦٥، ٦٦).

«قالوا: مازلت راتما على هذا الأمر أى راتبا حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء فالميم بدل من الباء لكثرة الباء وتصرفها ألا تراك تقول: رتب يرتب فهو راتب أي ثابت ولا تقول: رتم يرتم فى هذا المعنى فكانت الباء هى الأصل وقالوا: رأيته من كثم وكثب أى من قرب حكى ذلك يعقوب فالباء ينبغى أن تكون أصلا والميم بدلا منها لعموم تصرف الكثب وأنه يقال: قد أكثب لك الأمر ورماه من كثب أى من قرب[1].

وكثير من المحدثين لم يزيدوا على ما قاله ابن جنى شيئا وإن اختلفوا معه عرضا وأسلوبا فيرى بعضهم - كما يرى ابن جنى - تقسيم الألفاظ التى تحمل اسم هذه الظاهرة قسمين.

١- فبعضها من الإبدال: إذا كانت هناك علاقة صوتية.

٢- وبعضها من غيره إذا لم توجد هذه العلاقة «وأغلب الظن حينئذ أن الصورتين تنتميان إلى منبعين مختلفين وأن كلا منهما أصيل فى ذاته وليس مثل هذه الكلمات إلا مثل كل المترادفات»[2].

يقول الدكتور أنيس «حين نستعرض تلك الكلمات التى فسرت على أنها من الإبدال حينا أو من تباين اللهجات حينا آخر لا نشك لحظة فى أنها جميعا نتيجة التطور الصوتى أى أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هى الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها غير

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٥، وانظر سر الصناعة (مخطوطة الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ٨١ فقد نقل كلام ابن جنى مع تغيير قليل، والرأى الذى قاله ابن يعيش هو رأى ابن جنى وهو إجازة الإبدال بين الباء والميم والباء هى الأصل لكثرة تصرفها فى المثالين، وأجاز ابن جنى كون كل منهما أصلا مستقلا عن الآخر قال: (ويحتمل الميم فى هذا عندى أن يكون أصلا غير بدل) لتصرفات أخرى ذكرها هناك، والباحث فى المعاجم يرى لكل من (رتب ورتم) معانى خاصة بها مع اتفاقهما فى الدلالة على معنى الإقامة والثبوت حقيقة أو مجازا، وكذلك (أكثب وأكثم) تشتركان فى معنى القرب الذى يجمع بينهما وليست الباء أكثر تصرفا من الميم كما ذكر ابن جنى، وعلى هذا يجوز أن تكون كل من الباء والميم بدلا من الأخرى أو أن كلا منهما مستقل عن الآخر خاص بقوم دون قوم لاختلاف مادة الاشتقاق.

(٢) من أسرار اللغة ط٣ ص٥٩.

أنه فى كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه»[1] والعلاقة الصوتية التى أرادها الدكتـور أنيس هى القرب فى المخرج أو الصفة إذ إنه «شرط أساسى فى كل تطور صوتى[2]، ويقول الدكتور صبحى الصالح عقب نقله رأى الدكتـور أنيس السابق «ورأى المحـدثين - على جراءته - أسلـم اتجاها وأصح نتيجة من رأى تلك الطائفة من المتـقدمين الذين ذهبوا إلى إكثار العرب من الإبدال كأنه سنة أو عـادة وكأن النطقين المختلفين عندهم مـتساويان يوضع أحـدهما مكان الآخر وكـأنهم يعتـمدون هذا الإبدال إعـجابا به وتفننا فـيه»[3]، ولكن الدكـتور الصالح يعتمـد فى العلاقة الصوتية المخرج لا الصـفة فهو يقول «فقـد لوحظ فيها الأمر الأهم وهو اتفاق المخـرج أما اختلاف الصفـة فليس بذى بال لأن المعول فى معرفة نوع الصوت ودرجة إيقاعه على العضو الذى خرج منه من بين أعضاء جهاز النطق وليس على الطريقة أو الكيفيـة التى تم بها انطلاق هذا الصوت فالدال والتاء حرفان نطعيان كلاهما يخـرج من سقف غار الحنك الأعلى المسمى بـ«النطع» فهما إذًا متـجانـسان وعلى هذا المعـول فلا ضـير بعـد هذا أن توصف الحاء بالإطـباق والاستـعلاء وهمـا صفـتان قـويتان على حين توصف الدال بالـصفتين المـضادتين الضعيفتين الانفتاح والاستفال[4] وقد صرح الدكتور شاهين بأنه (لا يكون الإبدال إبدالا حـقا إلا إذا كان بـين البدل والمبـدل منه علاقـة صوتيـة كقـرب المخرج أو الاشتراك فى بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة)[5].

وقد قسم الدكتور أنيس الكلمات التى توجد بينها علاقة صوتية أقساما ثلاثة:

١- كلمات روى كل منها بنطقين ونسب كل نطق إلى بيئـة معينة: فمتى أمكن معرفة الأصل والفرع حكمنا بذلك وبحثنا عن سر التطور الصوتى[6] وإذا لم يمكن «نستعين بالقوانين الصوتيـة وتطورها للحكم على أى الصورتين هو الأصل وأيهما هو الفرع ويكون حكمنا حينئذ مرجحا لا مؤكدا»[7].

---

(١) المصدر السابق ص٥٩.

(٢) المصدو السابق ط ٣ ص ٥٩.

(٣) دراسات فى فقه اللغة ص٢٣٩.

(٤) المصدر السابق ص٢٤٥.

(٥) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص٧٣.

(٦) من أسرار اللغة ط٣ ص٦٥.

(٧) المصدر السابق ص٦١.

٢- كلمات روى لكل منها نطقان ونسب أحد النطقين لبيئة معينة ولم ينسب النطق الآخر: نعتمد لمعرفة الأصل والفرع منها على كثرة التصرف والاستعمال وورود النص القديم مشتملا على الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصالة بين النطقين أما حين نفتقد النص فالأصالة عن طريق الشيوع مرجحة رجحانا كبيرا ولا يصح الرجوع عن هذا إلا إذا أبت قوانين تطور الأصوات مثل هذا الاعتبار[(١)].

٣- كلمات روت المعاجم لكل منها نطقين متساويين فى الفصاحة والشيوع ولا ينسب أحد النطقين لبيئة معينة: إذا أمكن معرفة الأصل من الفرع حكمنا بذلك وإلا اعتمد الكثير التصرف والاستعمال أصلا لصاحبه «فإذا ورد لأحد النطقين نص قديم اعتبرناه الأصل.. أما حين يرد كل من النطقين فى نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح فى الغالب أصالته»[(٢)].

فالدكتور أنيس يضع لمعرفة الأصل والفرع ـ بعد تحقق العلاقة الصوتية ـ مقياسا له جانبان:

١- معرفة المتقدم فى وجوده على الآخر فإذا وجد ما يدل على سبق أحدهما زمنا كان هو الأصل والثانى هو الفرع.

٢- إذا لم يعرف المتقدم من المتأخر فيحدد الأصل بكثرة شيوعه وتصرفه والفرع بضد ذلك.

وهذا لم يزد على رأى ابن جنى شيئا فقد جعل ـ مثله ـ معرفة الأصل من الفرع مرهونة بورود الدليل الذى يبين أسبقهما[(٣)] معتمدا على الشيوع وكثرة التصرف.

وقد تابعه أيضا فى اعتماد المقياس السابق الدكتور الصالح فهو يقول «ومقياسنا فيما ورد بوجهين لتمييز الأصل من الفرع هو كثرة الشواهد المتعلقة بأحد الوجهين فما أكثر الأمثلة على كثب والأقطار واللثام وما أقلها فى كثم والأقتار واللفام[(٤)].

---

(١) المصدر السابق ص٦٢.

(٢) المصدر السابق ص٦٣.

(٣) سر الصناعة ١/٢٢١.

(٤) دراسات فى فقه اللغة ص٢٧١.

فهـذا كله يؤكد أن الرأى الحـديث لا يختلف عن القديم إلا أسـلوبا فقط وهو يروى الحقيقة التالية:

اللفظان على الصورة المعروفة يكونان:

١- من الإبدال إذا وجد مسوغه وهو التقـارب الصوتى وهذا عـنـد قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا أو أحد اللفظين فى قبيلة والآخر فى غيرها.

٢- من اخـتلاف اللهـجـات: إذا لم يتحـقق هذا التـقارب وشـأنها شـأن كل المترادفـات على أن الحكم الفـيصل ـ كـما قرروا ـ لمعـرفة الأصل من الـفرع هو الشيوع وكثرة التصرف.

وأعتقد بـعد هذا الإفصاح التام - أن ذلك هو رأى ابن جنى نفسـه مع اختلاف طفيف.

وكأن الدكتور أنيسا قد أحس بذلك حـين قال معبرا عن رأى ابن جنى «وأخيرا تعرض ابن جنى فى الفصل الرابع إلى أن بعض الكلمات قـد تختلف بنيتها وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين مكان صاحبه ثم ضرب أمثلة لذلك مثل طبرزن وطبـرزل ودهمج ودهنج وخامـل وخامن وبنات مـخـر وبنات بخر، ومـثل هذه الكلمات يمكن أن تنتمى إلى لهجات متـعددة أو إلى لهجة واحدة ولكن فى جيلين مختلفين مـن أبنائها على أن ابن جنى لم يحدثنا فى هذا الفصل عـن معنى تقارب الصوتين ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية[(١)].

ونقد الدكتور أنيس لابن جنى بأنه لم يوضح مـعنى تقارب الصوتين فى الفصل الذى ذكره غـير مسلم فـقد أوضح أنه هو تقـارب المخارج والصفـات فى مواضع كثيرة ذكرت بعضها عند بيان رأيه وتفصيلاته[(٢)].

ويرى فريق آخر من الـعلماء قدامى ومحدثين أن ألفـاظ هذه الظاهرة نشأت من اختلاف اللهجات.

---

(١) فى اللهجات العربية ط ٢ ص١٥٥.

(٢) انظر ١١٥ وما بعدها من هذا الكتاب.

وعلى رأس القدماء الذين قالوا بذلك أبو الطيب اللغوى فقد قال: ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين والمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد، قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى وكذلك إبدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو أن: عن لا تشترك العرب فى شىء من ذلك إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون[1].

وقد أوضح لنا هذا الرأى أستاذنا الدكتور نجا فى كتابيه اللهجات العربية وفقه اللغة وقال بعد عرضه لرأى أبى الطيب ومناصريه: وهذا الرأى يفهمنا أن الإبدال لا يكون إلا من قبائل متعددة[2].

ويوافق أبا الطيب فى هذا الرأى من القدامى ابن السكيت وأبو محمد البطليوسى وابن خالويه وأبو علىّ القالى: فقد نقل السيوطى عن هؤلاء ما يؤكد ميلهم إلى هذا الرأى وأخذهم به.

فنقل من كتاب ابن السكيت أمثلة من بينها ما اتضح فيها رأيه وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات يقول فى إبدال الهمزة من العين: والأسن قديد اللحم وبعضهم يقول العسن[3] ويقول بعد ذلك بقليل: وذأى البقل يذأى بلغة أهل الحجاز ولغة نجد ذوى يذوى[4] وكذلك قوله: الأثافى ولغة بنى تميم

(١) المزهر ١/٢٢٢.

(٢) اللهجات العربية ص٥٦ وفقه اللغة العربية ص٢٧.

(٣) المزهر ١/٢٢٢ وعبارة القاموس: الأسن بقية الشحم، والواقع أن الإبدال يكون من الهمزة إلى العين كثيرا لأن العين أسهل من الهمزة، والإبدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس، وإن كانت الشعوب تختلف فى إحساسها بالثقيل والخفيف من الحروف فالهمزة أخف فى النطق الإنجليزى من العين وعند العربى بالعكس، وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل يا أبد الله - فى عبد الله - فى لهجة مكة وهو قليل (سر الصناعة ١/١٢١).

(٤) المصدر السابق ١/٢٢٢، لا توجد علاقة صوتية تسوغ التبادل والمسألة ترجع إلى اختلاف اللهجات بين الحجاز وتميم وكان الأصل أن الهمز للتميميين وأحرف العلة للحجازيين وأشباه كل من البدو والحضر ولكن النسبة هنا وردت بعكس ذلك وهذا مما يوضح عدم الاطراد فى الظواهر اللغوية (انظر إبدال الهمزة من حروف العلة والعكس فى هذا الكتاب).

الأثاثى[1] ونقل عنه السيوطى فى خاتمة هذا الباب (الإبدال) وقال ابن السكيت: حضرنى أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما إنفحة وقال الآخر منفحة ثم افترقا على أن يسألا جماعة أشياخ من بنى كلاب فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا وهما لغتان[2].

وأما أبو محمد البطليوسى فيقول فى شرح الفصيح: ليس الألف فى الأرقان ونحوه مبدلة من الباء ولكنهما لغتان ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحيانى قال: قلت لأعرابى أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه؟ فقال لا أقول مثل حلكه[3]، وقال أبو بكر بن دريد قال أبو حاتم قلت لأم الهيثم كيف تقولين أشد سوادا من ماذا؟ قالت من حلك الغراب قلت أفتقولينها من حنك الغراب قالت لا أقولها أبدا[3] وقد ذكر ابن خالويه فى شرح الفصيح ما يقرب من هذا قال: أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال: اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد فتحاكما إلى أعرابى ثالث فقال أما أنا فأقول الزقر بالزاى قال ابن خالويه: فدل على أنها ثلاث لغات[4]، ويؤكد لنا رأى القالى قوله فى أماليه: يقلل: هرت الثوب وهردة وهرطه ثلاث لغات[4].

---

(١) المصدر السابق١/ ٢٢٤، الأثافى والأثاثى: الحجارة التى تنصب ويوضع عليها القدر، وقد رجح ابن جنى أن تكون الثاء بدلا من الفاء لكثرة تصرف الفاء ولو مع بعد الاشتقاق إذ ورد أثفية ولم يرد أثية، ولكن ذكرت المعاجم تصرفات للكلمتين فيمكن أن تكون أثافى من (ثفا يثفو) تبع أو من (أثف الرجل) تبعه أو من (أثف القدر) وتشترك معها (أثاثى) فى ذلك الاشتقاق، ويمكن أن تكون (أثاثى) من (أث يئث ويؤث) إذا كثر والتف وفى هذا المعنى ثبات الشىء فى موضعه ويقال: تأثث الرجل المكان إذا لم يبرحه، وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقا فلا إبدال بين الكلمتين، وربما أفاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة من العرب فالفاء للحجاز والثاء لتميم.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢١ إذ لا علاقة بين الهمزة والميم فلا إبدال.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٢٩.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٢٩، ولا مانع من التبادل بين الزاى والسين والصاد لاتحاد المخرج وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى وتشترك فيما بينها فى الرخاوة والصفير والإصمات، ويجوز إرجاع هذا التبادل إلى اختلاف اللهجات وينسب اللغويون النطق بالزاى والصاد إلى القبائل البدوية كقبائل عذرة وكعب وبنى القين (البحر ١/ ٢٥) وأزد عمان وبنى العنبر، كما تنسب السين إلى الحجاز وهذا لأن الأصوات المجهورة والمستعلية تناسب البدو والمهموسة والمستفلة تناسب الحضر.

وبين الدال والتاء والطاء علاقة صوتية تسوغ التبادل ويمكن أن تعود إلى اللهجات على أن التاء للحضر والدال للبدو لمناسبة المهموس للحضر والمجهور للبدو والطاء تناسب البدو كذلك لاستعلائها وإطباقها.

وقد أيد هذا الرأى مـن المحدثين فريق من العلـماء على رأسهم أسـتاذنا الدكـتور إبراهيم نجا فـهو يقول ـ بعد أن أفـصح لنا عن آراء العلماء فى هذا الشأن وناقـشها مناقشة علمية دقيقة -: «فالحق أحق أن يتبع وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللغات كـما ذهب إلى ذلك أبو الطيب اللغـوى[1] وممن ذهب إلى هذا الرأى من المحـدثين الدكتور إبراهيـم السامرائى يقول - بعد أن عـرض آراء العلماء فى الإبدال -: وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال الأقدمين والمحدثين فى هذه المشكلة إلى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هى لغات القبائل المختلفة وطبيعى أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف الـبيئة وعلى هذا فإن كثيـرا مما حمل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات وعلى هذا فليس هنـاك إبدال بل هناك اختلاف بين المعربين فـالذى يقول (صراط) لا يقولها بالسين سراط، والعكس حاصل أيضا[2].

ويقـول قبل ذلك بقليل: أريد أن أقـول: إن اللغـة فطرة وبداهة فالذى يقـول مدحـه لا يمكن أن ينسرح لسـانه فيـقول مـدهه والعكس صحـيح أيضا[3]، وهذا يشرح رأيه بوضوح وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات، ويعتبر هذه النظرة هى النظرة الصحـيحة فيـقول: وعلى هذا فلم نعدم أن نجـد بين الأقدمين من نظر إلى هذه المشكلة النظر الصحيح فقد قال أبو الطيب اللغوى الحلبى: ليس المراد من الإبدال أن العرب تتعـمد تعويض حرف من حرف وإنما هى لغات مـختلفة[3]. . . إلخ ويضيف الدكتـور السامرائى «إلى رأيه العلاقة الصوتية فـلابد من التقارب بين الحروف المخـتلفة فى لهجات الناطقين مـن قبائل متـعددة وإن لم تكن على طريق الإبدال، فقد نقل قول ابن السيد البـطليوسى ـ مع شرحه ـ «إن الحرف الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف».

ثم عقب عليه بقـوله: وما ذكره ابن السيد صحيح فـى كون تقارب المخرج هو الذى يؤدى إلى هذه المعاقبة[4].

---

(١) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٤/ ٣٠.

(٢) التطور اللغوى التاريخى ص١١١.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٨.

(٤) المصدر السابق ص١١٣.

ويرى هذا الرأى أيضا الدكتور على عبد الواحد وافى ويشترط أن يتقارب الصوتان فى المخرج أو يتحدا فى جميع الصفات ما عدا الإطباق مثل أسود حالك وحانك وخامل الذكر وخامن الذكر[1]، ويذكر من أمثلة الاتفاق فى الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد والسين بمثل ساطع وصاطع والسراط والصراط[2]، ثم يقول «ويرجع السبب فى كثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل فى النطق بأصوات الكلمة فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قريش بالكاف على حين أن أسدا وتميما كانت تنطقها بالقاف»[3] وقد وافقه أستاذنا الدكتور العزازى فى كل ما ذهب إليه[4] إلا أنه أفرد له بابا خاصا عنونه بالإبدال أو الاشتقاق الأكبر ولعل ذلك جمع بين موقفين وهناك غير هؤلاء كثير لا يتسع المقام للإشارة إلى أقوالهم[5].

ويلاحظ أن هذا الرأى على الرغم من أنه يجعل ألفاظ هذه الظاهرة من اختلاف اللهجات لا ينسى أن التقارب بين الحروف ملحوظ فيها وهذا يشير إلى تطور صوتى وإن كان بين لهجات متعددة.

وبعد استعراضنا لكل هذه الآراء ومناقشتنا لها نحس أنه لابد لنا من نظرة واعية وعميقة ومن تحليل علمى دقيق نتتبع به الظواهر المختلفة والدواعى الكثيرة التى أحاطت وتحيط باللغة ونشأة مفرداتها والأحوال التى عاشت فيها ومرت بها فى مراحلها التاريخية المتعددة حتى نصل إلى الحقيقة ونستنتج القانون الذى ينظم حوادثها إن كان لها قانون مطرد وهذا يعتبر المفتاح لعلم الاشتقاق الذى يكشف الصلة بين كلمات تباعدت أصولها[6].

أسباب الإبدال:

هناك عوامل متعددة ساعدت على وجود هذه الظاهرة وقد أشار العلماء إلى كثير منها وإن مال كل منهم إلى واحد أو أكثر وسنحاول تتبع معظمها حتى

---

(١) فقه اللغة د. وافى ص١٧٨.

(٢)، (٣) المصدر السابق ١٧٩.

(٤) فقه اللغة للدكتور العزازى ص١٨٩، ١٩٠.

(٥) انظر مثلا فقه اللغة للمبارك ص٥٠ وغيره.

(٦) المصدر السابق ص٣٩.

نستطيع تفسير ما ورد من ألفاظ هذه الظاهرة فربما رجع اللفظان إلى واحد أو أكثر من تلك العوامل ولا مانع من ذلك إذ هذه الأسباب غير متعارضة، والذى جعلنا ـ كغيرنا من الباحثين ـ نفكر فى هذا التفسير هو وجود بعض تلك الألفاظ فى لغتنا العربية غير منسوبة إلى قائليها بل تضطرب المراجع فى نسبتها فهى أحيانا من لسان قريش وأخرى من لسان تميم وثالثة من لسان غيرهم من قبائل العرب[١].

وبعد عرضنا للأسباب وتحليلها تحليلا علميا نحاول تطبيقها على الكلمات التى يمكن تطبيقها عليها فى إطار دراستنا للهجات العربية.

أولا: اختلاف اللهجات:

المعروف أن العرب سكنوا الجزيرة العربية وتفرقوا فى أنحائها وبيئاتها الطبيعية والاجتماعية مختلفة بين بداوة وحضارة ولذلك ـ بلا ريب ـ أثر كبير فى تعدد اللهجات واللغة عادة اجتماعية وخروج الفرد عليها يلقى مقاومة من المجتمع تأخذه بعقاب[٢] ومن هنا صرح العلماء «بأن الذى يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مدهه والعكس صحيح أيضا»[٣] وقد مر بنا من الروايات اللغوية ما يؤكد تمسك الجماعات الإنسانية بالنطق المتعارف بينها كرواية أبى حاتم عن أم الهيثم من حلك الغراب أو حنكه فقالت لا أقول من حنكه أبدًا وكذلك رواية أبى حاتم عن الأصمعى: اختلف رجلان في الصقر... إلخ، واختلاف اللهجات فى الواقع يعد عاملاً مهمًا فى تفسير هذه الظاهرة فالقبائل البدوية مثلاً تميل إلى الأصوات الشديدة فى نطقها وهو أمر طبيعى يلتئم مع ما عرف عن البدوى من غلظة وجفاء فى الطبع وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التى تطرق الآذان كأنما هى فرقعات متعددة فى حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام... فالباء والتاء والدال والكاف وغيرها من

---

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص٤٠١ وانظر ما يقرب من هذا فى الأصوات اللغوية ص١٥١.

(٢) اللغة والمجتمع د. وافى ص٤٢٣.

(٣) التطور اللغوى التاريخى ص ١٠٨.

الأصوات الشديدة تستعمل فى أفواه المتحضرين على الترتيب فاء. سينا. زايا. شينا[1] ويمكن ـ بناء على ذلك ـ تفسير عدد غير قليل من الألفاظ التى عدت من الإبدال، ولو أن اللغويين نسبوا كل لفظ إلى قائله لقلل ذلك من خطر تلك الظاهرة ووجودها.

ثانيًا: التطور الصوتى:

يرجع كثير من علماء اللغة ـ ومنهم ابن جنى ـ قدرًا كبيرا من أمثلة الإبدال إلى التغيرات الصوتية وذلك لعلاقة بين الحروف المتبادلة فى المخرج أو الصفات وإن اختلفوا فى تحديد هذه العلاقة فكلمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض يقول الأستاذ فندريس: «فى كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا فهى تكوّن نظامًا متجانسًا مغلقًا تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها هذه هى أول قاعدة من قواعد الصوتيات وهى ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات[2] وإن الانسجام والتآلف يقتضى بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم وتبعًا لنواح (طبيعية فسيولوجية ونفسية معًا)[3]، بل إن هذا الاختلاف في النظام الصوتى «يتغير إن قليلاً وإن كثيرًا من سن إلى أخرى[4] وقد أكد لنا المحدثون أنه ليس بين أبناد اللغة الواحدة اثنان ينطقان نطقًا متماثلاً فى كل الصفات[5] وهذا التطور يؤدى إلى وجود صيغ جديدة وفى البيئة الواحدة قد تستعمل هذه الصيغ بجانب القديمة فى مدة معينة ثم بعدها تبقى الجديدة وحدها فى عالم الاستعمال وقد توجد صيغتان فى بيئة واحدة إذا استعملت الأخرى غير الشائعة على طريق المحاكاة أو اتجاهًا إلى اللغة المثالية أما في البيئات المتعددة فلا مانع من وجود كل فى موضعه ولهذا التطور الصوتى عوامل كثيرة ساعدت عليه نتحدث عنها بالتفصيل فيما يلى:

---

(١) فى اللهجات العربية ط٣ ص١٠٠ ومن أمثلة ذلك عكوب الطير وعكوف الطير، والنات والناس والدغدغة والزغزغة. انظر المصدر السابق ص١٠١، ١٠٥، ١٨٦ وهذا مجرد فرض إمكان حصول ذلك.

(٢) اللغة ص٦٢. (٣) المصدر السابق ص ٩١.

(٤) المصدر السابق ص٦٦ واللغة بين الفرد والمجتمع -جسبرسن) ص٣٥، ٣٦.

(٥) الأصوات اللغوية ص ١٧٠.

أ- أعضاء النطق:

إن جهاز أعضاء النطق هو الذى يختص بإخراج عدد لا يحصى من الأصوات[1]، وقد حاول بعض العلماء أن يعزو التبدلات الصوتية إلى هذا الجهاز من نواح متعددة وسنقف منها جميعًا الموقف العلمى الصحيح.

١ - **اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب:** ينسب بعض العلماء التطور الصوتى إلى اختلاف أعضاء النطق فهى «تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعًا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف»[2] وهذا يعنى أن لكل شعب جهازًا مكونًا على نمط خاص يجعله قادرًا على إصدار الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى، ولكن هذه النظرية لم يثبتها علم التشريح بل لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد فى جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح وعجز بعض الشعوب عن نطق بعض الحروف ليس دليلاً على اختلاف أعضاء النطق فعجز الإنجليزى عن نطق العين أو الضاد أو القاف لا يعنى أن جهاز النطق عندهم قد خلق على طبيعة لا تمكنه من النطق بهذه الحروف بل إن العادات الصوتية التى نشأ عليها والبيئة الاجتماعية من حوله هى التى جعلته لا ينطق بها فالجهاز الصوتى مستعد لإصدار جميع الأصوات بلا استثناء كل ما هنالك أنه يحتاج إلى المران عليها، فلو أن طفلا إنجليزيًا نشأ فى بيئة عربية لنطق بهذه الأصوات كاملة المخارج والصفات كما ينطقها العربى تمامًا «وقد ثبت بالتجربة أن مدرس (الفوناتيك) يستطيع أن يعلم تلاميذه أى صوت من الأصوات فى أى لغة من لغات العالم مع شىء من المران والشرح العلمى دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أى تغير فى تكوينها التشريحى»[3]، وعلى كل حال فلابد أن يكون هناك تأثير ما ـ وإن لم يوجد اختلاف واضح ـ لأننا قررنا أن النطق يختلف من إنسان لآخر والطفل يختلف عن أبويه اللذين يقلدهما تقليدًا ناقصًا كما يقول الدكتور المبارك وقد وصف الأستاذ (فندريس) هذا التغير بأنه «خطير النتائج لأنه لا يبشر بشىء أقل من انقطاع التوازن فى النظام الصوتى[4]، وإذا كان هذا

---

(١) التجويد والأصوات ص ٨.
(٢) علم اللغة د. وافى ص ٢٧٤.
(٣) الأصوات اللغوية ص ١٧٢.
(٤) اللغة ص ٦٥.

فى بيئة واحدة وشعب واحد فلا ريب أن الخلاف بين الشعوب يكون أكثر وضوحًا تبعًا لما يحيط بالفرد فيها من مؤثرات واستعداد لأعضاء الجهاز الصوتى.

٢- تطور أعضاء النطق: حاول بعض العلماء أن يطبق على الجهاز الصوتى نظرية النشوء والارتقاء فلابد أن يتطور كما يتطور كل ما فى الكون ولذلك تأثيره فى الأصوات وقد ذكرنا أن النظام الصوتى يتغير من سن إلى أخرى[١] ويقول الدكتور وافى: إن هذا أمر مقرر فسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين إن لم يكن فى تكوينها الطبيعى فعلى الأقل فى استعدادتها وذلك تبعه تطور فى أصوات الكلمات وقد كشف ذلك جماعة من العلماء على رأسهم هرمان بول ورسلو الذى تجرى حقائقه بالوسائل القديمة وبوسيلة الأجهزة الحديثة[٢]، ولكن الدكتور المبارك ينقض ذلك بقوله «إن ما ادعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتى تطورًا مطردًا مردود إذ لا برهان له عليه»[٣] ويبدو لنا أن التغير الذى يعترى كل ما فى الكون يشمل أعضاء النطق أيضًا وإن كان هذا التغير بنسبة ضئيلة غير ملحوظة إلا أنها تترك أثرًا ما.

٣- عيوب أعضاء النطق: قد يولد الإنسان مصابًا بعلة تمنع أعضاء الكلام من تأدية وظيفتها وقد يعرض للإنسان فى أثناء حياته مرض يتسبب فى إحداث عيب فى أعضاء النطق وهذا يؤثر فى حديثه والمعروف أن الرواة كانوا يتحرون جمع اللغة عن القبائل الفصيحة ولم يكن لهم اتجاه إلى النظر فى أعضاء النطق للتحقق من سلامتها وكانوا يكتفون بالأخذ عن العربى الواحد كما قرر ابن جنى[٤] وربما كان هذا العربى الذى شهد له بالفصاحة مصابًا بلكنة تسببت فى تغير بعض الأصوات وربما انتقلت الكلمة على هذا النحو إلى التراث اللغوى فاللثغة اللسانية تتسبب - ولا ريب - فى إبدال بعض الحروف فالراء تتحول عند الألثغ إلى غين أو همزة

---

(١) اللغة ص ٦٦.

(٢) الفونيتيك التجريبى. علم اللغة د. وافى ص ٢٧٠، ٢٧١ وفقه اللغة له ص ١٣٠.

(٣) فقه اللغة ص ٤٠.

(٤) الخصائص ٢/ ٢١.

أو لام فكلمة يا ربى قد تنطق يا غبى ويا أبى ويا لبى[1] وقد عزا الأستاذ جورجى زيدان إلى عيوب أعضاء النطق معظم ما عرف من ألفاظ هذه الظاهرة وقال: «وهى فى الغالب نتيجة علة طبيعية فى أعضاء النطق»[2] وجعل ذلك عامّاً فى جميع الأمم ولكننا نرى فى هذا القول مبالغة وإن كنا نوافقه موافقة عامة على أن لهذه العلل أثرًا ما قد يتسبب فى إبدال بعض الكلمات على أن الأستاذ فندريس يقول: إن التغير الذى يعتبره اللغوى هو التغير الذى يظهر فى كلام مجموعة من الأفراد ثم يقول: ولكن لابد من تفرقة بين التغيرات الفردية والتغيرات المشتركة بين جميع الأطفال فى نفس الجيل فقد يحدث أن أحد الأطفال لا يستطيع النطق ببعض الأصوات نتيجة لاستعداد خبيث موروث أى أن يكون عنده بعبارة أخرى نقص فى النطق هذه الحالات من النقص الفردى فى غالب الأحيان لا تعنى غير الطبيب وغاية ما يعنى العالم اللغوى من أمرها أنه قد يستدل بها على اتجاهات اللغة[3].

ب- المكان والزمان:

تؤثر الطبيعة التى تحيط بالإنسان فى سماته الخلقية وسائر تصرفاته ومنها اللغة إذ هى لون من التصرف ولا ريب أن اللغة فى بلد زراعية تختلف فى اتجاهها عنها فى بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية ويمكن أن نرى ذلك واضحًا فى البيئة العربية إذ كان البدو يعيشون حياة لا تعرف الاستقرار على حين كانت طائفة منهم تسكن المدن التى تتصل بما يجاورها عن طريق التجارة والثقافة فاختلفت فى اتجاهها اللغوى على ما نرى في اختلاف لهجات البدو والحضر فى الجهد العضلى والأناة والسرعة فى النطق والفروق النطقية بينهم مبثوثة فى كتب اللغة كما أن انتقال اللغة من جيل إلى آخر يصاحبه شيء من التغير فى النظام الصوتى فالطفل منذ نشأته يحاول أن يقلد أباه أو يتعلم منه «وأغلب الظن أن استعدادت الطفل الموروثة تلعب دورها فى هذا التعلم ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء العوارض التى

---

(١) ومن أنواع اللثغات الرتة والبأباة والتمتمة والفأفاة. المزهر ١/ ٢٦٥ وتاريخ آداب العرب ١/ ١٥٤.

(٢) الفلسفة اللغوية ص ٣٩، ٤٠.

(٣) اللغة ص ٦٩، ٧٠.

يمكن أن تعرض لسلامة النطق فى كل جيل[1] وعلى مر الزمن يحدث تقليد الأبناء للآباء تبدلات فى الحروف مهما يبالغ السلف فى تلقينهم وتعليمهم وهذا لا تسلم منه لغة فى العالم ولكن هناك عوامل أخرى قد تقلل من هذا التأثير كالكتابة والتلقين فى المدارس[2] وقد حظيت اللغة العربية الفصحى بما لم تحظ به لغة على الإطلاق فقد بذل أهلها وعلماؤها جهدًا كبيرًا فى الحفاظ عليها ووصف أصواتها وصفًا دقيقًا وكان ذلك اهتمامًا بالقرآن الكريم الذى نقل إلينا أصوات العربية حتى فيما قبل القرآن من آماد بعيدة[3] أما اتجاه المحادثة الدارجة فقد سار على النمط العام التطورى وبهذا ندرك أن البيئة الطبيعية ومرور الزمن يؤثران على الجماعة البشرية بما يحدث بعض التغيرات فى لغتها ومن بينها تبدلات تعترى الأصوات مما يسبب ظهور ألفاظ تحمل اسم ظاهرة الإبدال.

جـ- الحياة الاجتماعية:

١- العزلة والاختلاط الاجتماعى: تتأثر اللغة ـ كغيرها من وسائل الحياة ـ بلقاء الإنسان بالآخر وانعزاله عنه فإذا قدر لطائفة من البشر أن تعيش فى مكان لا صلة له بالآخرين - لأن طبيعة البيئة الجغرافية كالجبال والآكام أو صعوبة المواصلات والبعد عن العمران أو غير ذلك قد عزلتهم عن غيرهم - فإن هذا يؤثر على سلوك هذه الطائفة ومنه الاتجاه اللغوى الذي يأخذ شكلاً يخالف الاتجاهات الأخرى عند بقية الشعوب وربما عزل فريق من أهل اللغة الواحدة عن بقية بنى جلدتهم فتحدث بعض اختلافات وتطورات صوتية بينهم وبين إخوانهم من أبناء لغتهم[3] وقد يكون لذلك أثر فى الإبدال.

كما أن الاختلاط بصوره التى تحدثنا عنها - فى لقاء أصحاب اللهجات - يؤثر فى اختلاف الأداء الصوتى وانقسام اللغة إلى لهجات وعن طريق هذا الاتصال بين الشعوب وأبناء اللغة الواحدة، «كانت الانقلابات السريعة فى تطور بعض اللغات

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤.

(٢) فقه اللغة للمبارك ص ٤٠.

(٣) المصدر السابق ص ٤٩.

لأن الشعب الذي يتخذ لغة جديدة يطبق عليها - أحيانًا - عوائد النطق فى اللغة التى تركها[1] فيمكن قراءة صفحة من الفرنسية وقد بدا عليها طابع النطق الإنجليزى أو الألمانى[3] وإذا تكلم الإنسان لهجة أجنبية تعرض للأخطاء بسبب التردد فى صيغة الكلمات[3] وهذا حدث للعربية فى تفرعها إلى لهجات وتأثرها باللغات التى اتصلت بها وبخاصة بعد الفتوحات الواسعة وإن التأثر الواقع من تلك اللغات واللهجات بعضه ـ ولا شك ـ صوتى وإن الحروف التى تكون بين الحروف العربية لخير شاهد على ذلك[5].

٢- الثقافة والحضارة: هذا العامل له اتصال بسابقه إذ ينشأ عن قطيعة شعب لجيرانه ألا يعرف تطور الحياة ونوازعها الجديدة وثقافاتها المتعددة التى تنشأ بين الحين والآخر كما أن اتصال الشعوب وتبادل الثقافات عن طريق المعاملات الودية أو الغزو يؤدى إلى رقى الشعوب وتقدمها وحضارتها وهذا - بنوعيه - له أثر فى النواحى اللغوية وبعضه يتصل بالأصوات وقد حدث ما يشبه ذلك للعربية الفصحى وقت نشأتها ونموها تأثرًا بالثقافة والحضارة ونجم عن ذلك بعض أمثلة الإبدال.

٣- الحالة النفسية: إن الجو النفسى للفرد والمجتمع تظهر بعض آثاره على النطق فقد يكون اللفظ رقيقًا ضعيفًا وقد يكون قويًا ذا جرس وبقدر سرور الإنسان أو حزنه واستقراره وعدمه تكون ألفاظه معبرة فمن وضوح أو غموض ومن تفخيم أو ترقيق إلى غير ذلك من وسائل التعبير اللغوى ومظاهره ويعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة أو العكس إلى الحالة النفسية التى يكون عليها الشعب «فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس»[6]

---

(١) فى اللهجات العربية ط٢ ص١٨.

(٢) اللغة ص٨١، ٨٢.

(٣) المصدر السابق ص ٦٣.

(٤) المصدر السابق ص ٨١.

(٥) انظر كتاب سيبويه باب الإدغام وكتابنا «أصوات اللغة العربية».

(٦) الأصوات اللغوية ص ١٧٤.

وكما يحـدث ذلك للجماعة يحـدث للأفراد فيخـتلف نطقهم عن ذويهم من أبناء لغتهم وهذا ذو أثر أيضًا فى ظاهرة الإبدال.

٤- عوامل اجتماعية أخرى: وهى كثيرة قومية ودينية وعصبية وغيرها وقد يتسبب ذلك أو بعضه فى إحيـاء صوت مهجور وإماتة صوت مـولد أو هجر صوت قديم وتوليد آخر وهذا يترك أثرًا على ما يعيش من أصوات اللغة «فالرغبة فى العودة إلى الفصحى فى البـلاد العربية فى العصر الحاضر هى التـى عادت ببعض الحروف من الشكل الذى آلت إليه كالهـمزة بدل القاف فى كثير من المدن العـربية والثاء والذال والظاء فى لفظهـا العامى إلى نطقهـا القديم الفـصيح»[١] وقد كـان القرآن الكريم عاملاً دينيًا دعا إلى الحفاظ على اللغة العربية وأصواتها بطابعها القديم - كما ذكرنا - وقد تعصبت القبائل العربية للهجاتها المتعددة ونحن نعرف الصراع الطويل الذى حدث بينهـا حتى استطاعت القرشـية التغلب عليهـا بعد أن أثرت فيهـا اللهجات الأخرى[٢] وكم تصارعت أيضًا مع اللغات التى اتصلت بها بعـد الفتوح الإسلامية ولا شك أن هذا وغيره له آثار يتعلق بعضها بظاهرة الإبدال.

ثالثًا: دواع لغوية:

هناك عوامل لغوية متعددة ذوات أثر فى الإبدال نتحدث عن أهمها:

١- تفاعـل الأصوات: هو تأثر الصـوت اللغـوى بما يجاوره قـبله أو بعـده من الحروف وهذا يـشمل ما يسـمى بالمماثلة والمخـالفة والتناوب بـين الأصوات وهاك بيانها:

أ- المماثلة: حروف الهـجاء منهـا ما يأتلف ومنها مـا يختلف ولابد من تحـقيق التآلف بين الحـروف عند تركيب الكلام حتى يتـحقق الانسجـام الصوتى فتـتمكن أعضاء النطـق من التفوه به فإذا تجاور حـرفان متنافران غـير أحدهما ليـقترب من الآخر أو يتـحد معه مـخرجًا أو صفـة «وهذه ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصـفة

---

(١) فقه اللغة للمبارك ص ٤١.

(٢) اللهجات العربية د. نجا ص ٥١، ٥٢.

عامة غير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثر وفى نوعه[1] وهذا التأثر واقع فى اللغة العربية قديمها وحديثها كما يقول أستاذنا الدكتور نجا[2] كانقلاب النون الساكنة ميمًا إذا وليها باء وتحول تاء الافتعال طاء مما أوله صوت مطبق كما فى عمبر وشمباء واصطبر واطلع واظطلم ونحو ذلك مما أدنى فيه الصوتان أحدهما من الآخر[3] وهذا التأثر متفاوت الدرجة فقد لا يعدو أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس وأقصى ما يصل إليه الصوت فى تأثره بما يجاوره أن يفنى فى الصوت المجاور فلا يترك له أثرًا»[4]، وقد قسم علماء اللغة المحدثون هذا التأثر إلى رجعى وتقدمى وذلك على حسب الصوت المتأثر بالآخر.

ب- **المخالفة:** الأحوال اللغوية مختلفة فقد يكون الصوتان مقبولين فى موضع غير مقبولين فى موضع آخر لاعتبارات خاصة ومن ذلك أن الحرفين المتماثلين قد تبقى صورتاهما فى اللفظ إذا كان ذلك لا يحتاج إلى مجهود عضلى كبير وقد يقلب أحدهما إلى حرف آخر إذا احتاجا إلى هذا المجهود توفيرًا للجهد وتحقيقًا للسهولة فالأول مثل قطّع وعلّم بتشديد العين والثانى مثل أملى وتظنّى فالأول مقبول لأن إدغام الحرف فى الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معًا نبوة واحدة[5]، والمثلان فى غير الإدغام ثقيلان لما فى النطق بهما من تحرك اللسان ورجوعه إلى مكانه الأول فهو شبيه بمشى المقيد كلما تحرك خطوة رجع أخرى[6] فلا إنكار للتخفيف بإبدال أحد المتماثلين ياء[7] ولأن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه ولذلك كانت الكتابة بالسواد فى السواد خفية وكذلك سائر الألوان، وإذا كان ذلك فى المثلين فالثلاثة أولى وهذا هو معنى المخالفة التى أوضحها المحدثون وقد أشار إليها سيبويه فى (باب ماشذ فأبدل مكان

---

(١) الأصوات اللغوية ص١٢٦.

(٢) التجويد والأصوات ص ٢٩.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤٠، ١٤٥، ٢٢٧ - ٢٣٠ وغيرها.

(٤) الأصوات اللغوية ص ١٣٠.

(٥) الخصائص ٢/ ٢٢٧.

(٦) فقه اللغة د. العزازى ص ١٦٦ - ١٧١.

(٧) الخصائص ٢/٢٣٢.

اللام ياء لكراهيـة التـضعـيف وليس بمطرد) ومـثل لهـا بقـولهم تسـرّيت وتظنّيت وتقصّيت. . . وأصلهـا تسرّرت وتقصّصت[1] ونبه ابن جنى أيضا على اسـتثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما فى نحو أمليت - وأصلها أمللت - وقولهم لا وربيك لا أفعل يريدون لا وربك لا أفعل[2] ويرى الدكتور أنيس أن هـذه الظاهرة قد شاعت فى كثير من اللغات السامـية وليست إلا تطورًا تاريخيًا للأصوات[3] ويذكر أن كثيرًا من الكلمات التى تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فى بعض الأحيان ولا سيمـا اللام والنون وهو يرى - كذلك - أن المخالفة «لا تكاد تتم إلا حين يتجاوز صوتان متماثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة على أن المخالفة قـد تكون فى النادر من الأحيان بين الأصوات الشـديدة مثل (إجار) التى روى فيها (إنجار)[4] وكذلك (إجاص) روى فيها - أيضًا - إنجاص[5] فالمخالفة تجرى بين الحروف التى تحـتاج إلى جـهد عضلى وفى غـير ذلك يبقـى المثلان دون تغيـير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة إلا فى النادر من الأحيان[5].

جـ- التناوب بين الأصوات: تبين من ملاحظة ظواهر التطور فى مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج تميل بطبعها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض فكل صوت لين عـرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر وكل صوت ساكن عرضـة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متـحد معه فى مخرجـه أو قريب منه[6] ففى العـربية تناوبت أصوات اللين القـصيرة (الفتـحة - الكسرة - الضـمة) فمثـل (يعوم - يسمع - يلطم - يضـرب - محمد - تعـبان) تغيـرت حركاتها الفـصحى بأخرى فى العـامية المصرية وحـدث كذلك تناسخ فى

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٠١.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٣١.

(٣) الأصوات اللغوية ص١٥٢.

(٤) بمعنى سطح المنزل وفى حديث الهجرة واستقبل الناس النبى ﷺ على الأناجير.

(٥) المصدر السابق ص ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

(٦) فقه اللغة للدكتور وافى ص ١٣٦.

أصوات اللين الطويلة نفسها وبخاصة فى الألف اللينة إذا أميلت فى لغات بعض القبائل العربية القديمة (ومنها قريش) وتمال الآن فى لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر وفى بعض اللهجات فى بلاد الشرقية والأصوات الساكنة كذلك ففى عاميتنا حلت الدال فى (دبور) محل الزاى فى (زنبور) الفصحى، والسين فى (يسدأ) محل الصاد فى (يصدق) الفصحى وهكذا، ومثل ذلك حدث فى اللغات الأوربية[١].

٢- **الاشتقاق**: قد تتفق كلمتان فى ظاهر أمرهما فى جميع الحروف إلا حرفًا واحدًا وأصلهما - فى الحقيقة - مختلف لأخذ كل منهما من أصل معين وقد ضرب ابن جنى لذلك أمثلة متعددة كما فى حثوا وحثحثوا وآديته وأعديته فإذا أدركنا أصول الألفاظ على هذا النحو أمكننا تفسير ألفاظ كثيرة ظن أنها من الإبدال.

٣- **تغير المعنى**: تتغير معانى الألفاظ من آن لآخر تبعًا للأحوال التى تمر بها اللغة ويتطور المعنى بإحدى الصور الثلاث التى لا رابع لها (توسيع المعنى - تضييقه - انتقاله)[٢] «وينحرف الناس - عادة - باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة فى التعبير وتتزاحم المعانى في أذهانهم أو التجارب فى حياتهم ثم لا يسعفهم ما ادخروه من الألفاظ وما تعلموه من كلمات[٣] ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفًا ويعد حينئذ من الحقيقة وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة للفظ فى حدود ضيقة ويكون للفظ دلالتان أو استعمالان - وكلاهما من الحقيقة - غير أن إحدى الدلالتين تكون أكثر شيوعًا من الأخرى بل قد يصل الأمر إلى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تستدعى الانتباه وتكاد تعد كالمجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المألوفة[٣]، وفى هذه اللغة الشاعرة توجد كلمات كثيرة بقى معناها الحقيقى مع شيوع معناها المجازى على

---

(١) علم اللغة د. وافى ص ٢٩٠ - ٢٩٣.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ص١٦٥.

(٣) دلالة الألفاظ د. أنيس ص ١٢٦ واللغة والمجتنمع د. وافى ص ١٧، ١٨.

الألسنة حتى ليقع اللبس فى أيهما السابق وأيهما اللاحق فى الاستعمال[1]، فالعزة يوصف بها المكان المنيع والرجل المنيع فالعزيز فى الحالين غير السهل المباح[2]، وكلمة رأس التى تطلق على رأس الإنسان ورأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيرًا رأس الحكمة[3]، وهكذا نرى أن المعانى تتجدد وتتطور وبخاصة فى لغتنا المبنية على المجاز وهذا التطور المعنوى قد يتسبب فى مساواة لفظ بآخر فيتفق معه فى المعنى وقد يتصادف أن تتفق - حينئذ - الكلمتان فى جميع الحروف إلا حرفًا واحدًا وقد يكون أحد المعنيين مجازًا إلا أنه عرف واشتهر فكأنه حقيقة بكثرة الاستعمال على ما سبق وقد يكون من ذلك ما جزم به ابن جنى من اختلاف المعنى بين كلمتى ثوم وفوم وأن الفاء ليست بدلاً من الثاء لاختلاف المعنى وتؤيده المعاجم فيما ذهب إليه[4] ولو أن اللغويين حاولوا الفصل بين المعانى وبيان حقيقيها ومجازيها وصلة هذه المعانى بعضها ببعض لأدى ذلك إلى تفسير قدر كبير من الألفاظ التى تدخل فى ظاهرة الإبدال.

٤- **التصحيف والتحريف**: هذا العامل يرجع إلى عصر تدوين اللغة وكتابتها[5] فإن الحروف العربية تنقسم إلى مجموعات متشابهة والتصحيف خاص بنقط الحروف المتشابهة فى الشكل مثل (ب ت ث - ج ح خ - د ذ - رز - س ش - ص ض - ط ظ - ع غ - ف ق)[6] فإن صور تلك الحروف واحدة ولا يفرق بعضها عن بعض فى الكتابة الحديثة إلا النقط ومقدارها والتحريف خاص برسم الحروف المتشابهة وشكلها مثل (د ر - د ل - ذ ز - ز ن) فى الحروف المتقاربة الصورة و(ل ع - م ق) فى الحروف المتباعدة الصورة[7].

---

(١) اللغة الشاعرة ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق ص ٤١.

(٣) فى اللهجات العربية ص ١٩٣.

(٤) س الصناعة ١/ ٢٥٢ والقاموس ٤/ ١٠١، ١٨٧.

(٥) التصحيف والتحريف (للعسكرى) ص ٩.

(٦) المزهر ١/ ٢٥٥ - ٢٦٧ واللغة العربية كائن حى ص ٥٧.

(٧) تحقيق النصوص ونشرها ص٥٠ - ٥٢.

والتصحيف قسمان تصحيف الخط وتصحيف السمع فالأول ينشأ عن اختلاط نقط الحروف المتشابهة - كما سبق - ومن صور الإبدال التى يمكن فيها ذلك «رجل صلب وصلت» والدبر والدثر والكرت والكرب ورغاث ورغاب وجاص وجاض والنافجة والنافحة»[١]. وقد وقع أصحاب المعاجم في كثير من هذا اللون من التصحيف[٢]، والثانى ينشأ من نطق الأحرف المتقاربة مخرجًا أو صفة وهى - غالبًا - لا تتشابه رسمًا عند إهمال نطقها مثل (ء هـ - ب م - ت ط - ث س ف - ج ش - د ض - ذ ز ظ - س ص - ق ك) ومن صور الإبدال التى يتوهم فيها ذلك اتمأل واتمهل ومن كثب ومن كثم والأقتار والأقطار والوطث والوطس واللثام واللفام والوقيذ والوقيظ[٣] وقد وقع التصحيف والتحريف من علماء ورواة أفذاذ أمثال الخليل والأصمعى وأبى عمرو بن العلاء وأبى زيد وأبى عبيد وغيرهم كثير[٤] وصرح ابن جنى بوقوع التصحيف والتحريف فى بعض أمثلة الإبدال فى فصل التحريف[٥] ومن كلامه فيه «قالوا لا بل ولا بن وقالوا: قام زيد فم عمرو كقولك ثم عمرو وهذا وإن كان بدلاً فإنه ضرب من التحريف»[٦] واعترف المحدثون بأن بعض ما وقع فيه الإبدال من ذلك كالدكتور الصالح[٧] والأستاذ جورجى زيدان[٨] والدكتور أنيس[٨] فليس من التجنى إذا أن نرجح أن بعض الكلمات التى قيل لنا إن بينها إبدالاً لا تمت للإبدال بأية صلة بل هى وليدة التصحيف[٩] والتحريف.

---

(١) المزهر ١/ ٢٥٥ - ٢٦٧ واللغة العربية كائن حى ص ٥٧.

(٢) مما يمثل ظاهرة الإبدال فى المعاجم ويحتمل فيه التصحيف ما ورد فى باب الهمزة من القاموس مثل (جفأه وحفأه صرعه، خفأه اقتلعه فضرب به الأرض، جلأ بالرجل: صرعه وبثوبه رماه، حلأه بالأرض صرعه وبالسيف ضربه، سأسأ وشأشأ دعا الحمار ليشرب رأرأت الظباء: بصبصت بأذنابها، زأزأ الظليم: مشى مسرعًا رافعًا رأسه وذنبه إلخ).

(٣) انظر المخصص باب البدل ١٣/ ٢٦٧ وما بعدها.

(٤) المزهر ٢/ ١٨١ وما بعدها.

(٥) الخصائص ٢/ ٤٣٦.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٤٤٠.

(٧) دراسات فى فقه اللغة ص ٢٦٨ - ٢٧١.

(٨) اللغة العربية كائن حى ص ٥٦، ٥٧.

(٩) من أسرار اللغة ص٥٣ - ٧٠.

٥- **صنع الألفاظ واختلاقها:** لقد حدث هذا الخلق والابتداع فى اللغة ولا سيما تراثها الأدبى وعلى رأسه الشعر فقد كانت قبائل العرب ذات عصبيات كثيرة ومفاخر وأمجاد فحاولت كل منها أن تظهر بشرف ومجد أعظم من الأخرى ولذلك اخترع بعضها القصائد ونسبتها إلى أجدادها الأوائل تحقيقًا لما تهدف إليه، يقول ابن سلام: «لما راجعت العرب فى الإسلام رواية الشعر بعد أن اشتغلت بالجهاد والغزو واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواية بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من ولد الشعراء أوالرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال[١] ويفهم من نص ابن سلام السابق أن الرواة زادوا فى الآثار الأدبية واتهم بذلك خلف الأحمر وحماد الرواية[٢] ولا ريب أن اللغة بألفاظها تعتمد على التراث الأدبى وبخاصة الشعر الذى كان يحتل الصدارة فى البيئة العربية ويسرى على الألسنة فى جميع الأصقاع فتنتشر لذلك الألفاظ ولو كانت فى أبيات مصنوعة وقد قال الخليل «إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت[٣] وقد أورد السيوطى أمثلة كثيرة لكلمات مصنوعة فى أبواب متعددة من مزهره[٤] ومن ذلك عنشج: ثقيل وخم وضهيد: الرجل الصلب والألظ: نبت[٥] وغير ذلك كثير.

وقد ذكر الأستاذ السامرائى أن السعة التى أضيفت للمعجم العربى بطريقة الإبدال قد توسع فيها وربما دخلها شيء من التجوز والتوسع والكذب وذلك أنك

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٩ - ٤١ والمزهر ١/ ٨٦، ٨٧ ويقول ابن سلام أيضًا - وفى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه. الطبقات ص ٥، ٦ والمزهر ١/ ٨٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٣٩ - ٤١.

(٣) العين ١/ ٥٩ والمزهر ١/ ٨٥.

(٤) انظر مثلاً ١/ ٥٢ - ٥٦، ٦٣، ٦٧، ٨٥ - ٩١، ١٠٦ - ١١١، ١٢٠ - ١٢٤.

(٥) المزهر ١/ ٦٣ - ٦٧، ١٢٠ - ١٢٤.

تجد الكثير مما عرض له الإبدال كما نص عليه الأقدمون يفتقر إلى الشاهد الصحيح وضرب لذلك أمثلة ـ من المعاجم ـ منها بعير مبلند، ومكلند: إذا كان شديدًا وقد ابلندى يبلندى ابلندادا واكلندى يكلندى اكلنداء إذا اشتد[1] ثم قال وما أظن أن العربية تفيد من هذه السعة غير المقتضاة[2] ويبدو لنا أن هذا حكم مطلق يجب تخصيصه بما روى عمن ليس من أهل الضبط والإتقان وبعد هذا نقول: لا يبعد أن تكون بعض الألفاظ المخترعة قد أضيفت إلى اللغة وكان لها أثرها فى ظاهرة الإبدال.

وهذه الأسباب التى عرضناها تعد أساسًا صحيحًا لتفسير ظاهرة الإبدال وبيان صلتها باللهجات العربية نشأة وظهورًا وسنحاول تطبيقها على بعض ألفاظ هذه الظاهرة مما له مصطلح لهجى أو لغوى معروف، ومما لم يضع له العلماء مصطلحًا لهجياً أو لغوياً.

ويتسع الإبدال ليشمل مظاهر كثيرة لاختلاف اللهجات فبعض القبائل تفضل حرفًا معينًا، فى حين أن قبائل أخرى تفضل حرفًا آخر.

وبعض القبائل تفضل حركة معينة فى حين أن غيرها يفضل حركة أخرى.

ولذا سنتكلم عن أهم مظاهر هذين النوعين ونفسر قدرًا صالحًا مما ورد فى كتب اللغة من أمثلة لهما نراها جديرة بالدرس والبحث، ونحللها تحليلاً علمياً مبنياً على ما صح من المقاييس التى وضعها القدامى والمحدثون من علماء اللغة ونبين بالحجة والدليل الرأى الجدير بالاتباع.

****

(١) لسان العرب ٤/ ٦٥، ٣٨٥.

(٢) التطور اللغوى التاريخى ص ١١٥.

أولاً: الإبدال في الحروف

ما له مصطلح لهجي أو لغوي:

وقع الإبدال في بعض الحروف عند القبائل المختلفة، وبعضه وضع له اللغويون مصطلحًا لهجيًا، أو مصطلحًا لغويًا.

وقد وصفت بعض هذه الظواهر الإبدالية بأنها من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ وذلك بعد أن هذبت اللغة، وأطبقت العرب على النطق الحر والأسلوب المصفى[١].

ومن ذلك: الكشكشة والكسكسة والفحفحة والعنعنة والاستنطاء ونحو ذلك مما ذكره ابن فارس تحت عنوان (باب اللغات المذمومة)[٢] وذكره السيوطي ـ نقلاً عنه ـ تحت عنوان: (معرفة الردىء والمذموم من اللغات)[٣].

الكشكشة:

يجعل بعض العرب بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا فيقولون في: رأيتك: رأيتكش، وفي بك: بكش، وفي عليك: عليكش[٤] وهؤلاء الناطقون ـ كذلك ـ طوائف، فمنهم من يثبت الشين حالة الوقف فقط حرصًا على البيان فإذا وصلوا حذفوا وهو الأشهر، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضًا، ومنهم من يجعل الشين مكان الكاف، ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف فيقولون في مررت بك اليوم، مررت بِشِ اليوم، وفي مررت بك في الوقف: مررت بش، قال الشاعر:

فعيناشِ عيناها وجيدشِ جيدها ولكن عظم الساق منشِ دقيق

وأنشد ابن الأعرابي:

عليّ فيما أبتغي أبغيش بيضاء ترضيني ولا ترضيش

(١) تاريخ آداب العرب ١/ ١٤٠.

(٢) الصاحبي: ٣٥.

(٣) المزهر: ١/ ٢٢١.

(٤) الجمهرة ١/ ١٥٣.

وتـطَّـبـى وُدَّ بـنِـى أبـيـش	إذا دنوت جـعـلت تـنبـيـش
وإن نـأيت جـعـلت تـدنيش	وإن تـكلـمت حـنت فـى فـيـش

حتى تنقى كنقيق الديش

وجاء قلب الكاف شينًا فى غير كاف الضمير[1] فى (الديك) لضرورة القافية قال ابن جنى بعد ذكره الأبيات: فشبه كاف الديك لكسرتها بكاف ضمير المؤنث[2].

وقال الراجز:

أى غـلام لـش عـلـود العـنـق	لـيس بكـيـاس ولا جـد هـمق

لش: لك، وهى لغة لبعض العرب[3].

وعليها قرأ بعضهم ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] (قد جعل ربش تحتش سريًا).

وتنسب الكشكشة لأسد وهوازن، وقال ابن فارس: هى فى أسد، ونسبها بعضهم إلى تميم وبعضهم إلى ربيعة ومضر[4].

ويعد سيبويه من أوائل من ذكر هذه اللهجة، يقول: واعلم أن ناسًا من العرب يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف، وذلك قولهم: أعطيتكش وأكرمتكش، فإذا وصلوا تركوها، وإنما يلحقون الشين فى التأنيث، لأنهم جعلوا تركها لبيان التذكير[5].

وإضافة الشين عند الوقف على المؤنث، لأن الكسرة تخفى عند الوقف فأرادوا بيانها بإبدالها شينًا أو بزيادة شين بعد الكاف.

---

(١) مجالس ثعلب ١/ ١١٦. (٢) سر الصناعة ١/ ٢١٧.

(٣) التهذيب ٢/ ٢١٦.

(٤) الكامل ١/ ٣٧١ قال المبرد: إنهم التميميون الذين منهم عمرو بن تميم، والصاحبى ص٢٤ والأساس ص٨٢٢، والمحكم ٦/ ٣٩٧، ٣٩٨ وشرح المفصل ٩/ ٤٨ والمزهر ١/ ٢٢١ وانظر سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٦، ٢٣٥ وفقه اللغة للثعالبى ص ١٢٩.

(٥) الكتاب ٤/ ١٩٩، ٢٠٠.

ويروى سيبويه ـ كذلك ـ قلب الكاف شينًا فى الوصل مثل: أنش ذاهبة ومالش ذاهبة، يريد: أنك وما لك[1] وقد نسبها إلى تميم وناس من أسد[2].

وإلحاق الشين بعد الكاف أو إبدالها منها لتوافقهما فى كثير من الصفات كالهمس والاستفال والانفتاح والإصمات مع تقارب المخارج فالكاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والشين من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى[3].

وبعض المحدثين يرى أنه لابد فى الكشكشة أو الكسكسة أن تحل الشين أو السين محل الكاف ليمكن أن تعد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات، إذ ليس هناك ما يسوغ أن تتصل الكاف بصوت آخر فى حالة الوقف، بل الأقرب إلى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحل صوت محل آخر[4].

ونرى أنه لا يتحتم ذلك مطلقًا، إذ بعض اللهجات تزيد حرفًا وبعضها تنقص، ولا شىء فى ذلك.

الكسكسة:

يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى خطاب المؤنث سينًا كالكشكشة فيقولون أعطيتكس وأكرمتكس وأبوس وأمس فى (أعطيتك وأكرمتك وأبوك وأمك) وورد عن معاوية حين سئل: من أفصح الناس؟ قال: قوم تياسروا عن كسكسة بكر أى إبدالهم السين من كاف الخطاب حين يقولون: أبوس وأمس يريدون: أبوك وأمك وبعضهم يزيد السين بعد الكاف فى الوقف مثل: مررت بكس أى بك[5] والكسكسة لبكر وأسد وربيعة ومضر[6] ومنع الحريرى نسبتها إلى ربيعة

(١، ٢) الكتاب ٤/ ١٩١ وانظر مجالس ثعلب ١/ ١١٧ وسر الصناعة ١/ ٢١٤.

(٣) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية.

(٤) فى اللهجات العربية د. أنيس: ١٢٢.

(٥) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/ ١٧٤.

(٦) الكامل ١/ ٣٧١ وقد نسبها المبرد فيما يختص بقلب كاف الخطاب للمؤنث سينًا إلى بعض بكر ومثله فى فقه اللغة للثعالبى ١٢٩ وسر الصناعة ١/ ٢١٤ والصاحبى ٢٤ فيما يختص بزيادة سين بعد كاف المؤنث فى الوقف والمفصل ٩/٧ وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣٨١ وفى التهذيب: الكسكسة لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة ٩/ ٤٣٠.

ومضر[١]، وصاحب القاموس يذكـر أنها لتميم[٢]، وقيل نسبت لهوازن[٣] ونرى أنها تنسب لهؤلاء جميعًا.

ويحاول بعض المحدثين أن يفسر الكشكشـة والكسكسة على أنها صوت مركب (ch) ثم قلبت الشيين سينًا فى الكسكسة يقول: فالأصل فى هذه الظاهرة أن تكون الكاف للمؤنث حـتى تجتذب الكسـرة الكاف إلى الأمام، فتـقلب إلى نظائرها من أصول الثنايا فتصير (ch) أى شجرية، وبعد ذلك صارت (تس) وقلب الشين سينًا مطرد فى اللغات السامية، فضمـير الغائب «شون» فى الأكادية و«سون» فى بعض اللغات العربية الجنوبية[٤].

وادعى بعـضهم أن قلب الكاف سـينًا أو شـينًا أو صوتًا مـركبًـا (تس ـ تش) يتمشى مع قانون الأصوات الحنكية الذى يقرر أن الأصوات تنتقل من أقصى الحنك (الطبق) إلى الشفتين، فالكاف على هذا التفسير تصير سينًا[٥].

ونرى أن هذا غير صحيح، لأننا لم نسمع به مطلقًا على طريقة النطق والكتابة، ولم يرد فى كـتب القـدمـاء، وإن شـاع ذلك فى بعض النطق الحـديث بالجـزيرة العربية[٦] ولا يفسر القديم بالحـديث للخلل الواقع فى النطق الحديث بما أبعده عن الفصيح، ولا يحتج به فقد تغير نطـق بعض الأصوات وشوه تشويهًا خطيرًا، فقد تحول ـ مـثلاً ـ فى نطق أهل الرياض ـ صوت الكـاف ـ أول الكلمة إلى (تس) مثل: كيف حالك (تسيف حـالك) وفى وسط الكلمة كذلك، فكلمة (باكر) تنطق هناك (باتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصيح من كلام العرب.

ويرى بعضهم أن الكسكسة والكشكشة حدثتا نتيجة للتطور فى مرحلتين:

---

(١) درة الغواص فى أوهام الخواص ص٣٥.

(٢) ٢/ ٦٢٥ وانظر الاقتراح للسيوطى ص٨٣ والمزهر ١/ ٢٢١.

(٣) الخصائص ١/ ١٢ ومجالس ثعلب ١/ ٨١.

(٤) اللهجات العربية فى التراث ١/ ٣٦٤.

(٥) الأصوات اللغوية ص٧٩.

(٦) فى منطقة الخليج والسعودية.

الأولى: انتقال الكاف إلى الصوتين المزدوجين: تس وتش.

والثانية: تطور الصوتين المزدوجين إلى السين الخالصة تارة والشين الخالصة تارة أخرى[١] وهذا كلام لا يسنده الدليل العلمى أو التاريخى.

الشنشنة:

ورد هذا اللفظ فى كتب اللغة ولكن ليس بالمعنى الاصطلاحى المعروف ففى المعجمات أن الشنشنة: الطبيعة والخلق والسجية وفى المثل:

شنشنة أعرفها من أخزم   من يلق آساد الرجال يكلم[٢]

وفى الاصطلاح: جعل الكاف شينًا مطلقًا سواء كانت لمذكر أو لمؤنث[٣] وسواء كانت أصلية أو زائدة مثل: لبيش اللهم لبيش فى لبيك[٤] والديش فى الديك[٥] وقد سمع بعض أهل اليمن فى الحج يقول: (لبيش اللهم لبيش). ويرى بعض المحدثين أن ما يسمى بالشنشنة هو صوت بين الجيم والشين أو هو الصوت المركب (تش) Ch المعروف فى الإنجليزية، ولأن العرب لا يعرفون طريقة كتابة هذا الصوت فإنهم كتبوه تارة بالكاف وثانية بالشين وقيل ـ أيضًا ـ إن الكاف فى أى موضع من الكلمة حينما يأتى بعدها صوت لين أمامى فإنها تقلب إلى نظيرها من الأصوات الحنكية (أصوات وسط الحنك).

ونحن لا نرتضى هذين التفسيرين لمخالفتهما لطبيعة نطق الأصوات العربية وخصائصها لأن العربية لا تعرف الحروف المتداخلة أو المركبة بين حروفها وقد ماتت الأصوات التى بين بين منها.

ونسبت فى العقد الفريد لتغلب ففيه فى خبر الرجل ـ من السماط ـ الذى كلم معاوية عن أفصح العرب قوم تيامنوا عن شنشنة تغلب[٦]، وتنسب أيضًا إلى

---

(١) اللهجات العربية فى التراث ص١٢٣.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٥٥ واللسان ١٧/ ١١٠ والعين ٦/ ٢٢٠.

(٣) لهجات العرب لأحمد تيمور ص١٢٣.

(٤) المزهر ١/ ٢٢٢ وتاريخ آداب العرب ١/ ١٤١ ومميزات لغات العرب ص١٣.

(٥) الجاسوس ص١٨٣.   (٦) ٢/ ٤٧٥، ٣/ ٣٢٠.

بكر بن وائل، وقد نسبها ابن دريد والقلقشندى إلى حمير[1] ولكنها شائعة فى القبائل اليمنية وهى تنسب إلى أهل البداوة منهم، ومازالت حتى الآن فى اللهجة الشحرية والمهرية والقطرية وحضرموت.

العنعنة:

ورد فى بعض كتب القدماء أن العنعنة قلب الهمزة عينًا[2]، ويقول ابن دريد: العنعنة حكاية كلام نحو قولهم: عنعنة تميم، لأنهم يجعلون الهمزة عينًا[3] ويقول السيوطى: إنهم يجعلون الهمزة المبدوء بها عينًا[4] ومن ذلك قول الشاعر:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقال جران العود:

فما أبن حتى قلن يا ليت عننا ... تراب وعنّ الأرض بالناس تخسف

وقال الآخر:

تعرضت لى بمكان حل ... تعرضا لم تأل عن قتلا لى[5]

وقال:

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم ... غداة دعانا عامر غير معتلى[6]

ومن ذلك: الأسف والعسف.

ومما ورد من ذلك مما وقعت فيه الهمزة عينًا: كعص أى كأص بمعنى أكل يقال: كعصنا عند فلان وكأصنا أى أكلنا، قال أبو حاتم:

---

(١) الجمهرة ١/ ٢٣٨، ٣/ ٧٧ وصبح الأعشى ١/ ١٦٠.

(٢) العين ١/ ١٢١ وفقه اللغة للثعالبى ص١٢٩ والأمالى للقالى ٢/ ٨١.

(٣) الجمهرة ١/ ١٦٠. (٤) المزهر ١/ ٢٢٢.

(٥) قال ابن جنى: يجوز أن يكون أراد (أن تقتلالى) فأبدل الهمزة عينًا (سر الصناعة ١/ ٢٣٧) ويجوز أن يكون أراد الحكاية كأنه حكى النصب الذى كان معتادًا من قولها فى بابه أى كانت تقول: قتلا قتلاً ثم حكى ما كانت تلفظ به، سر الصناعة ١/ ٢٣٦، ٢٣٧، واللسان ١٦/ ١٧٨.

(٦) الجمهرة ١/ ٢٣٨، ٣/ ٧٧ وسر الصناعة ١/ ٧٥ والخصائص ١/ ٤١١ والمزهر ١/ ٢٢٣.

هى همـزة قلبت عينًا لأن بنى تميم ومن يـليهم يحـققـون الهمـزة حتى تصـير عينًا[1].

ومما ذكره الخليـل فى العين: الخبع: الخبء فى لغـة تميم يجعلون بدل الهـمزة عينًا[2].

وحكى عن بنى تميم: هذه خباعنا، يريد خباؤنا، ويقال: خبع الرجل فى المكان إذا دخل فيه، وأحسب أن هذه العين همزة[3].

ولا تزال هذه الظاهرة قائمة فى بعض اللهجات الدارجة فى صورها المشار إليها أولاً ووسطًا وآخرًا.

ففى مدن تهـامة يقولون: (عالة) فى (آلة) و(العـمام) فى (الإمام)[4] ومن ذلك فى لهجات صعيد مصر (اسعل وسعال) بدل (اسأل وسؤال) و(لع) مكان: (لا).

ويرى بعض الباحثين أن العنعنة تكون فـى (أنْ وأنّ) لكثرة استعمالهمـا وطولهما بالصلة[5] وبعضهم كـالفراء وابن فارس يخصهـا بالهمزة المفتـوحة فى (أنّ) المشددة النون، ففى لسـان العرب «لغة قـريش ومن جاورهم (أنّ) وتميم وقـيس وأسد ومن جـاورهم يجعلون ألـف (أن) إذا كـانـت مـفـتـوحة عـينًا يقـولون: أشـهـد عنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف[6] وابن جنى يرى ذلك ـ أيضًا ـ فيذكر أن بنى تميم يقولون فى موضع (أنّ): (عنّ) فيقـولون: ظننت عنّ عبد الله قائم، وقال: إن مجىء النون فى العنعنة يدل على أن إبدالهم إياها هو فى همزة (أنّ) دون غيرها.

وقولهم: عنعنة مشتق من قولهم: عن عن فى كثير من المواضع[7] إلا أن عالمنا ابن جنى يذكر أنهم أبدلوا الهمزة فى غير (عن)[8] سواء كانت أولاً أو وسطًا.

---

(١) الجمهرة ٣/ ٧٦.
(٢) العين ١/ ١٤١.
(٣) الجمهرة ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.
(٤) فى اللهجات العربية: ١١١.
(٥) سر الصناعة ١/ ٢٣٤ وشرح المفصل ٨/ ١٤٩.
(٦) اللسان ٤/ ٣١٤٣ (عن) والتهذيب ١/ ١٢٢ وشرح المفصل ١/ ١٩٨، ٨/ ١٤٩ وانظر الصاحبى ص٢٤ والمغنى ١/ ١٣٠.
(٧) سر الصناعة ١/ ٢٣٧.
(٨) المصدر السابق ١/ ٣٤٠.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن اشتراط البدء بالهمزة أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره[1] من الناحية الصوتية، وإنما الذى يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال هو أن هذه القبائل كلها من البدو، وكانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع أياً كان موضعها من الكلمة وبأى حركة تحركت[2].

ويتهم القدماء الذين قصروا العنعنة على الهمزة المبدوء بها بأن مبنى رأيهم على الرواة الذين استقرأوا أمثلة هذه الظاهرة استقراء ناقصًا، والأمر فى كل رواية لا يعدو أن يكون حكمًا خاصاً مبنيًا على مثل خاص سمعه الراوى دون استقراء لباقى الحالات[3].

ويبدو لنا أنه اتهم الرواة دون دليل، والقدماء لا ينكرون إبدال العين من الهمزة فى الأول والوسط والآخر، ونصوص القدماء السابقة تشهد لذلك وإن خصها بعضهم بالابتداء.

وقد نسب بعض العلماء العنعنة إلى تميم خاصة، ومنهم الخليل بن أحمد والأصعمى[4] وابن فارس[5] وابن جنى[6] وجعلها ابن دريد فى تميم ومن يليهم[7] وينسبها بعضهم إلى تميم وقيس وأسد[8].

ولكن كثرة النصوص الواردة بالعنعنة ونسبتها إلى قبائل متعددة يؤدى بنا إلى القول بكثرة القبائل البدوية التى شاركت تميمًا فى قلب الهمزة عينًا والإشارة إلى تميم، لأنها أكبر القبائل فى شرقى الجزيرة.

والانتقال من الهمزة إلى العين ممكن لأنهما أختان تخرجان من الحلق فالهمزة من أقصاه والعين من وسطه[9].

---

(١) كذا بالأصل والصواب (يسوغه) مكان (يبرزه).

(٢، ٣) فى اللهجات العربية: ص١١.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣٤.

(٥) الصاحبى: ص٣٥.

(٦) سر الصناعة: ١/ ٢٣٤.

(٧) الجمهرة ١/ ١٦٠.

(٨) تهذيب اللغة ١/ ١١١ وتاج العروس ٩/ ٢٨٢.

(٩) الكتاب ٤/ ٤٣٣ وسر الصناعة ١/ ٥٢.

وهى مناسبة لطبيعة البدو الذين يحتاجون إلى نبرة عالية، لاتساع الصحراء والعين مجـهورة، أمـا الهمـزة فهى ـ فى أدق الآراء ـ لا مجـهورة ولا مـهمـوسة أو هى مهموسة على رأى بعض المحدثين[1].

الفحفحة:

هى قلب الحاء عينًا مطلقًا[2] سواء كانت حاء حـتى أو غيرها، فى لغة هذيل يجعلون الحـاء عينًا فيـقولون فى مثل: حلت الحـياة لكى حى: علت العـياة لكل عى، وعلى لغـتهم قرأ ابن مـسعـود (عتى حين) فى قولـه تعالى ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، ونقل صاحب النـهاية أن عمر بن الخـطاب رضى الله عنه ـ بلغه أن ابن مسعـود يقرئ الناس بلغة هذيل «عتى حين» فقـال: إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فـأقرئ الناس بلغـة قريش[3] وقال الـزمخشـرى: وفى قـراءة ابن مسـعود «ليسـجننه عتى حين» وهى لغة هذيـل، وعن عمر رضى الله عنه أنه سـمع رجلاً يقرأ (عـتى حين) فقال: من أقرأك؟ قـال: ابن مسعـود، فكتب إليه: إن الله أنزل هذا القـرآن بلغة قـريش فـلا تقرئهم بـلغة هذيل والسـلام[4] وورد عنهم أيضًا: وجلست عنده عتى الليل.

وبعض الباحثين يرى أن الفحفحة خاصة بحاء (حتى).

يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا: المشهور فيها إبدال الحاء من (حتى) عينًا، وذكر القراءة (عتى حين) ونقل عن فـريق من الباحثين أن الإبدال ليس مقـصوراً على حاء حتى مـثل: اللعم الأعـمر إلخ ثم يقـول: وهذا النقل ضعـيف لأنه لم يرد لنا من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم، ومع هذا فقد رأينا ابن مسعود قد اقتصر على إبدال الحاء من (حـتى) ولم يبدلها من (حين) فلو كان الإبدال عاماً لقرأ بالعين فى كلتا الكلمتين فدل ذلك على أن الفحفحة خاصة بحاء حتى[5].

---

(١) الوجيز فى فقه اللغة للأنطاكى: ص٢٠٠ وانظر كتابنا: أصوات اللغة العربية.

(٢) سر الصناعة ١/ ٢٤٦ والمزهر ١/ ٢٢٢ والأمالى ٢/ ٧٠.

(٣) النهاية ٣/ ١٨١. (٤) الكشاف ٢/ ٣١٩.

(٥) اللهجات العربية د. نجا ص٨٢، وانظر مميزات لغات العرب ص١١.

ولكن يبدو لنا أن ظاهرة قلب الحاء عينًا مطلقًا ثابتة لورود ذلك فى أمثلة لغوية ضمتها المعاجم اللغوية مثل بحثر وبعثر وروى اللحيانى قولهم: عصد الرجل إذا مات وحكى عن أبى ضبة قال: لغتنا حصد ولغة الأكثر عصد[١]. وهذا التبادل كثير مثل، الحبكة والعبكة وهى الحبة من السويق[٢] وضبحت الخيل وضبعت إلى غير ذلك.

ويرى بعض المستشرقين أن (عتى) - فى لغة هذيل - لها صلة بكلمة (عدى) الموجودة فى بعض اللغات السامية وفى العربية الجنوبية القديمة، وكذلك الكلمة العبرية (عد) بمعنى حتى فالحاء تقابل العين والتاء تقابل الدال أى أننا أمام صورتين لكلمة واحدة إحداهما تشتمل على صوتين مهموسين والأخرى تشتمل على نظيريهما من المجهورات وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة المشتملة على المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية ولا تكون هناك فى هذه الحالة ظاهرة عامة تدعى الفحفحة[٣] وقد روى عن العرب قلب الحاء عينًا فى غير (حتى) مثل: علت العياة لكل عى وقولهم: (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) فى (اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض)[٤] وتنسب هذه الظاهرة لهذيل أو لبعض بطونها ولثقيف[٥] وقد وجد هذا القلب فى الآية فى مصحف ابن مسعود ومصحف الربيع بن خثعم.

والحاء والعين من مخرج الحلق ويتفقان فى صفات الاستفال والانفتاح والإصمات إلا أن العين مجهورة، والحاء مهموسة والحاء رخوة والعين صوت متوسط بين الشدة والرخاوة فأمكن تبادلهما، ولذا قال ابن جنى «لولا بحة فى الحاء لكانت عينًا»[٦] ويقول فى المحتسب مشيرًا لظاهرة الفحفحة:

---

(١) الإبدال لأبى الطيب ١/ ٢٤٦.

(٢) المزهر ١/ ٤٦٦.

(٣) فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٩.

(٤) مميزات لغات العرب: ص١٣ وفى اللهجات العربية: ص ١٠٨.

(٥) انظر المصادر السابقة فى هذا الموطن وابن عقيل ٣/ ١٢ ط دار الفكر ولسان العرب ٢/ ٣٢٨. حيث يقول: فى (عتى) هذلية ثقفية.

(٦) سر الصناعة ١/ ٢٤٦ وتكلم عن هذه القراءة فى (حتى) فيقول: أبدلت العين من الحاء فى بعض المواضع قرأ بعضهم (عتى حين) يريد: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]

«العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما فى المخرج كقولهم بحثر ما فى القبور أى بعثر»[1] وضبعت الخيل أى ضبحت وهو يحنظى ويعنظى إذا جاء بالكلام الفاحش فعلى هذا يكون (عتى وحتى) لكن الأخذ بالأكثر استعمالاً وهذا الآخر جائز وغير خطأ.

والمعروف أن فى قبيلة هذيل ميلاً إلى البداوة، إذ كانت مجاورة لبعض البدو على حين أن ثقيف من القبائل الحضرية، وربما نسبت لها لتأثرها بمن ينطقها لكن بعض المحدثين ينفى وجود هذه الظاهرة وبنى هذا النفى على أمور:

١- أن قصة قراءة ابن مسعود للآية (عتى حين) مشكوك فى صحتها فكيف ينهى عمر ابن مسعود عن القراءة بالعين مكان الحاء فى هذه الآية مع ما نقله عمر نفسه من استحسان الرسول ﷺ قراءة ابن مسعود حينما كان يسمر عند أبى بكر وكان عنده عمر فخرج رسول الله ﷺ وعمر وأبو بكر معه فإذا رجل قائم يصلى فى المسجد فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته فقال عمر: فلما كدنا أن نعرف الرجل قال: **«من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»** (يعنى ابن مسعود).

٢- لم يسمع قلب الحاء عينًا عن هذيل فى غير هذه القراءة المروية والمثال واحد لا يكفى لإثبات اللهجة، وهناك آيات أخرى كثيرة لم تبدل فيها الحاء عينًا.

٣- نقل عن ابن مسعود القراءة بإبدال العين حاء فى بعض الآيات فى مثل قوله تعالى ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] قرأها (بحثر) بالحاء وهذا نقيض القراءة السابقة فى (حتى حين).

٤- وقوع القراءة بإبدال الحاء عينًا فى (حتى حين) فى مصحف الربيع بن خثعم مما يدل على أن هذه الظاهرة ليست مختصة بهذيل.

٥- نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل تبعًا لابن مسعود لأنه قرأ بها نسبة غير مقبولة لأن قراءة القارئ قد لا تعتبر لغة قومه فابن محيصن وابن كثير يقرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) المحتسب ١/ ٣٤٣.

لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ [البقرة: ٢٦] بياء واحـدة (يستحى) وهى لغة تميم مع أنهما مكيان فقد خالفا بذلك لهجة قومهما وبذلك فإنه لا يتعين أن تكون قراءة ابن مسعود ممثلة للغـة قومه الهذليين[1] على أن قبيلة هذيل متصلة بالحـجاز ومساكنها قريبة منها والفحفحة ظاهرة بدوية مما يبعد نسبة هذه اللهجة إلى تلك القبيلة.

٦- التسمـية نفسهـا تحمل على الشك فى وصف القدماء لهـذه الظاهرة فكلمة الفحفحة إذا نظر إليها فى ضوء الكشكشة والعجعجة نرى أن الحرف الثانى فى كل من هذين المصطلحين هو الحـرف المقلوب إليه وكان مـقتضى هـذا أن يكون معنى الفحفحة قلب العين إلى الحاء لا العكس[2].

ولكننا نرى أن هذا النفى غيـر صحيح فالشك فى قراءة لا يؤدى إلى إسـقاطها إلا إذا كان مـعتمـدًا على أوجه عدم صـحة النقل وطرق الرواية وذلك لم يتـوافر لصاحب النفى.

كما أن اعتـداد الرسول بقراءة ابن مسعود يؤكد صـحة الرواية وليس دليلاً على نفيـها وهو توجيـه للقارئ للاتجاه إلى الصـفة العامـة الغالبة وإن صـحت القراءة بغيرها أو يقرأ القرآن على وجوه كثيرة تبعًا لتعدد القبائل وتيسيرًا على الناطقين من المسلمين على حسب لهجاتهم، لكن فى مقام التعليم يلجأ إلى الأقوى.

ولم يقتصر أمـر هذه اللهجة على مثال واحد بل ورد غيـره كما أن ما نقل عن ابن مسعود من القراءة بقلب العين حاء يؤكد صحة هذا النوع من التبادل ولا ينفى عكسه بل يؤيده من لجوء القـبيلة إلى كل منهما لما بين الصـوتين من تقارب يدعو إلى جذب أحدهما إلى صاحبه.

كما أن نسبـة هذه الظاهرة إلى غير هذيل[3] دليل على صحتهـا وعلى انتشارها فى مواطن عدة وهذا يثبتها ولا ينفيها.

ولذا نرى أن النفى دليل لا يعتد به.

---

(١) اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٨، ١٠٩ واللهجات العربية فى التراث ص٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٨.

(٣) نسبت أيضًا إلى ثقيف (جواهر الأدب ص٣٩٣).

العجعجة:

هى جعل الياء المشددة جيمًا فيقولون فى تميمىّ تميمجّ وهذا علجّ يريدون: علىّ، وكذلك الياء المخففة الواقعة بعد العين مثل: الراعج خرج معج فى قولهم: الراعى خرج معى[1] وقال ابن فارس: وكذلك الياء المشددة تحول جيمًا فى النسب، يقولون: بصرجّ وكوفجّ[2].

ويقول السيوطى: ومن ذلك العجعجة فى لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيمًا يقولون فى تميمىّ: تميمجّ[3]. وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بنى حنظلة: ممن أنت؟ فقال: فقيمجّ قال: قلت: من أيهم؟ قال: مُرّجّ يريد: فُقيمىّ ومُرّىّ، وقال يعقوب: بعض العرب إذا شددت الياء جعلتها جيمًا[4]، وفى حديث ابن مسعود: فلما وضعت رجلى على مُذَمَّر أبى جهل قال: اعل عنّج أى تنح عنى[5].

ومن ذلك قول الراجز: قال الأصمعى: حدثنى خلف قال: أنشدنى رجل من أهل البادية:

خالى عُويف وأبو علجّ

المطعمان اللحم بالعشجّ

وبالغداة كسر البرنجّ

تقلع بالوَدّ وبالصيصجّ

أراد: علىّ - العشىّ - البرنىّ - الصيصىّ[6].

---

(١) يقول الرضى: ويبدل ناس من بنى تميم الجيم مكان الياء فى الوقف شديدة، كانت الياء أو خفيفة. شرح الشافية ٣/ ٢٨٧.

(٢) الصاحبى ٣٧ وشرح المفصل ١٠/ ٢٠.

(٣) المزهر ١/ ٢٢٢ والتهذيب ١/ ٦٨.

(٤) سر الصناعة ١/ ١٩٢ والإبدال لأبى الطيب ١/ ٢٥٧.

(٥) انظر النهاية ٣/ ٢٩٤ ولسان العرب ٦/ ٦١ ومذمر كمعظيم القفا. القاموس (ذمر).

(٦) الأشمونى ٤/. ٢٨١ وإبدال ابن السكيت ٩٥ ورواه ابن جنى عمى بدل خالى وروى غيره فلق وكتل وقطع مكان كسر وكلها بمعنى أجزاء الشىء والبرنج بفتح الباء وسكون الراء: من أنواع التمر الجيد والود: الوتد، والصيصى: جمع صيصة وهى القرن والفعل تقلع مبنى للمفعول. انظر سر الصناعة ١/ ١٩٢ والكتاب ٤/ ١٨٢.

ومن ذلك ما أنشده ابن الأعرابى:

كــأن فى أذنـابهـن الشــول   من عـبس الصـيف قـرون الأجّل

يريد: الأيل.

وأنشد الفراء:

بـكيـت والمحتـرز البكـج   وإنما يـأتى الـصبـا الـصبـج

يريد: البكى والصبى[1].

وفى الأمالى: ويمكن أن يكون (حار) لغة فى (يار) كما قالوا: الصهاريج والصواب الصهارى وصهريج وصهرى لغة تميم[2].

وقد تقلب الياء المخففة جيمًا فى مثل قول الشاعر:

يارب إن كنت قبلت حجتج   فـلا يـزال شـاحج يـأتيك بج

أقمر نهات ينزّى وفْرَتج

فالأصل: حجتى - بى - وفْرتى[3].

وكذلك قول هميان بن قحافة السعدى:

يطير عنها الوبر الصهابجا

يريد الصهابى - من الصهبة -[4] فحذف إحدى الياءين وقلب الأخرى جيمًا للقافية[5]، وبعضهم اشترط أن تجتمع الياء مع العين[6] ولكن الظاهر فيما ورد من أمثلة عدم اشتراط ذلك.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٩٣ ولهجات العرب لأحمد تيمور ١٨.

(٢) الأمالى ٢/ ٢١٧.

(٣) سر الصناعة ١/ ١٩٣ وشرح شافية ابن الحاجب ٤/ ٥١٦.

(٤) الوبر أو الشعر الصهابى: ما فيه شقرة.

(٥) سر الصناعة ١/ ١٩٣ والإبدال لابن السكيت ٩٥ وشرح الشافية ٤/ ٢١٦.

(٦) الصحاح ١/ ٣٢٨ والإبدال لابن السكيت ٩٥ ومعجم الشعراء للمرزبانى ١٩٧.

كما أن الياء المشددة التى تبدل جيمًا يطلق عليها مصطلح (العجعجة) إذا وقعت آخرًا لا وسطًا، وقد خصها بعضهم بحالة الوقف دون الوصل وبعضهم جعلها فيهما معًا فمن الأولين سيبويه والسيرافى وابن يعيش والرضى ومن الآخرين ابن جنى والقالى والزمخشرى[١].

والمشهور نسبة هذه الظاهرة إلى قضاعة[٢] وناس من تميم أو ناس من بنى سعد من تميم ونسبها صاحب الأمالى وابن السكيت إلى فقيم وحنظلة[٣] ونسبها الفراء فى الياء المخففة إلى بنى دبير من بنى أسد ونسبها أبو زيد لأهل اليمن، والأصمعى إلى طيئ فى الياء المشددة، وإلى بعض بنى أسد فى الياء المخففة[٤] ونسبت كذلك إلى هذيل، كما نقل عن ابن مسعود[٥].

وهكذا نرى اختلاف القبائل فى طريقة قلب الياء جيمًا ومواطنه ويعلل سيبويه لهذه الظاهرة بأن الياء خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف[٦].

ويعد ذلك القدامى من الإبدال النادر أو القليل[٧] أو الشائع[٨] وقد ذكروا أن بين الياء والجيم علاقة صوتية، لأنهما من مخرج واحد هو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى أو أنهما قريبا المخرج وتشتركان فى بعض الصفات كالجهر والاستفال والانفتاح والإصمات والجيم أدخل من الياء ولذا كان الانتقال من الياء إلى الجيم سائغًا وفى الجيم بعض الشدة التى تتناسب مع البدو[٩] ويجرى الوصل مجرى الوقف[١٠].

---

(١) فى لسان العرب: والعجعجة فى قضاعة كالعنعنة فى تميم يجعلون الياء جيمًا مع العين ٨/ ٣٨ (عجج) وفى مادة (شجر) روى نسبتها لناس من بنى سعد فى الوقف خاصة فإذا وصلوا لم يبدلوا كذلك فى كتاب سيبويه ٣/ ١٨٢.

(٢) الكتاب ٤/ ١٨٢ وشرح الشافية ٢/ ٢٨٧ واللسان (عجج).

(٣) الأمالى ٢/ ٨٩ والإبدال لأبى الطيب ونوادر أبى زيد ١٦٤.

(٤) الإبدال لأبى الطيب ١/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٥) لسان العرب ٦/ ٦١.

(٦) يقول سيبويه: إنهم يبدلون الجيم مكان الياء لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف. الكتاب ٤/ ١٨٢.

(٧) شرح التصريح ٣٦٧ والأشمونى ٤/ ٢٨١.

(٨) الأشمونى ١/ ٢٨٢.

(٩) انظر الكتاب لسيبويه باب الإدغام.

(١٠) شرح الشافية ٢/ ٢٨٧.

وبهذا يتضح أن هذا الإبدال من خصاص بعض اللهجات البدوية، فطيئ تسكن أواسط نجد وحنظلة من أكبر القبائل التـميمية تنسب إلى حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم وفـقيم بطن من دارم من تميم العـدنانية، وبنو سعـد من تميم وبنو أسد من القبائل البدوية.

ويبدو أن القبـائل البدوية كبنى تميم نسب إليـها الأمران قلب الياء جـيمًا وقلب الجيم ياء (صهريج: صهرى) ومعنى ذلك أنها تختار صوتًا فى موقع ثم تختار غيره فى موقع آخر ورأى بـعض الباحثين أن إبدال الياء جـيمًا من خصائص لـهجة تميم وعكسه دخيـل عليها[1] على سبـيل التأثر بالقبـائل الأخرى وربما يكون ذلك فى بعض بطون القبيلة دون بعض[2].

الوتم:

قلب السين تاء عند أهل اليمن فيقولون فى الناس: «النات»[3] قال الشاعر:

يا قـاتـل الله بنى السـعـلاة ... عـمـرو بن يـربوع شـرار الـنات

ليسوا أعفاء ولا أكيات

ويقال: إن إبدال السين تاء من قـبيح البدل أو من قبـيح الضرورة[4] وبعضهم يقول: إنه نادر[5] أو على البدل الشاذ.

ولكن حكى عن أبى عمرو أن قلب السين تاء لغـة وذلك قد ورد فى قراءة الناس: النات فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] وقال إنها لغة قضاعة[6].

ويقـول الرجل لعدوه: لا بأس عليك: تأمـينًا له وهذا فى اللغـة العامـة وعند حمير يقال (لبات) وعليه قول الشاعر:

---

(١) لغة تميم د. ضاحى عبد الباقى ص٨٤ وانظر ص٢٣٥ وما بعدها من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص ٢٨٩ من هذا الكتاب لمعرفة نظائر لذلك.

(٣) المزهر ١/ ٢٢٢.

(٤) النوادر فى اللغة لأبى زيد: ص٣٤٥، ٤٢٣.

(٥) شرح الشافية ٣/ ٢٢١.

(٦) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه: ص١٨٣.

شربنا اليوم إذ غضبت غلاب بتسهيد وعقد غير مين
تنادوا عند غدرهم لبات وقد بردت معاذر ذى رعين[١]

ولبات بلغتهم: لا بأس، قاله الأزهرى[٢].

ويقال: الكرم من توسه وسوسه أى من خليقته، ورجل حفيتاً وحفيساً: ضخم البطن قصير[٣].

وأورد ابن جنى (ست) فى سدس والنات وأكيات فى الناس وأكياس وطست فى طس وختيت فى معنى خسيس، وبذلك يتبين أن السين أبدلت تاء فى أول الكلمة ووسطها وآخرها.

وأوضح ابن جنى رأيه فى أن السين قلبت تاء فيما ذكر ففى المثال الأول قلبوها تاء لتقرب من الدال التى قبلها والتاء مع ذلك حرف مهموس كما أن السين مهموسة فصار التقدير: سدت فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا فى المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقهما فى الهمس ثم أدغمت التاء فى التاء فصارت (ست) كما ترى[٤]، وكذلك تحدث عن البواقى، ففى الناس وأكياس أبدلت السين تاء لموافقتها إياها فى الهمس والزيادة وتجاور المخرج، وفى ختيت أبدلوا السين تاء، وقد أكد الدكتور أنيس هذا التقارب الصوتى وقال: إنهما يكادان يكونان متماثلين فى المخرج كما أن كلاً منهما صوت مهموس ولم يبق إذًا إلا أن يلتقى طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا فإذا افترقا سمعنا التاء وإذا لم يكن الالتقاء محكمًا فهى السين[٥].

ونحن نلمح بعدا بين الحرفين فبينهما فى المخرج الصاد والزاى ولكن اشتراكهما فى طرف اللسان ربما كان سببًا لهذا التبادل، وإذا رجعنا إلى ما قاله علماء اللغة

---

(١) غلاب: قبيلة. ذى رعين: حميرى ذكره صاحب الأمالى فى الحديث عن غزو تبع الحميرى بلاد العجم.
(٢) التهذيب ١٣/ ١٠٩، ١١٠.
(٣) الأمالى ٢/ ٦٨.
(٤) سر الصناعة ١/ ١٧١ - ١٧٣.
(٥) فى اللهجات العربية ص١٠٥.

نجد أن هذا من قبيل اللغات المختلفة فبعض العلماء يجعل ذلك الذى هو إبدال السين تاء لهجة تسمى بالوتم وتنسب إلى أهل اليمن[١]، ونسبها بعضهم إلى خثعم وزبيد من قبائل اليمن البدوية[٢]، وهذا يؤكد أن ما ورد من هذه الأمثلة من اختلاف الناطقين إذ ليست العلاقة بين التاء والسين قوية تسوغ التبادل وبالرجوع إلى المعاجم فى كلمتى ختيت وخسيس نجد أنهما من مادتين مختلفتين ـ اشتقاقًا ومعنى ـ ففى مادة (خت): الخت الطعن مداركة وموضع والختت محركة الفتور فى البدن والختيت الخسيس والناقص وأخت استحيا وفلانًا أخس حظه[٣]، وفى مادة (خس): وخس نصيبه جعله خسيسًا دنيئًا حقيرًا وخسست ـ بالكسرة ـ خسة وخساسة إذا كان فى نفسه خسيسًا والخساسة بالضم علالة الفرس والقليل من المال وتخاسوه تداولوه وتبادلوه[٤] ـ فدلالة المادة الثانية على النقص والخسة والحقارة واضحة وحقيقية ودلالة المادة الأولى عليها من قبيل المجاز والتوسع المعنوى ونظرًا لاختلاف المعانى ـ كما ترى ـ لم يكن هناك إبدال وإنما هو اتفاق معنوى تطورى.

وقد ورد فى لسان العرب أن الطس والطسة بفتح الطاء وكسرها لغة فى الطست وقال: ومن العرب من يثقل الطسة ويظهر الهاء، وأورد صاحبه رأيًا ثالثًا نقله عن أبى عبيد فقال: قال أبو عبيد: ومما دخل فى كلام العرب الطست والثور والطاجن وهى فارسية كلها[٥].

وعلى هذا فالواضح أن كلمة الطست كلمة أجنبية معربة هذبت على هذا الوضع ونطقها قوم طس وآخرون طست فلا إبدال فى الحقيقة بل اختلاف فى طريقة التعريب.

وفى موضع آخر أوضح ابن جنى أن التاء تقلب سينًا عكس الأول - فى قول العرب:

---

(١) انظر ما سبق ص١٦٢.
(٢) فى اللهجات العربية ص١٠٥.
(٣) القاموس المحيط ١/ ١٤٧.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢١٠.
(٥) لسان العرب ٧/ ٤٢٨، ٤٢٩.

استخذ فلان أرضًا بمعنى اتخذ[1]، وقد فسر ابن جنى هذا المثال على وجهين فقال:

وفى ذلك عندنا قولان:

أحدهما: أنه يجوز أن يكون أصله اتخذ بوزن افتعل من قوله عز وجل: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] ثم إنهم أبدلوا التاء الأولى التى هى فاء افتعل سينًا كما أبدلوا التاء من السين فى ست لأن أصلها سدس فلما كانت التاء والسين مهموستين جاز إبدال كل واحدة منهما من أختها.

والقول الآخر: أنه يجوز أن يكون أراد استتخذ أى استفعل فحذفت التاء الثانية التى هى فاء الفعل كما حذفت التاء الأولى من قولهم: تقى يتقى وأصله اتقى يتقى فحذفت التاء الأولى التى هى فاء.

ورأينا أن الإبدال غير مستساغ هنا لأن مخرجى التاء والسين مختلفان ـ كما عرفنا ـ وهما مختلفتان فى الشدة والرخاوة والصفير، وإن كان الدكتور أنيس أجاز وقوع الإبدال بينهما.

وعلى ما نرى فإما أن يكون استخذ لغة فى اتخذ، وتكون السين من خصائص البادية وتلحق بما يسمى (الوتم) أو نرجح القول الثانى لابن جنى.

الاستنطاء:

جعل العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء، فأعطى يقال فيها: أنطى[2] ومنه فى قراءة شاذة قرأ بها الحسن وطلحة وابن محيصن وغيرهم وهى قراءة مروية عن رسول الله ﷺ: «إنا أنطيناك الكوثر» فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ومنه قوله ﷺ - فى حديث الدعاء - «لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت» ومن كلامه ﷺ: «اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة»[3]

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٠٩.

(٢) المزهر ١/ ٢٢٢ والاقتراح ص ٥٠٤ واللسان (نطا).

(٣) البحر المحيط ٨/ ٥١٩.

وقوله ﷺ: «اليد المنطية خير من اليد السفلى» وكتب ﷺ إلى وائل بن حجر: «وأنطوا الثبجة» وقال عليه السلام لرجل: «أنطه كذا» يريد أعطه[1] وقال الأعشى[2]:

جيادك خير جياد الملوك   تصان الحلال وتنطى الشعيرا[3]

وواضح أن هذه الظاهرة جاءت فيما وليت فيه الطاء العين، ولكن الدكتور أنيس يرى أن هذه الظاهرة وهى قلب العين الساكنة نونا ليست خاصة بذلك ولم يكن الأمر مقصوراً على الفعل (أعطى) بل يتعلق بنطق كل عين سواء وليها (طاء) أو صوت آخر، فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقًا أنفميا، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معًا فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليست فى الحقيقة نونًا بل هى (عين).

وفى زعمه أن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة فى الفعل (أعطى) فأشكلت عليهم ولم يصفوها لنا على حقيقتها[4].

ولكننا نرى أن هذا اتهام للقدماء من الرواة الموثوق بهم دون دليل، فهم وصفوا ما سمعوه، وما ادعاه الدكتور أنيس من حدوث الاستنطاء فى غير المروى دعوى بلا دليل ويكفى ما ورد من أمثلة ليكون هو الأساس الذى ينبنى عليه تحقق هذه الظاهرة.

وإذا كان القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها مخرجًا أو صفة[5] فإن العين والنون متباعدان مخرجًا، ولكن بينهما تقارب فى بعض الصفات وهى الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح وعلى ضوء هذا يسوغ التبادل بينهما، لكننا لا ننظر إلى العلاقة الصوتية لاختلاف اللهجات وربما كانت بقايا لهجية متخلفة بعد تهذيب اللغة.

---

(١) النهاية ٥/ ٧٦ والبحر المحيط ٨/ ٥٠٩ والفائق ٥/ ٧٦ (نطا) والإنطاء: الإعطاء. اللسان ٦/ ٤٦٥.

(٢) من بنى قيس بن عامر.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٥١٩ والأمالى ١/ ٧٥ قال أبو على القالى: وقرأت على أبى بكر بن دريد فى شعر الأعشى: جيادك فى الصيف فى نعمة انظر الديوان ص١٤٩.

(٤) فى اللهجات العربية: ١٤٢.

(٥) سر الصناعة ١/ ١٩٧.

ويرى الدكتور السامرائى أن «ملاك الأمر فى هذه النون أنها لم تكن مقابلة للعين فى أعطى وإنما جاءت من أن الفعل هو (آتى) بمعنى (أعطى) ثم ضعف فصار (أتى) بتشديد التاء ومعلوم أن فك الإدغام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية يقتضى إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين كما تقول فى العربية (جندل) من (جدّل) بتشديد الدال وهذا معروف[1].

ويرى أحد المستشرقين أن أنطى مقابل للفعل (نطا) العبرى بمعنى مد يده إلى فلان فقد صار الفعل على وزن (أفعل) فى العربية بزيادة الهمزة[2].

ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن فى العربية الفعل (ناط) بمعنى أسند الأمر لإنسان ما ليقوم به والفعل فى العبرية (ناتا) وهو فى الأمهرية مزيد عليه الهمزة كالفعل العربى (أعطى) ووجود النون فى العبرية فاء للفعل والميم فى الأثيوبية دليل على أن المادة الأصلية للفعل العربى (ن ط ى)[3].

ولعل فى ذلك ما يشير إلى وجود لهجتين فى الكلمة العربية التى قرئ بها فى القرآن الكريم.

وقد نسب الاستنطاء إلى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس[4] والأنصار وفى اللسان أنها لغة أهل اليمن، وفى البحر المحيط عن أبى زكريا التبريزى[5] وأبى الفضل الرازى أنها لهجة العرب العاربة[6] قال: إن عنيا النون فى هذه اللغة (أنطيناك) مكان العين فى غيرها فحسن، وإن عنيا البدل الصناعى فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسه لوجود تمام التصرف من كل واحدة، فلا تقول: الأصل العين ثم أبدلت النون منها.

وهى لهجة لا يزال بعض البدو ينطق بها فى الصحراء[7] كأعراب الفيوم الذين

---

(١) دراسات فى اللغة د. السامرائى ص٢١٧.

(٢) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٤٢ والمستشرق هو: رابين.

(٣) العربية ولهجاتها ص٥١.

(٤) لعلها بنو قيس بن عامر من القحطانية. معجم القبائل العربية لكحالة ٣/ ١٧٢.

(٥) المزهر ١/ ٢٢٢ وتاج العروس ٢٥٨، ٢٥٩ ومميزات لغات العرب: ص١٥.

(٦) البحر المحيط ٨/ ٥١٩ عند شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

(٧) مميزات لغات العرب ص١٥.

يرجعهم بعض الباحثين إلى أصل عربى وأنهم من بنى سعد[1] ولعلها تناسب بيئة البدو.

الطمطمانية:

يذكر بعض اللغويين أن الطمطمانية معناها العجمة[2] أو أن يكون الكلام مشبهًا لكلام العجم قال الشاعر:

تبرى له حول النعام كأنها ... حزق يمانية لأعجم طمطم[3]

وهى إبدال لام التعريف ميمًا.

يقول الثعالبى: الطمطمانية تعرض فى لغة حمير كقولهم: طاب امهواء يريدون: طاب الهواء[4].

وفى حديث أبى هريرة: أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال: الآن طاب امضرب أى حل القتال أراد طاب الضرب فأبدل لام التعريف ميمًا وهى لغة عربية يمانية[5].

ويفرق ابن الأثير بين قلب النون الساكنة ميمًا مع الباء فى مثل عنبر وشنباء وأنبئهم وهو ما يسمى بالإقلاب ـ عند علماء الأداء ـ وبين قلب لام التعريف ميمًا فى مثل طاب الهواء وهى الطمطمانية ويجعل النون لأهل اليمن فيقول: وفى كتابه ﷺ لوائل بن حجر: من زنى مم بكر فاصقعوه مائة أى اضربوه وأصل الصقع الضرب على الرأس وقيل: الضرب بباطن الكف ومم بكر لغة لأهل اليمن ومثله مم ثيب إلخ..

فقلب النون ميمًا أما مع بكر فلأن النون إذا سكنت قبل الباء فإنها تقلب ميمًا

---

(١) لغة هذيل ص١١٥. (٢) الفائق ٢/ ٤٥٩.

(٣) الكامل ١/ ٢٣٥.

(٤) فقه اللغة وسر العربية ص١٢٩ ومجالس ثعلب ١/ ٧٣.

(٥) النهاية ٣/ ١٥٠.

فى النطق نحو عنبر وشنباء وأما مع غير الباء فإنها لغة عربية يمانية كما يبدلون الميم مع لام التعريف[1] وأهل اليمن على هذا يبدلون النون ميمًا فى مثل مم بكر.

وروى عن شمر أنه سأل امرأة حميرية عن بلادها فقالت: النخل قال ولكن عيشتنا امقمح - امفرسك - امعنب[2] امحماط طوب أى طيب..

ويقول الحريرى:

«وقد روى عن حمير أنهم يجعلون آلة التعريف (ام) فيقولون: طاب امضرب يريدون: طاب الضرب، وجاء فى الآثار فيما رواه النمر بن تولب أنه ﷺ نطق بهذه اللغة فى قوله: ليس من امبر امصيام فى امسفر[3].

وأنشد أبو عبيد -ونسب إلى بجير بن عتيمة الطائى-:

ذاك خليلى وذو يواصلنى يرمى ورائى بامسهم وامسلمة

أراد: بالسهم والسلمة وهى من لغات حمير[4].

فأم هى أداة التعريف بلغة أهل اليمن بمعنى الألف واللام والألف فيها ألف وصل تكتب ولا تظهر إذا وصلت ولا تقطع كما تقطع ألف أم، وفى البيت السابق وصل الميم باللام ويقول الأزهرى: والوجه ألا تثبت الألف فى الكتابة لأنها ميم جعلت بدل الألف واللام للتعريف[5].

ويروى ثعلب عن الأخفش أنه سمع قائلاً يقول: قام امرجل، يريد: قام الرجل قال ثعلب: هذه لغة للأزد مشهورة[6].

ويقول الأشمونى: مثل (ال) (أم) فى لغة طيئ[7] وتبدل اللام فى أداة التعريف

---

(١) النهاية ٣/ ٤٢، ٤/ ٣٦٣.

(٢) المزهر ١/ ٢٣٩. وانظر التهذيب ١/ ٤٢٤ ولسان العرب ١٢/ ٣٦٣.

(٣) درة الغواص ص٢٤٩ والنهاية ٣/ ٣٠٣ والخصائص ١/ ٤١١.

(٤) التهذيب ١٢/ ٤٤٧ واللسان (سلم).

(٥) التهذيب ١٥/ ٦٢٥.

(٦) مجالس ثعلب ١/ ٥٨.

(٧) شرح الأشمونى ١/ ٥٩.

ميمًا ـ سواء كانت (أل) شمسية أم قمرية ـ كما ذكرنا فى الحديث السابق ليس من امبر إلخ وقام امرجل فهذا الإبدال حادث فى كلام اليمنيين فيما فيه (أل) مطلقًا[١] ولكن ابن هشام فى المغنى يذكر أن بعض طلبة اليمن حدثه بأن اليمنيين لا يبدلون اللام ميمًا فى (أل) الشمسية ويخصون ذلك بأل القمرية قال: (حكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع فى بلادهم من يقول: خذ الرمح واركب امفرس ولعل ذلك لغة لبعضهم لروايتها فى امسهم وامسلمة وفى الحديث ليس من امبر إلخ دخلت على النوعين)[٢].

والثابت إبدالها فى الشمسية والقمرية على سواء ورواية الطلبة ليست حجة لأنها تعبر عن طريقة اليمنيين المحدثين وربما حدث تغير لغوى وتأثر بعرب الشمال ولا سيما فى هذه العصور المتأخرة.

وقد جعل ابن جنى إبدال اللام ميمًا شاذًا لا يسوغ القياس عليه[٣] لأنه لم يسمع غير الحديث: (ليس من امبر امصيام فى امسفر) وراوى الحديث هو النمر بن تولب الذى يقال: إنه لم يرو عن رسول الله ﷺ غير هذا الحديث[٤].

ونحن نرى تقاربًا بين اللام والميم يسمح بالتبادل بينهما، ولكن لأنهما لهجة مخالفة للشائع عدت شاذة تحفظ ولا يقاس عليها لكن ما سمع منها يحكى على ما هو عليه، وقد نسبها إلى حمير[٥] غير واحد من الباحثين القدامى والمحدثين،

---

(١) وانظر الهمع للسيوطى ١/ ٢٧٣.

(٢) مغنى اللبيب مع حاشية الأمير ١/ ٤٧.

(٣) الخصائص ١/ ٤١١.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ٨١ الوجهان، وربما بنى ابن جنى رأيه على بعد مخرجيهما ولكن شيئًا آخر يسوغ هذا التبادل وقد ورد الحديث فى مسند الإمام أحمد بلهجة حمير وهو حديث كعب بن عاصم الأشعرى: حدثنا عبد الله عن أم الدرداء عن كعب بن عاصم الأشعرى وكان من أصحاب السقيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس من امبر الحديث.. مسند أحمد ٥/ ٤٣٤ وورد الحديث بلام التعريف فى فتح البارى ٩/ ٧، ١١ فى كتاب الجهاد والسير والمغازى والصيغة الأولى ربما كانت فى التحدث إلى يمنيين ولعل اختلاف الرواية لاختلاف المقام الذى قيلت فيه.

(٥) انظر المغنى لابن هشام ١/ ٤٧ والهمع ١/ ١٧٩.

وبعضهم نسبها إلى أهل اليمن أو طيئ أو الأزد وكلها قبائل يمنية جنوبية[1] لأن الأزد من قحطان وطيئ كذلك وهى قبائل كانت تسكن جنوب اليمن، ونسبتها إلى اليمن مشهورة.

وبعض المحدثين ينكر أن ينسب إبدال اللام ميمًا فى أداة التعريف إلى حمير لأن الحميريين لا يستعملون ذلك فى التعريف، وإنما أداة التعريف عندهم (ن) أو (ان) ويزعم أن الحديث المروى فى ذلك ضعيف أو مكذوب وضعه اللغويون شاهدًا على الطمطمانية وأن الرسول تكلم بلسان حمير، ويرى أن تنسب هذه الظاهرة إلى بعض عشائر طيئ[2] ولكن ما رآه هذا المحدث غير صحيح، لأنه رمى الحديث بالضعف والكذب دون دليل من علم الحديث وبتجرؤ غير مقبول، مع أن الحديث صحيح روته الكتب المعتمدة، فقد ورد فى مسند الإمام أحمد بن حنبل[3] وفى موطأ الإمام مالك[4] وفى منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى[5] وللفقهاء استدلال بهذا الحديث فى شأن المسافر.

وقد نسبت الطمطمانية إلى حمير وإلى اليمن[6].

وزعم بعض الباحثين أن علماء العربية خلطوا بين اليمن وحمير وربما أنهم فعلوا ذلك لعدم معرفتهم باللغة الحميرية فظنوا أنها هى اليمنية والحق أن الحميرية شىء واليمنية شىء آخر[7].

---

(١) النهاية ٣/ ١٣٩ والبيان والتبيين ٣/ ٢١٣ ومغنى اللبيب ١/ ٤٧، ٤٨ والهمع ١/ ٧٩ ودرة الغواص ص٤٩ والأشمونى ١/ ٩٦، ٩٧ وشرح الشافية ٣/ ٢١٥ واللهجات العربية د. نجا ص٤٨ وفى اللهجات العربية د. أنيس: ص١٤٢ عزاها هؤلاء إلى طيئ وعزاها ثعلب فى المجالس إلى الأزد ونسبها ابن يعيش فى المفصل ٩/ ٢٠٠ وابن منظور فى اللسان ١٠/ ٨٣ إلى اليمن.

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٨/ ٥٧٦.

(٣) ٥/ ٤٣٤.

(٤) ٢/ ٩٨.

(٥) هامش مسند أحمد ٣/ ٣٤٤.

(٦) شواهد العينى على الأشمونى ١/ ٩٦ وشرح المفصل ٩/ ٢٠.

(٧) اللهجات العربية فى التراث ١/ ٣٩٩ ودراسات فى اللغة العربية د. خليل نامى: ٤٥.

والواقع أن هذا المدعى من التفريق بين حمير واليمن غير صحيح، فاليمنية تشمل الحميرية، وحمير كبرى الدول اليمنية وتنسب إليها اللهجات اليمنية فيقال اللهجات الحميرية أحيانًا والسبئية أحيانًا أخرى[1].

وبين اللام والميم نسب قريب إذ هما من الأصوات الذلقية والمخارج متقاربة وبينهما اشتراك فى بعض الصفات كالجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة - خلافًا لسيبويه فى اللام فإنها شديدة عنده - والاستفال والانفتاح[2].

****

---

(١) انظر كتابنا: اللغة العربية خصائصها وسماتها.

(٢) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية.

الإمالة والفتح[1]

الإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف إن كان بعدها ألف نحو الياء وإلا فالممال الفتحة وحدها مثل: نعمة و﴿بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤] ورأيت خبط رياح ومن عمرو والفتى، والهدى، وملهى، وأرطى[2]، وباع، وعالم، وكاتب، والضحى، وشملال[3] وسربال ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦][4] ونحو ذلك[5].

هذا هو النوع المشهور بين القراء حتى ليكاد يفهم عند إطلاق اسم الإمالة لدى الباحثين فى القراءات واللغة.

وقد أضاف ابن جنى إلى ذلك ألوانا أخرى من الإمالة:

١- الفتحة الممالة نحو الضمة:

وهى التى تكون قبل ألف التفخيم نحو الصلاة والزكاة ودعا وغزا، وقام وصاغ وقال: كما أن الحركة أيضًا هنا، قبل الألف، ليست فتحة محضة، بل هى مشوبة بشىء من الضمة، فكذلك الألف التى بعدها ليست ألفا محضة، لأنها تابعة لحركة هذه صفتها، فجرى عليها حكمها.

وإمالة الفتح إلى الضم لم يشتهر بين القدماء ولكن ابن جنى أوضحه على الصورة السالفة وقال: إن لمح الإمالة فيه هو الذى تسبب فى أنهم كتبوا الصلوة، والزكوة والحيوة، بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو[6] ويقصد بذلك كتابتها فى المصحف العثمانى[7].

---

(١) قد يسمون الإمالة الكسر والبطح والإضجاع، ويسمون الفتح النصب.

(٢) الأرطى: شجر من شجر الرمل. اللسان ط بيروت ١/ ٣٢٥.

(٣) الشملال والشمال واحد بمعنى اليد الشمال، والشملال: الناقة الخفيفة السريعة. اللسان ١١/ ٣٧١.

(٤) فإذا كانت الفتحة وحدها -بدون ألف- أميلت نحو الكسرة مثل نعمة وبسحر، وإن كانت مع الفتحة ألف -أى بعدها- ذهبت إلى جهة الياء كالفتى ونحوه، وسيأتى شرح الإمالة فى الأمثلة بعد.

(٥) سر الصناعة ١/ ٥٨، ٥٩ والأشمونى ٤/ ٢٢٠-٢٣٥، وأوضح المسالك مع المنار ٢/ ٣٥٠-٣٥٩، والنشر ١/ ٣٠.

(٦) غير أن ابن جنى يقول بإمالة نحو دعا وغزا (إلى الياء) لأنها تئول إليها عند البناء للمجهول نحو دعى وغزى -بضم الفاء وكسر العين- وهو عند سيبويه مطرد، وقال المبرد: إنه قبيح. أما الاسم ذو الواو مثل الصلاة والزكاة فلا يمال عندهم. انظر: الأشمونى ٤/ ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣١.

(٧) سر الصناعة ١/ ٥٦، ٥٩، ٦٠.

٢- الكسرة المشوبة بالضمة:

نحو: قيل، وبيع، وغيض، وسيق، فكما أن الحركة، قبل هذه الياء، مشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو.

وهذا قد تعرض له القدماء، عند حديثهم عن بناء الفعل للمجهول، وسموه بالإشمام، يقول الأشمونى شارحا كلام ابن مالك: (واكسر أو اشمم فا) فعل (ثلاثى أعل ∴ عينا) واويا أو يائيا، فقد قرئ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤] بهما، والإشمام هو: الإتيان بحركة بين الضم والكسر، وقد يسمى روما.

ويقول الصبان: الحركات ست: الثلاث المشهورة، وحركة بين الفتحة والكسرة، وهى التى قبل الألف الممالة، وحركة بين الفتحة والضمة، وهى التى قبل الألف المفخمة، فى قراءة ورش، نحو: الصلاة والزكاة، والحياة، وحركة بين الكسرة والضمة، وهى حركة الإشمام، فى نحو: قيل: وغيض، على قراءة الكسائى[(١)].

والإشمام فصيح وإن كان قليلا[(٢)] وقد قرئ به فى القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ [العنكبوت:٣٣] قرأ الجمهور (سىء) بكسر السين، وأشمها نافع وابن عامر والكسائى، وهكذا: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك:٢٧] أشمها الضم أبو جعفر والحسن، وأبو رجاء، وشيبة، وابن وثاب، وطلحة، وابن عامر، ونافع، والكسائى[(٣)].

وعلى الرغم من حديث القدماء عن ذلك فإنهم لم يفصحوا عن الإمالة الموجودة فى هذا المسلك اللغوى، ولكن ابن جنى أوضحها.

٣- الضمة المشوبة بالكسرة:

مثل: مررت بمذعور، وابن بور، نحوت بضمة العين، والباء نحو كسرة الراء، فأشممتها شيئًا من الكسرة، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة، ولا كسرة مرسلة فكذلك الواو، أيضًا، بعدها، هى مشوبة بروائح الياء.

---

(١) الأشمونى مع الصبان ٣/ ٦٢، ٦٣.

(٢) المغنى فى تصريف الأفعال ص٢٠٢.

(٣) المصدر السابق ص٢٠٣.

ومثل ذلك: الفعل المبنى للمجهول الأجوف فإن بنى فقعس، ودبير، يضمون أوله، فتقلب ألفه واوا: فيقال فى باع: بوع، وفى حاك: حوك كقول الشاعر:

ليت وهل ينفع شيئًا ليت ليت شبابًا بوع فاشتريت

وكقول الآخر:

حوكت على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

وبعض القبائل يميل الضمة فى الفعلين - وأمثالهما - نحو الكسرة، وليس ذلك من الشيوع والكثرة كغيرها من اللهجات[1].

وقد شرح ابن جنى الأسرار اللغوية الباعثة على حدوث الإمالة من الفتحة إلى غيرها من أخواتها، وهى الكسرة والضمة، دون العكس، بأن نحى بالكسرة والضمة نحو الفتحة.

وقد اعتمد حديثه، على أن الفتحة هى أول الحركات، وأدخلها فى الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فعند النطق بالفتحة تمر بمخرج الياء، والواو، لأنهما فى طريقها، فجاز أن تشمها شيئًا من الكسرة، أو الضمة، ولو تكلفت أن تشم الكسرة، أو الضمة، رائحة من الفتحة، لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان فى ذلك انتقاض عادة الصوت، بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدم إلى صدر الفم، والنفوذ بين الشفتين فلما كان فى إشمام الكسرة، أو الضمة، رائحة الفتحة، هذا الانقلاب والنقض، ترك ذلك فلم يتكلف ألبتة[2].

وأما انتحاؤهم، بالضمة نحو الكسرة، وإن كان فيه رجوع إلى الوراء، فلأن بين الضمة والكسرة، من القرب، والتناسب ما ليس بينها، وبين الفتحة، وهو -مع ذلك- قليل مستكره، ألا ترى إلى كثرة: قيل وبيع، وغيض، وقلة: نحو: مذعور وابن بور.

---

(١) الأشمونى ٢/ ٦٣ واللهجات العربية د. نجا ص٧٧.

(٢) سر الصناعة ١/ ٦٠، ٦١ وقد بنى ابن جنى هذا التحليل الصوتى على ما لاحظه من أن الحلق، والفم ينفتحان مع الألف وأن الأضراس وجنبتى اللسان، وظهره مع الحنك الأعلى تكون لها صورة خاصة، حال النطق بالياء، وأن الشفتين تستديران عند بروز صوت الواو، فلأجل ذلك جعلها مرتبة على الوضع المذكور، وعليه بنى إحساسه بالانتقاض لصعوبة تحقيق خصائص كل منها، حال الرجوع إلى الخلف.

وهذا الدليل قوى، لأن الرجوع إلى الخلف، صعب على اللسان، وجواز ذلك بين الضمة، والكسرة، راجع إلى اشتراكهما فى معنى الثقل، وطبيعة التكوين المخرجى، الأمر الذى يجعل كلا منهما، يشبه الآخر من هذا الاتجاه، فيصير الجو مهيئًا، لاستقبال واسطة بينهما عن طريق الإمالة، فأما الفتحة، فهى حركة مستعذبة، وهى طريق آخر غيرهما، فامتنع الرجوع منهما إليها، للبعد الصوتى، وعدم القدرة على مباشرة النطق، على الهيئة المطلوبة، ومع جواز إمالة الضمة إلى الكسرة، فإنه أمر مستكره، على ما بينا.

وقد وصف القدماء ظاهرة الإمالة، وأوضحوا أسبابها، على نحو فتح الطريق أمام المحدثين، ليقولوا كلمتهم على حسب نظريات علم الأصوات الحديث[١].

فقد ذكروا لها أسبابًا عدة، وجعلوا السبب الرئيس، منها: هو التناسب، يقول الأشمونى: (اعلم أن الغرض الأصلى منها هو التناسب، وقد ترد للتنبيه على أصل أو غيره، كما سيأتى[٢] وذلك أن النطق بالفتحة، والألف، تصعد واستعلاء، وبالكسرة والياء، انحدار وتسفل، فإذا أملت الألف قربت من الياء، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة، فتصير الأصوات من نمط واحد، فى التسفل والانحدار[٣] وعبر عن ذلك ابن جنى بقوله «لضرب من تجانس الصوت)[٤] وجعل سيبويه هذا التقريب التماسا للخفة[٥].

كما عللوا لذلك بسببين آخرين، أحدهما لفظى وهو: الياء، والكسرة، وثانيهما، معنوى وهو: الدلالة على ياء أو كسرة، وبينوا -من خلال ذلك- أن أسباب إمالة الألف ثمانية:

١- انقلابها عن الياء مثل: الفتى، والهدى وهدى، واشترى.

---

(١) انظر فى اللهجات العربية د. أنيس ص٤-٥٩ وغيرها ورسالة الدكتور عبد الفتاح شلبى للماجستير عن الإمالة فى القراءات واللهجات العربية.

(٢) الأشمونى ٤/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٢٠ ومنار السالك ٢/ ٣٥٠ والنشر ١/ ٣٥.

(٤) سر الصناعة ١/ ٥٨ وشرح المفصل ٩/ ٥٤.

(٥) الكتاب ٤/ ١١٧ وانظر المفصل -نقلا عنه- ٩/ ٥٤، ٥٥.

٢- مآلها إلى الياء، فى بعض التصاريف كألف ملهى وأرطى وغزا، لقولهم: ملهيان، وأرطيان، وغزى بالبناء للمفعول[١].

٣- كون الألف مبدلة من عين فعل يئول عند إسناده إلى التاء إلى قولك (فلت) بكسر الفاء، سواء كانت تلك الألف، منقلبة عن ياء، نحو: باع، وكال، وهاب، أم عن واو مكسورة، كخاف، وكاد.

٤- وقوع الألف بعد الياء، متصلة كبيان، أو منفصلة بحرف، كشيبان، وجادت يداه، أو بحرفين، أحدهما الهاء، نحو: دخلت بيتها.

٥- وقوع الألف قبل الياء كبايعته، وسايرته.

٦- وقوع الألف بعد الكسرة، منفصلة إما بحرف، نحو: كتاب وسلاح، أو بحرفين، أحدهما هاء نحو: يريد أن يضربها، أو ساكن نحو: شملال وسرداح[٢] أو بهذين وبالهاء نحو درهماك.

٧- وقوع الألف قبل الكسرة، نحو: عالم، وكاتب.

٨- إرادة التناسب، وذلك إذا وقعت الألف، بعد ألف فى كلمتها، أو كلمة قارنتها، قد أميلتا لسبب، فالأول كرأيت عمادا، وقرأت كتابا، والثانى كقراءة أبى عمرو والأخوين ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] بالإمالة، مع أن ألفها منقلبة عن واو الضحوة لمناسبة ﴿سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢] وما بعدهما.

كما أن الفتحة تمال لوقوعها قبل حرف من ثلاثة:

١- الألف: وقد مضت، وشرطها: ألا تكون فى حرف، ولا فى اسم يشبهه، «وذلك لأن الإمالة نوع من التصرف وهو لا يدخل الحرف ولا ما يشبهه».

٢- الراء: بشرط كونها مكسورة، وكون الفتحة فى غير ياء، وكونهما، متصلتين، نحو: ﴿مِنَ الْكِبَرِ﴾ [مريم: ٨]، أو منفصلتين بساكن غير ياء، نحو: من عمرو، ورأيت خبط رياح.

---

(١) لذلك مستثنيات معروفة فى فن الصرف.

(٢) السرداح: الناقة الطويلة، وقيل: الكثيرة اللحم، والسرداح المكان اللين وأرض سرداح: بعيدة والسرداح: الضخم أو القوى الشديد التام. اللسان ٢/ ٤٨٢.

٣- هاء التأنيث: وإنما يكون هذا فى الوقف، خاصة، كرحمة، ونعمة، لأنهم شبهوا هاء التأنيث بألفه[1]، لاتفاقهما فى المخرج، والمعنى، والزيادة، والتطرف والاختصاص بالأسماء، وعن الكسائى إمالة هاء السكت -أيضًا- نحو: ﴿كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] والصحيح المنع، خلافا لثعلب، وابن الأنبارى[2].

وقد نظر المحدثون إلى هذه الأسباب المختلفة، وفسروها تفسيرًا يتناسب مع طبيعة التطور، الذى خضعت له اللغة العربية، كسائر اللغات، والكائنات فى تاريخها الطويل.

فالمعروف أن الإمالة اشتهرت عند قبائل شرقى الجزيرة ووسطها مثل: أسد، وعبد القيس، وتميم، وتغلب، وطيئ، وبكر بن وائل.

كما اشتهرت على ألسنة قراء الكوفة، بالعراق فى القرن الثانى الهجرى، أمثال: حمزة، والكسائى، وخلف.

كما كان لها تأثير واضح - أيضًا - على ألسنة علماء الكوفة، وأهلها، واستمر ذلك حتى عصر أبى عمرو الدانى، فى القرن الخامس الهجرى، فقد قيل للكسائى: إنك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال: هذا طباع أهل العربية قال الحافظ أبو عمرو الدانى: إن الكسائى «يعنى بذلك[3] أن الإمالة لغة أهل الكوفة، وهى باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب»[4].

وهؤلاء وأولئك متأثرون بالقبائل العربية التى هاجرت إلى العراق من شرقى الجزيرة، ووسطها، وهم أرباب الإمالة السابقون.

وهذه القبائل بدوية، تميل إلى عدم وضوح الأصوات، والخلط بينها، ولا ريب أن الإمالة تخلط بين الصوتين، فهى تجعل الفتحة قريبة من الكسرة، والألف قريبة من الياء، وهكذا تقرب الأصوات، أو تتجانس، ويحدث التناسب بينها.

---

(١) أى بألف التأنيث مثل ذكرى ونحوها.

(٢) انظر فى كل هذه الأسباب: الأشمونى وأوضح المسالك، واللفظ لابن هشام، وانظر كتب القراءات مثل النشر وإتحاف فضلاء البشر وغيرهما.

(٣) الإشارة إلى إمالة ما قبل هاء التأنيث.

(٤) النشر ٢/ ٨٢.

وهذا يساعد على سرعة النطق، وعدم بذل مجهود عضلى كبير، وهو من خصائص البدو.

ويبدو أن الإمالة، كانت شديدة، لدى قبائل وسط الجزيرة، لتوغلهم فى البداوة وبعدهم عن الحضر، على حين كانت خفيفة لدى قبائل شرقيها، لمتاخمتهم لمدن العراق(١).

أما الفتح - كما يسمونه وهو عدم الإمالة - فإنه يؤدى إلى فصل الأصوات، وإعطاء كل منها حقه من النطق، وهذا يحتاج إلى جهد عضلى كبير، وهو من صفات المتحضرين الذين يميلون إلى الأناة، وعدم السرعة فى النطق، وحياتهم المستقرة تدعوهم إلى بذل مجهود أكبر، لإبراز الأصوات فى صورة واضحة، متناسقة.

ولذلك اشتهر الفتح عن قبائل غربى الجزيرة، من سكان الحجاز كقريش، وثقيف، وسعد بن بكر، والأنصار، وكنانة، وهوازن.

والإمالة والفتح، حركتان تدخلان ضمن أصوات اللين، سواء كانت الحركة قصيرة كإمالة الفتحة، أو طويلة، كإمالة الألف، والفرق بين القصيرة والطويلة، فى الأصوات اللينة، لا يعدو أن يكون فرقا فى المدة، التى يستغرقها النطق بكل منهما.

واللسان، مع الفتحة، يستوى فى قاع الفم، ومع الكسرة يرتفع إلى أقصى درجة فى الارتفاع بحيث لا يصدر حفيفًا.

فعند استواء اللسان، فى قاع الفم توجد حالة الفتح، وعندما يرتفع ينشأ وضع الإمالة.

وتبعًا لمقدار الارتفاع تكون الإمالة شديدة أو خفيفة.

فالذى يلاحظ أن وضع اللسان عند الحضرى يختلف عنه عند البدوى، فهو عند الأول مستو فى قاع الفم، وهو عند الثانى مرتفع فى اتجاه الحنك الأعلى، وهذا يحمل الإشارة بأن العرب كانت تتخير لنطقها ما يتفق مع طبيعتها الاجتماعية.

---

(١) فى اللهجات العربية ص٩٠، ٩١.

وقد قسم الدكتور إبراهيم أنيس الإمالة إلى نوعين مختلفين:

١- صوت لين خالص، تكون من صوت لين مركب.

٢- تغير فى مقياس صوت من أصوات اللين.

وقال: إننا «نلحظ الحالة الأولى، حين يكوت صوت اللين طويلاً، ومنقلبًا عن أصل، من أصول الكلمة، يائيا كان أو واويًا، ففى مثل الفعلين: باع، وقال، يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما (بيع وقول) ثم تطور الصوت الأول (ai) إلى (e) والصوت الثانى (au) إلى (o) أى أن فتحة فاء الكلمة فى الفعل الأول، قد أميلت إلى الكسرة، وأنها فى الفعل الثانى، قد أميلت إلى الضمة.

وعلى هذا إذا قيل لنا: إن من أسباب إمالة ألف المد، كون أصلها ياء، كما فى (باع) وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائى، قد تطور أولاً، إلى الإمالة، ثم تطورت الإمالة إلى الفتح، أى أن المراحل التى مر فيها مثل هذا الفعل (باع) هى (بيع) ثم (إمالة) ثم (فتح) فالصوت المركب (ai) قد تطور أولا إلى (e) ثم إلى (a) وهكذا يرجح الدكتور أنيس أن بعض الكلمات العربية التى اشتملت على ياء أصلية، قد تطورت أولا إلى الإمالة، ثم إلى الفتح[1].

واستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التى عرف عنها الفتح، قد قطعت مرحلة أخرى، فى تطور لهجاتها، على حين أن بعض القبائل فى وسط الجزيرة، وشرقها قد احتفظت بمرحلة الإمالة، التى هى أقدم حين تكون الياء، أصلية فى الكلمات.

ويرجع السر فى احتفاظ البدو بهذه الظاهرة، إلى أنهم عرفوا بها، فتعصبوا لها.

وقارن بين هذا النطق الفصيح، وبين ما تطورت إليه بعض اللهجات الدارجة فى مصر فى مثل كلمات (ليه وايه) ففى الفيوم يقولان لاه، وعشان آه و(شىء) (ai) تطورت إلى شىء (e) بل يقولون: شاء عجيب[2].

---

(١) للاقتصاد فى الجهد العضلى، والميل إلى السهولة التى يلجأ إليها الإنسان فى معظم ظواهره الاجتماعية.

(٢) فى اللهجات العربية ص٥٤-٥٧.

أما حين تعرض الإمالة، لغير أصل من أصول الكلمة، كإمالة الفتحة أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل، فليس هذا إلا نوعًا من الانسجام بين أصوات اللين، لتقليل الجهد العضلى، وهو منسوب إلى القبائل البدوية أيضًا، لأن الحضريين يميلون إلى وضوح الأصوات وفصلها[1].

وقد استنتج - بناء على هذا - أن كلمة (كتاب) - كما ينطق بها بغير إمالة - أقدم فى نسجها منها مع الإمالة.

ومن هنا انتهى إلى أن إمالة الفتح إلى الكسر، يجب فى الحقيقة أن يعزى إلى أحد عاملين:

١- الأصل اليائى.

٢- الانسجام بين أصوات اللين.

وجعل من الثانى الانتقال من الكسر إلى الفتح فى تلك الأفعال الثلاثية التى رويت لنا مرة، مثل: فرح، وأخرى مثل: فتح، دون تغير فى معناها مثل: خطف، خبط، قنط، وصورة فرح أقدم، وقد تطورت إلى صورة فتح، ليتحقق الانسجام بين الحركات[2].

وتطور الأصوات، وانتقالها من حال إلى حال، لا يؤمن بها بعض القدماء، كابن جنى، فهو لا يعترف بأن ما قرروه أصلا، كان مستعملا فى زمن ما، يقول: هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه، لا حقيقة تحته، وذلك قولنا: الأصل، فى قام، قوم، وفى باع: بيع، وفى طال: طول، وفى خاف ونام وهاب: خوف، ونوم وهيب، وفى شد: شدد، وفى استقام: استقوم، وفى يستعين: يستعون، وفى يستعد: يستعدد، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ، وما كان نحوها، مما يدعى أن له أصلا، يخالف ظاهر لفظه، قد كان مرة يقال، حتى إنهم كانوا يقولون فى موضع: قام زيد: قوم زيد، وكذلك: نوم جعفر، وطول محمد، وشدد أخوك

---

(١) فى اللهجات العربية: ص٩١.

(٢) المصدر السابق ص ٥٧، ٥٨.

يده، واستعدد الأمير لعدوه وليس الأمر كذلك، بل بضده، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه، وتسمعه.

وإنما معنى قولنا: إنه كان أصله كذا: أنه لو جاء مجيء الصحيح، ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه (على ما ذكرنا) فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه، فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ، لا يعتقده أحد من أهل النظر[1].

ولسنا مع ابن جنى فى كل ما قال، فهو يدعى أن الأصول المتروكة لم تستعمل مطلقًا، فى أى زمن مضى، ولو أنه حدد ذلك بما بعد عصر تهذيب اللغة، ونزول القرآن الكريم بها، لكان حكمه مقبولا.

أما وقد أطلق القول بذلك فى كل الأزمان دون تحديد، فإنه غير دقيق، إذ يختلف أمر اللغة، إبان نشأتها، عنه بعد اكتمالها، ونزول القرآن الكريم بها.

فقد كانت، الأصوات، والمفردات، والتراكيب، ـ فيها أول أمرها ـ غير ناضجة، ففيها الأصوات المتنافرة، والكلمات الحوشية، والتراكيب السقيمة، وقد تخلصت من كل ذلك بعد صراع اللهجات. بنشأة لغة عامة مهذبة تكلم بها العرب جميعًا، ونزل بها كتاب الله العزيز.

ولو قبلنا رأى ابن جنى من بعض جوانبه فسلمنا له بأن بعض هذه الأصول لم يستعمل يومًا ما، فإننا لا نستطيع أن نسلم له، أن الأصول جميعها لم تستعمل مطلقًا، إذ إن بعض هذه الأصول لم يزل يستعمل ـ بعد عصر تهذيب اللغة ـ، فهى بقايا تدل على أن أصولا أخرى كانت تستعمل كذلك ثم تغيرت واستقامت على منهج قويم.

ويعترف ابن جنى باستعمال بعض هذه الأصول القديمة قبل التهذيب فيقول: «اعلم ـ مع هذا ـ أن بعض ما ندعى أصليته، من هذا الفن، قد ينطق به على

---

(١) الخصائص ١/٢٥٦، ٢٥٧.

ما ندعيه من حاله، ومن ذلك: أطولت، وضننوا ونحوهما فإنها تخرج هكذا منبهة على أصل الباب، وشد وضن، وفر، واستعد، واطمأن، الأصل فيها: اشدد، واضنن، وافرر، واستعدد، واطمأنن، فهذان الاستعمالان ـ بالإدغام والفك ـ كما يقول ـ لغتان حجازية وتميمية[1].

فالذى نؤمن به أن التطور، قد عمل عمله، فى اللغة العربية، حتى تهذبت، واكتمل نموها، فى لغة عامة، نزل بها القرآن الكريم.

وقد اعتقد ذلك الرأى الأستاذ عبد الله العلايلى الذى قال: «إن كل هذه التقديرات ليست إلا حيلة المتحيل، وأما هى من الوجه الحق، فليست بأكثر من كونها أثرا من آثار التطور العام، الذى تخضع له كل لغة، فى سيرها الارتقائى، وتبقى هذه البواقى، والمتخلفات، لأسباب مكانية وظرفية، أو لأن التطور لم يتم دورته، بما يكفى لأن يأتى على كل مواثل الوجود المهضوم»[2].

ويقول أيضًا: «ليس الإعلال من اصطناع النحاة، بقدر ما هو من عمل العربى، وعمل النحاة، تصرف أسلوبى فقط، لأن الإعلال حقيقة راهنة، فى صميم اللغة، وهذا يدل على رقى عقلية العرب»[3].

كما قرر التطور فى حركات الكلمة، وقال: إنه ليس افتراضًا، بل بقى فى العربية، ما يدل عليه، ولذلك قيل: ليس فى كلام العرب (فِعُل) بكسر الفاء وضم العين إلا حِبُك، وشرح هذا المثال عندنا: أن أصله (حِبُك) بكسر الحاء وضم الباء ولما قضت العربية، باستثقال هذا البناء، وإماتته، نقلوا كلماته، بأحد وجهين، إما إتباع الفاء للعين، (حُبُك) بضمتين وإما إتباع العين للفاء (حِبِك) بكسرتين ولما كان الإتباع فى الضم قليلاً نظن بأن العربية قد قصدت أن تستقر عليها بالكسر، ويقول العلايلى: لكن الجمع بين الكسر والضم، لازما حيث كان ينبو الطبع عنه، فأهمل[4].

---

(1) الخصائص ١/٢٥٩، ٢٦٠.

(2) مقدمة لدرس لغة العرب ص١٧٩، ١٨٠.

(3) المصدر السابق ص٢١٦، ٢١٧.

(4) المصدر السابق ص ١٨٢..

وهذا يؤيد وجهة النظر السابقة فى القول بالتطور اللغوى، بما فى ذلك تطور صيغ الإمالة فيما رآه الدكتور أنيس.

وقد بنى الدكتور أنيس تفسيره للنوع الأول من تلك الصيغ على أساس سكون الياء، أو الواو، فى الأصل، على حين يذكر القدماء أن الأصل فى مثل هذه الصيغ حركة العين.

قال ابن جنى: «كان الأصل فى قام: قوم، وفى خاف: خوف، وفى طال: طول، وفى باع: بيع، وفى هاب: هيب، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة، وهى الفتحة، والواو، أو الياء، وحركة الواو، والياء، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة، فهربوا من الواو، والياء، إلى لفظ تؤمن فيه الحركة، وهو الألف وسوغها - أيضًا - انفتاح ما قبلها[1].

وإذا جاز هذا الاحتمال، فلعل العرب قد استثقلوا النطق، مع توالى أشياء، متجانسة، فبعضهم تخلص من ذلك بالقلب ألفا، وبعضهم الآخر تخلص بالإمالة.

أما تفسيره للنوع الثانى، الذى قصد به التناسب، فهو مبنى على أن الإمالة مرحلة متأخرة فى بعض الكلمات.

ومع فقدان الدليل التاريخى، فى مثل هذه الأحوال، فإننا لا نمنع أن يكون شىء من التطور - لاختلاف بعض القبائل عن بعض فى النشأة وعوامل الاجتماع- قد اعترى اللغة، وموادها فى نشأتها الأولى، وقد صار ذلك اتجاها لهجيا فيما بعد، وقد استقرت الأولى لدى البدو. وانتشرت الثانية فى الحضر، ولجأت إليها اللغة النموذجية، للوضوح، والفصل بين الأصوات، ومخارج الحروف، والحركات، التى هى من أخص خصائص الحضارة ورقى الاجتماع.

وأما تجويز المتأخرين من النحاة، والقراء، للأمرين، - بالإمالة والفتح - فى الألفاظ التى يمكن تحقيقها فيها، فذلك ليس راجعًا إلى جوازه بين العرب،

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٥.

الأولين، بحيث كان الواحد، أو الطائفة منهم، تنطق بالكلمة، طورا ممالة، وطورا آخر مفتوحة، لأنه ممتنع عليهم، كما بينا.

وإنما الجواز الذى أرادوه بالنسبة للسان العرب بعد أن أصبح لغة عامة، لا قبلية[1] فمن الجائز لنا الآن أن ننطق بأى الصورتين، فكل منهما لهجة عربية صحيحة منذ بدايتها، ولذا لا يجوز أن نرمى المتأخرين بالخطأ فى قولهم بجواز الإمالة[1].

***

(١) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ص١٠١ وجمع الجوامع ط ١٣٢٧ ج٢ ص ٢٠٠.

الهمزوالتسهيل

الهمزة: صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماؤنا القدامى ومن الحنجرة - على ما توصل إليه علم الأصوات الحديث - وهى صوت مجهور شديد عند القدماء، ولا مجهور ولا مهموس - على أرجح الآراء فى العصر الحاضر - وينطبق معها الوتران تمامًا ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوىّ وانفجار وفرقعة شديدة، ولذا كانت تحتاج إلى مجهود عضلى كبير حال نطقها، ولذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض فى نطقها والتمسك بها فى كلامهم، فوجدنا منهم من يحققها، ووجدنا منهم من يخففها بإبدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين بين أو حذفها[1] والهدف من ذلك التخفيف فى هذا الصوت القوى بتحويله إلى أصوات لينة ليمكن نطقها بيسر وسهولة، ولكن فريقًا من العرب تعود نطق الأصوات الصلبة فتمسك بها ومع ما يبدو من هذا التبادل الشكلى لا توجد علاقة صوتية تسوغ ذلك:

١- فالألف صوت انطلاقى مجهور أى حركة أو مُصوّت على نقيض الهمزة.

٢- والهمزة من الحنجرة والواو من أقصى اللسان والياء غير المدية من وسط اللسان مع ما يحاذى الموضعين من الحنك الأعلى والمدية جوفية أو من مقدم اللسان.

٣- والهمزة صوت انفجارى شديد وهما انطلاقيان (لينان).

٤- والهمزة صوت ذو وجود صوتى وسياقى (فونوتيكى وفونولجى) أما هما فوجودهما انطلاقى سياقى (فونولوجى) فحسب مهما تكن أحوال وجودهما فى المادة اللغوية.

٥- الهمزة صوت مجهور أو لا هو بالمجهور ولا بالمهموس وهما مجهوران إلا فى حالة خاصة وهى حالة الوقف على مثل الصفو والسعى حيث يمكن أن يتعرضا للهمس فى هذا الموقع، وهو ما يقع أحيانًا لحركات أواخر الكلمات فى حالة ما سماه القدماء بالروم، وهى حالة من حالات الوقف[2].

---

(١) المقتضب: ١/٥٢.

(٢) القراءات القرآنية: ص ٤٤٨ والأصوات اللغوية ص ٤٣.

وتبعا لهذه الفروق كان للمحدثين من العلماء نظرات أخرى إلى حوادث الإبدال بين الهمزة والواو والياء والألف ومن هؤلاء (هنرى فليش) فقد ذكر أن سبب الإبدال هو الأحداث الصوتية التى تلتزم بها اللغة العربية الفصحى وتفسر جانبًا من علم الصرف وأهم مبادئ هذه الأحداث ما يلى:

أ- من ناحية المقطع: كراهة الاحتفاظ بصوت طويل أو مزدوج فى المقطع المقفل مثل: احمأر - وقراءة ﴿وَلَا الضَّأْلِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٧] بالهمز فهما فى الأصل: احمار - ولا الضالين - فتجنبت المقاطع المديدة بإبدال الألف همزة، وفى مثل وجوه ووسادة (wo) - (we) يتمكن الصوت المزدوج فيكره ولذا تبدل الواو همزة فيقال: أجوه، وإسادة.

ب- من ناحية عدم التوافق بين الفونيمات: كراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوّت من جنسها أو بعض ما يغايرها والصوامت الضعيفة مع مُصوّت من جنسها تتمثل فى الواو مع الضمة والياء مع الكسرة ومع بعض ما يغايرهما كالواو مع الكسرة.

ج- من ناحية طبيعة الأصوات الساكنة: ضعف الواو والياء بين المصوتات.

وقد طبق فليش قاعدته على حالات الإبدال ونرى ضعف هذه القاعدة لما يلى:

١- لم يفرق فليش - بمقياسه السابق - بين أنواع الإبدال الواجب والجائز والشاذ ولم يفصح عن سبب الوجوب وغيره.

٢- لم يستطع فليش تفسير إبدال الهمزة تفسيرًا وافيًا فهناك أمثلة كثيرة مثل: وُعد ووُوفى والظبى والدلو وناى وآى (جمع آية) توجد فيها التراكيب المكروهة التى ذكرها وهى wi - yi - wu ومع ذلك لم تقلب همزة.

٣- اعتبر فليش ما سوى التراكيب الصوتية ayi -awi - awu يقاس عليها وفى ذلك يدخل التركيبان aya -awa وهما تركيبان خفيفان غير مكروهين لولا أن القياس قد وحّد النموذج اللغوى وقد نص القدماء على كراهة العرب النطق بمثل هذه التراكيب أيضًا وصرح بذلك ابن جنى فقال:

«وإنما كان الأصل فى قام قوم وفى خاف خوف وفى طال طول وفى باع بيع وفى هاب هيب فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة وهى الفتحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف وسوغها انفتاح ما قبلها»[1].

وفى الأمثلة التى ذكرها ابن جنى يوجد التركيبان aya -awa وقد عدهما مكروهين ولم يقل بالقياس على النموذج اللغوى وبذلك تقل الحاجة إلى منهج فليش بالقياس الموحد.

وكان ممن خرج على الأقدمين وثار على رأيهم من المحدثين الدكتور شاهين فقد قال: «القدماء أخطأوا فى تصور الإبدال فيما سبق لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشروطة لحدوث الإبدال»[2]، وعلى أساس هذه التخطئة حاول أن يفسر المسألة برأى جديد يقول: «وإننا لنقرر ابتداء أن أساس الحل فى رأينا لن يتأتى إلا من طريق التحليل الصوتى للعناصر المركبة أعنى تحليل المزدوج أولا إلى عناصره البسيطة ومن طريق هذا التحليل نستطيع التعرف على ما تبقى من العناصر الصوتية وما حذف منها كما نستطيع تحديد وظيفة الهمزة فى السياق الصوتى»[3]، وقد أقام نظرية جديدة لتفسير إبدال الهمزة على أساس النبر وأوضح مبادئ تتعلق بالمشكلة وهى خصائص نطقية تكونت للسان العربى من أهمها ما يأتى:

١- الأصل والأغلب فى الوقف السكون ولكنهم لم يطبقوا ذلك منهجيًا بل اعتبروا حروف العلة وأشباهها سواكن لا حركات ولئن جاز ذلك بالنسبة لأشباه حروف العلة فإنه لا يجوز بالنسبة لحروف العلة نفسها إلا لضرورة نحوية أو دلالية.

٢- قالوا لا يبتدأ بساكن بل بمتحرك ولكنهم لم يعتبروا الحركة إلا إذا كانت تابعة لحرف وبدهى أنهم أخرجوا حروف العلة وأشباهها من جملة الحركات مع أننا نرى أن حروف العلة تكبير للحركات.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٥.

(٢) القراءات القرآنية ص ٧٧.

(٣) المصدر السابق ص ٧٨.

٣- العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية وبذلك تفسر كراهيتهم لتوالى الحركات الذى يضعف النظام المقطعى[١].

وعلى هذا يتضح رأى المؤلف فى أن الهمز كان لدى العرب ذا وظيفتين: الهروب من تتابع الحركات، والمبالغة فى النبر فيتحول بذلك نبر الطول إلى نبر توتر[٢] وعلى هذا الأساس قرر نظريته، ولتقريرها نقول:

الهمزة إما بدل من واو أو ياء أو ألف، فإذا كانت الواو أو الياء فى كلمة فإما أن تكون فى أولها أو وسطها أو آخرها كما قررنا، فإذا كانت فى آخرها مثل كساء وبناء يقول الدكتور شاهين إنه لا إبدال فى هذا بل إن العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد إقفاله فأحل الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة[٣] ويقرر أنه لا توجد واو ولا ياء وإنما هو ضمة أو كسرة فبالتحليل الصوتى لكلمة كساء ترى Kisaw ⟵ Kisau ⟵ Kisa، ويتأكد ذلك بالنطق فنحن نقول كساو فننطق ضمة بعد الألف وبناى فننطق كسرة بعد الألف فالمقطع مفتوح وإن بدا شكليا أن الواو والياء ساكنتان، والحقيقة أن الملتقى فتحة طويلة + ضمة أو كسرة وليست هناك واو أو ياء فالمقطع مفتوح فلما أريد إقفاله للوقف حولت الحركة إلى همزة، وقد فسر ألف التأنيث الممدودة بذلك فقال: إنها تحولت إلى همزة لكراهية العرب الوقف على مقطع مفتوح[٤]، وقد جعل الدكتور شاهين الوقف بالهمزة مثل حبلأ ورأيت رجلأ وهو بضربهأ والوقف بهاء السكت مثل قه وارمه وغلامهوه وغلامكيه وواجعفراه هربا من المقطع المفتوح، فالمقطع قد أقفل بصوت لا وظيفة له سوى الإقفال وهما متشابهان الهمزة والهاء إذ هما من الأصوات الحنجرية ويود الدكتور شاهين لو أطلق على الهمزة اسم السكت مثل الهاء[٥]، وإذا كانت الواو أو الياء فى وسط الكلمة مثل قاول وبايع

---

(١) القراءات القرآنية ص ٧٨، ٧٩.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق ص ٨٢.

(٤) المصدر السابق ص ٨٤.

(٥) المصدر السابق ٨٥، ٨٦.

وقلايد وعجاوز ونـيايف وسياود فإنه يفسـر الإبدال فى ذلك بأنه أتى بالهمزة هربا من تتابع الحركات فقاول بالكتابة الصوتية qawil وبايع bayi ثم أصبحتا bau, qauil فيتـبين من ذلك التقاء ثلاث حـركات متتـابعة، ففى الأول (قاول) الفتـحة الطويلة والضمة القـصيرة والكسرة القصـيرة وفى الثانى (بايع) الفتحـة الطويلة والكسـرتان القصيرتان ولذلك نبر المقطع الثـانى بالهمز فصار qa,il قائل، ba,i بائع[1] ويفسر الدكتور توالى الحركات أيضًا بأنواع أخرى من النبر.

١- قول وبيع ليس فيهما موقع نبر.

٢- قـول وبيع بتشـديد العـين -مزدوج اكـتـسب مناعة بالـتشـديد وهو توتر نبرى[1].

٣- خطايا تغير النبر إلى طول الحركة وهذا عند من لا ينبرون[1].

٤- وقد وصف نوعـا من النبر لا تحول مـعه الواو أو الياء وسط الكلمـة همزة وإنما يفصل بين عنصرى المزدوج بالـهمز بعد أن كانا متـصلين وهذا من خصائص الناطق البدوى وقد لجأ إلى ذلك نتيـجة شعوره بأن الانزلاق بين العنصر الأول من عنصرى المزدوج إلى العنصر الثـانى لا يحقق صورة النبر كما تعـودها فكان الهمز وسيلة إلى ذلك دون أن يسـقط من المزدوج شيئًـا، وهذا يتأتى فى مـثل الكلمات الآتية ونوضحها بالكتابة الصوتية هكذا:

خطوات ← خطؤات		xutuat	← xutuat
تفاوت ← تفاؤت		tafaut	← tafu'ut
إما ترينى ← ترئنى		turianni	← turi' anni
إنهم مايتون ← مائتون		maitun	← ma'itun
درى ← درىء		durriun	← durri'un
تيمموا ← تأمموا		ta -i- ammamu	← ta' ammamu

(١) المصدر السابق ص ٨٨، ٨٩.

وسقط فى المثال الأخير من الحركة الثلاثية عنصرها الثانى (i) من (aia) وهذا من أجل النبر[١]، أما إذا وقعت الواو فى أول الكلمة مثل وواصل ووعاء ووقتت ووجوه فقد فسره على أنه قد نبر إلى الهمز لعدم إمكان النطق بحركة فى بدء الكلمة ولو كتبنا الكلمة الأولى وواصل كتابة صوتية نجد أنها تبدأ بحركات يصعب نطقها وهى waw asil وتكتب عند التحليل إلى ua -ua- sil فنبر المقطع الأول فصارت كتابتها a - wasil [٢] ومن هنا رد سبب الهمز فيما سبق ونحوه إلى الاتجاه العام السابق وهو كراهة أن تبدأ الكلمة فى العربية بحركة[٣].

أما إبدالها من الألف فى مثل ولا الضالين وشابة ودابة ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعدها صوتان ساكنان فقد فسره على أساس النبر فيقول: ونفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أن النبر فى لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر على حين يأخذ صورة الطول فى لسان غيرهم من الحضريين[٤]، وفى مثل ساق وباز ويوقنون ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعد صوت ساكن أو لين مزدوج عند همزها يقرر أيضًا نفس المبدأ فيقول: لا يمكن تفسيره بغير النبر الذى تعودته ألسنة بعض بنى أسد، هذا هو اتجاهه العام وإن كان قد تعرض إلى أن ما نحن بصدده من أمثلة الهمز هو من الأحداث الصوتية اللهجية فذكر أن مثل ولا الضالين لغة كما قال أبو حيان وأبو الفتح[٥] ونسب بعض الهمز السابق إلى بنى أسد وهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها[٦].

نظراتنا حول رأى الدكتور شاهين:

لقد تناول الدكتور شاهين الموضوع وفسره على أنه لا إبدال فيه ولكن النبر هو الذى تسبب فى هذا التغيير، ولكن مقاييسه لم تف بالمطلوب من التفسيرات والتوجيهات:

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٠، ١٣١.
(٢) المصدر السابق ص ٩١.
(٣) المصدر السابق ص ١٢٩.
(٤) المصدر السابق ص ١٢٨.
(٥) المصدر السابق ص ١٢٦، ١٢٧ وقراءة ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] - بالهمز- لغة عند الكسائى وهى عند البصريين لحن فالظاهرة لهجية وإن لم تقبلها قواعد البصريين ويزيد أمرها وضوحًا نسبتها إلى قبيلة غنى من قبائل وسط الجزيرة (يهمزون ما لا يهمز) كما يقرره صاحب اللسان ١/ ١٧ ورثات زوجى -لبأت بالحج إلخ.
(٦) المصدر السابق ص ١٢٨.

١ - وفيه ثلاث نقاط:

أ- تحدث الدكتور شاهين عن الواو والياء فى آخر الكلمة وقال إن السبب فى إحلال الهمزة محلهما فى هذه الحال هو أن العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد إقفاله والواقع أن الكلمات لم توضع فى الأصل لتستعمل مفردة بل لتستعمل فى تراكيب تؤدى معنى مقصودا وعلى هذا فالوصل هو طريق استعمال ألفاظ اللغة لا الوقف فإذا قيل كساو الصيف خفيف وبناى البيت ثابت الدعائم مثلا فليس هنا وقف على مقطع مفتوح وكذلك لو نطقنا كساو وبناى (بالتنوين) لم يوجد المقطع المفتوح أيضًا.

ب- ثم لماذا لم تقلب كل من الواو والياء همزة فى مثل غاى وراى وطاو وراو مع تحقق ما قال فيها لو فرضنا حالة الوقف؟ ولماذا لم يحدث ذلك فى مثل التراخى والفيافى والتسامى مع وقوع الياء طرفا ووجود المقطع المفتوح فى حال الوقف أيضًا؟.

جـ- على مقياس الدكتور شاهين لا نجد تفسيرًا لاختلاف حالات التثنية والجمع المتعددة من وجوب بقاء الهمزة فى مثل قراء وقلبها واوا فى مثل صحراء وترجيح أحدهما فى مثل كساء وبناء وعلباء، ولو سلمنا له بأنه يعلل للألفاظ المفردة فإنه قد علل لنحو حمراء بأنها نبرت لإقفال المقطع وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر مثل حبلأ فيقال حمرأ مثلا؟ فلم اختص كل بطريق؟ على أنه قد تبع بروكلمان فى أن علامة التأنيث تطورت على النحو التالى à - a - ah - at ومعنى ذلك أن العربى كان ينطق بها حمرت ـثم حمرة ـ ثم حمرى، ثم حمراء، وهذا التطور لا دليل عليه ومع ذلك فلو تصورنا صحته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال حمرت ـأو حمرة بالرجوع إلى أصل سابق وبهذا يتبين عدم دقة رأيه المذكور.

٢- وقد تحدث أيضًا عن الواو والياء فى وسط الكلمة وسبب تغييرهما إلى همزة بأنه لتتابع الحركات ورأيه ذلك ينطبق على نحو قاول وبايع فعلى أمر وهما مثل قائل وبائع اسمى فاعل فلماذا فرق بينهما؟، كذلك يماثل عجائز ونيائف

جداول وقساور ومعاول ومقاول فما الفرق الذى سبب القلب أولاً ومنعه ثانيًا؟، مع تحقق قانونه فيه وهو تتابع الحركات مما يستدعى الهرب منه إلى النبر بالهمزة ولم يحدث.

٣- على أنه لم يفرق بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز فى الألفاظ التى وجدت فيها واو أو ياء أولاً فبعضها يجب همزه مثل: وواصل -وواق- وولى وبعضها يجوز مثل وسادة -وشاح- وجوه وبعضها يمتنع مثل واصل -يواقيت- وورى.

ولست مع المحدثين فى اعتبار الواو والياء غير المدتين حركتين فإن التقسيم المقطعى يؤكد اعتبارهما صوتين ساكنين مثل: يقع ويذر ووزن ووعد فكل من الكلمات السابقة مكون من ثلاثة مقاطع كل منها مكون من صوت ساكن + لين قصير وفى مثل: وجوه لا يمكن الاعتراف بأن الواو مجرد حركة لأنه إذا كانت كذلك فقد قلبت الضمة (u) على هذا الفرض همزة فى أجوه، ومن أين أتت ضمة الهمزة بعد القلب المذكور؟

وبذلك نتأكد أن طريقة الأقدمين أشمل وأضبط.

ولسنا نشك لحظة فى أن ما تعوده اللسان العربى فى معاملته للواو والياء وللهمزة ناشئ عن بعض الكراهات التى لم يألفها غير أن أسباب هذه الكراهات تحتاج فى الحقيقة إلى شيء من التحليل يكشف عن مدى ما تحتويه من ثقل أو تنافر يلجأ الناطق حياله إلى المخالفة أو التصرف بصورة ما هربا من هذا الذى يكرهه[١].

وتخفيف حرف العلة بالقلب همزة هو ما رآه الأقدمون وقالوا به وذلك متحقق أيضًا فى تخفيف الهمزة وتحويلها إلى واو أو ياء أو ألف وذكر ابن سيده أن شيوع إبدال الهمزة لشبهها بحروف العلة من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حسب حركة ما قبلها ومن أجل أنها من أقصى الحلق فإذا أبدلت أولاً جرى اللسان

---

(١) القراءات القرآنية ص ٧٨.

إلى جهة القدام فهذا يطرد عليه الإبدال فلاجتماع الشيئين من مناسبة حروف العلة وأنها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لإخراج الحرف جاز أن تبدل من غيرها[١].

وقال أيضًا إن حروف العلة تقلب لطلب الخفة والكثرة والمناسبة، وقد تحدث علماء الصرف عن هذا النقل حتى إنهم قالوا فى تعريف الإعلال:

تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف للتخفيف[٢].

وعدوا الهمزة من حروف الإعلال وقالوا: إنها حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق فلذلك الإستثقال شاع فيها التخفيف لنوع من الاستحسان[٣] ومن هنا منع وقوع الهمزة فى كلمة فاء وعينا معا أو عينا ولاما معا وعلل ذلك ابن جنى بثقل الهمزة فكيف بالهمزتين معا، قال فى سر الصناعة: «وإنما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل فى الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به متكلفا فإذا كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما -لا سيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين فاء وعينا أو عينا ولاما- أحرى فلهذا لم تأت فى الكلام لفظة توالت فيها همزتان أصلا ألبتة[٤] فلهذا كان الإبدال بين الهمزة وتلك الحروف الثلاثة ولأجله أيضًا خففت الهمزة بتسهيلها وجعلها بين بين وكل ذلك من ضروب التخفيف وألوانه.

والهمزة لأنها صوت حنجرى شديد مما يناسب البيئة البدوية وهى قبائل وسط الجزيرة وشرقها فهى أساسًا من لهجات تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورهم والتسهيل فى أصله لهجة البيئة المتحضرة وهم أهل الحجاز وبخاصة قريش فى مكة والأوس والخزرج فى المدينة.

ولم يكن الحجازيون جميعًا بعيدين عن تحقيق الهمز إلى تسهيله بل منهم من استهواه تحقيقه وهم من سماهم سيبويه (أهل التحقيق) فكانوا ينطقون بالهمز كإخوانهم من القبائل المحققة له.

---

(١) المخصص ١٣/٥٦٨.
(٢) شرح الشافية للحسينى ص١٨٥.
(٣) شرح الشافية للعصام ص ١٥٠.
(٤) سر الصناعة ١/٨١.

يقول سيبويه: «وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة وذلك قليل ردىء»[1].

ومن قبائل الحجاز (عكل) التى هى من طابخة، وطابخة من خندف التى سكنت الحجاز ونسب إليها ابن جنى (ترقؤة) فقال إنها لغة لبعض عكل[2].

ومما يدل على مناسبة الهمز للبدو لثقل الهمزة أن ابن جنى قال: إن بغض من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطغى به طبعه ويتخلى به اعتماده ووطؤه يبدل من الألف همزة فيحملها الحركة التى كان كلفا بها ومصانعًا بطول المدة عنها فيقول شأبة ودأبة[3] وسمعها بعضهم من بنى كلاب[4].

وقد حاول ابن جنى تفسيرها بأنه كره اجتماع الساكنين الألف والحرف الأول من المضعف بعدها فحركت الألف لالتقائها فانقلبت همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة[5].

وهو صورة من صور التوتر النبرى على لسان بعض البدو[6].

وقد قال عيسى بن عمر: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا[7].

والمراد بالنبر الهمز وقد كانت قبائل العرب يتأثر بعضها ببعض فى الهمز والتسهيل فيمكن أن نجد أمثلة قد سهلت فيها الهمزة فى بيئة نجد والعكس فى بيئة الحجاز فقد قرأ أهل الكوفة قول الحق سبحانه:

---

(١) الكتاب ٢/ ١٧٠ واللسان ١/ ١٤: أتى النبى ﷺ رجل فقال له: يا نبيء الله قال الرسول ﷺ له: «إنا معشر قريش لا ننبر». التهذيب ١٥/ ٢١٥.

(٢) الخصائص ٣/ ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٢٦.

(٤) اللسان ١/ ١٤.

(٥) سر الصناعة ١/ ٨٢.

(٦) القراءات القرآنية ص ١٩٨.

(٧) اللسان ١/ ٢٢، والكتاب ٣/ ٥٣.

﴿ومن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة:٢٦٩] باليـاء والتخفيف[1] (ومن يوت).

وكذلك قرئت هذه الآيات: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] أنبيهم ـ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البـقرة:١٤] ـ مستهـزون ـ بغير همزة[2] وتخفف بنو أسد ﴿لَرَءُوفٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] وأهل مكة من أهل الحجاز يحققون بعض الهمزات كبرىء ونبىء.

وهذا كله دليل على تأثر هذه القبائل بعضها ببـعض فى الهمز والتسهيل بحيث انتشر ذلك على لسان القبائل ولا سيما بعد التوحد اللغوى.

***

(١) مختصر الشواذ ص ١٧.

(٢) المصدر السابق ص ٢ وما بعدها.

إبدال الهمزة من حروف العلة

الأمثلة التى تتبادل فيها الهمزة وحروف العلة لها صور منها ما يكون واجبًا ومنها ما يكون جائزًا ومنها ما يعد شاذاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- أمثلة تبدل فيها الهمزة وجوبًا: حمراء وصفراء وصحراء ـ علاء ـ كساء وقضاء وبناء ـ عباءة وصلاءة ـ عظاءة ـ علباء وحرباء ـ أولى.

٢- أمثلة تبدل فيها الهمزة جوازًا: أقتت ووقتت ـ أجوه ووجوه ـ إشاح ووشاح، إعاء ووعاء ـ إسادة ووسادة ـ أناة ووناة ـ أسماء ووسماء ـ ألل ويلل ـ رئبال وريبال - أده ويده.

٣- أمثلة تبدل فيها الهمزة شذوذًا: الضألين - جأن- شأبة - دأبة - اشعأل - ادهأمت - ابيأض - المشتئق - أحب المؤقدان إلى مؤسى - العألم - الخأتم - نأر- قوقأت الدجاجة - حلأت السويق - رثأت المرأة زوجها - لبأ الرجل بالحج[1] - سواتهما، أفى السوتنتنة[2] ربا[3].

والذى يبدو أن هذا الإبدال لا تسوغه علاقة صوتية، وقد أوضح بعض المحدثين المفارقات بين حروف العلة الثلاثة وبين الهمزة من عدة وجوه كما ذكرنا.

ويقسم القدماء الهمز - كالأمثلة المذكورة - إلى واجب وجائز موافق للقياس فهو لذلك مطرد وإلى مخالف له فلا يطرد، وقد اطرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة، وإبدال الهمزة من الواو والياء منه ما يكون واجبًا قياسياً ومنه ما يخرج عن القياس وذلك فى موضعين: أحدهما: أن تقر الهمزة الواجب تغييرها فلا تغيرها والآخر:

---

(١) ينظر فى هذه الأمثلة: سر الصناعة ١/ ٨٢ - ١١٥ والخصائص ٣/ ١٤٢ - ١٤٩ والمحتسب ٢/ ١٤٦، ١٤٧، ٣٣١ ومواضع أخرى متفرقة فيه والمفصل ١٠/ ٩ وما بعدها.

(٢) المحتسب ١/ ٧٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٤.

أن ترتجل همزًا لا أصل له ولا قياس يعضده، فمن أمثلة الأول: خطائئ ومنه قولهم: غفر الله له خطائئه ودريئة ودرائئ، ومن الثانى أمثلة كثيرة ذكر بعضها هنا كالعألم والسأسم والخأتم وكلا النوعين غير مقيس[1] وكله شاذ غير مطرد فى القياس[2] وقال أبو العباس: قلت لأبى عثمان: أتقيس ذلك؟ قال: لا ولا أقبله[3].

والتفسير الحق يجعل الأمثلة التى وصفت بالجواز والشذوذ من اختلاف اللهجات ولم يكن ذلك بعيدًا عن فهم بعض القدماء فقد نبه عليه ابن جنى بعبارات واضحة تفيد أن هذا التعبير أو ذاك لهجة عربية فيقول ـ معلقًا على قراءة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] بهمز (جأن) ـ حكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن) فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول: شأبة ودأبة ويؤكد ذلك بشعر سمع عن العرب من مثل قوله:

وبع انتهاض الشيب من كل جانب   على لمتى حتى اشعأل نهيمها[4]

وهذا ليثبت وروده بأدلة واقعية تفيد أنه لهجة عربية يتكلم بها ويقول عن مثل العألم والخأتم إنه «قد حكى عنهم» فإلى مَنْ يعود الضمير؟ إنه لا شك عائد إلى العرب الذين يدأب على ذكر اسمهم فى هذا الموضوع كأن يقول ـ فيما سبق هذا: فإن قيل: فلم قلبت العرب لام فَعلى ـ بفتح الفاء إذا كانت اسمًا وكان لامها ياء - واوا إلخ وقوله: فالجواب: أنهم إنما فعلوا ذلك إلخ[5].

وهذا كلام يفصح عن أن هذا التحقيق للهمز وعدمه لهجتان عربيتان مسموعتان عن فريقين لكل منهم اتجاه فى النطق غير أن ابن جنى لا يكاد يفصح عن اسمى الفريقين اعتمادًا منه على أن قارئ كتبه على معرفة بلهجات العرب.

---

(١) الخصائص ٣/١٤٢ وما بعدها.
(٢) سر الصناعة ١/١٠٢.
(٣) المصدر السابق ١/٨٣.
(٤) المصدر السابق ١/٤٧ والمحتسب ١/٤٧.
(٥) سر الصناعة ١/٩٩، ١٠٠.

ويذكر الأزهرى أن عظاءة لغة فى عظاية وإعـاء لغة فى وعاء[1] ونسب صاحب البحر إلى هذيل قـولهم فى (وعاء): (إعاء) عند تفسيـره قوله تعالى: ﴿مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦] قال: وقرأ ابن جبيـر (من إعاء) بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا: إشاح وإسادة فـى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقـعة أولاً همزة [2] وتنسب أيضًا لتـميم[3] وكذلك همزها بنو عقيل، ومثلها الحؤت فى الحوت همز شاذ وينسب همز المشتئق لبعض بنى سليم، نقل الأزهرى عن الفراء قال: سمعنا أعرابياً من بنى سليم ينشد:

فإنها حيل الشيطان يحتئل

وقال وغيره من بنى سليم يقول: يحتال بغير همز.

وقال: وأنشد بعضهم:

يا دار مـىّ بدكـــــاديك البـــــرق   سـقـيا وإن هـيّجت شـوق المشـتـئق

وغيره يقول المشتاق[4].

وعدّ من همز التوهم همز ما لا همز فيه إذا ضارع المهموز روى ذلك الفراء عن بعض العرب قال: وسمعت امرأة من غنى[5] تقول: رثأت زوجى بأبيات كأنها لما سمـعت: رثأ اللبن ذهبت إلى أن مـرثية الميت منهـا قال: ويقولون: لـبأت بالحج وحلأت السويق فـيغلطون لأن حلأت يستعـمل فى طرد الوارد عن الماء ومنعه منه يقال: حلأته عن الماء: طردته ومنعته وحلأ السويق: حـلاه همزوا غير مهموز لأنه من الحلواء، وورد فى اللغة: لبـأت - بتشديد الباء وتاء التـأنيث - وقع اللبأ وهو أول اللبن - فى ضرعها ويقال: لبأ بالحج - كلبى، فكأنه من اللبأ»[6].

وفى شأبة ودأبة نسب الهمز إلى بنى كلاب وعقيل وتميم وهذيل[7] وعلى ذلك وصف بالشذوذ لخروجه على القواعد.

(١) التهذيب ٣/١١٨.
(٢) البحر ٥/ ٣٣٢.
(٣) الإبدال لابن السكيت ص ٥٦، ٥٧.
(٤) التهذيب ٥/ ٢٤١ (حال).
(٥) غنى من قيس وهى من القبائل التى تميل إلى الهمز. جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٤.
(٦) التهذيب ١٥/ ١٢٤، ٦٨٣، ٢٣٤ والقاموس ١/ ١٣، ٢٨.
(٧) المصدر السابق ١٥/ ٦٩١ باب الهمز وتحقيقه والدرر اللوامع ٢/ ٢٣٠ والمنصف ١/ ٢٨١.

ونسب الهمز فى (جؤن) إلى عقيل، وهم فرع من تميم[١] وإلى تميم والكلمة بالواو لأهل الحجاز[٢]، وبعضهم يصف الكلمة بالواو بأنها خطأ يقولون: (جونة والصواب جؤنة وجمعها جؤن)[٣].

وقال أبو بكر الأنبارى: الحدأ جمع الحدأة وهو طائر... وقال أبو حاتم: أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر: الحديا وهو خطأ ويجمعونه الحدادى وهو خطأ، قال الأزهرى: وروى عن ابن عباس أنه قال: لا بأس بقتل الحدو والأفعو للمحرم فكأنه لغة فى الحدأ والحديا تصغير الحدو[٤]. لكن لا يصح وصف ذلك بالخطأ لأنه لهجات.

وهى لغة أهل اليمن[٥] وكذلك آخذه وواخذه لغة لأهل اليمن[٦]، والطائيون كانت مساكنهم باليمن قبل أن يجاوروا بنى أسد[٧]، فانتقلت معهم الظاهرة بعد الرحيل وأهل الحجاز أوصدت الباب إذا أطبقت عليه شيئًا وتميم تقول آصدت[٨].

إبدال حروف العلة من الهمزة

إبدال الواو:

١- من همزة أصلية كأن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة فتبدل تخفيفا مثل جون فى جؤن وسولة فى سؤلة وفى تخفيف: هو يضرب أباك: هو يضرب وباك، وفى تخفيف: هو يقتل أخاك: هو يقتل وخاك فالواو هنا مخلصة وليس فيها شىء من بقية الهمزة[٩].

---

(١) التهذيب ١١/ ٤ وقلائد الجمان ص ٢١٠.
(٢) المزهر ٢/ ٢٧٦.
(٣) تثقيف اللسان ص ٨٥.
(٤) التهذيب ١١/ ١٨٧، ١٨٨.
(٥) المصباح المنير ص ٨، ٩.
(٦) المصدر السابق ص ٦.
(٧) معجم ما استعجم ١/ ٦٠ وقلائد الجمان ص ٧٢.
(٨) المزهر ٢/ ٢٧٧.
(٩) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ وانظر التهذيب ١١/ ٢٠٤.

وتقول أيضًا فى آخيت واخيت، فالواو بدل من الهمزة لأن لام الكلمة واو فهى مأخوذة من الأخـوة ولا توجد كلمة فـاؤها ولامها واو وقرأ ورش وأبو جـعفر ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ [البقرة: ٢٥٥][1] (لا يواخذكم).

٢- من همزة مبدلة كقولك فى تخفـيف: يملك أحد عشر هو يملك وحد عشر، وفى يضـرب أناة: يضـرب وناة وذلك أن الهمـزة فى أحـد وأناة بدل من واو وأصله وحد لأنه من الواحد وامرأة أناة من الونى وهو الفتور[2].

٣- من همزة زائـدة مثل أن تقول: غـلام وحمـد فى غلام أحمـد وفى هو يكرم أصرم هو يكرم وصرم فالهمزة فى أحمد وأصرم زائدة[3].

إبدال الألف:

١- إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثـانية ساكنة تبدل من الثانية ألف مثل آدم وآمين وهذا الإبدال واجب.

٢- اجتماع الهمزتين المتـحركتين فى أول الكلمة مثل ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] يجوز تحـقيق الهمـزتين وتسهيل الثـانية وبألف بين الهمـزتين وحذف الأولى منهما إذا فهم المعنى.

وفى هذه الآية اجتمعت همـزة الاستفهام وهمزة القطع فى الفـعل (أنذر) وفيها عدة أوجه[4]:

- قرأ بتحقيق الهمزتين عاصم وحمزة والكسائى وغيرهم وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ورش من طريق الأصبـهانى وابن كثير ورويس وغيـرهم، ومعنى تسهيل الهمزة جعلها بين بين يقول سيبويه:

---

(١) انظر الإتحاف ص١١٧.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ وانظر التهذيب ١١/ ٢٠٤.

(٣) المصـدر السابق (دار الكتب) ص ٢٩٥، ٢٩٦ والأزهر، الوجـه الثانى من الورقـة ١٠٩ وانظر القـاموس ٤/٤٣٩، ٤٦٧.

(٤) الإتحاف ص٤٤، ١٢٥، والنشر ص٣٦٣.

«اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفى لأنك تقربها من هذه الألف»[1].

وقرأ بألف بين الهمزتين آأنذرتهم ابن عباس وعبد الله بن أبى إسحاق وهشام فى أحد طرقه.

وقرأ بحذف الهمزة الأولى الزهرى وابن محيصن، وتحذف لدلالة المعنى عليها وثبوت ما عادلها وهو (أم)[2].

وهناك قراءة بحذف الهمزتين (سواء عليهم نذرتهم).

ونسب تحقيق الهمزتين إلى تميم وتسهليها بين بين إلى أهل الحجاز وإدخال ألف بينهما إلى بعض الحجازيين وإلى بعض تميم، وقال سيبويه:

«أهل الحجاز يخففونهما جميعًا»[3].

٣- إبدال الهمزة ألفا فى مثل رأس وقرأت وأخطأت واحبنطأت وشأمل فتصير ألفا تقول فيها: راس ـ قرات ـ أخطات ـ احنبطات ـ شامل وفى الحديث: ارجعن مازورات غير ماجورات، فأنت مخير ـ هنا بين التحقيق وعدمه ـ فى حالة سكون الهمزة وفتح ما قبلها وهو إبدال قياسى، ويرى الكوفيون فى الحديث أنه إنما أريد به ازدواج الكلام لقوله ماجورات[4] وفى الهمزة المفتوحة المتحرك ما قبلها مثل ملأ يجوز تسهيلها بقلبها ألفا وهو إبدال غير قياسى لأن مخرج الهمزة وكثيرًا من صفاتها تختلف عن الألف، ولذا يعد من باب اختلاف اللهجات.

إبدال الياء: وهو على أوجه:

١- واجب: إذا اجتمعت همزتان والأولى منهما مكسورة تقلب الثانية ياء مثل إيمان وإيلاف مصدرى آمن وآلف وهذا لون من الإبدال القياسى الواجب.

---

(١) الكتاب ٣/ ٥٤١، ٥٤٢ وشرح السيرافى وسر الصناعة ١/ ٥٣.

(٢) البحر ١/ ٤٨ والإتحاف ص ٤٤.

(٣) البحر ١/ ٢٧ والكتاب ٣/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) ١٢٨، ١٢٩، وانظر اللسان ١/ ١٢٤، ١٢٨، ١٥٢، ١٩٠، ٣٦٣، ٣٦٤.

٢- جائز: يجوز فيه تحقيق الهمزة وتسهيلها بقلبها ياء وهو نوعان:

أ- قياسى: يتحقق فى كل همزة سكنت وانكسر ما قبلها فإذا أردت تخفيفها قلبتها ياء خالصة فتقول فى تخفيف ذئب وبئر: ذيب وبير، وكما إذا انفتحت وانكسر ما قبلها مثل بِئَـر ومئَر بكسر الأول وفتح الثانى، تقول فيهـما: بِيَر ومِيَر، وفى تصغير: أقؤس وأرؤس: أقيّس وأريّس.

ب- غيـر قياسى: كمـا أبدلوا الهمزة ياء لغـير علة طلبًا للتـخفيف مـثل: قريت وتوضيت فى تخفيف قرأت وتوضأت وكما قال زهير:

جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه ... سريعا وإن لا يبد بالظلم يظلم

أراد: يبدأ فأخرج الكلمة إلى ذوات الياء.

ومثله قول الآخر:

وكنت أذل من وتد بقـاع ... يشجج رأسه بالفهر واجى

فأجـراها وصلا ولو كـانت همزة أو نويت همزة مـا جاز أن يأتى بهـا وصلا.

وكذلك قول الشاعر:

إن السباع لتهدا عن فوارسها ... والناس ليس بهاد شرهم أبدا

أبدل الهمزة ياء ضرورة(١).

ويخضع تخفيف الهمزة بإبدالها واوا للنظرة السابقة فهى تعود بنا إلى اللهجتين المشار إليهما.

والقدماء يفسرون ذلك على الإبدال، فـالهمزة هى الأصل فى الأسلوب العربى والواو التى أبدلت منهـا تعد دخيلة عليـها وكأنهم بذلك يعـدون الهمز صـفة من صفات اللغة المشتركة النموذجية لا صلة له باللهجات من قبل.

---

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ص ٣٧٩، ٣٨٠.

وتذكر معجمات اللغة هذا الاتجاه، يقول صاحب اللسان:

«ورجل سؤله: كثير السؤال وأصل السول الهمز عند العرب استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمزة[1] وقال ابن برى: الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والواو فيها منقلبة عن الهمزة فى لغة من خففها[2] وكان الفارسى يستحسن ترك الهمزة وأصله الهمز[3] ولكن الهمز ـ كما ذكرنا ـ لون من ألوان النبر لجأت إليه القبائل البدوية كبنى تميم وينسب التسهيل للقبائل الحضرية كبعض أهل الحجاز وعلى هذا فلا إبدال بين الهمزة والواو ولا صحة لما يقال فى المعجمات وغيرها من أن الهمزة فى أناة بدل من الواو فى وناة[4] وإنما يقال: إنهما لهجتان عربيتان غاية الأمر أن الواو لهجة أهل التخفيف من الحضر والهمز فى الأصل لهجة بنى تميم ومن على شاكلتهم وعلى هذا قيل أحدت الله ووحدته ورجل أحد ووحد»[5].

وفى إبدال الهمزة ألفا أو ياء نلحظ الاتجاه اللهجى فى مثل رأس وأخطأت وملأ وذئب وأقؤس وأرؤس ونحوها عند تسهيلها وإن كان القدامى سموا بعضه إبدالاً قياسياً ـ حال سكون الهمزة ـ وسموا بعضه الآخر إبدالاً غير قياسى ـ حال تحريك الهمزة.

فأكثر العرب تحقق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ولكن تميمًا تميل إلى تخفيفها بإبدالها مدة من جنس حركة ما قبلها واستعمال التخفيف فى غير ذلك غير مقيس حقاً، فإبدال الهمزة المفتوحة ألفا غير قياسى وإبدال الهمزة ياء فى مثل قريت وتوضيت طلبًا للخفة غير قياسى كذلك ولذا ينص اللغويون على عدم جواز وضع ياء مكان الهمزة يقول صاحب اللسان «ولا تقل أخطيت وبعضهم يقوله»[6] و«لا تقل توضيت وبعضهم يقوله»[7].

---

(١) اللسان ١٢/ ٣٣٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٥٧.

(٣) القاموس ٤/ ٢٤٦.

(٤) اللسان ٢/ ٢٩٨.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٦٥.

(٦) المصدر السابق ١/ ٥٩.

(٧) المصدر السابق ١/ ١٩٠.

والقياس - كذلك - يمنع أن تحذف الهمزة كما فى (يبد) فى قول زهير وقلبها ياء فى قول الآخر حتى ساغ له أن يستخدمها وصلا فى قافية البيت وقد قلبها الشاعر ياء ثم حذفها فى (هاد) فى البيت الأخير.

فهذه التصرفات غير قياسية ولا مطردة إذ لا تقلب فى هذه المواضع إلا بشروط خاصة تعرف فى فن التصريف، ولعل ذلك الموصوف بالشذوذ هو من سمات أصحاب التسهيل من القبائل العربية ولعله لمخالفته القواعد العامة حدث من بعضهم دون بعض ويؤيده قول ابن سيده:

«إن قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسى وإنما هو تخفيف بدلى محض لأن همزة أخطأت ساكنة قبلها فتحة فصورة تخفيف الهمزة التى هذه نصبتها أن تخلص ألفا محضة فيقال: أخطات كقولهم فى تخفيف كأس: كاس[1].

وأما الأمثلة الأخرى فتخضع لقانون اللغة النموذجية المشتركة التى اتخذت الهمزة من مبادئها.

إبدال حروف العلة بعضها من بعض

إبدال الواو من الألف والياء:

أ- من الألف:

من ألف أصلية: مثل إلى ولدى (اسمى رجلين) تثنيتهما: إلوان ولدوان وإلوات (اسم امرأة جمعًا) فألفاتها أصول غير زوائد ولا مبدلة[2] ولما سمى بها انتقلت إلى حكم الأسماء[3] وهذا هو القانون وبه وصى التصريفيون[3].

ومن ألف مبدلة: وهى على ثلاثة أضرب:

١- مبدلة من واو مثل عصوى وقنوى فى الإضافة إلى عصا وقنا.

٢- مبدلة من ياء مثل: فتوى وسروى فى النسب إلى فتى وسرى.

---

(١) المحكم ١/٩.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٦.

(٣) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١١٠.

٣- مبـدلة من همزة مـثل: تصغيـر آدم على أويدم وجمعـه على أوادم وأصله أأيدم وأأادم.

٣- من ألف زائدة مثل: ضـويرب وضوارب فى تحقيـر ضارب وجمعـه جمع تكسير[١].

ب- من الياء:

١- من ياء أصلية: مثل موقن وموسر (وكل ياء مفردة ساكنة قبلها ضمة) ومثل سيد ومـيت وغازية ومحنية وقالوا: مـقضوٌ عليه ومنهـوٌ عن المنكر والحيوان أصل لامه ياء لأنه لا يوجد فى كـلامهم كلمة عينها ياء ولامهـا واو كما هو رأى الخليل وسيبويه خلافًا لأبى عثمان المازنى.

٢- من ياء مبدلة: فأصل مصدر ضارَبَ ضِـيراب لو سميت به ثم صغرته قلت ضويرب.

٣- من ياء زائدة: مـثل بيطر وسـيطر تقول عنـد بنائهمـا للمـجهـول: بوطر وسوطر[٢].

إبدال الألف من الواو والياء:

١- إبدالها منهـما أصلين: نحـو قام وغزا وباع ورمى وربمـا خرج شيء من ذلك على أصله تنبيها على أصل الباب نحو: حوكة وخونة وقود وصيد وحيد[٣].

٢- إبدالها منهما منقـلبتين نحو (رحوى) اسم رجل إذا رخمتـه مثل يا حار (على لغة من ينتظر) قلت: يا رحا - تحذف ياء النسب فتبدل الواو ألفا لتحركها وانـفـتاح ما قبلهـا، فالألف حينئـذ بدل من الواو وهذه الواو بدل من ياء رحيان ومـثله ترخيم ملهى على تلك اللغة، ونحـو ذلك فى الياء المنقلبة مـثل أعطى وأغزى قلبت الواو

---

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ص٢٩٦ - ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق ص٣٠٠ - ٣٠٥.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٢٩ والصيد: عدم الالتفـات كبرا كما يفعل بعض الناس أو من داء كذلك الذى تصـاب به الإبل فلا تستـطيع أن تلوى أعناقهـا، والحيد: مـا شخص من نواحى الشـىء (أى: نتأ وبرز). وله معان أخرى. انظر: اللسان ٤/١٣٦، ١٣٧، ٢٥٠.

ياء إذ أصلهما (أعطو - أغزو) فصار (أعطى - أغزى)[1] ثم قلبت الياء ألفا للسبب السابق، وكأن تبنى من قـرأ على مثال (دحرج) فتقول: قـرأى فالألف الأخيرة بدل من ياء هى بدل من همزة على حسب مراحل معلومة فى فن التصريف.

٣- إبدالها منهما زائدتين، فمن الواو مثل أن تسمى رجلاً (عنوق) ثم ترخمه على يا حار (لغة من ينـتظر كما سبق) فتـقول: يا عنا (إذ أصله يا عنو) إلا أن الواو تقلب ألفا لأنه لا يوجد فى العربية اسم آخـره واو قبلها ضمة فالألف هنا بدل من الواو الزائدة ومن الياء مثل زميّل اسم رجل تقول فى ترخيمه على يا حار: يا زما فتحذف إحدى ميميـه وتقلب ياؤه الساكنة ألفا ومثله: سلقى وجعبى فى سلقيت وجعبيت فالألف هنا - كذلك - بدل من الياء الزائدة[2].

ومن قلب الياء والواو ألفا قلبا غير قياسي: القلب فى ييأس إلى ياءس وفى يوجل إلى ياجل ونحو ذلك من قول الشاعر:

تبت إليـك فـتـقـبـل تابـتى　　　وصـمـت ربى فـتـقـبل صـامـتـى

أى توبتى وصومتى.

«قلبوا فى يـاءس وياجل وإن كانت الواو والياء سـاكنة طلبا للخـفة» وأمـا صوغ المضارع على الطريقة السابقة فهو اكتفاء بأحد جزءى العلة وهو لهجة عربية، ومسألة الإبدال فى ذلك غيـر متحقـقة لعدم توافق الألف والواو والياء مـخرجًا وصفـة فهى لهجـات وليست من باب الإبدال فى شيء، فللواو طبـيعة تخـتلف عن الألف تمامًا حتى منع علماء العروض أن تتناوب الألف مـعها فى قافية القصيـدة الشعرية وكذلك لا يمكن تناوبها مع الياء - ردفين ويجوز ذلك بين الواو والياء للتقارب بين صوتيهما الموسيقى عـلى أن علم اللغة الحديث قد دعم ذلك ببـراهن تثبت عدم صحـة التبادل بينهما وهذا يرجح أن تلك الاختلافات ترجع إلى اختلاف القبائل اللاهجة بها.

---

(١) أغزى الرجل: حـمله على أن يغزو أو أعطاه دابة يغـزو عليها، وقـال سيـبويه: وأغزيت الرجل أمـهلته وأخرت ما عليه من الدين. اللسان ١٩/ ٣٦٠.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقـة ١٣٠ وسلقه سلقا وسلقاه: طعنه فـألقاه على جنبه يقال: طعنته فـسلقته إذا ألقيته علـى ظهره وربما قالوا سلقيته سلقـاء - بالكسر - يزيدون فيه الياء كـما قالوا: جعبيتـه جعباء من جعبته أى صرعته، اللسان ٦/ ٢٦٠، ١٢/ ٢٨، ٣٣٠ والقاموس ٣/ ٢٥٥.

إبدال الياء من الألف والواو:

أ- كل ألف انكسر ما قبلها أو وقعت قبلها ياء التحقير تقلب ياء مثل قيتال وضيراب مصدرى قاتل وضارب وحميليق ومفيتيح فى تصغير حملاق ومفتاح.

ب- كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها[١] قلبت ياء مثل ميقات وكذلك إذا سكنت فى المفرد ووقع بعدها فى الجمع ألف وقبل الواو كسرة واللام صحيحة مثل ثياب وحياض فإن اختلت هذه الشروط لم تقلب كما فى مويزين وموازين وعوض وطول - لاختلال القاعدة الأولى - وطوال وزوج وزوجة - بكسر الزاى وفتح الواو - ورواء وطواء جمعى ريان وطيان - لاختلال القاعدة الثانية.

جـ - إذا قعت الواو لاما لفعلى وصفًا مثل: عليا ودنيا[٢].

د- إذا تطرفت الواو رابعة فصاعدًا مثل: أعطيت، واستقصيت[٣].

كل ذلك هربًا من الواو[٤].

هـ - إذا اجتمعت الواو مع الياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء - بشروط أخرى - كما فى سيد وميت (تقدمت الياء) وفى لية وطية (تقدمت الواو) ومن الشروط الهامة لذلك القلب أن تكون كل منهما أصلية فى موضعها[٥] فإن كانت عارضة (غير لازمة) لم يحدث القلب والإدغام المذكوران وذلك قولهم فى بناء فاعل من سرت وبعت للمفعول فتقول: سوير وبويع لأن الواو ليست لازمة لزوالها بالرجوع إلى بناء الفعل للمعلوم، كذلك ديوان واجليواذ (فى أحد استعمالاته) لأن الياء قبلها غير لازمة لأنهم قالوا: دواوين لما زالت الكسرة على أن بعضهم قد قال: دياوين فأقر الياء مع زوال الكسرة وأجرى غير اللازم مجرى اللازم.

وعالم اللغة يرى فى قلب الواو ياء - على الرغم من زوال الكسرة قبلها - اتجاهًا خاصًا بلهجة أهل الحجاز فيما يسميه بأسلوب (المعاقبة) التى نتحدث عنها فيما يأتى:

---

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ص٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٩.

(٤) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤١.

(٥) إن يسكن السابق من واو ويا ... واتصلا ومن عروض عربا
فياء الواو اقلبن مدغما ... وشذ معطى غير ما قد رسما

التبادل بين الياء والواو (المعاقبة)

صنع ابن جنى كتابًا فى التبادل بين الياء والواو وسماه التعاقب فقال: فى لحوت العود ولحيته: قشرت ما عليه من اللحاء: وقد ذكرت ذلك فى كتابنا الموسوم بالتعاقب[1] وقال أيضًا: وأتيت - أيضًا - فى كتابى الموسوم بالتعاقب على كثير من هذا الباب[2] وجعل لها ابن سيده موضعًا فى المخصص[3]، وابن السكيت فى إصلاح المنطق[4] ونظم ابن مالك بعض ألفاظها فى تسعة وأربعين بيتًا[5].

والمعاقبة هى: أن تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة، فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فليس من ذلك لأنه قانون من قوانين التصريف[6].

ومن هذا التعريف يبدو أن المعاقبة لا تتحقق إلا بأمرين:

١- أن يكون الانتقال من الواو إلى الياء والعكس ليس ناشئًا عن علة صرفية موجبة فلا يدخل فى المعاقبة نحو ميزان وميقات من الوزن والوقت لأن الواو قلبت ياء لعلة تصريفية هى سكونها وانكسار ما قبلها، وكذلك قول الحق تبارك وتعالى ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] فإبدال الواو من الياء هنا خاضع لقاعدة صرفية هى أن (فَعلى) إذا كانت اسمًا ولامها ياء تقلب الياء واوًا مثل تقوى، أما إذا كانت فعلى صفة فإن ياءها تبقى دون تحول إلى الواو مثل (صديا) لاشتداد العطش.

وقد صرح بعض العلماء بانتفاء العلة التصريفية فى أمثلة المعاقبة فقال ابن جنى: إن أهل الحجاز يقولون للصواغ: الصياغ، وفى ذلك دلالة على ما نحن بسبيله، ووجه الاستدلال فيه أنهم كرهوا التقاء الواوين - لا سيما فيما كثر استعماله - فأبدلوا الأولى من العينين ياء، فصار تقديره: الصيواغ، فلما التقت الواو والياء

---

(١) الخصائص ١/ ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٦.

(٣) المخصص ١٤/ ١٩ - ٢٦.

(٤) إصلاح المنطق ص١٣٥ - ١٤٥.

(٥) المزهر ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٢.

(٦) المخصص ١٤/ ١٩.

على هذا أبدلوا الواو للياء قبلها فصار (الصياغ). . . . وقلب الياء الثانية لا يستنكر لأنه كان عن وجوب، وذلك لوقوع الياء ساكنة قبلها، فهذا غير بعيد ولا معتذر منه، لكن قلب الأولى - وليس هناك علة تضطر إلى إبدالها أكثر من الاستخفاف مجردًا - هو المعتد المستنكر المعول عليه، المحتج به، فلذلك اعتمدناه. . . . و(فيه) تلعب بالحرف من غير قوة سبب، ولا وجوب علة، فأما ما يقوى سببه ويتمكن حال الداعى إليه فلا عجب منه، ولا عصمة للحرف وإن كان أصليّاً دونه[1].

وقد يكون حلول الياء محل الواو أو العكس ناشئًا عن نسيانهم أصل اللفظ، يقولون (الديمة) بقلب الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها، فإذا زال الكسر عادت الواو، كما فى (دوّموا) لانفتاح ما قبلها قال الشاعر:

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل ... إن دوّموا جاد وإن جادوا وبل

وقد ورد عن بعض العرب (ديّموا) فى (دوّموا)[2] وذكر ابن جنى أن بعض العرب ظن أن الياء أصلية وليست منقلبة عن واو فلم يروها مع أن (دوّموا) من الدوام فالواو أصلية وكان يجب الرجوع إليها بعد زوال الكسرة وفتح ما قبلها. . . . وهذا من البدل الذى يلتزمونه مع ذهاب العلة الموجبة له[3].

٢- أن يكون المعنى واحدًا فى الصيغة الواوية والصيغة اليائية ولذا لا يعد من التعاقب ما اختلف معناه فالكور: المبنى من الطين والكير الزق الذى ينفخ فيه الحداد[4] فلا معاقبة هنا.

وتأتى المعاقبة فى الألفاظ المفردة بصيغها المتعددة وتأتى فى المثنى وتأتى فى الجمع وتأتى فى الأفعال وسواء كانت الواو والياء أصليتين أو زائدتين:

١- فى المفردات بصيغها المتعددة مثل سريع الأوبة والأيبة وصيغة فعول مثل هذا الكذاب الأثوم والأثيم[5] وجعلته على حنديرة عينى وحندورة عينى[5].

---

(١) الخصائص ٢/ ٦٥ بشىء من التصرف.

(٢) الخصائص ١/ ٣٥٥ والتصريف الملوكى ص ٢١ وادب الكاتب ص ٩٧.

(٣) التصريف المملوكى ص ٢٢. (٤) المزهر ٢/ ٢٦٠.

(٥) المخصص ١٤/ ٢٥.

وفى الحديث «ذات حوذان وعبيثران» هو نبت طيب الرائحة من نبت البادية ويقال عبوثران بالواو وتفتح العين وتضم[1].

٢- من المعاقبة فى المثنى: رحوان ورحيان[2].

٣- من المعاقبة فى الجمع ذا دغوات قُلَّب الأخلاق ودغيات[2].

٤- وفى الأفعال مثل: مالك تتحوز منى كما تتحوز الحية وتحيزت إلى فئة وتحوزت وساغ الرجل طعامه يسيغه ويسوغه[3] وسحوت الطين على الأرض وسحيته أى نشرته وكنوت الرجل وكنيته وحنوت العود وحنيته وعزوت الرجل وعزيته إذا نسبته إلى أبيه ويقال: ساخت الأرض تسوخ وتسيخ ورد ذلك فى حديث سراقة فى الهجرة[4] من باب فَعِل يفعِل مثل حسِب يحسِب وقيل هو من باب باع يبيع[5].

ومثله طاع له يطوع ويطيع فهو طائع إذا أذعن وانقاد[6].

ويرى اللغويون أن كل موضع تستعمل فيه الكسرة والضمة أو الياء والواو فالأولى منهما للحجازيين والثانية للتميميين غالبًا وسموا ذلك (معاقبة).

ومما ورد فى كتب اللغة من اختلاف الحركتين: رِضوان ورُضوان، وقِنية وقُنية، وأسِوة وأُسوة، وقِدوة وقُدوة، وصِبية وصِبيان، وصُبية وصُبيان بكسر الحرف الأول وضمه ومما ورد من اختلاف الحرفين: صُيَّام وصُوَّام، ونُيَّام ونُوَّام، وصُيَّاغ وصُوَّاغ، والمياثر والمواثر، والمياثق والمواثق، وحيث وحوث، وطغيت وطغوت، ويضيرنى ويضورنى، وعزيته وعزوته، ولغيت ولغوت، وإن بينهما لبينا وبونا والعجاية والعجاوة ودامت السماء تديم وديّمت، ودامت تدوم ودوّمت والدوام.

ومن ذلك فى القراءات قراءة عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][7] (القيّام) أصله القيوام فلما التقت الواو والياء،

---

(١) النهاية ٣/ ١٦٩.
(٢) المخصص ١٤/ ٢٥.
(٣) أدب الكاتب ص٤٦٥ والمخصص ١٤/ ١٩، ٢٠.
(٤) النهاية ٢/ ٤١٦.
(٥) المصدر السابق ٣/ ١٤١..
(٦) المصدر السابق ٣/ ١٤٢.
(٧) المحتسب ١/ ١٧٥ - ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١١ ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٩٠.

وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقد قرأ عمر على لهجة الحجاز لأنه قرشى[1] وقرئ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] (قوامًا) فى قيامًا.

وقوله تعالى: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. وقد رسمت بالياء فى المصحف وأصلها دوّارًا.

وقرئ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] (طيف) يقال: طاف يطيف ويطوف طيفًا وطوفًا فهو طائف ثم سمى بالمصدر ومنه طيف الخيال الذى يراه النائم[2].

وفى الحديث «فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدّف».

يرد إعلان النكاح وذهاب الصوت والذكر به فى الناس يقال له: صوت، وصيت أى ذكر، والدّف الذى يطبل به ويفتح ويضم[3].

وفى حديث آخر «ما من عبد إلا وله صِيت فى السماء» أى ذكر وشهرة وعرفان[4].

وفى الحديث «إن مما ينبت الربيع ما يغيل أو يغول». أى يهلك من الاغتيال وأصله الواو ويقال غاله[5] يغيله ويغوله هكذا روى بالياء والواو وهما متقاربان.

وفى الحديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» أى من تلزمه نفقته ويروى (من يقيت) على اللغة الأخرى[6].

وورد أنه ﷺ كتب لوائل بن حجر: إلى الأقوال العباهلة وفى رواية الأقيال[7].

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ١٥٥.
(٢) النهاية ٣/ ١٥٣.
(٣) النهاية ٣/ ٥٨.
(٤) المصدر السابق ٣/ ٦٤.
(٥) المصدر السابق ٣/ ٣٩٤.
(٦) المصدر السابق ٤/ ١١٩.
(٧) المصدر السابق ٤/ ١٢٢، ١٢٣.

وفى الحديث «أكذب الناس الصواغون»[١] وفى رواية الصياغون على لهجة الحجاز وحديث عائشة (إن عمر ديّخ الكفرة) يعنى أذلهم وقهرهم ويقال دوّخ وديّخ بمعنى واحد[٢].

وبعض هذه الصيغ يكون أكثر استعمالاً من الأخرى أو أكثر تصرفًا[٣] وكل ذلك وأشباهه مما تعاورت عليه الياء والواو ينسب ما هو بالياء إلى الحجازيين وما هو بالواو إلى التميميين غالبًا[٤] ومما يؤيد ذلك ما ورد فى حديث وفد تميم إلى النبى ﷺ الذى نزلت فيه سورة الحجرات «أرأيت المريض إذا حان فوظه» أى موته بالواو هذا يدل على البداوة وقد ذكر ابن الأثير أن المعروف أنه بالياء[٥].

ونسبت بعض الكلمات بالياء لتميم وبالواو للحجاز ومما ورد من ذلك (قِنيان) ـ عند تميم ـ وقِنوان عند الحجاز ـ[٦] و(قُصيا) ـ عند تميم - و(قُصوى) عند الحجاز[٧] - الهدايا جمع هدية ولغة أهل المدينة هداوى[٨] ونسبت المعاقبة إلى غير هؤلاء من العرب فقد نسبت إلى طيئ أنشد ثعلب لرجل من طيئ.

نحن إلى الفردوس والشيردونها وايهات عن أوطانها حوث حلت

قال أبو العباس: هذه لغته[٩] وبعضهم (نسب حوث) إلى طيئ أو تميم[١٠].

والكلوة لغة فى الكلية نسبت لأهل اليمن[١١].

---

(١) تفسير الطبرى ٣/ ٦٤، صاغ الشيء: هيأه على مثال مستقيم ويقال: صائغ وصياغ وصواغ وجعلوا أكذب الناس لمواعيدهم الكاذبة ومطلهم وقيل: أراد الذين يزخرفون الحديث والكذب. القاموس ٣/ ١١٤.

(٢) النهاية ٢/ ١٧٤.

(٣) يقول ابن الأثير عند ذكر الحديث (وتديغون القطيفاء) أى تخلطون والواو فيه أكثر من الياء. النهاية ٣/ ١٧٤.

(٤) المخصص ٤. ١٩، ٣٦ والمزهر ٢/ ٢٧٦، ٢٧٧، ١/ ٤١٣ ودراسات فى فقه اللغة ص٩٦ - ١٠١.

(٥) النهاية ٣/ ٤٨٥.

(٦) التهذيب ٩/ ٣١٥.

(٧) المصدر السابق ٩/ ١٢٩.

(٨) المصدر السابق ٦/ ٣٨٢ وقال أبو زيد: الهداوى لغة عليا معد ولغة سفلاها الهدايا والمراد بعليا معد: أهل العالية أو عليا مضر وهم أهل الحجاز ومضر هو مضر بن نزار بن معد وسفلاها: تميم أو أهل نجد. جمهرة أنساب العرب ص ١٠.

(٩) المجالس ٢/ ٥٦٦.

(١٠) المحكم ٣/ ٣٨٤ واللسان ٢/ ٤٤٤.

(١١) التهذيب ١/ ١٨٥ والمصباح ٢/ ٥٤٠.

ويقال: عبوت المتاع عبوا: إذا عبيته لأهل اليمن[1].

والنيرج والنورج[2]: لغتان الأخيرة لأهل اليمن[3].

- وقد وردت بعض النصوص التى نفهم منها حدوث المعاقبة فى القبيلة الواحدة أو عند العرب جميعًا.

من ذلك ما ذكره ابن سيده من أن المعاقبة تحدث عند القبيلة الواحدة وعند القبيلتين قال: (وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير المعاقبة عند القبيلة الواحدة وإما لافتراق القبيلتين فى اللغتين)[4].

ويذكر الأزهرى: أنا أمحوه وأمحاه وطيئ تقول: محيته محيًا ومحواً[5].

وأهل اليمن يقولون للذئب القِلَّوب والقِلَّيب قال شاعرهم:

أيا جحمتا بكّى على أم واهب   قتيلة قِلَّوب ببعض المذانب

وقال آخر:

أُتيح لها القِلَّيبُ من أرض قرقرى   وقد تجلب الشر البعيد الجوالبُ[6]

وظنى أن ذلك ناشئ من تأثر القبائل بعضها ببعض فمن يجمع بين الاستعمالين جامع للهجة أخرى مع لهجته (وقد يجوز أن تكون لغته فى الأصل إحداها ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى وطال بها عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بغلته الأولى)[7].

وبعض هذه الصيغ يكون الأصل فيها الواو وبعضها يكون الأصل فيه الياء:

يقال: يوجع وييجع وياجع وأصله من الواو[8].

---

(١) الجمهرة ١/ ٣١٧.

(٢) آلة من حديد وخشب يداس بها الطعام.

(٣) التهذيب ١١/ ٣٨ وديوان الادب ٢/ ٣٦.

(٤) المخصص ١٤/ ١٩.

(٥) التهذيب ٥/ ٢٧٧ والمخصص ١٣/ ١٧.

(٦) العين ٥/ ١٧٢ والتهذيب ٩/ ١٧٥ والجمهرة ٢/ ٥٩، ٣/ ٣٧٥، ٤٢٣.

(٧) الخصائص ١/ ٣٧٢ باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا.

(٨) التهذيب ٣/ ٥١.

ويقال: وجلت توجل وتيجل من الواو[1] ونسبت الصيغة اليائية لتميم لكراهة الواو مع الياء والواوية لأهل الحجاز[2] وقد أبدلت ألفًا فقيل: ياجل وياجع كراهة اجتماع الواو مع الياء - أيضًا - كما يذكر سيبويه[3] وكذلك كسايان وخبايان عند بنى فزارة الأصل الواو، ولذا جاء كساوان وخباوان[3] وعزيته إلى أبيه: نسبته ويقول بنو أسد: عزوته إلى أبيه وأصله الواو[4].

والتيه قال فيه رجل من بنى كلاب: التوه وأصلها الياء[5].

وبرى القلم يبريه بريا وناس يقولون: يبرو القلم[6] والأصل الياء.

والدهو والدهى: لغتان: الدهاء والأصل الياء[7].

والطغيان والطغوان لغة فيه والفعل طغيت وطغوت والأصل الياء[8].

وقد حاول بعض اللغويين القدامى أن يفسروا هذا التعاقب على أنه من قبيل التبادل الذي لم يستوف شروط القلب لعلة فلسفية تدل على فنية هذه اللغة وموسيقيتها.

فسعة قواعد العربية جعلتنا نتلقى بالقبول صِبية وصِبيان بقلب الواو ياء وإن لم تقع بعد كسرة مباشرة لأنهم اعتبروا الساكن غير حصين فكأن الكسرة مباشرة للواو فقلبت مناسبة لها ليتحقق التكامل الفنى الموسيقى.

ثم إننا رأينا فى اللغة صُبية وصُبيان ـ بضم الضاد ـ وهذا أيضًا لم يمنع من استمرار الياء لأن الداعى إلى القلب هو الخفة وهو منهج البناء اللغوى العام وإلا لأبقيت الواو على أصلها.

---

(١) التهذيب ١١/ ١٩٠.

(٢) الكتاب ٤/ ١١١ والجيم ٣/ ٣٠٥.

(٣) التهذيب ١٥/ ٦٩٠.

(٤) المخصص ١٤/ ٢٣.

(٥) التهذيب ٩/ ٣٩٦ والتكملة ٦/ ٣٣٧ والمصباح (تيه).

(٦) التهذيب ١٥/ ٢٦٧.

(٧) التهذيب ٦/ ٣٨٥ وإصلاح المنطق ١٣٩.

(٨) التهذيب ٨/ ١٦٧.

ويقولون: أبيض لِياح بكسر اللام فقلبوا الواو ياء مع عدم استيفائها شروط القلب إذ إنها ليست جمعًا كرياض ولا مصدرًا جاريًا على فعل معتل كقيام وصيام وذلك القلب داع إلى رشاقة اللفظ وسلاسته لأن الياء أخف من الواو وما أكثر جنوح العربية إليها.

وقالوا رجل غديان وعشيان والأريحية، ورياح بفتح الراء.

وكذلك مياثق أبقوا الياء مع زوال الكسرة الموجبة للقلب والمعروف أن زوال السبب يؤدى إلى زوال ما يترتب على وجوده من أحكام، فقد كان المفرد مستحقاً للإعلال (ميثاق) لوجود الكسرة سابقة للواو ولكن الجمع لا تبقى فيه الكسرة ومن هنا يقال فى جمعه (مواثيق) على الأصل.

ويحار اللغويون عندما يجدون الكلمة بالياء قد وردت فى كلام العرب نحو قولهم: فيما أنشده أبو زيد:

حمى لا يحل الدهر إلا بإذننا ... ولا نسأل الأقوام عقد المياثق

وكذلك يسمع اللغويون قول شاعر آخر:

عدانى أن أزورك أم عمرو ... دياوين تشقق بالمداد[1]

فكلمة (دياوين) جمع ديوان وينطبق عليه ما قيل فى سابقه وقد أبدى ابن جنى وجهة نظر فى هذه الصيغ وأثبت عمق اتجاهاتها وملاءمتها لفن اللغة وطابعها البنائى فيما يأتى:

١- أن أكثر اللغة وشائع الاستعمال هو إعادة الواو عند زوال الكسرة مثل موازين وريح وأرواح.

٢- الغرض من القلب هو طلب الخفة فكأن القلب ليس ناتجًا عن الكسرة بل لما تقدم من الاسترواح إلى انقلابها ودلالة على تمكن القلب فى الواحد حتى كأن الياء أصل فيه.

---

(١) الخصائص ١/ ١٤٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣/ ١٥٧، ١٥٨.

وتبعًا لهذا الاعتبار صرح ابن جنى بأنه يمكن تصغير (ميثاق) بإبقاء الياء فيقال: (مييثيق) على نمط الجمع الذي حمل على مفرده[1].

وجاءت فى اللغة دامت السماء تديم ودوّمت السماء وديّمت ولكن المضارع جرى فى المثال الأول على هذا النسق وليس من باب فعل يفعَل بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بدليل المصدر (ديما) وليس لغة فى هذا الأصل بمنزلة ضاره يضوره ضيرًا حيث لم يأت (الديام) مصدرًا كـ(الدوام) الوارد فيه[2] وهذا تطبيق لمذهب ابن جنى فى الاختلاف بين لفظتين فى حرف واحد ومتى تعتبر كل منهما لهجة لقبيلة خاصة أو إحداهما منقلبة عن الأخرى والمعروف أن أبا الفتح يبنى هذا على أساس تصرف كل منهما فالأكثر تصرفًا واستعمالاً هى التى يليق بها أن تكون الأصل والثانية فرع أما إذا تساويتا تصرفًا واستعمالاً فليست إحداهما منقلبة عن الأخرى بل هما لهجتان وهنا يصرح ابن جنى بأن اليائية منقلبة عن الواوية لقصور التصرف بالنسبة للأولى وكيف يقبلون ويسلكون هذا الطريق مع عدم ما يقتضيه؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتحقق فى مناسبة القلب الهدف العام وهو التخفيف، ويبدو أن قانون (المعاقبة) قد لعب دورًا أساسيًا فى مثل هذه التغيرات فهى في الأصل لهجات إذ تذكر لنا كتب اللغة أن لكل من الضم والكسر والواو والياء طبيعة صوتية تختص بقبيل تبعًا للثقل والخفة.

فاللغة نتاج اجتماعى ووليدة البيئة التى تحيا فيها فالمجتمع المتحضر يفضل حركة معينة على حين يفضل المجتمع البدوى حركة أخرى وهنا بدا أن الكسرة مختصة بالحضر والضمة مختصة بالبدو فيما وصل إلينا من كلمات.

والياء امتداد للكسرة والواو امتداد للضمة ولذا رأينا أن كلا منها تختص بطائفة من العرب فالياء للحجاز والواو لتميم وعلى هذا وجدنا الكلمات السابقة تفسر على أساس لهجى فى بيئتين حجازية وتميمية[3].

---

(١) الخصائص ٣/ ١٦٠، ١٦١.
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٥٥، ٣٥٦.
(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ١٩٠ والمحتسب لابن جنى ١/ ١٧٥ ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص١٩، وإصلاح المنطق ص ١٢٧ والمزهر ٢/ ٢٧٦.

التبادل بين حروف العلة والصوامت

التبادل بين الألف والعين:

من أمثلة ذلك فى القراءات قوله تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] قرأ (ولا تصاعر) ـ بألف بعد الصاد وتخفيف العين ـ نافع وأبو عمرو، والكسائى وخلف واليزيدى والأعمش، وقرأ الباقون (تصعر) ـ بتشديد العين بلا ألف.

والألف لا يصح إدغامها فى العين إذ هما من طبيعتين صوتيتين مختلفتين ولكن إدغامهما وعدمه فى هذه الآية - على حسب القراءات السبعية الواردة فيها - يرجعان إلى طبيعة القبائل العربية.

فبعض القبائل تقلب الألف إلى عين حتى يتماثلا ثم تدغمهما للتقريب والسرعة فى النطق وهذه طريقة تميل إليها القبائل البدوية، وجرى على الفصل بين الصوتين وعدم الإدغام بعض العرب المتحضرين.

ونرى أن كلا منهما يمثل اتجاهًا لهجياً خاصاً.

وعلى أساس مما وصل إليه علم الأصوات الحديث نرى أن الاتجاه الثانى يتطلب مجهودًا عضلياً والأول لا يتطلب ذلك لأنه ناجم عن السرعة فى النطق ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الإدغام ينسب إلى القبائل التى كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بدوية تميل إلى التخفيف والسرعة فى النطق كتميم وأسد وغنى وعبد القيس وبكر بن وائل وكعب ونمير، كما ينسب الإظهار إلى بيئة الحجاز.

التبادل بين الألف والنون:

تكلم ابن جنى على إبدال الألف من تنوين المنصوب ونون التوكيد الخفيفة ونون (إذًا) حال الوقف مثل: (رأيت زيدًا) وقوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥] وقولك: (أنا أزورك إذًا)[١].

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٣٠.

التبادل بين الألف والهاء:

١- قـــــد وردت من أمكـنـة   مـــن هـــهـــنـــا ومــن هـــنـــه
إن لـم أروّهـا فـــــمــــــه

٢- أنه فى أنا حال الوقف[1].

فى الأمثلة الأولى قال ابن جنى بالإبدال بين الألف والهاء على أن تكون الألف هى الأصل[2] وقد أبدلت فى (هنا) الإشارية هاء فصارت هنه، وهذا موافق لعاميتنا وهو منسوب لقيس وتميم[3] و(مه) فى الرجز السابق يحتمل وجهين: أن تكون الهاء بدلاً من ألف (ما) وأن تكون (مه) اسم فعل بمعنى اكفف أى فاكفف عنى فلست أهلاً للعتاب، أو فمه يا إنسان يخاطب نفسه ويزجرها[4].

وفى (أنا) كذلك أبدلت الألف هاء فى الوقف.

وهذه كلها حالات للوقف قصد فيها بيان حركة الحرف المفتوح فتارة تبين الحركة بالألف فيقال: هنا - أنا وتارة أخرى تبين بالهاء فيقال: هنه - أنه ويميل بعض العرب إلى هذا وبعضهم الآخر إلى ذاك فالأمر لمجرد بيان الحركة لا لأن أحدهما يبدل من الآخر ومن هنا اقتصر الدمامينى فى (أنه) على الوجه الثانى، فقال فى باب الضمير من شرح التسهيل - بعد ذكره أن ثبوت الألف فى الوقف لبيان الفتحة ما نصه: «وقد تبين فتحتها بهاء السكت كقول حاتم: هكذا فزدى أنه»[5].

التبادل بين الباء والواو:

وذلك فى أسلوب القسم مثل باللـه، والله ونحو ذلك، قال ابن جنى: وإنما أبدلت الواو من الباء ـ فى ذلك ـ لأمرين:

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقات ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٠٦.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ص٦٥، ٦٦.

(٤) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجه الأول مخطوطة الأزهر ولسان العرب ٢٠/ ٣٦١ وقال الأشمونى: أى أنها قد وردت من كل جانب وكثرت فإن لم أروها فلا تلمنى واكفف عنى ٤/ ٣٣٤.

(٥) انظر: المفصل ٩/ ٨٣، ٨٤ والأشمونى مع الصبان ٤/ ٣٣٤.

أحدهما: مضارعتها إياها لفظًا **والآخر** مضارعتهـا إياها معنى، أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك وأما المعنى فلأن الباء للإلصاق والواو للاجتماع والشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه[1].

وبرهن على أن الباء هى الأصل والواو بدل منها بدليلين:

أحدهما: أنها موصلة للقسم إلى المقـسم به فى قولك: أحلف بالله كما توصل الباء المرور إلى الممرور به فى قولك: مررت بزيد فالباء من حروف الجر بمنزلة من وعن.

والآخر: أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر فتقول:

بالله لأقـومن وبه لأقـعدن والواو لا تدخل علـى المضمـر ألبـتة تقـول: والله لأضربنك ولا تقول وه لأصـربنك فرجوعك مع الإضمار إلـى الباء يدل على أنها هى الأصل[2].

وابن جنى فى رأيه السابق متأثر بموقف القدماء من مخرج الواو إذ يجعلونها من مخرج الباء يقول: ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو[3] وهو متأثر فى ذلك برأى سيبويه، وهذا يصدق على الواو غيـر المدية التى يتحدثون عنها أما الواو التى هى حرف مد فهى من ذوات المخرج المتسع على حد تعبير ابن جنى[4].

والدراسة الصـوتية الحديثة تؤكـد أن نظرة القدماء إلى الواو غـير المدية لم تكن دقيقـة فى تحديد مخرجـها، فهى فى الحقـيقة من أقصى اللسان حـين يقترب من أقـصى الحنك غيـر أن الشـفتين حين النطـق بها تسـتديـران أو بعبـارة أدق تكمل استدارتهـما... ولعل وضوح استـدارة الشفتين مع الواو هو الذي جعـل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين[5].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٦٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٥٩.

(٣) المصدر السابق ص ٥٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ٨.

(٥) الأصوات اللغوية ص٤٤.

فمخرج الباء إذًا مختلف عن مخرج الواو إذ الأولى من الشفة والثانية من أقصى الحنك كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة. ويختلفان كذلك فى صفات كثيرة فالباء صوت مجهور شديد مستفل منفتح ذلق مقلقل والواو تتفق معها فى الجهر والاستفال والانفتاح فقط وتخالفها فيما عدا ذلك.

وهذا كله يمنع حدوث التبادل بينهما وكل ما يمكن قوله أن كلا منهما حرف يستعمل فى القسم - كما يستعمل فى غيره - إذ للباء خمسة عشر معنى ذكرها النحاة من بينها القسم[1] والواو لها معان كثيرة كالعطف والاستئناف ومن بينها استعمالها فى القسم[2] وكما يقول النحاة: يمكن جعل هذا الاستعمال من قبيل التعويض لا الإبدال ولا يلزم فى المعوض أن يكون من جنس المعوض عنه أو أن تكون هناك علاقة صوتية بينهما إذ التعويض جعل حرف خلفا عن حرف آخر أو أكثر[3] ولا يشترط فيه التقارب.

وهنا استعمل العربى القسم متخذًا وسيلة من وسائله وهى الواو كما يصح أن يتخذ أداته الأخرى الأصيلة فيه وهى الباء وقد صرح بذلك الصبان حين قال: - معللاً اختصاص الواو بالظاهر فى الجر - لأن بعضها عوض عن باء القسم لا أصل فيه[4] ويقول: «إن الواو عوض من الباء والتاء عوض من الواو»[5].

والأدلة التى علل بها ابن جنى لإبدال الواو من الباء - وذكرتها سابقًا - تشير إلى أن الباء أصيلة فى استخدامها فى معنى القسم ولكنها لا تدل بحال على أن الواو بدل منها بالمعنى اللغوى بل على معنى أنه قد تقوم الواو فى الاستعمال فى القسم مقام الباء على سبيل التعويض لا الإبدال والذى جعلنا نذهب هذا المذهب عدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل كما اتضح من الدراسات الصوتية

---

(١) الأشمونى ٢/ ٢١٩ - ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٠٧ والتصريح ٢/ ١٧.

(٣) القواعد والتطبيقات ص ٤.

(٤) الأشمونى مع الصبان ٢/ ٢٠٧.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٠٥ وحديثهم عن إبدالها كان للاتفاق فى المخرج كما تصوروا.

الحديثة، وأما اتفاقهما فـي بعض المعانى فليس من مسوغات الإبدال إذ المعول عليه إنما هو المخرج والصفات.

التبادل بين التاء والواو:

١- تراث - تقية فعيلة من وقـيت - تقوى - توراة - تولج - تخمة - تكأة - تيقور - تلاد - تترى - (فعلى من المواترة) - اتعد - اتلج.

٢- أخت - بنت - هنت - كلتا[1].

صرح ابن جنى بإبدال التـاء من الواو فى الأمثلة الأولى فقال وقـد أبدلت التاء من الواو فاء إبدالاً صالحًا[2] وذكر الأمثلة السابقـة وعلل ذلك بأصل الاشتقاق فى كل منها فتراث فعال من ورث وتقـية فعيلة من وقيت وتوراة فوعلة من ورى الزند وأصلها وورية فأبدلت الواو الأولى تاء إلخ، وقال: إن التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصـول الثنايا والواو من الشفـة فأبدلوها تاء[3] وقد جعل ابن جنى هذا الإبدال غير قياسى إلا فى افتعل وماتصرف مـنه فقال: وهذه الألفاظ التى جمعتها وإن كانت كـثيرة فإنه لا يجـوز القياس عليهـا لقلتها بالإضافـة إلى ما تقلب واوه تاء. . . فأما ما نقـيس عليه لكثرته فافتعل وما تصـرف منه إذا كانت فاؤه واوًا فإن واوه تقلب تاء وتدغم فى تاء افـتعل التى بعـدها[4] وعلل لاطراد هذا الإبدال فى افتعل وما تصرف منه بأنهم لو لـم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء وإذا انضم ما قـبلها واوًا وإذا انفتح مـا قبلها ألفًـا فيقـولوا ايتعد - مـوتعد - ياتعد، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين إلـى قلبها مرة ياء ومرة ألفًا ومرة واوًا أرادوا أن يقلبوها حرفًا جلدًا تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله، وهذا ما عبر عنه أستاذنا الدكتور نجا فى كتابه اللهـجات العربية بقوله: أكثر العرب على إبدال الواو والياء تاء إذا وقعت فـاء لافتعل حتى لا تكون عـرضة لتلاعب الحركات فـيقولون اتقـى واتسـر فى اوتقى وايتسر[5] وقد حكى ابن جنى الاتجاه العربى الثانى الذى

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٦١ - ١٦٩ وقد ذكر سيبويه هذه الألفاظ. الكتاب ٢/ ٨٢، ٨٣.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٦١.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٣.

(٥) المصدر السابق ص ٦٧.

لا يعبأ بتلاعب الحركات فيقول ايتعد - موتعد - ياتعد[1] إلخ ونسب اللغة الأولى لأهل الحجاز فقال واللغة الأولى أكثر وأقيس وهى لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن[2].

وأما عن الأمثلة الثانية فقد أوضح أن أصل هذا كله أَخَوة وبَنَوة وهَنَوة وكلوا فنقلوا أخوة وبنوة ووزنهما فعل بفتح الفاء والعين - إلى فُعْل - بضم الفاء وسكون العين - وفِعْل بكسر الفاء وسكون العين - وألحقوهما بالتاء المبدلة من لامها بوزن قُفـل وحِلس فقالوا أخت وبنت وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن لسكون ما قبلها هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح.

وأما هنت فيدل على أن التاء فيها بدل من واو قولهم فى الجمع هنوات وأما كلتا فذهب سيبويه إلى أنها فِعلى بمنزلة الذكرى والحفرى[3]، وأصلها كِلوا فأبدلت الواو تاء كما أبدلت فى أخت وبنت[4] وذهب أبو عمر الجرمى إلى أنها فِعتل وأن التاء فيها علم تأنيثها ولكن ابن جنى رد عليه بأن تاء التأنيث يكون ما قبلها مفتوحًا أو تكون قبلها ألف مثل طلحة وحمزة وسعلاة وعزهاة وكلتا مثنى بإجماع من

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٦٥ والدقة تقتضى نسبة الأولى إلى أكثر العرب والثانية إلى بعض الحجازيين. المفصل ١٠/ ٣٧ والأشمونى ٤/ ٣٣٠ واللهجات العربية ص ٦٨.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٦٥ وقال الليث تاء الأخت أصلها هاء التأنيث كما قال الخليل ولكن ذلك ليس مقبولاً وقد نقل صاحب اللسان رأى ابن جنى دون أن ينسبه إليه. اللسان ١٨/ ٢٢ وقال الأستاذ برجشتراسر إن الأخ والابن من الأسماء القديمة جداً التى مادتها مركبة من حرفين فقط لا من ثلاثة أحرف وإن التاء وإن لم تسبقها فتحة هى تاء التأنيث فهى في غير اللغة العربية وخصوصًا فى الأكدية والعبرية كثيرًا ما لا فتحة قبلها مثال ذلك أن الخمسة فى الأكدية hamistu وفى العبرية hmeset أصلها hamist كلها بشين ساكنة وعلى هذا قرر عدم وجود إبدال للتاء من الواو (التطور النحوى ص ٣٣) ولكن المقارنة غير سديدة لأنها بين لغات قديمة جداً وبين اللغة العربية التى بلغت نهاية تطورها بعد آماد طويلة على أن الحرف الثالث فى كلمة أخ وأب وحم وهى في حال الإفراد ثابت فى بعض اللغات السامية الأخرى فأب فى الأشورية والبابلية (أبو) وفى الأرامية (أبا) وأخ فى الأشورية والبابلية (أخو) وفي الحبشة ولغات جنوب الجزيرة (أخو) وحم فى الأشورية والبابلية (أمو) وفى الأرامية (حما). تاريخ اللغات السامية ص٢٨٣، ٢٨٦ والواو قد زالت لوجود التنوين وعند ذهابه تعود الواو مثل أبوك وأخوك. مدرسة الكوفة ص١٩٠ فرأى القدماء أقرب إلى طبيعة اللغة العربية.

(٣) الحفرى: نبت وقيل: شجر ينبت في الرمل وقيل: ذات ورق وشوك صغير وزهر أبيض، ولا تنبت إلا فى الأرض الغليظة، الواحدة حفراة.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٧، ١٦٨.

البصريين وعلامة التأنيث لا تكون وسطًا[1] وهذا الرد سديد إلا أن القول بالإبدال بين التاء والواو - إذا كان له مسوغ لدى القدماء لقرب مخرجيهما كما قال ابن جنى[2] - فقد أثبتت الدراسات الصوتية بعده فالواو من أقصى اللسان كما ذكرنا والتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا كما يقول علماء الأصوات ولا اتفاق بينهما فى الصفات أكثر من الاستفال والانفتاح والإصمات وهذا لا يصح به إبدال ويمكن أن نفسر هذه الكلمات على أنها استعملت بهذا الوضع فى لهجات خاصة وعلى سبيل التعويض وقد صرح ابن جنى نفسه بأن هذا ليس أمرًا مطردًا فلا نقول قياسًا على تقية فى وقية تزير فى وزير ولا نقول فى وجيهة تجيهة ولا فى أوعد أتعد قياسًا على أتلج ولا فى ولهى تلهى قياسًا على تترى[3] وعلى الرغم من اطراد الإبدال فى افتعل مما فاؤه واو فإن بعض العرب - كما قال ابن جنى - تنطق الصيغة على الأصل بلا إبدال فيقولون فى اتعد اوتعد - موتعد ياتعد[4]، فليس هذا إذًا من قبيل الإبدال وإنما هو من قبيل اختلاف اللهجات وفى أخت وأشباهها التاء عوض من الواو لا بدل منها على ما قدمنا.

التبادل بين الميم والواو:

فى كلمة (فم) جعل ابن جنى الميم بدلاً من الواو وقال إن أصله (فوه) بزنة سوط حذفت الهاء تخفيفًا كما حذفت من سنة فيمن قال ليست بسنهاء وعملت مسانهة ومن شاة وشفة ومن عضة فيمن قال بعير عاضه ومن است فصار التقدير (فو) فلما صار الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين كرهوا حذفه للتنوين فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميمًا لقرب الواو من الميم لأنهما شفهيتان وفى الميم هُوِىّ فى الفم يضارع امتداد الواو[5]. وبنى ابن جنى هذا الرأى على اعتقاده - كالقدماء - بأن مخرج الواو هو الشفة فبذلك يتحد مخرجهما وعليه يسوغ التبادل.

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٦٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٥.

(٥) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٠.

ولكننا أوضحنا أكثر من مرة أن الدراسات الصوتية الحديثة أثبتت أن الواو غير المدية من أقصى اللسان فبعد بذلك مخرجاهما فلا يسوغ الإبدال. وللقدماء رأى آخر - يجعل - الميم عوضًا لا بدلاً - يقول أبو الهيثم: لما حذفوا الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوها وقوفًا عليها فحذفوها فبقى الاسم فاء وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين حرف يبتدأ به فيحرك وحرف يسكت عليه فيسكن[1]. والميم حرف جلد يمكن الاعتماد عليه، ولا يعترف الأستاذ برجشتراسر بأن الميم بدل من الواو ويدعى أنها ميم التمييم الذى هو التنوين فى اللغة العربية فكان الرفع Fum والخفض Fim والنصب Fam والميم فيها لم تصر نونًا مع سائر الميمات الانتهائية بل بقيت على حالها لأنهم كانوا يتلقونها كأنها أصلية فأضافو إليها الإعراب، والتنوين فصارت فمٌ. فمٍ. فمًا. فنقلت الميم من آخر الكلمة إلى وسطها، ومن أجل ذلك لم يجر عليها القانون الصوتى الذى بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائية نونًا فى اللغة العربية ولكن لا دليل لبرجشتراسر على دعواه والاشتقاق يؤيد أن الأصل هو الواو (فاه يفوه فوها)، ولا يتصور أن الميم فيه بمنزلة التنوين وإلا فما أصل الكلمة حينئذ وصور الإعراب التى ذكرها لا تطابق الواقع إذ الإعراب محله آخر الكلمة لا وسطها وليست الكلمة (فم) من مادة (فوم) بل من مادة (ف و ه) كما يتضح بالاشتقاق فالأولى أن تجعل الواو عوضًا كما يقول بعض القدامى.

التبادل بين الهاء والواو:

١- وقد رابنى قولها يا هنا ه ويحك ألحقت شرا بشر

٢- قد وردت من أمكنه من ههنا ومن هنه

إن لم أروّها فمه

(١) لسان العرب ١٧/ ٤٢١ - ٤٢٣، وانظر الموضوع بأسره فى اللسان ١٧/ ٤٢١ - ٤٢٦.

جعل ابن جنى الهاء بدلاً من الواو أو من الألف المبدلة منها فى (هناه) قال: «وأبدلوها (أى الهاء) من حرف واحد وهو قول امرئ القيس **(وقد رابنى قولها يا هناه إلخ)** فالهاء الآخرة فى هناه بدل من الواو فى هنوك وهنوات وكان أصله هناو فأبدلت الواو هاء قالوا: هناه هكذا قال أصحابنا[1] ولو قال قائل إن الهاء فى هناه إنما هى بدل من الألف المنقلبة من الواو الواقعة بعد ألف هناه إذ أصله هناو ثم صار هناء كما أن أصل عظاء عظاو ثم صار بعد القلب عظاء.. فلما صار هناء والتقت ألفان كره اجتماع الساكنين فقلبت الألف الآخرة هاء فقالوا هناه كما أبدل الجميع من ألف (عظاا) الثانية همزة لئلا يجتمع ساكنان لكان قولا قوياً ولكان أيضًا أشبه من أن تكون قلبت الواو فى أول أحوالها هاء وذلك من وجهين: **أحدهما** أن من شريطة قلب الواو ألفا أن تقع طرفًا بعد ألف زائدة وقد وقعت هناه كذلك **والآخر** أن الهاء إلى الألف أقرب منها إلى الواو بل هما فى الطرفين ألا ترى أن أبا الحسن ذهب إلى أن الهاء مع الألف من موضع واحد لقرب مكانيهما، فقلب الألف إذًا هاء أقرب من قلب الواو هاء[2].

وقد حكى ابن جنى رأى أبى زيد قال: «وكتب إلىّ أبو الحسن من حلب فى جواب شىء سألته عنه فقال: وقد ذهب أحد علمائنا إلى أن الهاء من هناه إنما ألحقت فى الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة فى نحو وازيداه ثم إنها شبهت بالهاء الأصلية فحركت فقالوا: يا هناه ولم يسم أبو على هذا العالم فلما انحدرت إليه إلى مدينة السلم وقرأت عليه نوادر أبى زيد نظرت وإذا أبو زيد هو صاحب هذا القول» ثم قال ناقدًا له: «وهذا من أبى زيد غير مرضىّ عند الجماعة وذلك أن الهاء التى تلحق لبيان الحركات وحروف اللين إنما تلحق فى الوقف فإذا صرت إلى الوصل حذفتها ألبتة فلم توجد فيه ساكنة ولا متحركة وقد استقصيت هذا الفصل فى كتابى فى شعر المتنبى عند قوله **(واحر قلباه ممن قلبه شبم)** ودللت هناك على ضعف قول أبى زيد وبيت المتنبى جميعًا.

---

(١) هم البصريون كما فى اللسان ٢٠/ ٢٤٢.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الورقة ١٠٧ واللسان ٢٠/ ٢٤٣، ٢٤٤.

وحكى ابن السراج عن الأخفش أن الهاء فى هناه هاء السكت بدليل قولهم يا هنانيه واستبعد قول ابن جنى وأصحابه لأنه كان يجب عليه أن يقال يا هناهان فى التثنية والمشهور يا هنانيه[1]، ورد ابن جنى عليه واضح فيما سبق ودليل الأخفش غير مسلم به لاحتمال ألا تكون هنانيه مثنى لكلمة هناه بل لكلمة هن، وفرق بين الهاء فى هناه وهنانيه.

ونحن نرى أن مخرجى الحرفين الواو والهاء متباعدان على رأى الأقدمين ومنهم ابن جنى فالواو من الشفة والهاء من أقصى الحلق وكان من الواجب إذن عدم القول بالإبدال[2] ولكننا نرى أن المحدثين بينوا أن الواو من أقصى اللسان وهذا يعطيها تقاربًا أكثر من الهاء ويمكن تفسير هذا التبادل بينهما بأنه وضع لحرف جلد يمكن الاعتماد عليه وإجراء الحركات معه والهاء تتحمل ذلك أكثر من الواو وكل صور الإبدال بين الواو والياء والألف ووضع الهاء مكانها يمكن تفسيرها بأنها مرحلة من مراحل التطور اللغوى والانتقال من الإعلال إلى التصحيح ليقوى اللفظ ويبرز.

التبادل بين الباء والياء:

ذكر ابن جنى أن الباء تبدل ياء فى نحو ثعالى وأرانى فى قول الشاعر - أنشده سيبويه:

لهـا أشـارير من لحم تُتَمِّـره ... من الثعـالى ووخز من أرانيهـا

قال: أراد الثعالب والأرانب فلم يمكنه أن يقف الباء فأبدل منها حرفًا يمكن أن يقفه فى موضع الجر وهو الياء، وليس أنه حذف من الكلمة شيئًا ثم عوض منه الياء، هذا هو رأى سيبويه ـ كما حكاه ابن جنى - وهو يرى فيه رأيًا آخر عبر عنه بقوله:

ويحتمل أن يكون الثعالى ـ عندى ـ جمع ثعالة وهو الثعلب، أراد أن يقول: ثعايل فقلب، فقال: (ثعالى) قالوا:

---

(١) اللسان ٢٠/ ٢٤٢.

(٢) لأن ابن جنى شرط التقارب بين الحروف.

وكـأن أولاها كـعـاب مقـامـر ضـربت على شزن وهن شـواعى[1]

أى: شوائع، ومن أبيات الكتاب:

تكـاد أواليـهـا تفـرّى جلـودها ويكتـحل الـتـالى بمور وحـاصب[2]

يريد أوائلها، وله نظائر.

ولكن ابن جنى يعود فيرجح الإبدال فيها - كـما ذهب إليه سيبويه - وكما هو فى نظيرتها (أرانى) فـيقول: إلا أن الذى ذهب إليه سـيبويه أشبه بقـولهم: أرانيها ولأن الثعالة اسم جنس وجمع أسماء الأجناس ضعيف[3].

ولكننا لو بحـثنا فى العـلاقة الـصوتيـة بين البـاء والياء فـإننا نجـد تباعـدًا فى مخرجيهما وصفاتهما ولذا نحكم بعدم التبادل فيهما بل هما لهجتان[4].

ومن أمثلة ما قيل فى التبادل بين البـاء والـياء ما جـاء فى المـضعف مثل ديباج ـ لبـــيت ـ ولبـــيـك (على قـــول يـونس) ـ لا وربيـك لا أفـــعل.

قالوا: (ديـباج ودبابيج فـدل قولهم: ديابيج باليـاء على أن أصله: دبّاج وأنهم استثقلوا تضعيف الباء ومثله لا وربيك لا أفعل أى وربك)[5].

وقال بعضهم: لبيت بالحج هو لببت فعلت ـ بتشديد العين ـ من قولهم: ألب بالمكان أى أقام به قال مضر بن كعب:

---

(١) وكان أولاها إلخ فى رواية أخرى (وكأن صرعيها) وهما إبلان ترد إحداهما حين تصدر الأخرى لكثرتها. الكعاب: فـصوص النرد واحدهـا كعب وكعـبة وهو شىء يلعب به فارسـى معرب واللعب بهـا حرام، الشزن: الكعب، شواعى مقلوب شـوائع أى متفرقة، والشاعر يشبـه أولى الإبل (التى يتحدث عنها) فى مجيئها متفرقة متعارضـة بعض هنا وبعض هناك - لكثرتها - بكعاب المقامر التى تتضاد وتتفرق. اللسان ٢/٢١٥، ٤/٤٣١، ١٠/٥٨، ٦٥، ٦٦، ١٧/١٠٢.

(٢) تفرى: تشق وتقطع - المور: الغبـار بالريح - الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحـصباء، يقول: إن أوائل (ما يتحدث عنه من خيـل أو إبل) تكاد لسرعتها ونفاذها لغرضها تشق جـلودها ولا يبالى بعضها الآخر بما يدخل فى عيونها من تراب تثيره الريح. اللسان ١/ ٣١٠، ٧/ ٣٧، ١١/٢٠، ١٢.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٢، واللسان ١/ ٣٣٢، ٤١٨، ٤١٩.

(٤) اللهجات العربية د. نجا ص ٦٦.

(٥) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢ واللسان ٣/ ٨٦، ٧/ ٤٦٨، ١٨/ ١٦٧.

فقلت لها فيء إليك فإننى حرام وإنى بعد ذاك لبيب

أى ملب بالحج[1].

ويزعم يونس أن لبيك اسم مفرد وأصله عنده لبّب ووزنه عنده فعلل ولا يجوز أن تحمله على فعّل - بتشديد العين - لقلة فعّل للأسماء وكثرة فعلل فقلبت الباء التى هى اللام الثانية من لبب ياء هربا من التضعيف وهذا كله منتزع من قول سيبويه والخليل: إن لبيك مأخوذ من قولهم: ألب بالمكان[2].

وهذا يدل على أن الياء فى لبيت ولبيك بدل من الباء كراهية التضعيف الذى نشأ عنه الثقل فى كلتيهما ولكن أهل الصنعة - وعلى رأسهم الخليل وسيبويه - خالفوا يونس فلم يقولوا بأن الياء فى لبيت ولبيك بدل من باء بل الياء فيهما أصل فكلمة لبيك اسم مثنى بمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد فالياء عندهم علم التثنية ووزنه على قولهم فعليك[2] كما أن سعديك كذلك لا محالة «قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب دارى أى تحاذيها أى أنا مواجهك بما تحب إجابة لك وحكى عنه - أيضًا - أنه قال: هو مأخوذ من قولهم أم لبة أى محبة عاطفة ومعناه على هذا إقبالاً إليك ومحبة لك وأنشد:

وكنتم كأم لبة طعن ابنها إليها فما درت عليه بساعد

وقال ابن الأعرابى: اللب الطاعة وأصله من الإقامة وقولهم لبيك: اللب واحد فإذا ثنيت قلت فى الرفع لبان وفى النصب والخفض لبين، وكان فى الأصل لبينك أى أطعتك مرتين ثم حذفت النون للإضافة أى أطعتك طاعة مقيمًا عندك إقامة بعد إقامة[3] فالياء على هذا للتثنية ونقض أصحاب المذهب رأى يونس بذلك وأبطلوا وجه الشبه الذى ادعاه بين لفظ لبيك وكلمات (عليك ـ إليك ـ لديك) واحتج سيبويه على يونس فقال: لو كانت ياء لبيك بمنزلة عليك وإليك ولديك لوجب

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢، ١٤٣ وانظر الأشمونى ٢/ ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣.

(٣) لسان العرب ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧ والأشمونى ٢/ ٢٥٢ والكتاب ١/ ٣٥٢ - ٣٥٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

متى أضفتها إلى المظهر أن تقرها ألفا كما أنك متى أضفت عليك وأختيها إلى المظهر أقررت ألفها بحالها فكنت تقول: لبى زيد ولبى جعفر كما تقول إلى زيد وعلى زيد ولدى سعيد وأنشد قول الشاعر:

دعوت لما نابنى مسورا فلبىْ فلبىْ يدى مسور

قال: قوله: فلبى بالياء مع إضافته إياه إلى المظهر دلالة على أنه اسم مثنى بمنزلة غلامَىْ زيد وصاحبى سعيد[1] هذا عن الياء فى لبيك فهى ياء التثنية وليست بدلا من ياء - كما ذهب يونس - أما ياء لبيت بالحج فهى كذلك - عند أهل الصنعة - وليست بدلا من باء بل هى الياء فى لبيك التى هى علم التثنية ذلك أنهم اشتقوا من الصوت فعلا فجمعوه من حروفه كما قالوا من سبحان الله سبحلت أى قلت سبحان الله ومن لا إله إلا الله هللت ومن لا حول ولا قوة إلا بالله حولقت ومن بسم الله بسملت ومن هلم هلممت وكتب إلىّ أبو على من حلب فى شىء سألته عنه فقال قال بعضهم سألتك حاجة فلا ليت لى أى قلت لى لا وسألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى لولا قال: وقالوا: بأبأ الصبى أباه قال له يا أباه... وهذا كثير فكذلك أيضًا اشتقوا لبيت من لفظ لبيك فجاء فى البيت بالياء التى هى للتثنية فى لبيك وعلى هذا قول سيبويه[2].

وقد رجح ابن جنى رأى أهل الصنعة حين قال: «والقول بعد ذلك قول سيبويه إلا أنه لا يمنع مع ذلك صحة رأى يونس حين قال: «ثم إن أبا على فيما بعد انتزع لنا شيئًا يؤنس به قول يونس ولم يقطع به وإنما ذكره وهو أنه قال: ليونس أن يحتج فيقول: قوله فلبىْ يدى إنما جا على قول من قال فى الوصل هذه أفعىْ بسكون الياء عظيمة وعصىْ طويلة فقد حكى سيبويه أنهم يقولون ذلك فى الوصل كما يقولونه فى الوقف وهذا ليس عندنا معنفًا وإنما فيه بعض التأنيس ويرى الأب مرمرجى الدومنكى أن الفعل (لبى) ليس مرتجلا - كما فى الفصحى - من لفظة لبيك بل يراد به ساعد - أعان - أغاث، كما أن لفظة لبيك ليست بمثنى وإنما يراد منها المعنى السابق للفعل لبى لأسباب:

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٣ والأشمونى ٢/٢٥٣.
(٢) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٢.

١- تاريخ الكلمة يدل على أنها قديمة جداً ودالة على ما كان الساميون يجرونه من الأعمال فى غضون عبادتهم للقمر.

٢- أن قدماء العرب كانوا يعتقدون أن القمر فى الليالى الأخيرة من الشهر يقع فى ضيقة لشدة الضغط النازل عليه من قبل تهامة أى البحر وهى الكلمة الأكدية التى استقرضتها العربية ولا سيما عربية الجنوب منذ القديم كما أن هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبرية بصورة tehom فكان العرب يصرخون إذ ذاك لبيك لبيك موجهين الكلام إلى القمر كأنهم يقولون (ساعدك - أو أغاثك أو فليساعدك وليغثك الإله مروخ منجيًا إياك من (تهامة) وقد استمرت هذه العادة القديمة بين بعض العامة الجهلة فى فرصة كسوف القمر لاعتقادهم الخرافى أن حوتًا يبتلعه فيصرخون ويضجون بالدق والقرع على الأوانى النحاسية كالقدور والصوانى وغيرها تهويلاً لهذا الحوت المزعوم فيضطر لخوفه إلى قذف القمر من فيه وبذلك يزول الكسوف على ظنهم ظن الغباوة.

٣- أن هذه الكلمة تتبعها لفظة أخرى وهى سعديك وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله «حدثنى أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشىء لا يفارقه ولا يقلع عنه: قد ألب فلان على كذا وكذا وقد أسعد فلان فلانًا على أمره وساعده والإلباب: المساعدة وكما ورد عن البخارى فى جواب معاذ للنبى (لبيك) رسول وسعديك.

٤- أنها تشبه أهل واستهل أى رفع صوته والإهلال بالحج ومن هذا الصوت صيغت الأفعال (هل ـ أهل ـ استهل).

ثم تطورت دلالتها فأصبحت تطلق على الإجابة والطاعة والتهليل والتسبيح والتعظيم والنتيجة لكل ذلك أنه «يمكن القول بأن الصيغة (لبيك) ليست من باب التثنية والنصب كما هو الرأى السائد بل هى ضرب من اللفظ القديم بالإمالة على أمثال الوارد فى اللهجات مثلاً: ناديه - توفيه - استهويه - صريط - مشكيه - كيفرين (يقابلها فى الفصيح: ناداه - توفاه - استهواه - صراط - مشكاة - كافرين) وعلى تعاقب الأزمان ثبت فى الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة كقولك

(رماه - وفـاها - دعاك) وهكذا تكون لبيك وسـعديك من الآثار اللغوية القـديمة التى بقيت فى اللغة وسبقت لباك وأسعدك[١].

والباحث يرى أن كل تلك الآراء قـديمة وحديثة تجعـل مادة (لب وألب) أصلاً لاشـتقـاق (لبيت ولبـيك) ومـعناهما فى النهـاية أنا مـقيم على طاعـتك[٢] وهذا الاشتقاق صحيح لموافقة المأخوذ للمأخوذ منه فى أصل المعنى والاتجاه، وبهذا يبدو أن القول باشتقاق (لبيت أو لبيك) أحدهما من الآخر أمر غير سديد كما أن القول بأن لبيك اسم مفرد فيه كـثير من التكلف والتعسف وهو رأى يونس وما يراه الأب مرموجى الدومنكى من أن (لبيك) صيغة من صيغ الإمالة لا تؤيده البراهين اللغوية الواقعيـة إذ لا يوجد ما يؤيد أن (لبيك) كـانت تنطق بصيغة الإمـالة، والمعهود أن تكون إمـالة الألف نحـو الكسـرة مـثل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفـجر: ٢٢] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:] وما هنا لم يتحقق فيه ذلك بل الحرف السابق (للألف ـ على حسب ما يراه) مـفتوح فتحة صريحـة لا صلة لها بالكسرة بحال وهى لا تتفق والأمثلة اللهجية التى ذكرها بل تلك النظائر أميلت فيها الألف نحو الكسـرة على خلاف لبيك وسـعديك، ويبدو أن رأى أهـل الصنعة - وعلى رأسهم الخليل وسـيبويه - فى الذهاب إلى أن لفظ (لبـيك) مثنى هو أكثـر صوابًا وقبولاً يدل لذلك القـاعدة اللغوية المشهورة (الإعراب فرع المعنى) فـمعناها (إجابة لك بعـد إجابة وإقامـة على طاعتك بعـد إقامـة) وهذا يؤكد أن اللفظ مـثنى وأنه منصوب على المصدرية كقولك حمدا لله وشكرًا وكان حقه أن يقال: لبالك إلا أنه ثنى على معنى التوكيد أى إلبابا لك بعـد إلباب وإقامة بعد إقامة[٣] وأما القول بأن الياء فى (لبيت ولبيك) بدل من الباء فيمكن التفصيل فيه فالأقوى احتمالا أن تكون الياء فى الفعل بدلاً من الباء تبعًا لأصل اشـتقاقه من لب أو ألب بالمكان بمعنى أقام به ولزمه فالمتوقع فى الصياغة ـ تبعًا للقواعد العامة - أن يكون أصله (ل ب ب ـ

---

(١) معجميات عربية سامية للأب مرمرجى الدومنكى ص ١٧٠- ١٧٢.

(٢) اللسان ٢/٢٢٦.

(٣) اللسان ٢/٢٢٧.

لبـ بـ ت) ثم أبدلت الباء الأخـيرة ياء كراهية توالـى الأمثال[١] وهو قانون بينا أنه منطق علم اللغة الحديث ـ والأقوى احتمالاً ـ كذلك ـ ألا تكون فى (لبيك) بدلاً من باء ـ مع اعترافنا برجوعهـا إلى أصل المادة (ل ب ب) - فالمعروف أن (لبيك) كما رجحنا مثنى المصدر (لب) بحالة النصب وأصله (لبان) لك ولبين لك فالظاهر أن الياء هنا علم النصب فى التثنيـة ولا صلة لها بحرف آخر كالباء إذ الـصيغة هنا من الثلاثى وهى ثلاثية أيضًا بعكس صيغة الفعل (لبى) فهى رباعية ولابد لصياغتها من لب أن تكون هناك باء أخـرى زيدت على الأصل الثلاثى ثم أبدلت منهـا الياء للمخالفة التى تحقق انسجام الأصوات فى الكلمة.

التبادل بين التاء والياء:

اتسر - اتبس: (من اليسر واليبس) - ثنتان - كيت وذيت.

ذكر ابن جنى أن الإبدال بين التاء والياء مقيس فى افتعل مما فاؤه ياء[٢].

وأما ثنتان فقال عنهـا: ويدل على أنه من الياء أنه من ثنيت لأن الاثنين قد ثنى أحدهما عن صاحبـه وأصله ثنى يدل على ذلك جمعهم إياه على أثناء، بمنزلة أبناء وآخاء فنقلوه من فَعَل ـ بفتح الفاء والعين ـ إلى فِعْل ـ بكسر الفاء وسكون العين كمـا فعلوا ذلك فى بنت[٣] والمثالان الأخيـران أصلهما كيـة وذية ثم إنهم حذفوا الهاء وأبدلوا من الياء التى هى لام تاء كـما فعلوا ذلك فى (ثنتان) والصيغة فـيهما علم التأنيث كما كـانت الصيغة فى (ثنتان) كذلك علم التأنيث وليست التـاء فيهما منقلبة عن واو وأن أصلهما كيـوة وذيوة لأنه يؤدى إلى مثال ليس فى كلام العرب «لأنه ليس فى كلامهم لفظة عين فعلهـا ياء ولام فعلها واو» إلا إذا كان علما مثل رجاء بن حيوة لأنه قد يحتمل فـى الأعلام ما لا يحتمل فى غيرها[٤]، ويمكن أن

---

(١) يقول صاحب اللســان لبيت بالمكان ولبيت لغتان إذا أقـمت به وهو أصل التلبية كما حكى أبو عـبيد عن الخليل. اللسان ٢٠/ ١٠٤.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٦٤، ١٦٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٩.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.

نطبق على هذه الأمثلة ما ذكرناه فيما سبق وبخاصة أن الأشمونى يقول عن إعراب (ثنتان): ومثل اثنتين ثنتان فى لغة تميم[1] وقال قبل ذلك إنهما اسمان من أسماء التثنية وليسا بمثنيين حقيقة فليس لرأى ابن جنى مجال من جعلها تثنية (ثنى) وأنها من ثنيته[2]، ولا داعى للتفريق بينها وبين اثنتان على ما تصور ابن جنى وكل ذلك يمكن اعتباره لهجات متعددة لا من قبيل الإبدال لعدم العلاقة الصوتية ولا مسوغ للإبدال أو الاعتذار عن ابن جنى بعد أن استقر لدى القدماء مخرج الياء ووافقهم عليه المحدثون وهو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتاء على ما سبق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا وبينهما من الحروف - على رأى ابن جنى نفسه ـ ض ـ ل ـ ر ـ ن ـ ط ـ د، فالتفسير الصحيح لذلك أنه من اختلاف الناطقين فبعضهم يقول اتسر والآخرون ايتسر وبعضهم يقول اثنتان وآخرون ثنتان وبعض يقول كية وذية وبعض آخر كيت وذيت وهكذا.

وذكر ابن جنى أن الياء تبدل من التاء مثل ايتصلت فقد أبدل الياء من التاء الأولى كراهية التضعيف[3] إذ أصلها اتصلت قال: **(وايتصلت بمثل ضوء الفرقد)** وهذا يخالف ما ذكره ابن جنى فى مكان آخر إذ صرح بأن التاء هى التى أبدلت من فاء افتعل التى كانت واوا[4] خوفًا من تلاعب الحركات بالواو فإنها لو تركت دون إبدال بالتاء حولتها الحركات المختلفة فيها إلى حروف مد من جنسها «فوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقولوا ايتزن، ايتعد، ايتلج فإذا انضم ما قبلها ردت إلى الواو فقالوا موتعد وموتزن وموتلج وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفا فقالوا ياتعد وياتزن وياتلج[5]، وعلى هذا فالياء فى ايتصل ونحوها ليست مبدلة من التاء - كما ذكر ابن جنى فى سر الصناعة حرف الياء بل إن الياء بدل من الواو حولت إليها لمناسبة الكسرة وهذا التلاعب لهجة عربية اعترف بها ابن جنى نفسه[6] وقد شرحنا ذلك فيما مضى.

---

(١) الأشمونى ١/٧٨.

(٢) سر الصناعة ١/١٦٩.

(٣) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٦.

(٤) المصدر السابق ١/١٦٣.

(٥) المصدر السابق ١/١٦٤.

(٦) المصدر السابق ١/١٦٥.

التبادل بين الثاء والياء:

يفـــديك يـا زرع أبى وخـــالى قـــد مـــرّ يومـــان وهذا الثـــالى

وأنت بالهجران لا تبالى

أراد الثالث[1] والواقع أن هذا لا يعد من الإبدال بل كل منهما لهجة وذلك لأنه لا تقارب بين الياء والثاء حتى يقع بينهما التبادل.

التبادل بين الجيم والياء:

ذكر ابن جنى أن الياء تـبدل من الجيم كما فى كلمـة شجرة فإنهـا تنطق أحيانًا شيرة وقرئ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥][2] (هذه الشيـرة) وقد عرض ابن جنى لرأيين فيها:

الأول: أن الياء ليست بدلاًمن الجيم بل هى أصل مثلهـا فى لهجة من اللهجات واستدل على ذلك بأمرين:

١- ثبات الياء فى تصغيرها فى قـولهم (شييرة) ولو كانت بدلاً من الجيم لكانوا خلقاء إذا صغروا الاسم أن يردوها إلى الجيم ليدلوا على الأصل.

٢- أن شين شجرة مفـتوحة وشين شيرة مكسورة والبدل لا تغيـر فيه الحركات إنما يوقع حرف موقع حرف (مثل أيّل وأجّل)[3]. قال أبو الفتح: حكى أبو الفضل الرياشى قال: كنا عنـد أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له: إنه يقـول الشيرة فـسأله عنها فـقلت له: سله عن تصغيرها فـسأله فقال: شـييرة وأنشد الأصمـعى لبعض الرجاز: (تحسـبه بين الآكام شيرة)[4] وقال صـاحب البحر: «كره أبو عـمرو هذه القراءة وينبغى ألا يكرهها لأنها لغة منقولة».

الثانى: أن تكون اليـاء بدلاً من الجيم - ببـعض الصنعـة - فالعـرب إذا قلبت وأبدلت قد تغيـر فى بعض الأحوال مثل جاه مقلوب وجـه ألا ترى أنه بعد تقديم

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦. (٢) البحر ١/ ١٥٨.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦، واللسان (شجر) ٦/ ٦٢، ٦٣.

(٤) المحتسب ١/ ٧٣، ٧٤ وانظر اللسان ٦/ ٦١ والقاموس المحيط ٢/ ٥٦٦.

العين لم يسكن الواو بل حركها فقلبت ألفا فكذلك غيرت فتحة الشين كسرة وزاد فى الأنس بالكسر أنه لو أقرت الفتحة لقلبت الياء ألفا فيقال شارة فكانت تبعد كثيرًا عن شجرة، وليس كذلك كلمة (جاه) لأنه يشبه وجهًا لسكون ثانيه بخلاف شارة لأن ثانيه ساكن وثانى شجرة متحرك فعدلوا لذلك إلى كسر الشين وكان هذا أوفق وأليق[1].

ويؤنس لهذا الوجه أيضًا ما ذكره فى المحتسب «من أن بعض العرب تقول الشجرة (بكسر الشين) وقال ابن إسحاق لغة بنى سليم الشجرة[2] ـ بكسر الشين ـ ويعقب صاحب اللسان بأن الواحد شجَرة وشِجرة ـ بفتح الشين وكسرها ـ وقالوا شيرة فأبدلوا، فإما أن يكون على لغة من قال شِجرة ـ بكسر الشين ـ وإما أن تكون الكسرة لمجاورتها الياء[3] والواقع أن البحث اللغوى الحديث يؤيد الإبدال بين الياء والجيم لاتفاقهما فى المخرج فكلاهما من (وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى) وكلاهما مجهور مستفل منفتح مصمت[4] ولا مانع من نسبة كل منهما إلى حى من العرب وذات الجيم والشين المفتوحة تناسب الحضر لخفتها على حين تناسب المكسورة الشين والمبدلة سكان البادية كبنى سليم وغيرهم من الأعراب.

ويقول ابن جنى بالتبادل كذلك بين الجيم والياء فى المضعف ويمثل لذلك بقولهم فى جمع ديجوج: دياج أصله: دياجيج فأبدلت الجيم الأخيرة ياء وحذفت - مع الياء قبلها - تخفيفًا[5]، ويقول صاحب اللسان: وجمع الديجوج دياجيج ودياج وأصله: دياجيج فخففوه بحذف الجيم الأخيرة، قال ابن سيده: التعليل لابن جنى[6].

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ بتصرف

(٢) المصدر السابق ١/ ٧٣، ٧٤.

(٣) اللسان ٦/ ٦١.

(٤) التجويد والأصوات ص ٤٩، ٥٠ والأصوات اللغوية ص٦٤، ٦٥.

(٥) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦.

(٦) اللسان ٣/ ٨٩.

وليس من المعقول أن يكون قد حذف الجيم ابتداء بل الأمر يقتضى قلبها أولاً إلى ياء للانسجام الصوتى ثم حذفت مع الياء قبلها زيادة فى تخفيف اللفظ وبخاصة أنه قد ثقل بالجمع مع وجود الأصوات المتماثلة فى صعيد واحد.

قال الأحمر: بعير أزيم وأسجم - وهو الذى لا يرغو - قال شمر: الذى سمعت بعير أزجم بالزاى والجيم وقال أبو الهيثم ليس بين الأزيم والأزجم إلا تحويله الجيم ياء وهى لغة تميم معروفة(١).

ونقل عن بنى تميم أنهم يقولون: الصهارىّ وصهرىّ فى الصهاريج وصهريج(٢).

التبادل بين الدال والياء:

من أمثلة ذلك (فعلت) من التصدية - وهى التصفيق والصوت قال الأزهرى: يقال صدّى يصدّى تصدية إذا صفق(٣) وأصله صدّد فكثرت الدالات فقلبت إحداهن ياء(٤) ومنه الثلاثى صددت أصد وصددت أصُد بكسر الصاد وضمها فى المضارع وفى التنزيل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧] أى يعجون ويضجون والاختيار يصِدون بالكسر وهى قراءة ابن عباس وفسره يضجون ويعجون.. قال أبو منصور فإذا كان المعنى يضج ويعج فالوجه الجيد صدّ يصِد مثل ضجّ يضج(٥) وأنكر أبو جعفر الرستمى هذا القول على أبى عبيدة وقال: إنما هن من الصدى وهو الصوت فكيف يكون مضاعفًا؟، وقال أبو على: ليس ينبغى أن يقال هذا خطأ لأنه قد ثبت بقوله يصدون وقوع هذه

---

(١) التهذيب ١٣/ ٢٧٥ (زيم) وفى اللسان إلا تحويله الياء جيما وقد دعا ذلك بعض الباحثين إلى عدم نسبة هذه الظاهرة إلى تميم مع أن ذلك ثابت كما ورد عن الأزهرى، لغة تميم لضاحى عبد الباقى ص ٨٥.

(٢) الإبدال لأبى الطيب ١/ ١٦١ والأمالى ٢/ ٢١٤.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق وقيل للتصفيق تصدية لأن اليدين يتصافقان فيقابل صفق هذه صفق الأخرى وصد هذه صد الأخرى وهما وجهاها. اللسان ٤/ ٢٣٣.

(٤) اللسان ٤/ ٢٣٣.

(٥) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ واللسان ٤/ ٢٣٢.

الكلمة على الصوت وضرب منه وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يكون تصدية منه ويكون تفعلة من ذلك أصلها تصددة مثل التجلة والتعلة[1] فلما قلبت الدال الثانية من تصدده تخفيفًا اختلف اللفظان فبطل الإدغام[2].

التبادل بين الراء والياء:

شيراز - قيراط - تسريت.

أولاً: شيراز[3] فيه عدة أوجه:

١- أن تكون الياء بدلاً من الراء وذلك من وجهين:

أ- أن يكون أصله شرازًا والجمع شراريز وهذا واضح فى إبدال الياء من الراء الأولى.

ب- أن يكون أصله شّرازًا والجمع شواريز، يقول ابن جنى وقد يجوز - أيضًا - على هذا أن يكون أصل واحده شرّازًا إلا أنهم أبدلوا من الراء الأولى ياء - كما ذكرناه - ثم إنهم لما جمعوا أبدلوا الياء المبدلة عن الراء واوًا لقرب ما بين الياء والواو.

٢- أن تكون الياء بدلاً من الواو: قال ابن جنى: فأما من قال فى شيراز شواريز فإنه جعل الياء فيه مبدلة من واو وكان أصله على هذا شورازًا فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها قلبت ياء ثم إنه لما زالت الكسرة فى الجمع رجعت الواو فقالوا شواريز فإن قلت: فإن بناء فِعْوال ليس موجودًا فى الكلام فمن أين حملت واحد شواريز عليه؟ فالجواب: أن ذلك إنما رفض فى الواحد لأجل وقوع الواو ساكنة بعد الكسرة فلم يمكن إظهارها فلما لم يصلوا إلى إظهار الواو فى الواحد لما ذكرناه وكانوا يريدونها أظهروها فى الجمع ليدلوا على ما أرادوه فى الواحد ليعلموا أنها لم تزد فى الواحد ياء فى أول أحوالها وأنها ليست كديماس ودياميس ولا كديباج ودبابيج فيمن نطق بالياء بعد الدال والدليل على كون الياء فى شيراز بدلاً من الواو فى شوراز وأنها ليست بمنزلة ياء ديماس ظهورها فى الجمع شواريز[4].

---

(١) إذ أصلهما تجللة وتعللة ثم ادغم.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والأول من الورقة ١٤٦.

(٣) اللبن الرائب المستخرج ماؤه ج شواريز وشراريز وشآريز فيمن يقول: شئراز انظر مادة (شرز) القاموس: ٢/ ١٨٥.

(٤) المصدر السابق (الأزهر) ٤٣.

٣- أن تكون الياء غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ياء ديماس قال ابن جنى: ويحتمل قولهم عندى شواريز قولاً آخر على غير المذهب الأول وهو أن يكون شيراز فيعالا والياء فيه غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ديماس وكان قياسه على هذا أن يقولوا فى تكسيره شياريز كدياميس ولكنهم أبدلوا من الياء واوًا لضرب من التوسع فى اللغة وذلك أن الواو فى هذا المثال المكسر أعم تصرفًا من الياء ألا ترى إلى كثرة نحو ضوارب وقواتل... وقلة صيارف وبياطر فلما ألفيت الواو فى هذه الأمثلة المكسرة وكانت أعم تصرفًا من الياء قلبت الياء أيضًا فى شياريز واوًا فى شواريز كما قلبت الواو أيضًا فى نحو هذا من مكسر الأمثلة ياء لضرب من الاتساع فى الكلام وقالوا فى جمع ناطل... نياطل ولم يقولوا نواطل مثل خواتم ودوانق قال لبيد: (**تكر عليهم بالمزاج النياطل**)[1] وقد رجح ابن جنى أن تكون غير مبدلة من راء ولا واو حيث يقول بعد حديثه عن الرأى الأول مشيرًا إلى الرأى الثالث الذى معنا وكان قد ذكره قبله - والقول الذى قبل هذا أشبه.

ثانيًا: قيراط: أصله قراط بالتشديد لأن جمعه قراريط فأبدل من إحدى حرفى تضعيفه ياء... قال ابن دريد: أصل القيراط من قولهم: قرط عليه إذا أعطاه قليلاً والياء فى قيراط بدل من الراء[2].

ثالثًا: تسريت: هذا الفعل مأخوذ من السرية[3] بتشديد السين المضمومة وتشديد الراء المكسورة وقد اختلف فى اشتقاقها على الوجوه الآتية:

١- من سراة الشىء: وسراة الشىء أعلاه وما ارتفع منه[4] وأصلها على هذا (فعيلة) سُريوة لأن السراة من الواو ويظهر ذلك فى جمعها على سروات يقول الفرزدق:

---

(١) الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٤٣، ١٤٤ وانظر المحتسب ١/ ١٥٧ والنياطل: جمع ناطل وهو القدح الصغير الذى يعرض فيه الساقى أنموذجه من الشراب على الندامى، وقال الجوهرى: إنه جمع نيطل لأن فاعلا لا يجمع على فياعل. اللسان ١٤/ ١٩٠.

(٢) القيراط معيار فى الوزن وفى القياس تختلف مقاديره باختلاف الأزمنة، ويقال القيراط والقرّاط بالتشديد انظر القاموس ٢/ ٣٩٢، ٢٩٣ واللسان (قرط) ٩/ ٣٥٢ والمعجم الوسيط ٢/ ٧٢٧.

(٣) الجارية المتخذة للملك والجماع والأمة التى بوأتها بيتا.

(٤) اللسان ١٩/ ١٠٠.

وأصبح مبيض الصقيع كأنه   على سروات النبت قطن مندف

فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء[1].

٢- من السرو بمعنى المروءة والشرف يقال سرو يسرو سراوة وسروا أى صار سريا وله صلة بالمعنى السابق إذ الشرف والمروءة ارتفاع عن الدنايا ومن هنا قال أبو العباس: السرى الرفيع فى كلام العرب ومعنى سرو الرجل يسرو أى ارتفع يرتفع فهو رفيع مأخوذ من سراة كل شيء ما ارتفع منه وعلا[2] إلا أن سرية على هذا يكون أصلها فعولة من السرو وقلبت الواو الأخيرة ياء طلبًا للخفة ثم أدغمت الواو فيها فصارت ياء مثلها ثم حولت الضمة كسرة لمجاورة الياء[3].

٣- من السرور وبه قال أبو الحسن الأخفش يقول ابن جنى: والذى ذهب إليه أبو الحسن أنها فعلية من السرور لأن صاحبها يسر بها، ودفع أبو الحسن ما سبق من الآراء وقال إن الموضع الذى تؤتى المرأة منه ليس أعلاها ولاسراتها قال ابن جنى: والقول ما قال[4].

٤- أ- من السر بمعنى الجماع لأنه يكتم «وذلك أن صاحبها أبدا يخفيها ويسر أمرها من حرته وصاحبة منزله»[5] وهى فعلية بهذا الاشتقاق أيضًا وضمت السين للفرق بين الحرة والأمة توطأ فيقال للحرة إذا نكحت سراً أو كانت فاجرة سرية - بكسر السين - وللمملوكة يتسراها صاحبها سرية - بضم السين مخافة اللبس[6].

ب- من السر بمعنى السرور وبه قال أبو الهيثم ولعل هذا مأخوذ من رأى أبى الحسن الأخفش السابق.

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول الورقة ١٤٥.

(٢) اللسان ١٩/٩٩، ١٠٠.

(٣) المصدر السابق ٢٢/٦.

(٤) سرالصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٥.

(٥) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٥

(٦) اللسان ٢٢/٦.

٥- من السُّرى يقول ابن جنى: «ولو قال قائل إنهـا فعيلة من سريت أى سرت ليلاً إليها لأن فى ذلك ضربًا من الإخفاء والستر لكان قولا»[١].

ومن هذه الآراء يتلخص لنا أن وزنها إما فعلية - كما هو الرأى الثالث والرابع- وإما فعيلة - كما هو الرأى الأول والخامس - وأما فعولة - كما هو الرأى الثانى - وعلى أخذها من السُّـرَى لا يتحقق الإبدال فى شىء من الحـروف لأن الياء تكون أصلية فى موضـعها، وعلى أخذها من السـراة والسرو يكون الإبدال من الواو إلى الياء - كما هو مبين سابقًا - وليس من بابنا الذى نتحدث عنه، ويتحقق ما أردناه إذا أخـذت من السر أو الـسرور إذ تكون السـرية من (مـادة س ر ر) المكررة الراء ويكون تسريت أصله تسررت على تحويل التضعيف فالراء أبدلت ياء لما توالي ثلاث راءات، ولذلك قال ابن جنى إن حملها على أنها فعلية أوجه لأمرين:

أ- لأن فعلية أكثر فى الكلام من فعيلة.

ب- معنى السر والسرور أظهر من معنى السراة والسرى[٢].

التبادل بين السين والياء:

قال الشاعر:

إذا مـا عـدّ أربعـة فسـال ... فـزوجك خـامس وأبوك سـادى

وقال الآخر:

بويزل أعـوام أذاعـت بخـمسـة ... وتعـتـدنـى إن لم يق الله ساديا

وقال ثالث:

مـضـى ثلاث سنيـن منذ حل بـهـا ... وعـام حلت وهذا التـابع الخـامى

وقال آخر:

عـمر بن كـعب بن عـبد الله بـينهـما ... وابناهما خمـسة والحارث السادى[٣]

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥. (٢) المصدر السابق.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢ وانظر اللسان ٣/ ٨٦، ٧/ ٤٦٨، ١٨/ ١٦٧.

والواقع أنه لا إبدال بين السين والياء لعدم التقارب فى المخرج أو الصفة فكل منهما لغة لقوم، يقول ابن منظور فى لسانه: والسادى: السادس فى بعض اللغات وذكر البيت الأول[(١)].

التبادل بين الصاد والياء:

يذكر ابن جنى من ذلك (قصّيت أظافرى والأصل قصصتها) فقلبت إحدى الصادات ياء كراهية التضعيف[(٢)].

التبادل بين الضاد والياء:

وهذا مثل تقضّى بمعنى انقض وأصله تقضّض على وزن (تفعّل) من الانقضاض قال الشاعر:

تقضّى البازى إذا البازى كسر

ويجوز أن يكون (تقضى البازى) تفعّلا من قضيت بمعنى عملت وصنعت قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تُبّع

أى عملهما.

وعلى ذلك يكون معنى تقضّى البازى أى عمل البازى فى طيرانه والوجه هو الأول[(٢)].

التبادل بين العين والياء:

من ذلك قول الشاعر أنشده سيبويه:

ومنهل ليس به حوازق ... وللضفادى جمة نقائق

---

(١) ١٩/ ٩٩.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ والمحتسب ١/ ١٥٧ وانظر اللسان ١٧/ ١٤٤، ٢٠/ ٤٥ قال ابن جنى: وقد يجوز عندى أن يكون قصيت فعلت من أقاصى الشىء لأن أقاصيه أطرافه والمأخوذ من الأظفار إنما هو أطرافها وأقاصيها فلا يكون فى هذا بدل.

يريد للضفادع جمة فكره أن يسكن العين فى موضع الحركة فأبدل منها حرفًا يكون ساكنًا فى حال الجر وهو الياء[1].

والواضح أنها لغة وليست من الإبدال فى شىء لعدم تقارب مخرجى الحرفين وصفاتهما.

وفى المضعف قالوا: تلعّيت من اللعاعة وهى بقلة وأصله تلعّعت[2] ويقول صاحب اللسان:

واللعاعة أيضًا بقلة من ثمر الحشيش تؤكل وألعّت الأرض تلعّ إلعاعا أنبتت اللعاع وتلعى أكله وهو من محول التضعيف يقال: خرجنا نتلعّى أى نأكل اللعاع كان فى الأصل نتلعّع مكرر العينات فقلبت إحداها ياء[3].

التبادل بين الكاف والياء:

من ذلك «مكّوك ومكاكى أصله مكاكيك مثل سفّود وسفافيد[4] فأبدل كراهية التضعيف... وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ: كان يتوضأ بمكوك ويغتسل بخمس مكاكيك وفى رواية بخمس مكاكى[5].

التبادل بين اللام والياء:

من ذلك أمليت وأصلها أمللت وهما لغتان قال ابن جنى: قولهم أمليت الكتاب إنما أصله أمللت فأبدلت اللام الآخرة هربًا من الضعيف فقد جاء القرآن باللغتين جميعًا قال الله عز وجل: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥][6] وفى اللسان قال الفراء:

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٦ وانظر اللسان (ضفدع) ١٠/ ٩٤.

(٢) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٤٦.

(٣) اللسان ١٠/ ١٩٥.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٦.

(٥) اللسان ١٢/ ٣٨١.

(٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والمحتسب ١/ ٥٧ واللسان ١٧/ ١٤٤، ٢٠/ ٤٥.

أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد وأمليت لغة بنى تميم وقيس[1] وقرأ عكرمة (إيلا ولا ذمة) بياء بعد الكسرة خفيفة اللام[2] فى قوله تعالى: ﴿إلاً ولا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨، ١٠] وأصلها (إلا) تحولت اللام المضعفة إلى الياء وقد أشار ابن جنى إلى حدوث الثقل باجتماع المثلين وأن ذلك يؤدى إلى تخفيفهما باتباع قانون المخالفة يقول: (طريق الصنعة فيه أن يكون أراد (إلا) كقراءة الجماعة إلا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام وانضاف إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة وقد جاء نحو هذا فى أحرف صالحة كدينار لقولهم دنانير وقيراط لقولهم قراريط وديماس فيمن قال: دماميس ودیباج فيمن قال ديابيج وشيراز فيمن قال: شراريز[2].

التبادل بين الميم والياء:

ديماس - يأتمى - يكَمُّوا - معمية.

أ- قال سيبويه: من قال فى جمع ديماس دماميس فالياء فيه بدل من الميم إذ أصله حينئذ دمّاس فأبدل كراهية التضعيف[3].

ب- قال الشاعر: أخبرنا أبو علىّ بإسناده عن يعقوب عن ابن الأعرابى أنه أنشده:

نزور امرأ أما الإله فيتقى ... وأما بفعل الصالحين فيأتمى

أراد: يأتمّ فأبدل الميم الثانية ياء[4].

جـ- وقال فى قول الراجز: (**بل لو رأيت الناس إذ تكَمُّوا... إلخ**).

قالوا: أراد تكمموا من تكممت الشىء إذا سترته فأبدلت الميم الأخيرة ياء فصارت فى التقدير (تكميوا)، فأسكنت الياء وحذفت كما تقول: فد تولوا من وليت، وذكر ابن جنى احتمالاً آخر فيه وهو أن يكون تكموا تفعلوا من كميت

---

(١) ١٤/ ١٥٣، ١٥٤.

(٢) المحتسب ١/ ٢٨٣، ٢٨٤ والخصائص ٢/ ٢٣١.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ بتصرف واللسان ٢/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) المصدر السابق الورقة ١٤٥ واللسان ١٨/ ٤٨.

الشيء إذا سترته ومنه قولهم كميّ وهو الذى تستر فى سلاحه فيكون تكموا على هذا مما لامه معتلة ولا يكون أصله من ذوات التضعيف[١] وقال ذو الرمة:

مُنَطَّقَةٌ بالآل مَعْمِيَّةٌ به ... دياجيرها الوسطى وتبدو صدورها

قال ابن الأعرابى: أراد مَعْمِمَة فأبدل من الميم ياء، وجوز ابن جنى أن يكون مشتقًا من العمى[٢] وعلى هذا لا إبدال فيه.

وكذلك قوله: أيما فى (أما) فأبدل من الميم المضعفة ياء[٣] استثقالاً للتضعيف وحده، قال سعد بن قرط يهجو أمه:

ياليتما أمنا شالت نعامتها ... أيمـا إلى جنة أيمـا إلى نار

وقال عمر بن أبى ربيعة:

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأيما بالعشى فيخصر[٤]

التبادل بين النون والياء:

أ- دينار. ب- لم يتسنّ. جـ- تظنّيت.

أ- أصله دنار والقول فيه كالقول فى قيراط لقولهم فى التكسير دنانير ولم يقولوا ديانير وكذلك التحقير وهو دنينير، فقلبت إحدى النونين ياء كراهية التضعيف ولئلا يلتبس بالمصادر التى تجيء على فِعّال - بتشديد العين - كقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨] إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة لأنه أمن الآن من الالتباس ولذلك جمع على دنانير قال

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٥/٣٧٨، ١٥/٤٣٢، ٤٣٣، ١٧/١٤٣، ١٩/١٢٩.

(٢) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٥.

(٣) الخصائص ٢/٦٥ والمحتسب ١/٢٨٣.

(٤) المحتسب ١/٢٨٣.

أبو منصور: دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية غير أن العرب تكلمت بها قديمًا فصارت عربية ويلاحظ أن العرب يخففون ما يجرى على ألسنتهم سواء كان عربيًا أصيلاً أو معربًا كما هو واضح هنا.

ب- لم يتسنّ: يقول ابن جنى «قرأت على أبى علىّ بإسناده عن أبى عبيدة قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لم يتسنّ: لم يتغير من قوله تعالى ﴿مِنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] أى متغير فقلت له: لم يتسنّ من ذوات الياء ومسنون من ذوات التضعيف فقال هو مثل تظنّيت وهو من الظن فأصله على هذا القول لم يتسنّن ثم قلبت النون الآخرة ياء هربًا من التضعيف فصار يتسنّىْ بسكون الياء ثم أبدلت الياء ألفا فصار يتسنّى ثم حذفت الألف للجزم فصار لم يتسنّ.

جـ- تظنيت أصله تظننت حولت إحدى النونات ياء قال ابن جنى: ومن ذلك قولهم تظنّيت وهو تفعلت من الظن وأصلها تظننت فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف[(١)].

التبادل بين الهاء والياء:

أ- صهصيت، يقال: صهّ القومَ وصهصه بهم: زجرهم[(٢)] وقالوا فى صهصهت بالرجل: إذا قلت له صه صه: صهصيت فأبدلوا من الهاء ياء.

ب- دهديت، قالوا: دهديت الحجر، أى: دحرجته وأصله دهدهته، ألا تراهم قالوا: دهدوهة الجعل لما يدحرجه، قال أبو النجم:

كأن صوت جرعها المستعجل ... جندلة دهديتها فى جندل[(٣)]

دهدهت الحجارة ودهديتها إذا دحرجتها فتدهده الحجر.

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٥/٣٧٨، ١٥/٤٣٢، ١٣٣، ١٧، ١٤٣، ١٩/١٢٩.

(٢) اللسان ١٧/٤٠٦.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٢.

الجعل: - بضم الجيم وفتح العين - دابة سوداء من دواب الأرض، قيل: هو أبو جعران - بفتح الجيم - وجمعه جعلان - بكسر الجيم - وقيل: هو حيوان معروف كالخنفساء، ودهدوهة الجعل: ما يدحرجه من الخرء (النتن) بأنفه، وجرع الماء: بلعه وكذلك تجرعه، وقال ابن الأثير: التجرع: شرب فى عجلة أو قليلا قليلا، الجندل: الحجارة، الواحدة: جندلة. اللسان ٩/٣٩٥، ١٣/١١٨، ١١٩، ١٣٦، ١٧/٣٨٢.

جـ- هذه في هذى فألزموها الهـاء وصلاً ووقفًا عند أهل الحجـاز وغيرهـم من قيس ووقفًا فقط عند بنى تميم[1] ـ هنية فى تصغير هنة ـ زنادقة وفرازنة[2].

ويقول ابـن جنى فى هذى وهذه: أبدلت الهاء من اليـاء بدليل التـصغيـر ذيا فى تصغـير ذا ـ ويكتفى به عن تصـغير ذى ـ فكما لا نجـد الهاء فى المذكـر (ذا) أصلا فكذلك هى فى المؤنث بدل غير أصل، وليست الهاء فى هذه بمنزلة هاء طلحة وحمزة لأن الهاء فى طلحـة وحمزة زائدة والهاء فى هذه ليـست بزائدة إنما هى بدل من الياء التى هى عين الفعل فى هذى وأيضًا فإن الهـاء فى حمزة نجدها فى الوصل تاء والهاء فى هذه ثابتة فى الوصل ثباتها فى الوقف[3] ولم تترك ساكنة (هذه) مع أنها فى اسم غير متمكن لأنها شبهت بهاء الضمير مثل مررت به وغلامه على أن منهم من يسكنها فى الوصل على أصل القياس فـيقول هذه هند ولكن يجب تحركهـا بالكسر إذا التقت مع ساكن مثل هذه المرأة والأشبه أن يكون صاحب لغة التسكين قد رجع إلى أصحاب لغة التـحريك لما اضطر إلى تحـريكها[4] وكمـا أن من قال هم قامـوا فسكن الميم إذا احتاج إلى تحريكها رجع إلى لغة من ضمها فى هم فقال: هم الذين يقولون. . . ومن قال هم قاموا فأسكن الميم من هم متى احتـاج رد إليها الضمة التى فى لغة من يقول: همو قامـوا وعلى هذا قراءة أبى عمـرو وغيره ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [المنافقون: ٧] و﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقـرة: ١٢] ألا تراه يقرأ ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ [التوبة: ١٣] و﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠، والأعراف: ٣٧] وغير ذلك مسكن الميم[5].

ومن إبدال الهاء من الياء قـولهم فى تصغير هنة هنيهـة وأصلها الأول هنيوة لأن لام الفعل فى تصريف هذه الكلمة واو لقولهم: **على هنوات شأنها متتابع. . .** فإنما الهاء فى هنيهة بدل من الياء فى هنية والياء فى هنية بدل من الواو فى هنيوة[6].

---

(١) الكتاب ٤/ ١٨٢ (باب الحـرف الذى تبدل مكانه فى الوقف حرفًـا أبين منه يشبهه لأنه خـفى وكان الذى يشبهه أولى).

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٠٥- ١٠٧.

(٣) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجهان بتصرف ولسان العرب ٢٠/ ٣٣٧.

(٤) سر الصناعة ص ١٠٦.

(٥) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٦.

(٦) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٠٧.

وقد صرح ابن جنى بالتعويض فى زنادقة وفرازنة فقال: فأما قولهم: الهاء فى زنادقة وفرزانة بدل من الياء فى زناديق وفرازين فليس يريدون بذلك البدل على حد إبدالهم الألف فى قام وباع من الواو والياء وإنما يعنون أن الهاء لما طال الكلام بها صارت كالعوض من الياء كما صارت لطول الكلام من الفعل والفاعل فى نحو حضر القاضى امرأة عوضا من تاء التأنيث فى حضرت وهذا باب واسع[1].

وقد حاول بعض اللغويين - أيضًا - تسويغ الإبدال بين الهاء والياء كما فى هذى وهذه لقرب شبه الياء، بالهاء ألا ترى أن الياء مدة والهاء نفس ومن هنا صار مجرى الياء والواو والألف والهاء فى روى الشعر شيئًا واحدًا نحو قوله: (**لمن طلل كالوحى عاف منازله**)، فاللام هو الروى والهاء وصل الروى كما أنها لو لم تكن لمدت اللام حتى تخرج من مدتها واو أو ياء أو ألف للوصل نحو منازلى ومنازلو، ابن سيده وكذلك دهدهت ودهديت الياء بدل من الهاء لأنها مثلها فى الخفاء كما أبدلت هى منها فى قولهم ذه أمة الله وكذلك قال الجوهرى[2]، وعلل سيبويه بالخفاء للإبدال فى اسم الإشارة (هذه) - فى حال الوقف عند بنى تميم قال: لأن الياء خفية فإذا سكتّ عندها كان أخفى، والكسرة مع الياء أخفى فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاء كما ازدادت الكسرة فأبدلوا مكانها حرفًا من موضع أكثر الحروف بها مشابهة، وتكون الكسرة معه أبين[3].

والناظر فى هذه النصوص المعجمية يلاحظ أنها تسوغ التبادل بين الهاء والياء بوجود أوجه الشبه المذكورة ولكنها ليست بشىء فى نظر علماء اللغة المحدثين لبعد المخارج واختلاف الصفات فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهى صوت مهموس رخو مستفل منفتح مصمت (ضعيف)[4] أما الياء (المذكورة) فتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهى صوت مجهور مستفل منفتح مصمت

---

(١) المصدر السابق.

(٢) اللسان ١٧/ ٣٨٢.

(٣) الكتاب ٤/ ١٨٢.

(٤) التجويد والأصوات ص ٥٥.

قوى[1]، فالاختلاف جذرى بينهما لأنه يتناول المخرج ومعظم الصفات القوية فلا مسوغ للتبادل بينهما ووضع حرف مكان آخر فى قافية البيت لا يعطى أهمية خاصة فى الإبدال إذ إن جواز حلول حرف فى القافية ومشاركة آخر له فى ذلك أمر عرف عن العرب مسموعًا فى النظم فيتبع - لهذا فقط - أما الحكم بجواز التبادل بينهما على ذلك فلا مسوغ له لأن تلك جهة أخرى والعلاقة منفصمة وإلا فإن الواو والألف تقعان وصلا أيضًا كما تقع تلك الحروف ومع ذلك قلنا بعدم التبادل بينهما، ولكن التوجيه الموفق لحلول الياء محل الهاء هو تخفيف نطق الكلمة بمنع وجود أصوات متماثلة فيها جريا على قانون المخالفة الصوتية فالكلمات السابقة وأشباهها يحل فيها أحد الحرفين (الياء والهاء) محل الآخر بعد حذفه على سبيل التعويض وهى لغات[2].

ملاحظات لغوية: نرى من النماذج السابقة أن تجاور الحرفين المتماثلين أو تقارب مكانيهما ـ كما هو مبين فى الفصل بينهما بياء مثل مكاكيك ودياجيج ـ يؤدى إلى تطور أحدهما إلى صوت مخالف هو الياء «وهذا التطور - كما ذكرنا ـ آنفا ـ هو إحدى نظريات السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين والتى تشير إلى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج إلى جهد عضلى فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة فى لغته نظائرها السهلة فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب إلى صوت لين أو ما يشبه أصوات اللين كالميم فى مثل الرمس والرس والنون فى مثل العنبسة: الأسد[3]، وقد اعترف القدماء بكراهية التضعيف ولعلهم كانوا يريدون بهذا أنه يحتاج إلى مجهود عضلى[4]، ولكن هذا الرأى لم يرتضه الأستاذ العلايلى بل ذهب إلى عكسه تمامًا فادعى أن الأصل فى الكلمات المضاعفة (التى تحتوى على حرفين متماثلين) هو المخالفة بكون أحد المتماثلين حرفًا

---

(١) المصدر السابق ص ٥١.

(٢) اللسان ٢٠/ ٣٣٧.

(٣) الأصوات اللغوية ص ١٥٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٣.

من حروف العلة وذلك فى إطار بحثه عن أصول الألفاظ فى اللغة العربية وأنها كانت ثنائية معلة ثم صححت فى مراحل تطورية متأخرة، وهذا الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ العلايلى لم يوافقه عليه المحدثون من علماء اللغة بل إنهم يؤيدون قانون المخالفة السابق وأن المضعف هو الأصل ثم إن التطور أدى إلى قلب أحد المتماثلين ياء كراهية التضعيف ولتقليل الجهد العضلى، وهذه الظاهرة تنسب إلى القبائل البدوية كبنى تميم وعبد القيس، وهم بطن من أسد، وقد توطنوا شبه الجزيرة فى جوار تميم وبكر بن وائل[1] وأن القبائل الحضرية - كأهل الحجاز- تميل إلى إعطاء كل صوت ما يستحقه من الوضوح، وإذا وجد التحول من المضعف إلى الياء فى بعض البيئات الحضرية أو العكس فى البيئات البدوية فذلك على سبيل التأثر والتأثير.

****

---

(١) النهاية للقلقشندى ص ٣٣٨.

ما ليس له مصطلح لهجى أو لغوى:

وسنحاول فى هذا البحث -إن شاء الله تعالى- تحليل قدر كبير مما ورد من ألفاظ قيل فيها بالإبدال مما لم يضع له العلماء مصطلحا لهجيًا أو لغويًا لنصل بشأنها إلى الرأى الحق والتفسير العلمى الصحيح المبنى على التحليل والفحص الدقيق ولنبين أن الدراسة الواعية للألفاظ التى تحويها ظاهرة الإبدال يمكن إخراج الكثير منها عن دائرته وعلى ضوء تلك الدراسة يمكن علاج هذه المشكلة اللغوية التى اضطربت فيها الآراء واختلفت فيها وجهات الباحثين قديمًا وحديثًا.

وها أناذا أعرض بعض الكلمات التى قيل فيها بإبدال بعض حروفها من حروف أخرى مرتبا لها وفق الألفبائية ليكون ذلك أيسر فى ضبطها وسرعة الوصول إليها.

الهمزة والعين

يرد فى كتب اللغة أن الهمزة أبدلت من العين مع أن الأولى أثقل من الثانية وقد اعتادت العرب الذهاب إلى الخفيف بإبدال الهمزة عينا ففى (آديته وأعديته) قيل: إن فيه إبدالا للهمزة من العين.

قال أبو على الفارسى: إن آديته أبدلت فيه الهمزة من العين وأصله أعديته، قال ابن جنى: وفيه وجه آخر غامض وهو أن يكون أراد أعديته فأبدل العين همزة فصارت أأديته ثم أبدلت الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها واجتماعها مع الهمزة التى قبلها فصارت: آديته.

ولكن ابن جنى ضعف هذا الرأى فقال: على أن فى هذا الوجه عندى بعض الضعف وإن كان أبو على قد أجازه لأنا لم نرهم فى غير هذا أبدلوا الهمزة من العين وإنما رأيناهم لعمرى أبدلوا العين من الهمزة، فنحن نبتعهم فى الإبدال ولا نقيسه إلا أن يضطر أمر إلى الدخول تحت القياس والقول به[1].

(١) سر الصناعة ٢٤٦/١.

والرأى فب دذلك أن الهمزة ليست بدلا من العين أو العكس لاختلاف الاشتقاق أما (أعدى) فمن الإعداء ومنه العدو والعداوة لأنها لا تكون إلا مع القوة والشدة، وآديته أفعلته من الأداة لأن الأداة ينقوى بها الصانع على عمله ويجوز أن يكون آديته على كذا أفعلته من الأدْى -بسكون الدال- أى كنت له يدا عليه وظهيرا معه فيكون كقول النبى ﷺ: **«المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم»** فبعضهم يقول بعضا.. على أنا نعتقد فيه أنه إنما بنى أفعلته من لفظ الأدى بعد أن قلبت همزته عن يدى وإلا فالياء هى الأصل[1].

وكذلك قولهم دأنى من دعنى: قيل: إن الهمزة فيها أبدلت من العين ويبدو لنا العكس فالعين هى البدل وذلك بناء على أن شرط الإبدال اتحاد المعنيين على سبيل الحقيقة لا المجاز فإذا استعرضنا مادتى الكلمتين وجدنا معنى الأول (دأنى) هو الأصل والثانى مجاز عنه فمادة (ودأ) تستعمل فيما يأتى:

وداه: سواه وبهم غشيهم بالإساءة -الودأ: الهلاك تودأت عنه الأخبار: انقطعت كودئت، وعليه الأرض استوت أو تهدمت أو اشتملت أو انكسرت، وزيد على ماله: أخذه وأحرزه، والمودأة كمعظمة: المهلكة والمفازة[2].

فهى بهذا تفيد الستر والإخفاء وما يتبعه من الترك والنسيان.

ومادة (ودع) لا تفيد هذا المعنى إلا من طريق المجاز فهى تفيد استقرار الشىء وهدوءه حقيقة وتدل على الإخفاء وما يتبعه مجازا[3].

فمادة (ودأ) فى رأينا هى الأصل فالعين بدل من الهمزة لا العكس.

ومن شروط الإبدال أيضًا اتحاد الأصل الاشتقاقى فإذا اختلف اعتبرت كل واحدة من الكلمتين أصلا.

ومن ذلك ما قد يظن فى أباب وعباب من إبدال الهمزة من العين.

---

(١) سر الصناعة ٢/ ٢٤٢ -٢٤٥ وانظر لسان العرب ١٨/ ٢٧، ١٩/ ٢٦٦، والقاموس المحيط ٤/ ٣٤٦، ٤١٨.

(٢) القاموس (ودأ) ولسان العرب ١/ ١٨٦، ١٨٧ والمزهر ١/ ٢٣٢، والمخصص ١/ ٢٧٣.

(٣) لسان العرب ١٠/ ٢٦٠ -٢٦٨.

قال ابن جنى: فأما ما أنشده الأصمعى من قول الراجز:

أباب بحر ضاحك هزوق

فليست الهمزة فيه بدلا من عين (عباب) وإن كان بمعناه وإنما هو فعال من (أب): إذا تهيأ. قال الأعشى:

أخ قد طوى كشحا وأبّ ليذهبا

وذلك أن البحر يتهيأ لما يزخر به فلهذا كانت الهمزة أصلا غير بدل من العين وإن قلت إنها بدل منها فهو وجه وليس بالقوى[1].

وقد بنى ابن جنى رأيه فى هذا المثال على اختلاف الاشتقاق بين اللفظين إذ العباب من عب البحر إذا زخر بكثرة مياهه.

وقد تردد ابن جنى فى إنزهو وعنزهو فمرة قال: إن العين بدل من الهمزة وأخرى قال بعكس ذلك ومرة بالأصالة لكل منهما، قال فى عنزهو (جائز أن تكون العين بدلا من الهمزة وجائز أن يكونا أصلين)[2] وفى موضع آخر قال (ويجوز عندى فى إنزهو غير هذا وهو أن تكون همزته بدلا من عين فيكون أصله عنزهو: فنعلو من العزهاة وهو الذى لا يقرب النساء والتقاؤهما أن فيه انقباضا وإعراضا وذلك طرف من أطراف الزهو قال:

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا[3]

والواضح فى كلا الاشتقاقين أنه أخذه من الزهو والأقرب أن تكون العين مبدلة من الهمزة للتخفيف لا العكس إذ إن ابن جنى نفسه صرح بأن إبدال الهمزة من العين لم تستعمله العرب إلا قليلا، ومن الجائز أن يكونا لهجتين لفريقين من العرب ما دام اشتقاق الكلمة من الزهو فنطقه بعضهم بالهمزة وآخرون بالعين.

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٢١.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤١.

(٣) الخصائص ١/ ٢٢٩ وعلى هذا يصبح ملحقا بباب قندأو وسندأو وحنطأو وعلى أن الهمزة هى الأصل يلحق بباب جردحل (أنفعل).

وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل: يا أبد الله فى يا عبد الله فى لهجة أهل مكة[1] وفى العامية ما يؤيد ذلك مثل وأهد الله فى وعهد الله إلا أن ذلك قليل وقد يستعمل العرب ما غيره أخف منه[2].

والواقع أن الإبدال يكون من الهمزة إلى العين كثيرا كما فى الأسن والعسن وكثأ اللبن وكثع وموت زؤاف وزعاف وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة وذلك لأن العين أسهل من الهمزة والإبدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس.

وإذا كانت اللغات تختلف فى إحساسها بالثقيل والخفيف فلكل قوم ولكل لغة أحوال واستعمالات تناسبها وتميل إليها فربما خفت الهمزة على الإنجليزى وثقلت العين فأبدل الهمزة من العين حال نطقه كما يظهر من سقوط العين من الهجائية الإنجليزية واستبداله الهمزة بها عندما يلفظ ببعض الكلمات العربية التى تضم بين حروفها عينا مثل عمر ينطقها Omar وعلىّ ينطقها Aly ونحو ذلك إلا أننا نقول:

إن خفة الهمزة على الإنجليزى وثقل العين عليه لا يعطى قانونًا عاما للحروف ثقيلها وخفيفها بل إن ذلك يرجع إلى طبيعة الناطق وإحساسه بالخفة والثقل وتعوده على ذلك تبعا لاختلاف البيئات والشعوب فلا غرابة أن تكون العين ثقيلة على الإنجليزى خفيفة على العربى وفى الهمزة بالعكس مما يؤثر على الوجود اللغوى للحرفين فى لغة كل من الشعبين ولا عجب أن يؤثر ذلك فى الإبدال اللغوى على ما رأينا.

الهمزة والنون

حكى ابن جنى عن بعض اللغويين إبدال النون من الهمزة فى وزن فعلان فعلى كغضبان وسكران ولم يجزم ابن جنى برأى فى إبدال النون من الهمزة بل حكاه عن أصحابه اللغويين وحكى غيره وحاول تسويغ الوجهتين إلا أنه رجح عدم الإبدال وفسره على طريق التعويض قال: «ذهب أصحابنا إلى أن النون فى فعلان

(١) سر الصناعة ١/ ١٢١.

(٢) فى الخصائص ينقل ابن جنى عن سيبويه قوله: واعلم أنه قد يقل الشىء فى كلامهم وغيره أثقل منه كل ذلك لئلا يكثر فى كلامهم ما يستثقلون ١/ ٦٨، ٦٩ وعبارة سيبويه فى الكتاب ٢/ ٤٠٤ مع اختلاف طفيف.

فعلى نحو غضبان وسكران وحيران بدل من همـزة فعلاء نحو حمراء وصفراء وإنما دعاهم إلى القول بهذا أشياء منها أن الـوزن فى الحركة والسكون فى فعلان وفعلاء واحد وأن فى آخر فـعلان زائدتين زيدتا معا والأولى منهـما ساكنة كمـا أن فعلاء كذلك ومنها أن مؤنث فعلان على غير بنائه إنما هو فعلى كما أن مذكر فعلى على غير بنائها إنما هو أفـعل ومنها أن آخر فعلاء همزة وهى علامـة التأنيث كما أن فى آخر فعـلان نونا يكون فى فعلن نحو قـمن وقعدن[1]، ويبين ابن جنى مـسوغات الإبدال بين النون والهـمزة -كـما يراه- فيـقول: «وأبدلت النون همـزة لأن للنون شبها بحروف اللين فالغنة التى فى النون كاللين الذى فى حروف اللين، ويعتقبان على المحل الواحد مثل شر نبث وشرابث وجرنفش وجـرافش ويفصل بهما بين العينين مثل: عصنصر وعصيصر وعقنقل وعقيقل... إلخ، وتحذف النون مثل ملآن ولك اسقنى ومثل حذف حروف اللين غزا القوم وتصـبو المرأة، واستعملت النون علامة للإعراب مثل حروف اللين كما فى إعراب الأفعـال الخمسة والأسماء الستة والمثنى وجمع المذكر السالم فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة وكانت الهمزة قـد قلبت إلى كل واحدة من الألف واليـاء والواو قلبـوها أيضًا إلى الحـرف الذى ضارعهن وهو النون[2] «والذى يدل على أنهما (أى النون والهمزة فى فعلان فعلى وهمزة فـعلاء) ليسا أصلين بل النون بدل مـن الهمزة قولهم فى صنعـاء وبهراء لما أرادوا الإضافة إليهما صنعانى وبهرانى فإبدالهم النون من الهمزة فى صنعاء وبهراء يدل على أنهـا فى بباب فـعلان فعـلى بدل من همزة فـعلاء»[2] وحكى ابن جنى تأويلا آخر لبعض أصـحابه فقال: «ومن حذاق أصـحابنا من يذهب إلى أن النون فى صنعانى وبهرانى إنما هى بدل من الواو التى تبـدل من همزة التأنيث فى النسب وأن الأصل صنعاوى وبهراوى وأن النون هناك بدل من هذه الواو كما أبدلت الواو من النون فى قولك من واقد وإن وقفت أقف ونحو ذلك»[3]، ثم قال: «وإذا ثبت ذلك فقـد ينضاف إليـه مقويا له قـولهم فى جمع إنسان أناسـى وفى جمع ظربان

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨١.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٤.

(٣) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ٨٣.

ظرابى. . . فالنون أيضًا فى إنسان وظبيان بدل من الهمزة لقولهم ظرابى وأناسى كقولهم صلاقى وخبارى[1].

ولكننا نرى أنه لا علاقة بين الهمزة والنون فمخرجهما متباعد ولا ينفقان فى شىء من الصفات سوى الاستفال والانفتاح وذلك لا يسوغ التبادل بينهما وأما شبه النون بحروف اللين على النحو الذى ذكره ابن جنى فلا صلة له بالإبدال هنا بوجه من الوجوه لأن الاعتماد فيه على العلاقة الصوتية المتمثلة فى قرب المخارج والصفات بين المتبادلين وقياسه لغضبان وسكران على صنعانى وبهرانى غير دقيق فقد ذكروا أن إقامة النون مقام الواو فى الكلمتين وضع لغوى شاذ إذ إن الصرفيين يقولون: إن الهمزة إذا كانت للتأنيث قلبت فى النسب -واوًا كصحراوى، لكون الهمزة أثقل من الواو. . . وشذ صنعانى فى النسبة إلى صنعاء اليمن وبهرانى فى النسبة إلى بهراء اسم قبيلة من قضاعة. . . ومن العرب من يقول صنعاوى وبهراوى على القياس»[2]، والشاذ لا يجوز اتخاذه دليلا، وإنسان وأناسى ليس بلازم أن يكون أناسى جمعا لإنسان بل يجوز أن يكون مفرده (إنسى)[3]، وظرابى ليس بلازم أن يكون مفرده ظربان بل يجوز أن يكون جمعًا لظربى مفردًا أو ظرباء بالمد[4] وعلى هذا يمكن خروج ذلك من الإبدال بين النون والياء وإذا كان ذلك فليس إلا على وجه ما قد يكون أقرب إلى التعويض، ولا يمكن وصف ما تقدم بأنه من باب الإبدال بل مجرد تعويض حرف من حرف آخر وهذا ما مال إليه ابن جنى أخيرا ورجحه حينما شرح مذهب الحذاق من أصحابه فى نون صنعانى وبهرانى قال: «وكان يحتج من ذهب إلى هذا فى قولهم: إن نون فعلان بدل من همزة فعلاء فيقول: ليس غرضهم هنا البدل الذى هو نحو قولهم: فى ذئب ذيب وفى جؤنة جونة إنما يريدون أن النون تعاقب فى هذا الموضع الهمزة كما تعاقب لام المعرفة التنوين أى لا تجتمع معه فلما لم تجامعه قيل إنها بدل منه.

---

(١) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ٨٣.

(٢) التصريح ٢/٣٢١ والأشمونى ٤/١٨٨.

(٣) لسان العرب ٧/٣٠٨، ٣٠٩.

(٤) المصدر السابق ١/٥٩، ٦٠.

قال ابن جنى: وهذا مذهب ليس ببعيد أيضًا[1] على أنه لا صلة بين الوصف الذى على فعلان وفعلاء مثل غضبان وحمراء ووجه الربط -على ما تصوره ابن جنى- لا يمت للإبدال بصلة ما بل لا يمكن أن يعتقد انقلاب النون فى فعلان عن همزة إذ هذا من وادى المذكر وذلك من وادى المؤنث ولكل منها صيغة لغوية خاصة فالنون أصل فى بناء فعلان كما أن همزة التأنيث أصل فى بناء فعلاء ولا علاقة بينهما.

الهمزة والهاء

وذلك يبدو فى لهجة طيىء فى بعض المواضع كهمزة (إن) الشرطية فتقول (هن فعلت) تريد: إن[2] وأرقت الماء وهرقته وإياك وهياك، ونسبها اللحيانى إلى اليمن[3] ويقل ذلك فى طيىء أو من يجاورها. وفى همزة (إن) التى تسبقها اللام، يقول ابن منظور: «ومن العرب من يبدل همزتها هاء مع اللام كما أبدلوها فى هرقت فيقول: لهنك لرجل صدق، قال سيبويه: وليس كل العرب تتكلم بها قال الشاعر:

ألا ياسنا برق على قلل الحمى لهنك من برق على كريم[4]

والإبدال فى لهنك سديد، لأن أصلها لإنك فأبدلوا الهمزة هاء مع اللام كما أبدلوها فى هرقت ونحوه، وقلب الهمزة هاء لغة قوم رواها البصريون والكوفيون وحكاها ابن السكيت فى أمثلة كثيرة مثل: أرحت الدابة وهرحتها وأنرت له وهنرت له، واتمأل السنام واتمهل وإياك وهياك وغير ذلك واللام للابتداء[5].

وقال سيبويه: مرجع الإبدال أنها كلمة تكلم بها العرب فى حال اليمين واللام الداخلة عليها لام القسم[6] وادعى الفراء أنها منحوتة وأصلها والله إنك ثم حذف حرف الجر ولام التعريف وقصرت اللام ثم حذفت همزة إنك كما يقال: الله لأفعلن

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨٤.
(٢) مجلة المجتمع ١/ ٣٩٧.
(٣) تاج العروس ١/ ٣٦٦، والإبدال فيها واقع لئلا يؤدى إلى وجود وزن ليس فى العرب وهو (هفعل).
(٤) اللسان ١٣/ ٣١.
(٥) المزهر ١/ ٢٢٢ والمخصص ٣٣/ ٢٧٤.
(٦) الكتاب ١/ ٤٧٤.

وحـذفت لام التعـريف كمـا يقال: لاه أبوك أى لله أبوك ثم حـذفت الألف كمـا يحذف مـن الممدود إذا قصـر وكمـا يقال: الحـصاد والحـصد. . **ألا لا بارك الله فى سهيل**[(١)].

وحكى عن المفضل بن سلمة بن عاصم عن بعض الكوفيين أن أصله لله واللام للقسم[(٢)].

ولكن ما ذهب إليه الفـراء وكذلك بعض الكوفيين يغرق فى التأويـلات البعيدة وأولى الآراء بالقبول هو ما قرره ابن جنى مـن أن أصلها لإنك فأبدلت الهمزة هاء وهذا منسوب لطيىء.

وقد وردت أمـثلة للإبدال بين الهـمزة والهاء مـثل هياك فى إيـاك (وروى فتح الهمزة وإبدان الهاء منها) و﴿**طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾ [طه: ١، ٢] فى قراءة على أنه أراد طأ الأرض بقدميك.

ويقال للصبا هير وأير وهيا فى أيا.

وهرقت فى أرقت، وهزيد منطلق فى أزيد منطلق؟ وأل فعلت فى: هل فعلت؟ وآل فى أهل وماء وأمواه ورجل تدرأ وتدره للمدافع عن قـومه وجميع هذه الأمثلة ما عدا هيرا وأيراحكم ابن جنـى فيها بإبدال الهاء من الهمزة وأمـا هير وأير فقال: هما أصلان حتى تقوم الدلالة على الإبدال، وفسر قراءة (طه) على أنه طأ الأرض بقدميك فالهاء بدل من الهمزة فى طأ.

ونحن لا نرى مانعا من حدوث التبادل بين الهـمزة والهاء لتدانى المخارج إذهما من حروف أقصى الحلق ويتفقان فى صفـات الاستفال والانفتاح والإصمات ولكن لنا ملاحظات على بعض الأمثلة وتوجيه ابن جنى لها.

فنحن معه فى إبدال الهاء فى هيـاك وإياك وهيا وأيا والقول بالإبدال فى أرقت أمر

---

(١) شـرح الرضى على الكافيـة ٣/ ٣٠٧ وخـزانة الأدب ٤/ ٣٣١ واللسـان ١/ ١١٨، ١١٩ وشرح المفـصل ٨/ ١٦٣.

(٢) شرح المفصل ١٠/ ٤٣.

مسلم به لئـلا يؤدى عدم الإبدال إلى إحـداث وزن ليس من الأبنية المعـروفة وهو وزن هفعل(1).

وأما قـراءة (طه) التى فسرها ابن جنى عـلى أن المراد بها طأ فأبدل الهـمزة هاء فغير يقينيـة والأمر فى تفسير معناها أمر ظنى وكتب اللغـة تذكر أن (طه) مجزومة بالحبـشية يا رجل وجـاء فى التفسـير (طه) يا رجل يا إنسان وقال قـتادة: إن ذلك بالسريانية وقال سعيد بـن جبير وعكرمة: هى بالنبطية يا رجل وروى ذلك عن ابن عباس قال الـليث: وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل اسـتفزه الخوف حتـى قام على أصـابع قدمـيه خوفـا فقـال الله عز وجل: طه أى اطمـئن، وروى الأزهرى عن أبى حاتم قـال (طه) افتتاح سـورة ثم استقبل الكلام فـخاطب النبى ﷺ فقال ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى(2).

والناظر فى هذه الأقوال يرى أنها كثيرة وبعضها يؤكد أعجمية الكلمة وأنها حبشية أو سريانيـة أو نبطية وبعضهـا يشير إلى أنهـا من فواتح السور فهى رمـوز مثل: ﴿الٓمٓ﴾ [البـقـرة: ١]- ﴿الٓر﴾ [ايوسف: ١]- ﴿حمٓ﴾ [الدخـان: ١].. إلخ، وابن جنى يحاول تفسير قراءة (طه) على أنها مشـتقة من الفعل طاء بمعنى وطىء الأرض بقدميه(3) مع أن كتب اللغة لا تؤيده فى وجهة نظره فهى تذكر -كما سبق- أنها بهذا الضبط كلمة حبشية بمعنى يا رجـل أو سريانية أو نبطية وفسرت أيضًا بمعنى اطمئن فـتفسير ابن جنى بالمعنى الذى رآه أمـر ظنى، حدث قـيس عن عـاصم عن زر قال: قـرأ رجل على ابن مسعود (طه) فقال له عبد الله (طه) بكسـرتين فقال الرجل أليس أمر أن يطأ قدمه؟ فقال له عبد الله هكذا أقـرأنيها رسول الله ﷺ(4) وابن مسعود صحـابى فلا يخفى عليه هذا المعنى ونحن نراه هنا يتوقف عن إبداء الرأى فيه وينقل ضبطا آخـر للفظ كما سمعه من

---

(1) القواعد والتطبيقات ص ١٠.

(2) اللسان ١٧/٤٠٧.

(3) وبوجهه بعض المفـسرين على هذا بأن أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت من يطأ ألفـا كقوله (لا هناك المرتع) ثم بقى عليـه الأمر وضم إلـيه هاء السكت وعلى هذا يـحتـمل أن يكون أصل طه طاها والألف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الأرض.

(4) اللسان ١٧/٤٠٧.

الرسول الكريم[١]. كما أنه غير مناسب لما يأتى بعده من آيات وهى ما أنزلنا عليك القرآن[٢] إلخ، وربما كان مناسبًا فى خطاب موسى -على ما سبق بيانه- وليس موضعه هنا فى القرآن ولا يمكن قبول خطاب النبى بقول الله تعالى له (يا رجل) على فرض أن هذا خطاب له والكلمة أعجمية إذ ليس المقام مقام الخطاب الجاف على هذا النحو -الذى لا يليق به- فالله تعالى كثيرًا ما يخاطبه بقوله: يأيها النبى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ١] - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] إلى غير ذلك من ألوان الخطاب المناسب لمقامه الرفيع، والأظهر كما نرى أن (طه) رموز مقطعة كنظائرها مما ورد فى السور الأخرى من مثل: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] - ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢]- إلخ وهى جميعها من فواتح السور على ما ذكره المفسرون، وربما كان اعتبارها من الحبشية أو غيرها ناشئا عن نوع من التوافق الصوتى بين المفرد (طه) فى غير العربية من ناحية وبين الرمز (طه) المستعمل فى القرآن من ناحية أخرى[٣]، فالكلمة فى القرآن عبارة عن رمز لا يمت للكلمة الأعجمية (طه) بمعنى يا رجل بصلة وتأويل ابن جنى ليس له عليه برهان.

والملاحظة العامة أن كثرة التصرف والاستعمال ليست تتبع فى كل الحالات ويمكن معرفة الأصل من الفرع هنا عن طريق الصعب والسهل فالهمزة أصعب من الهاء ولذلك عدت أصلا لأن -التطور الصوتى- غالبًا- ما ينتقل إلى السهولة.

وهير وأير لا مانع من التبادل بينهما على أن بعض العرب نطقوا بإحداهما وآخرون نطقوا بالثانية وروى أن قبيلة طيئ هى صاحبة الهاء[٤] فالكلمات المذكورة التى ثبت فيها التبادل بين الهمزة والهاء ناشئة عن اختلاف اللهجات.

وقرر ابن جنى أن الهمزة أبدلت من الهاء فى (ال فعلت) وآل وماء وأمواه فروى عن قطرب عن أبى عبيدة أنهم يقولون أل فعلت ومعناه هل فعلت[٥] فالهمزة بدل

(١) على أن الكلمة لو كان مرادًا بها طاْها لكتبت فى القراءة الأخرى طاها بالألف دون طه على هيئة الحروف ولا معنى لأنه اكتفى بشطرى الكلمتين.

(٢) وتوجيه بعض المفسرين بأنه كان يقوم فى تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه لا يليق بمقام النبى ﷺ انظر فيما تقدم تفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى ص ٤١٣.

(٣) القراءات القرآنية ص ٣٧٤.

(٤) اللهجات العربية ص ٥٦، ٦٦.

(٥) سر الصناعة ١/ ١٢٠، ١٢١.

من الهاء والعلاقة الصوتية مسوغة للتبادل، ومن ذلك قولهم آل كقولنا آل الله وآل رسوله إنما أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت فى التقدير أأل فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا كما قالوا آدم وفى الفعل آمن وآزر[1]، وقال والذى يدل على أن أصل آل أهل قولهم فى التحقير أهيل ولو كان من الواو لقيل أويل كما يقال فى الآل الذى هو الشخص أويل ولو كان أيضًا من الياء لقيل أييل[2] ومن هذا يبدو أن ابن جنى اعتمد فى بيان الأصالة والفرعية على مبدئه وهو كثرة التصرف بوجود التصغير فى (أهيل) فيما وصل إليه وربما ورد ما لم ينقله فقد روى الفراء عن الكسائى أنه يقال فيه أويل أيضًا حتى قال أبو العباس إن الآل والأهل أصلان لمعنيين[3].

وقد حاول ابن جنى أن يؤكد وقوع الإبدال بين الهمزة والهاء فى هذه اللفظ لا بين الهاء والألف بمعنى أن الهاء أبدلت همزة ثم قلبت الهمزة ألفا وساق لتأييد رأيه ما يأتى:

١- الألف لو كانت منقلبة عن الهاء فى أول أحوالها دون أن تكون منقلبة عن الهمزة المنقلبة عن الهاء -على ما قدمنا- لجاز أن يستعمل آل فى كل موضع يستعمل فيه أهل[4] فيقال انصرف إلى آلك كما يقال انصرف إلى أهلك ولقيل آلك والليل كما يقال أهلك والليل وغير ذلك مما يطول ذكره فلما كانوا يختصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا فى نحو قولهم: القراء آل الله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... ولا يقال آل الخياط كما يقال أهل الخياط ولا آل الإسكاف كما يقال أهل الإسكاف دل ذلك على أن الألف فيه ليست بدلا من الأصل وإنما هى بدل من بدل من الأصل[5].

٢- وقد شبه آل فى اختصاصها بالأشرف وكون الألف فيها بدلا من بدل من الأصل بالتاء فى القسم فقد اختصت بالأشرف من الأسماء وهو اسم الجلالة لأنها أيضًا

---

(١) المصدر السابق التعليق ١/ ١١٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٢٠.

(٣) اللسان ١٣/ ٣٩.

(٤) سر الصناعة ١/ ١١٤.

(٥) المصدر السابق ١/ ١١٥، ١١٦.

بدل من بدل فيقول: فجرى ذلك مجـرى التاء فى القسم لأنها بدل من الواو فيه والواو فيه بدل من الباء فلما كانت التاء بدلا من بدل وكانت فرع الفرع اختصت بأشرف الأسماء وأشهـرها وهو اسم الله فلذلك لم يقل تزيد ولا تالبيت كما لم يقل آل الإسكاف ولا آل الخياط[1] ثم يقول: فهذا كله يؤكـد عندك أن امتناعهم من استعـمال آل فى جميع مواقع أهل إنما هو لأن الألف فيـه بدل من بدل كما كانت التـاء فى القسم بدلاً من بدل فاعرفـه فإن أصحابنا لم يـشبعوا القـول فيه على ما أوردته الآن وإن كنا بحمد الله بهم نقتدى وعلى أمثلتهم نحتذى[2].

والمعانى -كـما يجدها الباحث فى لسـان العرب وغيره من المعـاجم- تؤكد أن اللفظين يسـتـعمـلان بمعنى أهل الرجـل وعيـاله[3] وربما بدا لى أن لفظ (الأهل) يستعمل فى الأشرف فالله تعالى يقول مخاطبا نبيه نوحا عليه السلام فى شأن ولده ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] ثم خصـص الآل بالأشرف وعلى هذا فقد اتحـد معناهما الأصلى بما يؤكد التبـادل بين الهمزة والهاء فيـهما، ولعل الذى دعـا ابن جنى إلى تكلف هذا الدفاع أن العـلاقة واضـحة بين الهـمزة والهاء ولا علاقة بينها وبين الألف حتى يصح التبادل بينهما.

ومن إبدال الهمزة من الهـاء قولهم: ماء وأصله موه لقـولهم أمواه فقلبت الواو ألفا وقلبت الهاء همزة فـصار ماء كما ترى وقد قالوا أيضًا فى الجـمع: أمواء فهذه الهمزة أيضًا بدل من هاء أمواه[4] للتقارب بينهما فى المخـرج والصفات كما ذكرنا ونحن نوافقه على هذا الإبدال لأن ضروب التـصاريف والمعانى تدل على ذلك كما يقول صاحبا اللسان والقاموس فجمعـه أمواه ومياه وتصغيره مويه وكذلك يقال فى الفعل أماه فلان ركِيته وقـد ماهت الركيّة وهذه مُوبهة عذبة[5] وموّه الموضع تموبها صار ذا ماء والقدر أكثر ماءها والموهة الحسن أو تـرقرق الماء فى وجه الجميلة ومهته

---

(١) المصدر السابق ١/١١٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٢٠.

(٣) اللسان ١٣/٣٩.

(٤) سر الصناعة ١/ ١١٣.

(٥) اللسان ١٧/ ٤٤٠.

- بالكسر وبالضم - سقيته[1] وهمزة أمواء بدل من هاء أمواه -كما قال ابن جنى- على اعتبار أنها أبدلت منها مباشرة ومن الجائز أن تكون همزة المفرد انتقلت إلى الجمع فالإبدال إنما هو فى المفرد فقط[2].

وقد جعل ابن جنى (تدرأ وتدره) مما لا إبدال فيه بل هما أصلان يقال: درأ ودره[3] وقال ابن سيده: الهاء فيه مبدلة من الهمزة.

ونلاحظ قلة إبدال الهمزة من الهاء نظرًا لسهولة نطق الهاء عن الهمزة ولذلك يجرى أغلبه فى الجوامد والأدوات كما رأينا[4].

وقد ورد فى اللغة إبدال الهاء من الهمزة كثيرًا مثل هرحت الدابة وهنرت الثوب وهردت الشيء واتمهلّ السنام إلى جانب ما ذكرناه من قبل مثل هياك وهير ونحوهما، وبلغ من شيوع ذلك أن سرى فى القراءات مثل أهعجمى- هأنذرتهم مما يشير إلى أن الهمزة هى الأصل وأن الهاء بدل منها.

ومع ذلك فالتبادل بين الهاء والهمزة أمر سائغ، ألا ترى لو أنك ألفت بين الهمزة والهاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء فى بعض اللغات لقربهما[5].

والهمزة أخت الهاء لأنهما حلقيان ويتقاربان فى بعض الصفات.

الباء والتاء

فى ذعالت وذعالب[6].

لم يجزم ابن جنى برأى هل ذلك من الإبدال أو من اختلاف اللهجات فيقول: فأما قول الأعرابى من بنى عوف بن سعد:

---

(١) القاموس ٤/ ٣٤٠.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٢٠، ١٢١، واللسان ٦٤-٦٩، ١٧/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٣) المخصص ١٣/ ٢٧٤.

(٤) جعل الأشمونى إبدال الهمزة من الهاء قليلا وذكر (ماه) وأل فعلت وألا فعلت بمعنى هل وهلا فعلت ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧، وانظر شرح المفصل ١٠/ ٤٣.

(٥) الجمهرة ١/ ٩.

(٦) الذعالب جمع ذعلب بكسرتين بينهما سكون أو ذعلوب وهو طرف الثوب، اللسان ذعلب ١/ ٣٧٣، ٣٧٤.

صفقة ذى ذعالب سمول بيع امرىء ليس بمستقيل

وهو يريد الذعالب فينبغى أن يكونا لغتين وغير بعيد أن تبدل أيضًا التاء من الباء إذ قد أبدلت من الواو وهى شريكة الباء فى الشفة والوجه أن تكون التاء بدلا من الباء لأن الباء أكثر استعمالا ولما ذكرناه أيضًا من إبدالهم التاء من الواو[1].

ويبدو من تردد ابن جنى هذا أنه كان يحس ببعد المادتين من ناحية المعنى والتقائهما على طريق المجاز أو لبعد فى العلاقة الصوتية ولعل الأول كان مترجحا عنده إذ هو يعتقد القرابة بين التاء والواو فى مخرجيهما وإن كان الأمر على خلاف معتقده والذى يظهر لنا أن المخارج متباعدة -كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة- فالواو من أقصى اللسان والتاء من طرفه مع أصول الثنايا وشتان بين المخرجين، وفى الصفات لا يشتركان إلا فى الشدة والإستفال والانفتاح والترقيق وهذا كله لا اعتبار له فى الإبدال ما دامت المخارج متباعدة وبمراجعة المعانى فى المعاجم نحس بأن التقاءهما لم يكن على سبيل الحقيقة -حتى يتأتى الإبدال بين اللفظين- فمادة (ذعت) تدل على ما يأتى: ذعته خنقه أشد الخنق ومعكه فى التراب ودفعه عنيفا[2] وفى ذلك معنى الإضعاف والإنهاك فيتفق بذلك مع معنى الذعالت التى هى أخلاق الثياب وإن كانت باللام غير معروفة فى معاجم اللغة فعلى هذا يلتقى معنى الذعالت بالتاء مع الذعالب بالباء من طريق المجاز الذى يمكن فهمه من الذعالت فيكون جمعا بين حقيقة ومجاز وليس ذلك إلا نقضا للشرط الأساسى للإبدال الذى هو اتحاد المعنيين على سبيل الحقيقة فلا إبدال إذن بل ترادف حدث من تطور المعنى.

ولم ترد أمثلة أخرى للإبدال بين الباء والتاء اللهم إلا مثال واحد هو صلب وصلت[3] مع إمكان تأويله أيضًا باتفاقهما المعنوى فالصلب هو الرجل الشديد على سبيل التشبيه والصلت هو الرجل الماضى فى الحوائج ويفهم منه الشدة على طريق المجاز، ومن الممكن أن نقول بعدم الإبدال فى هذا اللفظ من طريق آخر وهو عدم

---

(١) سر الصناعة ١/١٧٣، ١٧٤.

(٢) القاموس المحيط (ذعت) ١/١٥٣، واللسان ٢/٣٣٧.

(٣) المزهر فصل التصحيف وانظر: اللغة العربية كائن حى ص ٥٦، ٥٧ واللسان ٢/١٥، ٣٥٨.

اتحاد الكلمتين فى البنية فالضبط مختلف فيهما[١] مما يؤكد عدم الإبدال ويمكن أن تكون هذه الألفاظ قد نشأت نتيجة التصحيف، أو لعل تصريح ابن جنى بأن الباء أكثر استعمالا يدلنا على أن الكلمة بالباء فى أصل الاستعمال والتاء تصحيف وبخاصة أن مادة (ذعلت) باللام غير موجودة فى المعاجم وكذلك الصلت مصحف عن الصلب فالأصل كلمة واحدة ونشأت الثانية عنها عن طريق التصحيف الذى يمكن حدوثه بين الحرفين من طريق الخط.

الباء والفاء

جاء عن اللحيانى: تمر بذّ وفذّ: المتفرق الذى لم يكنز فلا يجتمع ولا يلتصق بعضه ببعض ومن ذلك رجل بجباج وفجفاج إذا كان صياحا كثير الكلام، وفى حديث عثمان: إن هذا الفجفاج لا يدرى أين الله عز وجل -وهو المهماز المكثار من القول- ويروى البجباج وهو بمعناه أو قريب منه[٢] أو رجل جبس وجفس: جبان لا خير فيه، ولجفتا الباب ولجبتا الباب: عضادتاه وجانباه[٣] وفى حديث **«أنه ذكر الدجال وفتنته ثم خرج لحاجته فانتحب القوم حتى ارتفعت أصواتهم فأخذ بلجفتى الباب فقال (مهيم) لجفتا الباب عضادتاه وجانباه من قولهم لجوانب البئر ألجاف جمع** لجف ويروى بالباء ويذكر ابن الأثير أن رواية الباء وهم[٤]. وفى حديث بدر: **اخرجوا إلى معايشكم وحرائبكم** بالباء الموحدة جمع حريبة وهو مال الرجل الذى يقوم به أمره ويروى بالفاء واحدته حريفة وهى أنضاء الإبل وأصله فى الخيل إذا هزلت فاستعير للإبل وإنما فى الإبل أحرفناها بالفاء يقال: ناقة حرف أى هزيلة وقد يراد بالحرائف: المكاسب من الاحتراف بمعنى الاكتساب[٥].

وعكفت الطير وعكبت ويقال: طير عكوف وعكوب ومن ذلك قول مزاحم العقيلى:

---

(١) فالصاد فى صلب مضمومة وفى صلت مفتوحة، انظر اللسان الموضع السابق.

(٢) النهاية ٣/ ٤٦٤ (فجفج).

(٣) الإبدال لأبى الطيب ٢١، ٢٣ والنهاية ٢/ ٢٣٥، ٤١٣.

(٤) النهاية ٤/ ٤٣٤ (لجف).

(٥) النهاية ١/ ٢٤ (حرب).

تظل نسور من شمام عليهم عكوبا مع العقبان عقبان يذبل

والباء لغة فى بنى خفاجة من عقيل[1] والخزب: الخزف فى بعض اللغات والإسكاب لغة فى الإسكاف.

وينقل الأزهرى عن بعض الأعراب: «سمعت أعرابيا من بنى فزارة يقول لخادم له: ألا فارفع لى على صعيد الأرض مصطبة أبيت عليها بالليل، فرفع له من الشهلة شبه دكان مربع قدر ذراع من الأرض يتقى بها من الهوام بالليل وسمعت أعرابيًا آخر من بنى حنظلة سماها المصطفة بالفاء»[2].

وقال ابن الأعرابى: الثفية والنفية: سفرة مدورة متخذ من خوص النخل وعوام الناس بالحجاز يسمونها الثبية[3].

وبنو فزارة من البدو، لكن كيف يستخدم بنو حنظلة -وهم من تميم- الفاء مع أنها صوت رخو ويتركون الباء الشديدة وكيف يستخدم أهل الحجاز الباء مع مخالفتها لطبيعتهم الحضرية؟

والجواب أن ذلك يمكن أن يكون على سبيل التأثر والتأثير.

وإذا كانت بنو عقيل قد سمع فيها إبدال الباء فاء والعكس فإن ذلك ليس مظنة الظهور فى جيل واحد بل يمكن أن ينتسب إلى طوائف متعددة منهم أو فى أزمان مختلفة.

ونسبت الباء كذلك إلى أهل اليمن، ومن ذلك: البداء -بالكسر- لغة فى الفداء وتبدى: تفدى عند عامة أهل اليمن[4].

وجاء عكس ذلك منسوبا إلى حمير؛ السخاف: اللبن بالفاء حميرية والشخاب بالباء الموحدة التحتية شحرية[5] ولعل الفاء كانت عند القبائل المتحضرة من حمير،

(١) العين ١/ ١٠٦ والتهذيب ١/ ٣٢٣ واللسان.

(٢) التهذيب ١٢/ ١٣٢.

(٣) المصدر ١٥/ ٤٧٦.

(٤) تاج العروس ١٠/ ٣٣.

(٥) الجمهرة ١/ ٢٣٥ والتهذيب ٧/ ٨٩ والقاموس ٣/ ١٥٦ وتاج العروس ١/ ٣١، ٦/ ١٥٠.

وجاءت بعض الألفاظ غير منسوبة إلى قوم معينيين كما فى الخزب: الخزف المعروف فى بعض اللغات[1].

وبين الباء والفاء علاقة صوتية تسمح بالتبادل للتجاور فى المخرج فهما شفويان وتتفقان فى بعض الصفات كالانفتاح والاستفال والذلاقة إلخ..

الباء والميم

وردت أمثلة لهذا التبادل منسوبة إلى مازن تارة وإلى قبائل أخرى أحيانا.

من ذلك ما ذكره الحريرى من أن الخليفة الواثق بالله أمر بإشخاص أبى عثمان المازنى ليسأله عن إعراب «رجل» فى قول العرجى:

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه قال. ممن الرجل؟ قلت: من بنى مازن. قال: أى الموازن؟ أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟ قلت: من مازن ربيعة. فكلمنى بكلام قومى وقال لى: باسمك؟ -لأنهم بقلبون الميم باء والباء ميما إذا كانت فى أول الأسماء -قال: فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر. فقلت: بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدت وأعجب به... إلخ[2].

وفى إحدى الروايات قال المازنى: ومكر بالميم يشير إلى اسمه[3].

وقال أبو سوار الغنوى فيما نقله أبو علىّ بإسناده إلى الأصمعى: باسمك؟ يريد ما اسمك؟[4].

ومن أمثلة هذا التبادل مما أوردته المعاجم اللغوية:

فى أول الكلمة: البرغ: لغة فى المرغ: العقاب.

---

(١) المزهر ١/٢١٧.

(٢) درة الغواص ص ٩٦، ٩٧.

(٣) طبقات اللغويين والنحويين ص ٩١، ٩٢ وللقصة روايات أخرى.

(٤) الأمالى للقالى ٢/٥٢.

وفى حديث ابن مجاهد من أسماء مكة: بكة، قيل: بكة موضع البيت ومكة سائر البلد وقيل هى اسم البلدة، وسميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها[1] أو لأن الناس يبك بعضهم بعضا فى الطواف أى: يزدحم ويدفع..

وتقول العرب: أحمق لا يجاى مرغه أى: لا يحبس ريقه[2]، ومثله: ميد لغة فى بيد بمعنى غير.

وفى وسط الكلمة:

سبد رأسه وسمد، والتسبيد: ترك التدهن والغسل، وبعضهم يقول: التسميد[3].

وأغبطت عليه الحمى، وأغمطت[4] والطبش لغة فى الطمش، الناس يقولون: ما فى الطبش مثله ولا فى الطمش، والخربشة والخرفشة: الإفساد والتشويش[4]، ويقال: تساب فلان وفلان فأربى أحدهما إرباء، وأرمى إرماء أى: زاد على صاحبه[5].

وفى حديث عبد الله بن عمر قال: **جاء رسول الله ﷺ إلى دارى، فوضعنا له قطيفة ربيزة،** أى: ضخمة من قولهم كيس ربيز، وصرة ربيزة، ومنهم من يقول: رميز بالميم، ويقول الجوهرى: كبش رميز أى: مكتنز مثل ربيس، وفى حديث عمر عن الزبير: ضرس ضميس والرواية: ضبيس وهى بمعنى الصعب العسر[6].

وورد فى الحديث كان كتاب فلان مخربشا أى: مشوشا فاسدًا.

وفى آخر الكلمة:

صربى بوزن سكرى، من صربت اللبن فى الضرع: إذا جمعته ولم تحلبه،

---

(١) النهاية ١/ ١٤٠، ٢/ ١١٩.

(٢) الجمهرة ١/ ٢٦٧.

(٣) التهذيب ١٢/ ٣٧١.

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٤٠٧.

(٥) الجمهرة ١/ ٢٩١ والنهاية ٢/ ١٨٨.

(٦) الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٣٧ والنهاية ٣/ ١٠٠ ضبس.

وكانوا إذا جدعوها أعفوها من الحلب إلا للضيف وقيل: الصربى هى: المشقوقة الأذن مثل البَحيرة أو المقطوعة، والباء بدل من الميم[1].

ومنه، الشُكْب لغة فى الشُكْم: العطاء:

وضربة لازب ولازم والباء اللغة الجيدة قال النابغة[2]:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب

ولازم لغية[3].

والظأب والظأم: سِلْف الرجل، وأنشد الأصمعى لأوس بن حجر:

مصوع عنوقها أحوى زنيم ... له ظأب كما صخب الغريم[4]

وأوس بن حجر تميمى[5]:

وقحبة وقحمة للعجوز المسنة، والساسب والساسم شجر، وما عليه طِحَرَبة وطِحَرَمة أى خرقة.

والأثلب والأثلم، ومخرم ومخرب أى مثقوب وفى حديث على: كأنى بجيش مخرب على هذه الكعبة أى: مثقوب الأذن[6].

وعصب الريق فاه وعصم: لصق به.

وفى حديث بدر: لما فرغ منها أتاه جبريل وقد عصب رأسه الضبر أى ركبه وعلق به من عصب الريق فاه، وروى عصم بالميم[7].

وفى حديث رفاعة قالت أخته أمية: هل تجد شيئًا؟ قال: لا. إلا توصيبا أو توصيما أى فتورًا[8].

---

(١) النهاية ٣/ ٢٠ صرب.

(٢) الديوان ص ٤٨ والقلب والإبدال ص ١٤.

(٣) التهذيب ١٣/ ٢٥.

(٤) ظأب: صياح وهياج. القلب والإبدال ص ١٦٠.

(٥) جمهرة أنساب العزب ٢١٠ وتاريخ الآداب العربية لنكارلو نالينو ص ٨٤.

(٦) غريب الحديث لأبى عبيد ١/ ١٣٩.

(٧) النهاية ٢/ ١٨٨، ٣/ ٢٤٤ والجمهرة ١/ ٢٩٣.

(٨) النهاية ٥/ ١٩٠ (وصب).

وقد نسب ابن الطيب الفاسى إبدال الميم باء إلى مازن[1].

وفى نص الحريرى المتقدم ما يفيد أن إبدال الميم باء والباء ميما منسوبان إلى مازن وهى من قضاعة.

ويقول حفنى ناصف: تبدل الميم باء والباء ميما فى لغة مازن يقولون: بات البعير أى مات، ومان البدر فى السماء: أى بان البدر فى السماء[2].

وقد نسب إبدال الميم باء إلى بنى كلاب، قال أبو يوسف: سمعت أبا صاعد الكلابى يقول: تكبكب الرجل فى ثيابه أى: تزمل، حكاها أبو عمرو الشيبانى تكمكم[3].

كما نسب التبادل بين الميم والباء -بنوعيه- إلى اليمن.

فقد ورد إبدال الميم -فى حرف الجر (من)- باء فى النقوش اليمنية كما فى (بن محرمن) أى من المحرم، و(بن مريب) أى: من مأرب[4].

ونسب ابن دريد إبدال الباء ميما إلى اليمن يقول: مجح يمجح مجحا لغة فى بجح يبجح بجحًا، فهو باجح وماجح، ورجل بجاح ومجاح وهو المتكثر بما لا يملك له فيه[5].

وفى التهذيب: الكَحْب والكَحْم: الحِصْرِم واحدته كَحْبة يمانية[6].

ولكن ليس من المعقول أن تنطق قبيلة واحدة بالشىء وعكسه، ولا توجد لهجة من لهجات اللغات فى العالم تلتزم قلب كل ميم إلى باء والعكس ولذا يرى الدكتور أنيس أن يجعل قلب الميم باء لجماعة لغوية، وقلب الباء ميما لجماعة أخرى، أو أن أحد النطقين تطور عن الآخر[7].

---

(١) الصحاح ١/ ٤١٣.

(٢) مميزات لغات العرب ص ١٥، ١٦ وانظر تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ١٤٤.

(٣) القلب والإبدال ص ١٦.

(٤) المفصل للدكتور جواد على ١/ ١٠٢، ٧/ ١٣٠ ولهجات اليمن قديما وحديثا ص ٣٠، ٣١.

(٥) الجمهرة ٢/ ٩٥.

(٦) ٢/ ١٩٨، ٤/ ١١٠، ١٥/ ٤١٢ وانظر اللسان.

(٧) فى اللهجات العربية ص ١١٧.

وقد عرض ابن جنى ما نسب إلى مازن وعده من قبيل الإبدال فى مثل باسمك فى ما اسمك، فالباء بدل من الميم.

كما عرض أمثلة لاحتمال التبادل بين الباء والميم.

ومن ذلك: (بُعكُوكـة ومُعكُوكة) فـالميم هى الأصل والباء بدل منهـا لأنها من الشدة وهى المعك[1].

وبمراجعة المادتين فى المعاجم نرى ما يأتى:

مادة (معك): معكه فى التراب كمنعه ولكمه وبالقتال والخصومة لواه ودينه وبه مطله به فـهو مـعِك ككتف ومنبـر ومماعك وككتف الألد والأحـمق مـعُك ككرُم وتمعّك تمرّغ ومعكتها تمعيكا وإبل معكى كسكرى كثيرة ووقعوا فى مَعكوكاء ويضم فى غبار وجلبة وشر ومُعكوكة الماء بالضم كثرته[2].

مادة (بعك): بُعكوكـة الناس بالضم مجتـمعهم وبعكه بالسيف ضـرب أطرافه والبعَـك محركـة الغلظ والكزازة فى الجسـم والباعك الأحمـق والبُعكوكـاء الشر والجلبة وبُعكوكـة القوم وقد يفتح وبُعـكوكهم آثارهم حيث نزلوا أو خاصـتهم أو جمـاعتهم وكـذا من الإبل ووسط الشىء وكثرة المال وغـباره وازدحامـه وبُعكوكة الصيف والشتاء اجتماع حره وبرده والبعكوكة الحر[3].

والناظر يرى أن كل مادة لها تصرف واتساع معنوى وفى كل منهما معنى الشدة وعلى هذا فلا مانع من أن تكون البـاء هى الأصل والميم هى الفرع أو العكس وقد صرح بذلك صاحب اللسان حين قال:

«حكاه يعـقوب فى البـدل كـأن ميم مـعكوكاء بـدل من باء بعكوكاء أو بضـد ذلك»[4].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٣٥.

(٢) القاموس المحيط ٣/ ٣٦٨ ولسان العرب ١٢/ ٢٨٢.

(٣) القاموس المحيط ٣/ ٣٤٠.

(٤) لسان العرب ١٢/ ٣٨٠.

كما جوز ابن جنى إبدال الميم من الباء وأن تكون كل منهما أصلا فى (بخر ومخر) وما زلت راتما ورانبا ورأيته من كثم ومن كثب وطابه الله على الخبر وطامه، وبنى رأيه فى ذلك على أساس التصرف والاشتفاق فقال عن مخر وبخر قال الأصمعى: بنات مخر وبنات بخر: سحائب يأتين قُبَل الصيف بيض منتصبات فى السماء قال طرفة:

كبنات المخر يمأدن إذا ... أنبت الصيف عساليج الخضر

قال أبو علىّ رحمه الله: كان أبو بكر يشتق هذه الأسماء من البخار فالميم على هذا فى (مخر) بدل من الباء فى (بخر) لما ذكر أبو بكر وليس ببعيد عندى أن تكون الميم أصلا فى هذا أيضًا وذلك لقوله الله سبحانه: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [فاطر: ١٢] أى ذاهبة وجائية وهذا أمر قد يشاركها فيه السحاب ألا ترى إلى قول الهذلى:

شربن بماء البحر ثم ترفّعت ... متى لججٍ خضرٍ لهن نئيجُ

فهذا يدل على مخالطة السحائب عندهم البحر وتركضها فيه وتصرفها على صفحة مائه وعلى كل حال فقول أبى بكر أظهر[1]. ويوضح ذلك قوله فى سر الصناعة: وذلك أن السحاب كأنها تمخر البحر لأنها فيما نذهب إليه عنه تنشأ ومنه تبدأ[2].

وتؤكد هذا الاشتقاق المعاجم اللغوية التى تحدثت عن ثلاث مواد هى (بخر)[3] من البخار و(بحر)[4] من البحر وهو الماء الكثير والملح خاصة و(مخر)[5] من قولهم مخرت السفينة كمنع مخرا ومخورًا جرت أو استقبلت الريح فى جريها والفلك المواخر التى يسمع صوت جريها أو تشق الماء أو المقبلة والمدبرة بريح واحدة، وكل المواد الثلاث -كما نرى- يمكن أن تشتق منها (بنات مخر) ولكنها

(١) الخصائص ٢/ ٨٤-٨٦.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ٨١.

(٣) القاموس المحيط ١/ ٣٩.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٦٧.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٣١.

أقرب ما تكون إلى البخار المتصاعد من البحر، والباء والميم مخرجهما واحد فهما شفويان ومتفقان فى الجهر والاستفال والانفتاح والذلاقة وكل ذلك مسوغ للإبدال بينهما وعليه فإما أن نقول بإبدال أحدهما من الآخر أو بأن كلا منهما أصل لاختلاف الاشتقاق ومع قولنا بالإبدال فمن نطق بالميم كان حضريا ومن نطق بالباء كان بدويا وعلى اختلاف الاشتقاق فلا إبدال بل كل من اللفظين وجد فى بيئة لغوية على الوضع المذكور للبدو الباء وللحضر الميم كذلك فى مازلت راتما وراتبا أجار ابن جنى الإبدال لكثرة تصرف الباء قال: ظاهر من أمر هذه الميم أن يكون بدلا من باء راتب لأنا لم نسمع فى هذا الموضع رتم مثل رتب ثم أجاز مع ذلك كون كل منهما أصلا مستقلا عن الآخر قال ويحتمل الميم فى هذا عندى أن يكون أصلا غير بدل من الرتيمة وهو شىء كان أهل الجاهلية يرونه بينهم وذلك أن الرجل منهم كان إذا أراد سفرًا عمد إلى غصنين من شجرتين وقرب أحدهما من الآخر فعقد أحدهما بصاحبه فإذا عاد ورأى الغصنين معقودين بحالهما قال إن امرأته لم تخنه بعده وإن رأى الغصنين قد انحلا قال امرأته قد خانته.. والرتَمة أيضًا خيط يشد فى الأصبع ليذكر الرجل به حاجته وكلا هذين المعنيين تأويله الإقامة والثبوت فيجوز أن يكون راتم من هذا المعنى[1].

والباحث فى المعاجم يرى لكل من رتب ورتم معانى مستقلة بها وقد حكى الفيروزابادى فى مادة رتم القصة التى ذكرها ابن جنى وقال: ورتم فى بنى فلان نشأ وأخذه غَشْى من أكل الرتَم وهم رُتامى كسكارى وما رتم بكلمة ما تكلم[2] وغالبها يدور حول معنى الإقامة والثبوت حقيقة أو مجازًا وكذلك مادة (رتب) رتب رتوبا ثبت ولم يتحرك وترتب كقنفذ وجندب الشىء المقيم الثابت والمرتبة المنزلة[3].

وإذا كان الأمر كذلك كان رأى ابن جنى صائبًا إلا أننى أرى أنه لا داعى إلى اشتقاق الكلمة من الجامد (الرتيمة) ما دام هناك تصرف آخر للمادة فيجوز أن تكون

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨١ مخطوطة الأزهر.

(٢) القاموس ٤/ ١١٦، ١١٧.

(٣) المصدر السابق ١/ ٧١، ٧٢.

كل منهما بدلا من الأخرى خاصة بقوم دون قوم لاختلاف مادة الاشتقاق وكذلك رأيته من كثم وكثب رأيناهم يقولون: قد أكثب لك الأمر إذا قرب ولم نرهم يقولون: قد أكثم فالباء على هذا أعم تصرفا من الميم فالوجه لذلك أن تكون الباء هى الأصل لا الميم وقد يجوز أن تكون الميم أصلا أيضًا لقولهم أخذنا على الطريق الأكثم أى الواسع والسعة قريبة المعنى من القرب ألا ترى أنهما يجتمعان فى تسبيل سلوكهما وأنه لا يتسع الطريق ولا يكثر سابلته إلا لأنه أقصد من غيره والقصد - كما تراه- هو القرب فقد آلا إذًا إلى معنى واحد[١] والمادتان موجودتان فى القواميس تشتركان فى معنى القرب: الكَثْبُ الجمع والاجتماع والدخول وكثب عليه حمل وكنانته نكبها والكثبة بالضم القليل من الماء واللبن وكل مجتمع وأكثبه دنا منه وكاثبتهم دنوت منهم[٢] (كثم) القثاء ونحوه أدخله فى فيه فكسره وكنانته نكَثهَا والشيء جمعه وأكثمك الصيد قاربك[٣] فالمادتان فيهما معنى القرب الذى جمع بينهما وبهذا أمكن لكل منهما أن يكون بدلا من الآخر أو مستقلا بنفسه وليست الباء أكثر تصرفا من الميم وهذا كما تصور ابن جنى.

وفى طامه الله على الخير وطابه لم توجد مادة طام والطينة هى الخلقة والجبلة يقال فلان من الطينة الأولى فالمادة موجودة بالنون[٤] ونُغَبًا هى أصل (نُغَما) فى بيت من الشعر أورده، يقال: نغب فى الشراب والنغبة -بالضم- الجرعة وبذلك قرر ابن جنى إبدال الميم من الباء، ولكننا كررنا مرارًا أن كثره التصرف ليست مقياسًا مطردًا فمن الجائز إذًا أن تكون الميم أو الباء أصلا ويتصل قلب الباء ميما بما سماه ابن جنى (**إمساس الألفاظ أشباه المعانى**) مثل حبس وحمس وعلب وعلم قالوا: حبست الشيء وحمس الشر إذا اشتد والتقاؤهما أن الشيئين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازًا فكان ذلك كالشر يقع بينهما، والعلب: الأثر والعلم: الشق فى الشفة العليا والباء أخت الميم وذلك مبين فى باب الاشتقاق وضروبه[٥].

---

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ٨١ والوجه الأول من الورقة ٨٢.

(٢) القاموس ١/١٢١.   (٣) نفسه ٤/١٦٩.

(٤) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٢ ولسان العرب ١٧/ ١٤٠.

(٥) الخصائص ٢/١٤٧، ١٤٨.

ويبدو أن ظاهرة التبادل بين الباء والميم شائعة فـى الأسماء والأفعال وإن خصها بعضهم بالأسماء كالحريرى.

والتبادل ممكن بين الباء والميم فالباء أخت الميم تبدل منها[1] لكونهما من مخرج الشفتين. وبينهما تماثل فى الجهر، والاسـتفال والانفتاح والذلاقة، وإن كانت الباء شديدة والميم متوسطة.

ولا ريب أنه يمكن تفسير البـاء على أنها من نطـق البادية، أما الميم فـمن نطق الحاضرة فالباء لشدتها تناسب البدوى على حين أن الميم لتوسطها تناسب الحضرى.

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن هذه الظاهرة نشأت فى البيئات المنعزلة التى لا يجد فيها الطفل من يوجهـه إلى النطق الصحيح، وإصلاح أخطائه، لانشغال أهله عنه، وأنها غير مختصة بقبيلة معينة كقبيلة مازن أو غيرها، بل هى منسوبة إلى أى قوم منعزلين، وأن نسبتـها إلى قبيلة معينة هو من قبيل سمـاع الرواة لبعض أمثلتها فى هذه القبيلة ددون تحقيق أو نظر[2].

والواقع أن رأى هذا البـاحث تخـميـن لا ينبنى على أسـاس علمى، ولا دليل تاريخى، وخطأ الأطفال ليس أمـرا يحدث فى بيئات العرب الفـصحاء، وإن صح حدوثه فى بيئات أخرى أو فى الأزمان المتأخرة.

التاء والثاء

من ذلك فى مادة (خبت) فى اللسان):

يـنفع الـطيّـب الـقـليـل مـن الـرز ... ق ولا ينفع الكثـيــر الخــبـيـت

سأل الخليل الأصـمعى عن (الخـبيت) فى هذا البيت فـقال له: أراد (الخـبيث) وهى لغة خيبر.

وذكر ابن جنى فى اثّرد واتّرد واثار واتّار واثّنى واتّنـى ما يفيد التبـادل بين التاء والثاء يقول:

---

(١) الجمهرة ٢/٢٤١.

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٢٠.

واعلم أن التاء إذا وقعت فاء فى افتعل وما تصرف منه قلبت تاء وأدغمت فى تاء افتعل بعدها وذلك قولهم فى افتعل من الثريد اتّرد وهو مُتّرد وإنما قلبت تاء لأن الثاء أخت التاء فى الهمس قلما تجاورتا فى المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدًا[1] ثم قال: هذا هو المشهور فى الاستعمال وهو أيضًا القوى فى القياس ومنهم من يقلب تاء افتعل ثاء فيجعلها من لفظ الفاء قبلها فيقول: اثّرد واثّار واثنى كما قال بعضهم فى ادّكر اذّكر وفى اصطلحوا اصّلّحوا[2].

ونحن نرى أن إبدال الثاء من التاء والعكس أمر مستقيم وذلك لقرب مخرجيهما إذ التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والثاء من طرف اللسان إلا أنه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها فالفرق طفيف جدا، وإذا كان بينهما من الحروف فى الترتيب: ص -ز- س- ظ- ذ- فإن ذلك لا يعنى فارقًا كبيرًا بينهما لأن الخلاف غير كبير بين الثاء وما قبلها من الحروف الفاصلة والثاء -مع قرب مخرجها من التاء- تتفق معها فى صفات كثيرة وهى الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات، والثاء حرف يحتاج إلى مجهود عضلى فى نطقه مما دعا إلى تسهيله ولا يمكن هذا التسهيل -للسرعة فى النطق بتحويل الثاء إلى الذال إذ هى مثلها فى احتياجها إلى مجهود وكذلك الظاء لأنها مطبقة والزاى والصاد من حروف الصفير فما يناسبها فقط هو التاء، والنطق بالبتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع أهل البادية كما يقول الدكتور أنيس وبخاصة أن البدو يميلون إلى الأصوات الشديدة على حين يميل الحضر إلى الأصوات الرخوة[3] وقد تحولت الثاء إلى تاء فى كثير من الكلمات العامية للتخفيف والسهولة مثل التار -تمر- تعلب- تعبان إلخ وقد تحول بعضها القليل إلى سين مثل ثابت فإنها تنطق سابت كما صرح أستاذنا الدكتور نجا بوقوع ذلك فى اللهجة القاهرية[4].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٨٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٩٠.

(٣) فى اللهجات العربية من ١٠٠-١٠٧.

(٤) اللهجات العربية ص ٩٣.

ويمكن للباحث أن يتصور وقوع التصحيف بين التاء والثاء ويحتمل أن تنشأ بعض ألفاظ هذه الظاهرة عنه ومن ذلك بعض الأمثلة التى جمعها العلماء مثل: مرثاث -وفى لسانه رثة والصواب بالتاء- لث السويق وهى تاء- الشيثل: الوعل المسن والصواب بالتاء- الرثم- محركة- نبث والصواب بالتاء- يحيى بن أكثم وهى بالتاء[(١)]، فعلى الباحث أن يكون على وعى كبير ليميز بين ما كان من الإبدال وما حدث من وقوع التصحيف وقد ذكر ابن جنى أن بعض العرب يقلب التاء ثاء وبعضهم يعكس ذلك فهذا صريح فى أن منشأه اختلاف اللهجات.

وقلب الثاء تاء -على المشهور- يدل على أن التطور الصوتى قد فعل فعله عند من احتاج إلى السرعة والتخفيف فى النطق وأن ذلك قد حدث فى تاريخ اللغة الطويل فى لهجة واحدة أو فى اللهجات المتعددة.

التاء والدال

من أمثلة ذلك:

التفتر لغة بنى أسد فى الدفتر[(٢)].

والترياق فارسى معرب شفاء للسم لغة فى الدرياق[(٣)].

والستى لغة فى سدى الثوب.

الدخريص من الثوب والأرض والدرع: التبريز والتخريص لغة فيه[(٤)] التهتار من الحمق والجهل ولغة العرب فى هذه الكلمة خاصة: دهدار ويقول الأزهرى: منهم (يعنى من العرب) من يقلب بعض التاءات فى الصدر دالا نحو الدرياق لغة فى الترباق والدخريص لغة فى التخريص وهما معربان[(٥)].

---

(١) تشقيف اللسان ٤٨-٥٣ من باب التصحيف الذى يمتد إلى ص ٧٣. وانظر: القاموس ١/ ١٥٣، ٣/ ٣٥٢: ٤/ ١١٨، ١٧١ ويحيى بن أكثم يقال بالتاء الفوقية كما نقله الخفاجى وجزم به فى الدرة وغيره، وهو قاض علامة تولى القضاء فى زمن الرشيد وكان من بحور العلم.

(٢) القلب والإبدال ص ٥٤.

(٣) التهذيب ص ٩/ ٥٤.

(٤) التهذيب ٧/ ٦٥٥.

(٥) التهذيب ١/ ٢٣٣ وشفاء الغليل ص ٨٣ والمعرب ص ١٤٢.

ومن ذلك جاءنا بعد هدأة من الليل وهتأة من الليل وسبنتى وسبندى للنمر ومد في السير ومت[1]، ومكبود ومكبوت بمعنى حزين جاء في الحديث «رأى طلحة حزينا مكبوتا» أي شديد الحزن، قيل: أصله مكبودا بالدال فقلبت الدال تاء وكبت الله فلانا أي أذله وصرفه[2].

وفي الحديث «به لحادة ولحاته من لحم حتى يلقى الله وما على وجهه لحدة من لحم» أي قطعة، قال الزمخشري: ما أراها إلا لحاتة بالتاء من اللحت وهو ألا يدع عند الإنسان شيئًا إلا أخذه، وإن صحت الرواية بالدال فتكون مبدلة من التاء كدولج في تولج»[3].

وقد ذكر ابن جنى: ناقة تربوت وأصلها دربوت يقول: وقالوا: ناقة تربوت وأصلها دربوت وهي فعلوت من الدربة أي هي مذللة فالتاء بدل من الدال ولا شك أن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل فهما من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ويتفقان في صفات كثيرة هي الشدة والاستفال والانفتاح والإصمات والباحث في المعاجم يحس بهذا الإبدال فمادة (درب) تدور حول المران على الشيء مثل درَّبه به وعليه ضَرَّاه والمدرّب كمعظّم المنجّد المجرّب والمصاب بالبلايا ومن الإبل المخرَّج المؤدّب قد ألف الركوب وعُوِّد المشي في الدروب وقد درّبته تدريبا وجمل وناقة دروب ودربوت محركة ذلول أو هي التي إذا أخذت بمشفرها ونهزت عينها تبعتْك والدارية العاقلة والحاذقة بصناعتها والتدريب الصبر في الحرب وقت الفرار[4].

أما مادة (ترب) فكلها تتعلق بمعنى التراب المعروف والفقر من لوازمه كما في أترب لزق بالتراب أو قل ماله وكثر ضد وقد ذكر صاحب القاموس فيها تربوت وهي الناقة الذلول[5] ولا علاقة له فيما أرى بهذه المادة بل هو متصل بمادة درب

---

(١) الإبدال لأبي الطيب ١/١٠١، ١٠٢ والمزهر ١/٤٦٤.

(٢) النهاية ٤/١٣٨ (كتب).

(٣) المصدر السابق ٤/٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) القاموس المحيط ١/١٧٤.

(٥) المصدر السابق ١/٤٦.

مع إبدال الدال تاء والعلاقة المسوغة موجودة، والتاء مما يناسب الحضر والدال للبدو وقد ذكرت لهما أمثله كثيرة فى المخصص والمزهر[١].

كمـا ذكر أمثلة أخرى لـهذا التبادل فى قلب تاء الافـتعال دالا بعـد الزاى مثل ازدجر وازدار وازدهى وازدلف إلخ[٢].

وهذا الإبدال واجب عند جميع العرب.

كما ذكر إبدال التاء دالا فى صيغة افتـعل إذا وقعت بعد الجيم مثل أجدمعوا فى اجتمعوا وقول الشاعر:

فـقلت لصـاحبى لانحبـسـانا   ينزع أصـوله واجـدزّ شـيـحـا

ويقال: دولج فى تولج.

ويعلل لذلك ابن جنى فيقول: إن الزاى لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء فى المخرج وأخت الزاى فى الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التـاء أشبه الحروف من مـوضعها بالزاى وهى الدال فـقالوا: ازدجر وازدار[٣].

وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات وقد أبدلت الدال المجهورة بالتاء المهـموسة لتقـرب من الجيم المجهـورة ولأنها من نفس مخرج التـاء إذ التاء والدال من مخرج واحد[٤].

وقد أبدلوا الدال من تاء تولج فقالوا: دولج[٥] وهذا ما قال به سيـبويه فالدال بدل من بدل إذ التاء بدل من الواو والدال بدل من التاء[٦].

---

(١) المخصص ١٣/ ٢٨٠ والمزهر ١/ ٢٢٤.
(٢) سر الصناعة ١/ ٢٠٠.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠٠.
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٠٠، ٢٠١.
(٥) المصدر السابق ١/ ٢٠٢.
(٦) لسان العرب ٣/ ٢٢٤.

واتحاد المخـرج بين الحرفين والاتفاق فى صـفات كثيـرة مثل الشدة والاستـفال والانفتاح والإصمـات يبيح التبادل بين الحرفين والخلاف بينهمـا فى الجهر والهمس فإذا جهرت التاء صارت دالا وإذا همست الدال صارت تاء.

ولا ريب أن الجهر من خصائص البدو والهـمس من خصائص الحضر فلا مانع من أن يكون التطور الصوتى فى مـثل اجتمعوا إلى اجـدمعوا وتولج إلى دولج من خصائص بعض القبائل البدوية والصيغ التى بالتاء من خصائص بعض الحضر وابن جنى صرح بأن ذلك من اختلاف اللهجات وهو رأى سوى.

التاء والصاد

مثل: لصت ولصوت فى لص ولصوص.

والمخرج متقارب -على ما يرى القـدماء- مع اختلاف فى موضع طرف اللسان فهـو مع التاء يتصل بأصول الثنـايا العليا ومع الصاد يتصـل بأطراف الثنايا السفلى ولكن الوارد مثال واحد قال فيه ابن جنى بالإبدال[1] ويعلل ذلك الدكتور أنيس بأن التاء أخف من الطاء التى تناظر الصاد الرخوة فإذا نطق بـعضهم الصاد شديدة فهى الطاء وإذا رقـقت فـهى التـاء فكان التطور هكذا: ص -ط- ت، ولكن لماذا كـان الوارد مثالا واحدًا مـا دام التقارب الصوتى موجودا؛ ألا كثـرت أمثلة التبادل؟ ربما كان من تلاعب بعـضهم فى الاستـعمال وقد جـعله صاحب المخصص من قـبيل اختـلاف اللغات قال أبـو عبيـد: اللص واللصت وقال مرة اللـص فى لغة طيىء وغيرهـم اللصت وهم يقولون طس وغيرهـم طست[2].

ولعل رأى الأستاذ برجشتراسر بتعريب الكلمة مما يؤكد ن العرب لـم يبدلوا التاء من الصاد فى شىء من الكلمات وقد اشتبـه على اللغويين أمر هذه الكلمة «فكلمة لص معربة من اليونانية بواسطة الآرامية أى السريانية وهو فى اليونانية Lestes وفى السريانية Lesta,Lastes فالصاد بعد التعـريب مبدلة من التاء لا العكس وهى كلمة أجنبية عن العربية[3].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٧٣.

(٢) المخصص ١٣/ ٢٨٠.

(٣) التطور النحوى.

فى حديث غسل الحيض «نبذة من كُست أظفار» وهو القُسط الهندى: عقار معروف وفى رواية كُسط -بالطاء- وهو والقاف والكاف يبدل أحدهما من الآخر[1].

وفى حديث عبد الله بن مسعود «لا غلت فى الإسلام» والغلت فى الحساب كالغلط فى الكلام وقيل هما لغتان.

وفى حديث عمر «لما مات عثمان بن مظعون على فراشه قال: هبته الموت عندى منزلة حيث لم يمت شهيدًا» أى حط من قدره فى قلبى وهبت وهبط أخوان[2].

وفى المزهر: الأقتار والأقطار: النواحى ورجل تبن وطبن ككتف وما أستيع وما أسطيع[3].

ويقال: لتخه ولطخه -كمنعه-: لوثه، سكران ملتخ وملطخ أى مختلط العقل[4].

والعتعت والعطعط كبلبل: الجدى والترفة والطرفة: ما خصصت به الإنسان من تحفة تتحفه بها[5].

وجاء فى اللسان: أفلطى الرجل إفلاطا مثل أفلتنى وقيل لغة فى أفلتنى تميمية قبيحة[6].

وفى الأشمونى: أفلط أى أفلت فإن طاءه بدل من التاء لأن التاء أغلب فيه فى الاستعمال[7] ولذا وصفت الطائية بالقبح لقلة استعمالها.

---

(١) النهاية ٤/ ١٧٢ (كست).

(٢) المصدر السابق ٥/١٣٨ وغريب الحديث لأبى عبيد ٤/١١٢ والقاموس ١/١٦٦.

(٣) المزهر ١/ ٤٦٤ وتبن وطبن بمعنى فطن. القاموس ٤/٢٠٧، ٢٤٦.

(٤) الإبدل لأبى الطيب ١/ ١٢٦ والقاموس ١/٢٧٨.

(٥) الإبدال الطيب ١/١٢٧ والقاموس ١/١٥٨، ٢/ ٣٨٧.

(٦) اللسان (فلط) ٥/ ٤٦١ والمزهر ١/ ٢٢٤.

(٧) ٢/ ٥٩٠.

قال ابن جنى: وأما قولهم فى فسطاط فستاط فالتاء فيه بدل من الطاء لقولهم فى الجمع فساطيط ولم يقولوا فساتيط فالطاء إذن أعم تصرفا[1] وفى الخصائص أورد فيها ست لغات هى: فسطاط وفستاط وفساط وبكسر الفاء أيضًا وقد حاول أن يرجح إبدال التاء فى فستاط من سين فساط على إبدالها من طاء فسطاط بأن قال: إنك إذا حكت بأنها بدل من سين فساط ففيه شيئان جيدان أحدهما تغيير الثانى من المثلين وهو أقيس من تغيير الأول من المثلين لأن الاستكراه فى الثانى يكون لا فى الأول والآخر أن السينين فى فساط ملتقيتان والطاءين فى فسطاط منفصلتان بالألف بينهما واستثقال المثلين ملتقيين أحرى من استثقالهما مفترقين وأيضًا فإن السين والتاء جميعًا مهموستان والطاء مجهورة[2] وقرب المخرج بين هذه الحروف مسوغ للتبادل ولو فرض أن التاء أبدلت من سين فساط فإنها إما أن تكون أبدلت من الطاء أيضًا أو أبدلت منها الطاء لأن اللسان إذا ارتفع مع التاء كانت طاء والحروف الثلاثة (ت -د- ط) لها علاقة صوتية تجعلها وحدة متماسكة مما يسوغ التبادل بينها على أن كل حرف منها له موقعه الخاص المناسب للحدث الذى يلائمه، وقد فسر ذلك ابن جنى فى مثل: قتر -قدر- قطر[3] وبنى على ذلك رأيه فى الاشتقاق الأكبر الذى سماه **إمساس الألفاظ أشباه المعانى**[4].

وقال بعض العرب استاع يستيع بمعنى اسطاع يسطيع وبعضهم يقول أسطاع يُسطيع بقطع الهمزة بمعنى أطاع يطيع فالتاء بدل من الطاء لا محالة[5].

وقال صاحب اللسان: إنه قلب الطاء تاء ليشاكل بها السين لأنها أختها فى الهمس ولا ريب أن الطاء من خصائص البدو والتاء من خصائص الحضر لحاجة البدو إلى تفخيم الحروف والحضر إلى الترقيق وعلى هذا النحو من إبدال التاء طاء ما أحدثه العربى فى صيغة (افتعل) فتاء افتعل إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٧٤.

(٢) الخصائص ٢/ ٨٧.

(٣) نفسه ٢/ ١٦٢.

(٤) نفسه ٢/ ١٥٢.

(٥) اللسان ١٠/ ١١٤ والقاموس ٣/ ٦٣.

أو ظاء تقلب طاء ألبتة وذلك قولك من الصبر: اصطبر ومن الضرب: اضطرب ومن الطرد: اطّرد ومن الظهر: اظطهر بحاجتي.. وأصل هذا كله اصتبر واضترب وأطترد واظتهر ولكنهم لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف والتاء مهموسة وهذه الأحرف مطبقة والتاء مخفتة قربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء والظاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء لأن الطاء أخت التاء فى المخرج وأخت هذه الأحرف فى الإطباق والاستعلاء وقلبوها مع الطاء طاء أيضًا لتوافقها فى الجهر والاستعلاء وليكون الصوت متفقا[1].

وهذا التبادل نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض إذ لا يمكن النطق بالتاء المهموسة المستفلة بعد الحروف المطبقة فدعا ذلك إلى نوع من التماثل والانسجام فحولت التاء إلى طاء تماثل الصاد وأخواتها فى الإطباق والاستعلاء وهذا ما أوضحه أستاذنا الدكتور نجا حين قال «إذا رجعنا إلى كتب التصريف عند عرضها لصيغة افتعل وبنائها من كلمة مبدوءة بحرف مطبق وجدنا أن السياق والانسجام يدعوان إلى تحويل التاء وهى صوت مستفل إلى الطاء ليحصل التماثل ويتم الانسجام[2] وهو بهذه الصورة التى تحدث عنها ابن جنى يدعى فى الاصطلاح الحديث باسم المماثلة وقد تحدثنا عن نوعيها التقدمى والرجعى[3] وقلب تاء افتعل على الصورة السابقة من النوع التقدمى الذى يتأثر فيه الصوت الثانى بالأول وقد يقلبون التاء من جنس الحرف الأول مثل اصّبر واضّرب، واظّهر ومظّهر وهذا من النوع التقدمى الذى يتأثر فيه الصوت الثانى بالأول أيضًا ويروى فى اظطلم أربعة أوجه الأول هو السابق وهو تأثر تقدمى ويقال فيها اظّلم وهو تقدمى كسابقه ويقال اطّلم بالطاء فتبدل الظاء طاء وتدغم الطاء فى الطاء وذلك لما بين الظاء والطاء من المقاربة فى الإطباق والاستعلاء[4] وهذا التأثر رجعى تأثر فيه الصوت الأول بالثانى إلى حد أنه فنى فيه[5] ويقال انظلم[6] وهو انفعل ويعرف فى علم الأصوات الحديث باسم المخالفة

---

(١) سر الصناعة ١/٢٢٣.
(٢) الأصوات والتجويد ص ٧٩.
(٣) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية ط ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها.
(٤) سر الصناعة ١/٢٢٤.
(٥) الأصوات اللغوية ص ١٢٩.
(٦) سر الصناعة ١/٢٢٥.

وهى أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين[1] فلا يعدو الأمر أنه قد لجئ إلى عملية المخالفة ليخالف بين الظاءين المتجاورتين بأن استبدلت إحداهما نونا ليزيد النطق تيسيرا[2]، وهذا النوع الذى أطلق عليه علماء الأصوات المحدثون اسم المماثلة قد طبقه اللغويون العرب على تاء فعلت فيقلبونها طاء حين يقع قبلها حرف من حروف الإطباق أيضًا مثل فحصط برجلى إذ أصلها فحصت وقول الشاعر:

وفى كل حيّ قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب

ومن أمثلة ذلك فى القراءات قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢] قرأ الجمهور: أحطت -بالطاء والتاء دون إدغام، وذلك لعدم توافر شروط الإدغام، وقرئ: أحطّ- بتحويل التاء إلى طاء، وإدغامها فيها- وذلك جائز فعند تجاور حرفين متقاربين يقلب بعض العرب أحدهما إلى صاحبه عند سكون الأول منهما مراعاة للخفة بالتماثل.

وهى لغة تميم كما يقول صاحب المخصص. قالوا فحصط برجلك يريدون فحصت وحصط يريدون حصت[3]. فالتميميون يفضلون الحرف الشديد المجهور وهو الطاء المفخمة على حين يفضل الحجازيون التاء المهموسة المستفلة وقد تحدث ابن جنى عن مبدأ المماثلة المذكور ودعاه بأنه تقريب الصوت من الصوت وسلكه فى باب الإدغام[4].

التاء والكاف

ذكر ابن جنى أن الكاف لا تكون بدلا[5] ولكنه ناقض هذا القول حين ذكر أنها تبدل من التاء وقال: أنشدنا أبو على:

يا ابن الزبير طالما عصيكا ... وطالما عنيتنا إليكا

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٥٢ وانظر ذلك فى الخصائص ٢/ ١٤١.

(٢) الأصوات اللغوية ص ١٥٥.

(٣) المخصص ١٣/ ٢٧.

(٤) الخصائص ٢/ ١٣٩-١٤٥.

(٥) سر الصناعة ١/ ٢٨٠.

أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس وكان سحيم - إذا أنشد شعرا جيدا - قال: أحسنك والله يريد أحسنت[1]، والواقع أن التاء والكاف متباعدان مخرجا فالكاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتاء من طرفه مع أصول الثنايا إلا أنهما -رغم ذلك- متفقتان فى جميع الصفات وربما كان لذلك أثر فى تبادلهما.

ويفسر المحدثون إبدال الكاف من التاء بأن الصوت قد انتقل من مخرجه إلى مخرج آخر فقد انتقلت التاء من مخرجها متجهة نحو أقصى الحنك[2]، ونحن نعرف أن سحيما هذا الذى يقول أحسنك فى أحسنت كان ضعيف اللسان فعنده شىء من اللثغ كما قال ابن جنى سابقا[3] وطريقة الأطفال تجرى عكس هذا النمط مثل تسب فى كسب وتُله فى كُله ونحو ذلك لعدم تمكن جهازهم الصوتى من إخراج الكاف التى تصعب عليهم فيبدلون منها التاء[4] وعلى كل فالكاف أصعب من التاء ويبدو أن الناطقين بالكاف فى مثل ذلك كانوا من البداة وقد وصف الأشمونى هذه الظاهرة بالاطراد[5] ولعله يقصد بذلك اطرادها فى لهجة من اللهجات العربية لا الاطراد العام فى كل اللهجات.

التاء والهاء

من ذلك ما يحدث حال الوقف على مثل جوزة ورُوى كيف البنون والبناه وكيف الإخوة والأخواه؟ وذلك شاذا وأيضًا: التابوه فى التابوت وبعضهم يقول: اللاه فى الوقف على اللات.

والمعروف أنه -كما ذكر ابن جنى- يوقف على تاء التأنيث بالهاء فى مثل فاطمة وفاتحة إلخ وقد أجرى بعض العرب على ذلك شذوذا الوقف على تاء جمع المؤنث

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٨١.

(٢) التجويد والأصوات ص ٨٢ والأصوات اللغوية ص ١٢٣.

(٣) سر الصناعة ١/ ٢١٤.

(٤) وقد أورد الدكتور أنيس أمثلة من لغتنا العامية لقلب الكاف تاء مثل (استنجرية) فى اسكندرية فانتقل مخرج الكاف متجها نحو أصول الثنايا فاستبدل بها التاء. الأصوات اللغوية ص ١٣٣.

(٥) الأشمونى ٤/ ٢٨٢، ٢٨٣.

الســالم بقلبهــا هاء وهم قبـيلة طيىء[1] وقد سـمع بعضهم يقـول: (دفن البناه من المكرماه)، ولكن الدكتور أنيس يرى أن تاء التأنيث لا تنقلب هاء فى الوقف ويقول:

إن هذه الظاهرة ليست فى الحـقيقة قلب صوت إلى آخـر بل هى حذف الآخر من الكلمـة، وما ظنه القدمـاء هاء متطرفـة هى فى الواقع امتداد فى الـنفس حين الوقوف على صوت اللين، ويصدق ذلك على الأسماء المؤنثة المفردة التى تنتهى بما يسمى بالتـاء المربوطة فليس يوقف عليها بالهـاء كما ظن النحاة بل يحـذف آخرها ويمتد التنفس بما قـبلها من صوت لين قصير (الفـتحة) فيخيل للسـامع أنها تنتهى بالهاء[2] ويؤيده فى رأيه السابق الدكتور عبد الصبور شاهين إذ ليس لرأى القدامى ما يسنده من الناحيـة الصوتية فلا تقارب بـين تاء التأنيث والهاء[3] ولكن الملاحظة الصوتية تثبت وجود الهاء حال الوقف على الاسم المؤنث بالتاء.

وقد أثبـت ابن جنى لكلمتى التـابوت والنابوه أصلين فالأولى من مـادة (تبت) والأخرى من مـادة (تبه) وأوضح -مع ذلك- أن الهاء بدل من التاء قـال «أما ظاهر الأمر فأن يكون هذان الحرفان من أصلين أحدهما (ت ب ت) والآخر (ت ب ه) ثم من بعد هذا فالقول أن الهاء فى التـابوه بدل من التاء فى التابوت وجاز ذلك لما أذكره وهو أن كل واحد من التـاء والهاء حرف مهـموس ومن حروف الزيادة فى غيـر هذا الموضع وأيضًا فقـد أبدلوا الهاء من التـاء التى للتأنيث فى الوقف فـقالوا حمزه وطلحـه وقائمه وجالسه وذلك منقاد مـطرد فى هذه التاء عند الوقف ويؤكد هذا أن عامة عقيل فيما لا نزال نتلقاه من أفواهها تقول فى الفرات: الفراه بالهاء فى الوصل والوقف وزاد فى الأنس بذلك أنك ترى التاء فى الفرات تشبه فى اللفظ تاء فتاة وحصـاة وقطاة فلما وقف وقد أشبه الآخر الآخـر أبدل التاء هاء ثم جرى على ذلك فى الوصل[4] وذكر الجوهرى أن أصل تابوت تابوه مثل ترقوة وهى فعلوة فلما سكنت الواو انقلبت هاء التـأنيث تاء قال ابن برى: التصريف الذى ذكـره الجوهرى

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٧.

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٣٦.

(٣) القراءات القرآنية ص ٨٣ والتعليق ص ٣٩٦.

(٤) المحتسب ١/١٢٩، ١٣٠.

فى هذه اللفظة حتى ردها إلى تابوت تصريف فـاسد. والمعاجم تنص على أن التاء لغة قريش والهاء لغة الأنصار قال القاسم بن معن: لم تختلف لغة قريش والأنصار فى شىء من القرآن إلا فى التابوت فلغة قريش بالتـاء ولغة الأنصار بالهاء وقال أبو بكر بن مجاهد التابوت بالتاء قراءة الناس جميعًا ولغة الأنصار التابوه بالهاء[1].

ويرى الدكتـور شاهين أن الكلمـة مشتـركة بين العـربية والعـبرية وعلل ورود الوجهين بما يأتى:

١- تابوه وإن كان لغة للأنصار فهو لغة مـأخوة ولا شك من مخالطتهم لليهود بالمدينة وتأثير هؤلاء فى الحياة العربية فى المدينة قبل الإسلام معروف.

٢- تابوت يمكن تفسيره من حياة زيد بن ثابت نفسه فـقد كان مهتما بتعلم السريانية والعبرانية بتأثير من النبى ﷺ وقد ذكر الخبر المروى فى ذلك أنه تعلم كلتيـهمـا فى مدة وجـيزة[2] ويقول الـدكتور شـاهين: وإنما يعزز دعـوانا بأن الأنصار أخذوا هذا النطق عن العبرية أن زيدا قرأ به وبما أثر عن النطق الآرامى من ناحية وأن العرب فى رسمهم للكلمة كانوا يحسون بأنها فى الواقع لا تشبه فتاة وحـصاة وقطاة تلك الكلمات التى تكتب هاء وتنطق فى الـوصل تاء فهذه كلمات عربية خالصة أما تلك ففيها رائـحة أعجمية تميزها عنها والاحتجاج بأن عامة عقيل قالوا فى الفرات (الفراه) لا يعـدو أن يكون وصفا للهجة بعيدة عن لغة الأنصـار التى تعودت هذا الـوجه فى كلمة بعـينها مـشتـركة بين العـبرية والعربية[3].

ونحن لا نرى مـانعا من عربيـة الكلمة فـهناك العديد من الألفـاظ المشتـركة بين العربية وأخواتها السـاميات ولا يقلل ذلك شيئًا من عربيتـها ومع تسليمنا بجواز تأثر الأنصار باليهود فى نطق تلك الكلمة لا تمنع وجود ذلك كلهجة عربية أصيلة فى مثل

(١) لسان العرب ١/ ٢٢٧، المحتسب ١/ ١٢٩.

(٢) سبع عشرة ليلة. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ط بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م المجلد الثانى ص ٣٥٨، ٣٥٩ وتوفى زيد سنة خمس وأربعين من الهجرة. المصدر السابق ٢/ ٣٦٠.

(٣) القراءات القرآنية ص٣٩٥، ٣٩٦.

(الفراه) فى لغة عـامة عقيل ووأد البناه من المكرمـاه، فى لغة طيىء ويمكن أن يكون ذلك جرى أولا فى حال الوقف ثم سرى إلى الوصل كما ذكر ابن جنى[1].

وحـديث ابن جنى عن كلمـة (اللاه)، فى الوقف على اللات يؤكـد أنه من باب اختـلاف اللهجات فـقد صرح بأن بعض العـرب ينطق بذلك فى الوقف، وهذا الإبدال لهجة عربيـة يؤيدها لهجة طيىء السابقة ولهجـة عقيل، وربما كان نطق اللاه بهذا الوضع منسوبا إلى إحداهمـا وقد ذكرت كتب اللغة أن (اللات) مشـتقة من لويت عليه أى عطفـت عليه وأقمت وقيل: إنه مـأخوذ من لاه الله الخلق: خلقـه وقيل غـير ذلك[2] وعلى الاخـتلاف فى اشـتقاقـها -بوجـوهه المتعددة- اختلف فى التاء هل هى أصلية أو مبدلة من واو أو هاء والاحتمالات تجد على كل ما يسوغها.

الثاء والحاء

نفى ابن جنى أن يقع الإبدال بين الثاء والحاء، فأمـا قول من قال فى قول تأبط شرا:

كـأنما حـثـحـثـوا حـصـا قـوادمـه أو أم خـــشـف بذى شـث وطبـــاق

إنه أراد: حثثوا فـأبدل من الثاء الوسطى حاء فقد دفعـه وقال: إنه مردود عندنا والعلة فى فسـاده أن أصل القلب فى الحروف إنما هو فيمـا تقارب منها فـأما الحاء فبعيدة من الـثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختـها وحثحث أصل ثلاثى وليس واحد منـهما من لفظ صـاحبه إلا أن حـثحث من مضـاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثى فلما تضارعا بالتضـعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما وهذا هو حقيقة مذهبنا[3] وقد مر ذلك.

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٧.

(٢) اللسان ٢٠/ ١٣٥ والقـاموس ٤/ ٣٣٢، ٤٤٩ وقد ذكرها فى المواد الآتية: لوى، لـوه، له، وقد ذكر فى (لتت) اللات مشددة التاء صنم قيل: سمى بالذى كان يلت عنده السويق بالسمن ثم خفف ١/ ١٨٠.

(٣) سر الصناعة ١/ ١٩٧، ١٩٨.

وفى هذا تطبيق لمبدأ تقارب المخارج فقط وأنه هو المعتمد لا تقارب الصفات فالملاحظ أن الثاء والحاء متفقان فى الصفات التى هى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات ولكن ذلك لم يعتمده ابن جنى لبعد المخارج وقد فسر المثال السابق بأن مادة اللفظتين مستقلة فى اشتقاقها عن الأخرى فلا صلة بينهما إلا عند من لا فطنة له بالاشتقاق وأصوله وهذا يتضح بالرجوع إلى المعاجم اللغوية[1].

ونحن مع ابن جنى فيما ذهب إليه إذ لابد أن تكون المخارج متقاربة للحكم بالإبدال ولا بد أيضًا أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقا.

الثاء والذال

من ذلك:

جذوت وجثوت، قرأ فما تلعذم وما تلعثم، قرب حذحاذ وحثحاث.

جعل ابن جنى كلا من الكلمتين فيما سبق من الأمثلة أصلا مستقلا بنفسه، وليس بدلا من صاحبه وهذا على ما بدا له من تصرف كل منهما تصرف الآخر - بالنسبة للمثالين الأولين- وعلى ذلك فهما لغتان، يقول ابن جنى:

«وأما قولهم: جذوت وجثوت. إذا قمت على أطراف أصابعك وقرأت على أبى على:

إذا شئت غنتنى دهاقين قرية وصناجة تجذو على كل منسم[2]

فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه بل هما لغتان وكذلك قولهم أيضًا قرأ فما تلعثم وما تلعذم وقولهم قرب حذحاذ وحثحاث إذا كان سريعًا وهو طلب الماء ليس أحدهما بدلا من صاحبه لأن حثحاثا من قول تأبط شرا (**كأنما حثحثوا حصا قوادمه... إلخ**) أى أسرعوا به وحذحاذ من معنى الشيء الأحذ ويقال صريمة حذاء إذا كانت ماضية وحذحاذ وإن لم تكن من لفظ الأحذ فإنها قريبة منه[3].

---

(١) القاموس ١/ ١٦٤.

(٢) دهاقين: بائع الخمر -صناجة: من تلعب بالصنج -منسم: أطراف الأصابع.

(٣) سر الصناعة: ١/٢٠١، ٢٠٤.

ونحن نرى أنه لا مانع من التبادل لأن مخرجهما واحد وصفاتهما متحدة إلا فى الجهر والهمس ولكن لنا ملاحظة على المثال الأول فقد ادعى ابن جنى أن الجثو والجذو بمعنى واحد وهو القيام على أطراف الأصابع وليس ذلك مسلما له ولا لمن تابعه بل إن الجثو يكون على الركب والجذو يكون على أطراف الأصابع وبذلك اختلف معنى كل من اللفظين فلا إبدال بينهما، والباحث فى المعاجم يرى أن معنى جذا أعم من معنى جثا ففى مادة (جذو) يقول الفيروز ابادى «جذا جذوا بالفتح وكسُموّ ثبت قائما كأجذى أو جثا أو قام على أطراف أصابعه»[1]. فالتشابه حدث من قبيل الاتفاق فى بعض المعانى وبهذا يعد كل منهما أصلا مستقلا لأن شرط الإبدال اتحاد المعنيين ونحن مع ابن جنى فى المثال الثالث فقد اختلف المصدر الذى اشتق منه كل من اللفظين، فالاتفاق بينهما حدث -بعد مراحل الاشتقاق- من قبيل المشاكلة اللفظية مع اختلاف أصل كل منهما ويؤيد ذلك وجود كل من المادتين بمعان مستقلة فى قواميس اللغة.

مادة حث: حثه عليه واستحثه وأحثه وحثثه وحثحثه: حضه فأحتث لازم متعد والحثحوث الكثير والسليم والمنكرة من المعزى والحَثُوث السريع أيضًا وحثحث حرك والبرق اضطرب فى السحاب[2].

مادة (حذ) الحذّ القطع المستأصل حذّه قطعه قطعا سريعا مستأصلا والحذذ السرعة والخفة وقيل للقطاة حذاء لقصر ذنبها مع خفتها وسمى سقوط الوتد فى الكامل حذذا لأنه قطع سريع مستأصل وبذا قال ابن جنى: لما قطع آخر الجزء قل وأسرع انقضاؤه وفناؤه واليمين الحذاء السريعة يقتطع بها الحق[3]. والأحذّ الخفيف اليد والضامر والأمر الشديد المنكر[4]، ففى كل من المادتين نرى اتجاها مختلفا عن الآخر فالأولى يدور معناها حول التحاض والسرعة والثانية حول القطع الذى قد تسبب عنه الإسراع والخفة، فكل منهما أصل برأسه وقد أصاب ابن جنى حين قال

(١) القاموس المحيط ٤/ ٣٦١، ٣٦٢.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٤.
(٣) اللسان ٥/ ١٥.
(٤) القاموس ١/ ٣٥٢.

إن الأولى مأخوذة من حثحث والثانية من معنى الشيء الأخذ، فاختلف الاشتقاق ولكنهما التقتا بمشاكلة لفظية على ما ترى.

الثاء والفاء

في أول الكلمة: الفروة كالثروة -في بعض اللغات- وهو الغنى، وثلغ رأسه وفلغة: شدخه، وفي الحديث: **إذا يفلغوا رأسي** ويروى **يثلغوا رأسي**، وفي حديث إسلام عمر: «**فأقبل شيخ عليه حبرة وثوب فرقبي**، والفرقبية والثرقبية ثياب مصرية بيض من كتان ويروى بقافين منسوب إلى فرقوب مع حذف الواو في النسب كسابِرِيّ في سابور[1] وغلام ثوهد وفوهد: تام[2].

ومن ذلك: ثروغ الدلو وفروغه، وفناء الدار، وثناؤها وقام زيد ثم عمر، وفم عمر،، وفوم وثوم[3].

وفي وسط الكلمة: جثلته الريح مثل جفلته، والحثالة والحفالة: أرذال الناس، وفي الحديث: **وتبقى حفالة كحفالة التمر**، أي رذالة من الناس كرديء التمر ونفايته وهو مثل الحثالة بالثاء[4]. والمغافير والمغاثير، وفي حديث سحر النبي ﷺ: «**ودفن تحت راعوثة البئر**» والمشهور بالفاء وهي هي[5] والأرثة والأرفة: الحد بين الأرضين[6]. وعافور وعاثور ونفي ونثي لما نفاه الرشاء من الماء عند الاستقاء[7].

وفي آخر الكلمة: أثاث وأثاف والجدف لغة في الجدث وهو القبر. وقد ذهب ابن جني إلى جواز وقوع الإبدال بين الثاء والفاء وأن تكون كل منهما أصلا، لكنه في بعض الأمثلة جعل الثاء هي البدل وذلك في ثروغ الدلو وفروغه وأثاث

---

(١) النهاية ٣/ ٤٤٠ (فرقب).
(٢) الجمهرة ٢/ ٣٠٤ والإبدال ١٨٢-١٨٤ والمزهر ١/ ٤٦٥.
(٣) سر الصناعة ١/ ١٩١ وما بعدها.
(٤) النهاية ١/ ٢٣٤ (حثل).
(٥) المصدر السابق ٢/ ٣٤.
(٦) الجمهرة ٢/ ٣٣، ٦٧ والإبدال ١٨٦ والمحتسب ٢/ ٦٢.
(٧) سر الصناعة ١/ ٢٤٩ وما بعدها والمحتسب ٢/ ٦٢.

وأثاف، وفى بعض الأمثلة الأخرى جعل الفـاء بدلا من الثاء مثل: جدث وجدف وثم عمرو وفم عمرو وعافور وعاثور وفناء الدار وثنائها ونفى ونثى.

وقال بأصالة الحرفين حال اختـلاف المعنى كما فى ثوم وفوم، وفى المثال (ثروغ وفروغ) كان واضح الرأى إذ يقول:

وقـرأت على أبى على بـإسناده إلى يعقـوب قـال: يقـال: هى فـروغ الدلو وثروغها. فالثاء إذًا بدل من الفـاء لأنه من التفريغ. وأما فى المثال: (أثاث وأثاف) فلم يجزم بالإبدال على أساس الاحتمال الذى بدا فى الكلمتين فإذا كانت الكلمتان من مادة واحدة فلا مناص مـن القول بالإبدال، وإذا اختلفت المادتان فليس الإبدل أمرا محقـقا، قال ابن جنى: «فأما قولهم فى أثاف: أثاث بالثـاء فمن كانت عنده فُعْلية فجائز أن تكون الثـاء بدلا من الفاء لقول النابغة: **(وإن تأثفك الأعداء بالرفد)** وجـائز أن تكون من أثّ يـئِثّ إذا ثبت واطمـأن لأنهم يصـفـون الأثـافى بالخلود والركود والوجه أن تكون الثاء بدلا من الفاء أيضًا لأنا لم نسمعهم قالوا أُثية»[١].

ونحن نرى أن الفاء والثاء قريبا المخـرج بل إن الفاء تلى الثاء فى ترتيب مخارج الحروف ويشتركـان فى جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفـاء والإصمات للثاء وهذا مما يسوغ التبادل بينهما واللغويون يجعلون الفاء للحجازيين والثاء للتميميين[٢] وهو فى فروغ وثروغ كان موفقـا إذ مادة فرغ هى الأصل والثاء بدل منها[٣]، وبالبحث عن اشتـقاق أُثفيّة وجـد أنها كمـا يقول ابن جنى: يمكن أن تكون من ثفاه يثـفوه ويثفيه تبعه أو جاء فى إثره فتكون الفاء عين الكلمة ووزنها أُفعولة ويمكن أن تكون من أثفت القدر فهى مـؤثفة على حد قول النابغة الـسابق، وهو من قولك: أثفت الرجل أثفه: إذا تبـعته والآثف التـابع ويقال: تأثف الرجل المكان إذا لم يبـرحه، وتكون الهـمزة فاء الـكلمة والفـاء لامها ووزن أثفـية على هذا (فُـعْلية) وأصـلها (فُعلوية) كما يقول الليث[٤] وعلى أساس هذا الاشتقاق تتصل (أثاف) بـ(أثاث) أو

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٩١.

(٢) المزهر ٢/ ٢٢٤ والمخصص ١٣/ ٢٨٦.

(٣) لسان العرب ١٠/ ٣٠٤.

(٤) المصدر السابق ١٨/ ١٢٢-١٢٤.

تبتعد عنها، فعلى الاشتقاق الأول تكون أصول كلمة (أثاف) هى الثاء والفاء والياء (ثفى) واللام حذفت علـى حد الإعلال فى قـاض ونحوه وأما (أثاث) فـإن العين (هى الثاء الأخيرة) وبهذا قد وضح إبدالها من الفاء التى هى أصل العين.

وأما على الاشـتقاق الثـانى (أثف) فالهمـزة هى الفاء والثاء هى العـين والفاء الأخيـرة هى اللام وعلى هذا الاشتـقاق أيضًا يتـحقق الإبدال بين الثـاء والفاء فى موقع لام الكلمـة، على أننا عند التأمل يمكن أن نـتصور أن كلمـة (أثاث) ليست مشـتركـة مع أثاف بل هى من مادة أخـرى وهى: أثّ يئِثّ ويؤُثّ إذا كثـر والتف والمؤثث الموطأ الموثر[1].

وفى هذا معـنى ثبات الشىء فى مـوضعه واسـتقـراره فى مكانة مما يتناسب مع الأثاثى التى هى الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها[2] وفى ذلك معنى اطمئنان القدر الموضوعة على الحجارة وثباتها وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقا فلا إبدال بين الكلمتين، وربما أفـاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة مـن العرب فالأولى بالفاء حجـازية والثانية بالـثاء تميمـية، ولكن ابن جنى على الرغم من ذلك يثـبت جواز الإبدال أيضًا بل يرجحه ولو مع بُعد الاشتقاق لأن المفرد معروف للأثافى وهو أثفية ولم يرد أثية عن العرب ونقول له: إن ذلك ليس حـجة لجواز أن تكون الكلمة التى تصور فقدانها موجودة فى الجزيرة العربية ولم يصل إليها الرواة[3].

ومن كل هذا نستطيع أن نقـول: إنه إذا كانا من مادة واحـدة فالإبدل مستـساغ لقرب الحرفـين وأما إذا اختلفت مـادة الاشتقاق فلا إبدال لأن الاتـفاق حدث من التشابه بين الكلمتين فى الصورة مع اختلاف المعنى الأصلى للمادتين، ومن الأمثلة التى أوردها ابن جنى وغيرها نؤكد وقـوع الإبدال بين الحرفين والثاء هى البدل لأن المادة اللغوية عرفت فى كليـهما بالفاء أو تكون كل منهما أصلا مـعروفًا فى إحدى اللهجات العربية فالفاء للحجاز والثاء لتميم.

---

(١) القاموس ١/ ١٦١.

(٢) لسان العرب ١٨/ ١٢٢.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٧.

وجعل ابن جنى الفاء بدلا من الثاء فى قام زيد فُمّ عمرو وثُم عمرو وجدف وحدث وقال عن الأول منهما: الفاء بدل من الثاء فى ثم ألا ترى أنه أكثر استعمالا[1] وقال عن الثانى: والوجه أن تكون الفاء بدلا من الثاء لأنهم قد قالوا فى الجمع أجداث ولم يقولوا أجداف[2].

وقال فى المحتسب: وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أوسع تصرفا من صاحبه[3].

وأما فناء الدار وثناؤها فقد جعلهما أصلين لاختلاف الاشتقاق فقال: وأما فناؤها فمن فنى يفنى لأنها هناك تفنى لأنك إذا تناهيت إلى أقصى حدودها فنيت وأما ثناؤها فمن ثنى يثنى لأنها هناك أيضًا تنثنى عن الانبساط لمجىء آخرها وانقضاء حدودها[4].

وبذلك وجدنا لثناء من الاشتقاق ما وجدناه لفناء ألا ترى أن الفعل يتصرف منهما جميعًا[5].

وهذا تفسير صحيح لأن المعنيين حينئذ قد التقيا بطريق الاتفاق والمجاز، وأما عافور وعاثور فقد جوّز -كما ذهب يعقوب بن السكيت- أن تكون الفاء بدلا من الثاء وجوّز أن يكون قولهم وقعوا فى عافور فاعولا من العفر لأن العفر من الشدة أيضًا ولذلك قالوا: عفريت لشدته ويشهد لهذا قولهم: وقعنا فى عفرة أى اختلاط وشدة[6] وبذلك يكون كل منهما أصلا لاختلاف الاشتقاق وجوّز فى نثِى ونفِىّ الوجهين أيضًا فقال: أما قولهم لما نفاه الرشاء عند الاستقاء نفِىّ ونثِىّ فأصلان أيضًا لأنا نجد لكل واحد منهما أصلا نرده إليه واشتقاقا نحمله عليه. فأما النّفِىّ

---

(١) الخصائص ٢/ ٨٤. (٢) سر الصناعة ١/ ٢٥٠.

(٣) ذكر السهيلى أن للجدف جمعا جاء فى شعر رؤبة قال:

لو كان أحجارى مع الأجداف تعدو على جرثومتى العوافى

ورجح السهيلى أن الجدف أصل. تاج العروس ٦/ ٤٥.

(٤) سر الصناعة ١/ ٢٥٠.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٤٨.

(٦) المصدر السابق ١/ ٢٥١.

ففعيل من نفيت لأن الرشاء ينفيه ولامه ياء بمنزلة رمِيّ وعَصِيّ وأما النثيّ فـفعيل من نثا الشيء ينثوه إذا أذاعه، وفرقه لأن الرشاء يفرقه وينشره ولام الفعل واو لأنها لام نثوت وهو بمنزلة سرى ومضى وقد يجوز أن تكون الثاء بدلا من الفاء[1] ويؤنسك بجواز كون الثاء بدلا من الفاء إجماعهم فى بيت امرىء القيس:

ومرّ على القنان من نفيانه ... فأنزل منه العصم من كل منزل

على الفاء ولم نسمعهم قالوا نثوانه[2].

والذى نراه أنه لا مانع من التبادل بين الفاء والثاء للعلاقة الصوتية بينهما فهما شفويان ومتفقان فى جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفاء والإصمات للثاء والمعروف أن الحجازيين يميلون إلى الفاء على حين يميل التميميون إلى الثاء.

وتجويز ابن جنى للإبدال والأصالة فى المثالين السابقين أمر مقبول له ما يسوغه من الناحية اللغوية أما حكمه بأن الثاء هى الأصل لأنها أكثر تصرفا فهذا ما لا نسلمه له بل يجوز أن تكون كل منهما هى الأصل أو أن كل لفظة منهما نشأت فى بيئة لغوية خاصة الفاء للحجاز والثاء لتميم فمقياسه السابق غير مطرد على ما شرحنا.

وأما الفوم والثوم فليست الفاء عنده بدلا من الثاء فقد قال: والصواب عندنا أن القوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال: فومت الخبز أى خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء[3].

وكل ما ذكره ابن جنى عن هذه الأمثلة نقلته المعاجم العربية[4] نصا وقد روى ابن منظور عن الفراء أن الفوم مما يذكرون لغة قديمة أو هى الحنطة والخبز معا قال: وهى فى قراءة عبد الله ﴿وَثُومِهَا﴾ [البقرة:٦١] بالثاء، قال: وكأنها أشبه المعنيين بالصواب لأنه على ما يشاكل من العدس والبصل والعرب تبدل الفاء ثاء فيقولون جدف وجدث للقبر ووقعوا فى عافور شر وعاثور شر[5] ولكن اختلاف

---

(١) المصدر السابق ١/٢٥١.

(٢) المصدر السابق ١/٢٥٢.

(٣) المصدر السابق ١/٢٥٢.

(٤) انظر لسان العرب ٣/٤٣٣، ٦/٢١٣، ١٤/٣٤٨، ٣٤٩، ١٥/٣٥٨، ١٨/١٣٤، ٢٠/٢٤، والقاموس ٢/٨٥، ٩٢، ٣/١٢٢، ٤/١٠١، ١٨٧، ٤٣٦، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٠.

(٥) لسان العرب ١٥/٣٥٨ وانظر التهذيب ١٥/٥٧٣.

معنى اللفظين يؤكد عـدم الإبدال كما ذهب إليه ابن جنى ووجد فى مـعاجم اللغة ففيـها: الفوم: الزرع أو الحنطة وأزد السراة يســمون السنبل فوما وقـال بعضهم: الفوم الحمص لغة شامية والفوم الخبز أيضًا يقال: فوموا لنا أى اختبزوا[1].

وعن أبى زيد قال: تميم تقول: تلثمت على الفم وغـيرهم يقول: تلفمت وقال الفراء: إذا كان على الفم فهو اللثام وإذا كان على الأنف فهو اللفام[2].

وإذا صح النقل فـالمعنى مـختلف ولا إبدال بينهـمـا ولا نتفق مع من قـال من المحدثين بأنه لا يعتد فرقا فى الدلالة بينهما وإنما المسألة ترجع فى رأيه إلى اختلاف عادات القبائل بأن يكون التلثم على الفم أو الأنف[3] ويقول الفراء: وسمعت كثيرا من بنى أسد يسـمى المغافير المغـاثير[4] ويقول ابن السكيت وأسد تقـول مغثور[5] وكرثأ شعر الرجل. كثر والتف فى لغة بنى أسد[6].

وقد جاءت النسبة بعكس ذلك فنسب الجدث بالثاء للحجاز فقد قرأ عبد الله بن مسعود ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] هو القبر بلغة أهل الحجاز والجدف بالفاء لتميم كما قال ابن جنى[7].

ولا مانع -كـما ذكرنا- من وقـوع التبادل بيـن الثاء والفاء للقـرب فى المخارج والاتفاق فى بعض الصفات، وتحـديد صوت معين لقبيل خاص من العـرب -فيما اتفق معناه واشتقاقـه- غير دقيق فقد تصل لنا نسبة بعض الكلـمات بالثاء للحجاز كما نسـبت بعضها كذلك لتمـيم فالأثافى مثلا فى لغة تميم الأثاثى فـالثاء منسوبة لتمـيم والفاء للحـجاز[8] وورد عكس ذلك وبعض الكلمات الواردة بالثـاء نسبت لكلا الفـريقين وعلى هذا فتـحديد صـوت معيـن بالحجاز أو تميم أمـر غيـر دقيق والمسألة على الجواز بين الفريقين.

---

(١) المصدر السابق ١٥/ ٣٥٨ والقاموس ٤/ ١٧٨ والأستاذ برجشتراسر يوافق الفراء فى إبدال الفاء من الثاء فى فوم وثوم لأن الثوم بالعبرية Sum وبالآرامية To-ma بالشين والتاء الناستين عن الثاء -التطور النحوى ص ٢٣، ٢٤.

(٢) التهذيب ١٥/ ١٠١، ١٥/ ٣٦٧، ٣٦٨.

(٣) لغة تميم ص ١٣٣.

(٤) معانى القرآن ١/ ٤١ وهو صمغ يسيل من شجرة الرمث وهو حلو يؤكل.

(٥) القلب والإبدال ص ٣٥.

(٦) اللسان: كرثأ.

(٧) المحتسب ٢/ ٦٦ والبحر ٦/ ٣٩.

(٨) المزهر ١/ ٤٦٥.

الجيم والحاء

من ذلك: حفأ به الأرض: ضربها به والجيم لغة وجاسوا وحاسوا بمعنى واحد، ذهبوا وجاءوا، ودعاهم الجفلى والحفلى أى بجماعتهم والجيم أكثر، وأجمّ الأمر والفراق: دنا وحضر لغة فى أحمّ، والعلاقة الصوتية بعيدة بين الحاء والجيم فهما لغتان مع الربط بينهما لملابسة ما وربما دخل ذلك التصحيف[1].

الجيم والخاء

جلع وخلع: ترك الحياء وتكلم بالقبيح، وجلع ثوبه، وخلعه بمعنى[2].

الجيم والشين

من أمثلة ذلك: **(إذا ذاك إذ حبل الوصال مدمش)**.

صرح ابن جنى بأن أصل (مدمش) (مدمج) فالشين بدل من الجيم[3] واتحاد المخرج بينهما والاتفاق فى بعض الصفات إذ هما من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ومتفقان فى الاستفال والانفتاح والإصمات يبيح التبادل بينهما ولكنهم قالوا: إنه لم يوجد مثال آخر لذلك وقال ابن عصفور: إنه أبدل الجيم شينا لتتفق القوافى ولا يحفظ غيره[4] ولم ينبه ابن جنى على ذلك، ولعل منه ما جاء فى المثل: **شر ما أشاءك**[5] أى ما أجاءك أى ألجأك واضطرك إلى المجىء فأشاءه: لغة فى أجاءه وتميم تقول: شر ما يشيئك إلى مخة عرقوب.

الجيم والقاف والكاف

من ذلك: القريث لغة فى الجريث وهو نوع من السمك[6]، وريح سيهك وسيهج[7]: شديدة ورجل عريض الكبهة والجبهة، ويقال فى عمك: عمج، ومن

---

(١) من أسرار اللغة ص ٥٢.

(٢) اللسان ٨/ ٤٠٢، ٤٣٠.

(٣) سر الصناعة ١/ ٢١٥.

(٤) الأشمونى مع العينى ٤/ ٣٣٥.

(٥) مجمع الأمثال ٢/ ١٥١ واللسان: (جيأ وشيأ).

(٦) اللسان (قرث).

(٧) القلب والإبدال لابن السكيت ص ٣٨.

ذلك ما ورد فى حديث عائشة أنها (**استأذنت النبى ﷺ فى دخول أبى القعيس عليها فقال: ائذنى له فإنه عمج**) يريد عمك من الرضاعة، فأبدل الكاف جيما[١].

ويرى بعض اللغويين فى تفسير ذلك الإبدال أن هذه الجيم التى جاءت مكان القاف أو الكاف هى جيم عربية خالصة وأن إبدالها من الصوتين السابقين جائز لوقوعه فى بعض كلمات العربية ولتجاور مخرج الجيم ومخرجى القاف والكاف.

ويرى آخرون أن هذه الجيم هى أحد الحروف الفرعية التى مخرجها بين الجيم والقاف أو بين الجيم والكاف وهى من الحروف غير المستحسنة التى لا تقع فى القرآن ولا فى الشعر الفصيح[٢].

وذكر ابن دريد أن للعرب حروفا لا تتكلم بها إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها مثل الحرف الذى بين القاف والكاف والجيم والكاف وهى لغة سائر اليمن[٣].

وذكر ابن فارس أن هذه الحروف ترجع إلى اللغات فهى لغة لقوم[٤٥] واستأنس بعض المحدثين لذلك بوجود الجيم الكافية التى كانت -فى رأيهم- أصلا للجيم المعطشة كما نرى فى الجيم الشامية والجيم القاهرية[٥] وأساس هذا الرأى ما ذكره المستشرق برجشتراسر من أن الجيم -عند أكثر العرب- كانت بسيطة مجهورة شديدة مثل نطقها الآن عند المصريين وأنها كانت تمثل الكاف التركية فى مثل كلمة: كاه[٦].

وهذا فى رأيهم يسوغ التبادل بين الجيم والقاف والكاف وفى رأينا أن الجيم العربية لها طابع خاص يختلف عما رأى برجشتراسر ومتابعوه والدليل التاريخى غير متحقق بين أيدينا وإن كان القول بالتطور ممكنًا فيما قبل عصر تهذيب اللغة.

---

(١) النهاية ٣/ ٣٠٣ (عم).

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٢.

(٣) مقدمة الجمهرة ص ٥٠٤.

(٤) الصاحبى ص ٣٧، ٣٨.

(٥) الأصوات اللغوية ص ٨٥.

(٦) التطور النحوى ص ٩.

وقد ذكر الخطابى أن إبدال الكاف جيمـا فى الحديث تصحيف من نقلة الحديث لأن الرسول ﷺ لا يتكلم بهذه اللهجات المضعوفة وإنما يتكلم باللغة العالية.

ونرى أنه لا مانع من نطقه بـذلك كما يرى العلماء فالرسـول ﷺ كان يخاطب العرب بلغاتهم، كقوله (**ليس من امبـر امصيام فى امـسفر**) وغير ذلك وقد نسب هذا الإبدال -كما رأينا- إلى بعض العرب وهم طائفة من اليمن(١).

الحاء والخاء

من أمثلته: الرحم: القرابة والرخم بالكسر مثله وذهب سيبويه إلى أن هذا مطرد فى كل ما ثانيه من حروف الحلق وهو لغة بكر، وكذلك رحمه رحمة، قال الليث: زعم أبو زيد الأنصارى أن من أهل اليـمن من يقول: رخمتـه رخمة يعنى رحـمته رحمة ويقال: ألقى الله عليك رحـمة فلان أى عطفه ورقته قال: وسـمعت أعرابيًّا يقول: هو راخم له(٢) ومنه: يتخـوف مالى ويتحـوفه: يتنقص ويأخـذ من أطرافه وقرأ يحـيى بن يعمر وعكرمـة وابن أبى عبلة ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْخًا طَوِيلاً﴾(٣) [المزمل:٧] بالخاء وقال الفراء: إنه سأل أبا زيد الكلابى عن هذا الحرف فقال: أهل باديتنا يقولون: سـبخ عنه: للمريض والملسوع ونحوه. ومن ذلك: الحلـتيت بالحاء والخاء يقوله البحرانيـون لصمغ يقال له الأنجزد(٤) ويقول الليث: الحلتيت الأنجزد، والذى حفظته عن البحـرانيين الخلتيت(٥) بالخاء والحشـرمة: الدائرة التى عند الأنف وسط الشفة العليا وسمعت -عن أبى حاتم- بالخاء وهما لغتان(٧).

ويقول الأزهرى: قال الليث: الفـخيخ دون الغطيط تقول: سمعت له فـحيحا والأفعى له فخيخ. قلت: أما الأفعى فإنه يقـال فى فعله: فح يفح فحيحا بالحاء،

(١) النهاية ٣/٣٠٣.

(٢) التهذيب ٧/ ٣٨١، ٣٨٢، واللسان ١٥/ ١٢٥، والصحاح ٥/١٩٢٩، ١٩٣٠.

(٣) وانظر البحر ٨/ ٣٦٣، ومعانى القرآن ٣/ ١٩٧.

(٤) التهذيب ٧/٢٩٨، ٢٩٩ (حلت).

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٤١ (خلت).

(٧) المصدر السابق ٥/ ٣٣٣ (حثرم)، ٧/ ٦٨٩ (خثرم).

ثم يعقب الأزهرى بقوله: ولم أسمع لأحد فى الأفعى وسائر الحيات فخيخ بالخاء، وهو عندى غلط اللهم إلا أن تكون لغة لبعض العرب لا أعرفها، فإن اللغات أكثر من أن يحيط بها رجل واحد[1].

وقال ابن جنى: إن الحاء لا تكون بدلا أبدا إلا فيما شذ عنهم[2] مثل إبدالها من الخاء أنشد ابن الأعرابى:

ينفحن منه لهبا منفوحا لمعا يُرى لا ذاكيا مقدوحا

قال: أراد منفوخا فأبدل الخاء حاء قال: ومثله قول رؤية:

غمر الأجارى كريم السنح أبلج لم يولد بنجم الشّح

قال: يريد السنخ[3].

وقد بنى ابن جنى رأيه على عدم ورود أمثلة من هذا الإبدال ويقول العلماء: إن ذلك لم يرد إلا فى الشعر -شاذا- ليوافق الشاعر بين روى أبيات القصيدة إذا كانت حائية فقد أراد الشاعر الأول ينفخن ومنفوخا بالخاء المعجمة فيهما فقالهما بالحاء المهملة ليوافق روى الرجز كله لأنه حائى، وأنا أرجح أن الإبدال غير واقع هنا - على الرغم من قرب المخارج والصفات - لأن الضبط مختلف فينفخ بضم الفاء وينفح بفتحها فالأول من نفخ والثانى من نفح والنفح يناسب النار أيضًا إذ منه يشتد اللهب ويقوى اشتعاله ففى القاموس (نفح الطيب كمنع فاح والريح هبت) وهذا مما يناسب النار ويقال نفخ بفمه أخرج منه الريح فعلى هذا كل منهما مادة مستقلة وليست الحاء بدلا من الخاء على سبيل الشذوذ أو الضرورة[4] على أن الحاء تبدل من الخاء لتناسب المعانى كما فى النضح والنضخ[5]، ولا مانع من الناحية اللغوية لهذا الإبدال حيث توجد المسوغات ولكن الذى جعل ذلك شاذا -فى نظر العلماء-

---

(١) التهذيب ٧/ ١٠.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٩٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٩٦، ١٩٧، وسنخ كل شىء أصله.

(٤) ولكل من المادتين معان أخرى. القاموس ١/ ٢٩٩، ٣٢٠.

(٥) اللسان ٣/ ٥٠٤.

هو عدم استعمال كلمات من هذا النوع إلا أن الشعراء ربما اضطروا إلى هذا الإبدال كما حدث فى المثال الثانى على وجه التأكيد «فقد أبدل الحاء من الخاء لمكان الشح وبعضهم يرويه بالخاء لأنهما جميعا حرفا حلق[١].

وقال ابن جنى: إن الخاء لا تقع بدلا ونفى أن تكون الخاء فى خمص الجرح بدلا من الحاء فى حمص قال: فأما ما قرأته على أبى علىّ عن أبى بكر عن بعض أصحاب يعقوب من أن أبا زيد قال خمص الجرح يخمص خموصا وحمص يحمص حموصا وانخمص انخماصًا قال أبو علىّ وانحمص انحماصا ذكره أبو زيد فى مصادره إذا ذهب ورمه فلا يكون الحاء فيه بدلا من الخاء ولا الخاء بدلا من الحاء ألا ترى أن كل واحد من المثالين يتصرف فى الكلام تصرف صاحبه فليست لأحدهما مزية من التصرف والعموم فى الاستعمال يكون بها أصلا لصاحبه[٢]، وقد طبق ابن جنى قاعدته التى قال بها فى الإبدال هنا وهى الاعتماد فى معرفة الأصل والفرع على كثرة التصرف وشيوع الاستعمال فلتساوى اللفظين عدهما من اختلاف اللهجات، وقد قلنا إن تلك القاعدة غير مطردة فلابد من نظرة واعية لمعرفة صحة النتائج وعدمها، فالباحث فى المعاجم يرى لكل مادة منهما معانى مستقلة عن الأخرى فى بعض جوانبها، فمادة حمص هى: حمص الجرح: سكن ورمه حمصا وحموصا، والأرجوحة سكنت فورتها والقذاة أخرجها من عينه برفق والحمص: أن يترجح الغلام على الأرجوحة من غير أن يرجح، وذهاب الماء عن الدابة والأحمص: اللص يسرق الحمائض جمع حميصة وهى الشاة المسروقة وحمص تحميصا: اصطاد الظباء نصف النهار وانحمص: انقض وتضاءل[٣]، فكل المعانى التى ذكرها -غير سكون الورم للجرح والانقباض والتضاؤل- لا تمت لمعنى التضاؤل بصلة إلا على سبيل التشبيه والمجاز وهى كثيرة بل منها ما لا يمكن أن يمت بأية صلة لذلك مثل ترجح الغلام واصطياد الظباء نصف النهار، ومادة (خمص) تدل كلها على معنى التضاؤل وأغلبها على سبيل الحقيقة لا المجاز وهذه

(١) انظر فى أقوال العلماء: شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٣/ ١٢٠٠.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٩٩ ولسان العرب ٨/ ٢٩٧.

(٣) القاموس ٢/ ٢٩٩.

المعانى هى: خمص الجرح وانخمص: سكن ورمه والخمصة: الجوعة وبطن من الأرض صغير لين الموطىء والمخمصة: المجاعة وقد خمصه الجوع خمصا ومخمصة وحمص البطن مثلة الميم: خلا وخميص الحشا: ضامر البطن وتخامص عنه: تجافى والليل رقت ظلمته عند السحر والأخمص من باطن القدم: ما لم يصب الأرض[1].

فإذا كان لكل منهما معان مستقلة على هذا النحو فلا ريب أن كلا منهما لغة مستقلة فلا إبدال بينهما وانفاقهما من قبيل التوسع المعنوى إذ معنى التضاؤل والضمور واضح فى مادة (خمص) على سبيل الحقيقة أما معانى مادة (حمص) من صيد الحمائص وسرقتها والتأرجح وغير ذلك فلا يمكن اتصالها بمعنى التضاؤل والضمور[2] إلا من طريق بعيد وإذا اختلف معنى المادتين فأولى بهما ألا يكون للإبدال إليهما سبيل إذ الشرط التقاء المعانى على سبيل الحقيقة، وعلى فرض التسليم بوجود المادتين يمكن -أيضًا- أن يكون التصحيف سرى إليهما فنشأت إحدى المادتين عن الأخرى.

وما نسب فى بعض الأمثلة إلى بنى بكر دليل على ذلك إن صح يدخل فى اختلاف اللهجات.

الحاء والعين

العرجلة: القطيع من الخيل وهى فى لغة تميم الحرجلة[3] فالعين بدل من الحاء وقد يستعمل العربى ما غيره أقوى منه فالتميميون استخدموا الحاء المهموسة، ويدعى بعض الباحثين أن الكلمة (حرجل) آرامية وأنها الصيغة القدمى[4] تطورت عند غير تميم.

---

(١) القاموس ٢/ ٣٠١.

(٢) ومع أخذ ابن جنى له من الشيء الخميص الضامر فى الأول والحمصة لأنها صغيرة مجتمعة فى الثانى فإننا نشاهد أن الاشتقاق الأول على سبيل الحقيقة لأن ضمور البطن قد يكون بعد التضخم أما الحمصة فإنها باقية على حال الضمور منذ بدء وجودها، سر الصناعة ١/ ١٩٩.

(٣) التهذيب ٣/ ٣٢٠ (رباعى العين).

(٤) الدخيل فى اللغة العربية بحث منشور بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة م ١٠ ج ٢ ص ١٠٣.

ولست مع صاحب هذا الرأى لأن العربية أقدم من الآرامية. ومن ذلك أيضًا بعثرت وبحثرت لغتان[1]. وقرأ عبد الله بن مسعود (إذا بحثر ما فى القبور) فى قوله تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] وقال الفراء: سمعت بعض أعراب بنى أسد يقرأها (بحثر)[2].

وقد فضل التميميون الحاء هنا على العين خلافا للنظريات الحديثة التى تجعل البدو يفضلون الأصوات المجهورة والشديدة.

الخاء والغين

من أمثلة ذلك ما جاء من نحو: خمر الناس وخمرتهم وخمارهم: جماعتهم وكثرتهم، لغة فى غمر الناس وغمارهم والخمرة لغة فى الغمرة[3]. وأمرغ العجين: أكثر ماءه لغة فى أمرخه فلم ييبسه[4]. وخطر بيده يخطر وغطر يغطر.

وقد تردد ابن جنى فى إثبات الإبدال بين الخاء والغين فأتى بلفظ (كأن) التى تدل على هذا التردد ولم يتبع مقياسه فى بيان الأصالة والفرعية المبنى على التصرف والاستعمال، قال: (وقالوا: خطر بيده يخطر وغطر يغطر فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه)[5].

ونفهم من كلامه أنه متردد بين أن تكون الغين بدلا من الخاء أو تكون كل منهما أصلا فى إحدى اللهجات.

وقد أخل بمقياسه لحكمه بأن كلا من اللفظين لغة على الرغم من أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه.

وظاهر أن العلاقة الصوتية بين الخاء والغين تسوغ التبادل بينهما فكلاهما من حروف الحلق من أدناه وتتفق الخاء والغين فى الرخاوة والاستعلاء. ويبدو أن ذلك

(١) التهذيب ٣/ ٣٦٠ (رباعى العين).
(٢) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦.
(٣) اللسان (خمر).
(٤) السابق (مرغ).
(٥) سر الصناعة ١/ ٢٤٧.

الاختلاف ناشيء عن اختلاف اللهجات فكل منهما لقبيل من العرب والغين للبدو لميلهم إلى الحروف المجهورة والمستعلية والخاء للحضر وهو المشهور فى كتب اللغة.

الخاء والقاف

ورد التبادل بين الخاء والقاف فى قولهم: المِخصل: القطّاع من السيوف وغيرها لغة فى المِقصل ولعل بين الصوتين تجاوراً فى المخارج، فالخاء من أدنى حروف الحلق إلى الفم والقاف من أقصى اللسان وهما وإن اختلفا فى الجهر والهمس والرخاوة والشدة فالقاف مجهورة والخاء مهموسة والقاف قليلة الشدة والخاء رخوة فإن بينهما تشابها فى بعض الصفات كالاستعلاء مما يسوغ التبادل بينهما.

ويمكن أن ينشأ التبادل لتداخل الصوتين وقرب مكانيهما أو لعدم تدقيق الناطق واحتراسه حال نطقه فسمع كذلك، أما احتمال التصحيف فى ذلك فإنه مبنى على الكتابة وهذا وإن كان جائزا فإنه لا ينبغى الأخذ به إلا بدليل.

ومع هذا فالناطق بالقاف قبيل من العرب ربما كان من البدو على حين أن الناطق بالخاء قبيل آخر ربما كان حضريا لهمس الخاء ورخاوتها.

الدال والذال

من ذلك: خردلت اللحم وخرذلته - بالدال والذال- أى فصلت أجزاءه وقطعته.

وفى الحديث عن أهل النار (**فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل**) والمقصود: المرمىّ المصروع أو المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوى فى النار[1]. ويقال: داف الجريح ودفّف عليه، أى أجهز عليه يروى بالدال والذال بمعنى وفى حديث ابن مسعود أنه (**داف أبا جهل يوم بدر**) أى أجهز عليه وتمم قتله، وفى رواية: **قعص ابنا عفراء أبا جهل ودفف عليه ابن مسعود**[2]. وقال ﷺ لبلال: «**إنى سمعت دفّ نعليك فى الجنة**» أى صوتهما عند الوطء عليهما ويروى بالدال

---

(١) النهاية ٢/ ٢٠.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٢٥، وقعَصَه قعْصا: طعنه بالرمح طعنا سريعا، وقتله مكانه.

والذال[1]. ويقال: دوخه الأسر وهو المشهور وديخه بالدال وبعضهم يرويه بالذال المعجمة وهو لغة شاذة[2]، والذام: العيب يروى بالدال والذال وقد قالت عائشة رضى الله عنها لليهود (عليكم السام والذام)، ويهمز ولا يهمز[3]، والتدبيح -بالدال المهملة- وهو المشهور ويقال بالذال وفى الحديث: (نهى عن التذبيح) بالذال، هكذاء جاء فى رواية[4]، ومدكر -بالدال والذال- قرأ ابن مسعود: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥] بالذال. و(شرد) رويت بالدال والذال، قرأ الأعمش: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧] بالذال[5].

ونقل أبو الطيب اللغوى: وقال أبو عمرو: ما ذاق عدوفا وما ذاق عذوفا أى ما ذاقا شيئًا[6].

وذبرت الكتاب أذبره ذبرًا: إذا كتبته، وحكى اليزيدى دبرته أدبره دبرا بالدال غير المعجمة[7] ويقال: غلام جادل وجاذل إذا ترعرع وكبر[8] ومرد الخبز ومرذه: أى مرثه.

ويتضح مما سبق أن كلمات رويت بالوجهين الدال والذال، ويشير اللغويون إلى شهرة إحداهما وقلة الأخرى كأن يقال (يروى بالذال وليس بالكثير) أو والمشهور بالدال أو يشار أحيانًا إلى اختلاف الدلالة كأن يقال: والعدوف: العلف فى لغة مضر بالدال.

وربما كان للتصحيف أثر فى بعض هذه الكلمات المتبادلة، قال أبو حسان: سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول: ما ذقت عدوفة قال: وكنت عند يزيد بن مزيد الشيبانى فأنشد بيت قيس بن زهير:

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٦٢ (ذفف).
(٢) المصدر السابق ٢/ ١٤٧ (ديخ).
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٥١ (ذأم).
(٤) المصدر السابق ٢/ ١٥٤ (ذبح) ودبّح فى ركوعه بسط ظهره وطأطأ رأسه فكان أكثر انخفاضا من عجزه.
(٥) البحر ٤/ ٥٠٩، والإتحاف ٢٣٨.
(٦) الإبدال ١/ ٣٥٣.
(٧) المصدر السابق ١/ ٣٥٣.
(٨) المصدر السابق ١/ ٣٥٤.

ومـجنبـات مـا يذقـن عـدوفـة   يقـذفن بـالمهـرات والأمـهـار

بالدال فقال لى يزيد: صحفت أبا عـمرو وإنما هى عذوفة بالذال فقلت له: لم أصحف أنا ولا أنت. تقول ربيعة هذا الحرف بالذال وسائر العرب بالدال[1].

وينقل الأزهرى عن الليث عن أبى الدقيش (القشذة) -بالذال المعجمة-: الزبدة الرقيـقة ثم يقول الأزهرى: وأرجـو أن يكون ما روى عن أبى الدقـيش صحيـحًا والمحفوظ عن الثقات (القشدة) بالدال ولعل الذال فيها لغة لم تبلغنا[2].

وقد نسبت الدال لكثير من القبائل البدويـة والذال للمتحضرين كربيعة ومن تأثر بالحضر من البـدو كإياد والنمر[3] وبعض بنى أسد فقـد روى الفراء أن بعض بنى أسد يقولون (مذكر) فيقلبون الدال ذالا مشددة.

الدال والطاء

من ذلك: قرمد الكاتب فى الكتـابة، جعلها دقيقة متـقاربة الحروف والسطور، وقرمط لغة فيه.

الوخد: سرعة السير والوخط لغة فيه.

الدحو: البسط والطحو لغة فيه.

سدح الناقة: أناخها ويقال: سطحها لغة فيه أو بدل.

وبين الطاء والدال علاقة فكلاهما من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وتتفقان فى بعض الصفات كالشدة مما يسوغ التبادل بينهما، والطاء للبدو لاستعلائها والدال للحضر لاستفالها.

الذال والظاء

أورد ابن جنى من أمثلة ذلك، تركته وقيذا ووقيظا.

---

(١) اللسان (عدف).

(٢) التهذيب ٨/ ٣١١.

(٣) فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠١.

وحكم بإبدال الظاء من الذال وحكمه بالتبادل صحيح لاتفاقهما فى المخرج والصفات ما عدا الاستعلاء والإطباق فى الأول والاستفال والانفتاح فى الثانى إلا أنه جعل الذال أصلح لأنها أعم تصرفا لقوله عز اسمه ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [المائدة: ٣] بالذال.

ولقولهم: وقذة يقذه ولم يسمع: وقظه ولا موقوظة[١].

وهذا معروف عنه من الحكم بالأصالة والفرعية تبعا للشيوع وعدمه، ولكنه غير مؤكد فقد ذكر الفيروزآبادى: وقظه كوعده: وقذه وعلى الأمر: دام ووقظ به رأسه بالضم كوقط بالطاء، والوقيظ المثبت الذى لا يقدر على النهوض[٢].

فالمادة الثانيـة متصرفة أيضًا، واللائق بالأمـر أن تكون بالظاء فى بيئة بدوية تميل إلى التفخيم والأصوات المستعلية المطبقة وأن تكون الذال من خصائص بيئة حضرية تميل إلى الترقيق والأصوات المستفلة المنفتحة.

الراء والزاى

البزخ: الجرف وبلغة عمان هو البرخ بالراء.

الفزغز: الشدق فى بعض اللغات والراء لغة.

رغل الصبى يرغل: إذا أخذ ثدى أمه فرضعه مسرعا ويروى بالزاى لغة فيه.

أزمتهم السنة أزما: استأصلتهم وقال شمر: إنما هو أرملتهم بالراء وأزمت الحبل والعنان والخيط وغيره آزمه أزما: أحكمت فـتله وضفره بالراء والزاى جميعًا والراء أعرف.

وكلا الصوتـين من طرف اللسان إلا أن أحدهما -وهو الراء- مع اللثـة العليا، والثانى -وهو الزاى- مع أصول الثنايا السفلى ويختلـفان فى الصفات، فالراء تمتاز بالتكرير، والزاى بالصفير، ومع اتفاقهما فى بعض الصفات يبدو أن كلا منهما فى بيئة خاصة.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٣٣.

(٢) القاموس ٢/ ٤٠٠.

وجائز أن يكون للتصحيف أثر فى نشأة إحدى الصيغتين عن الأخرى، ولعل الراء هى الأصل كما يتبين من الروايات السابقة المرجحة لكون الكلمة بالراء على أنها الأعرف والأشهر.

الراء واللام

من الكلمات التى جاءت بالراء واللام: جرف الخبز أو جلفه أى كسره، وفى الحديث: **ليس لابن آدم إلا بيت يكنه وثوب يواريه وجرف الخبز** أى كسره والواحدة جرفة ويروى باللام بدل الراء[1].

ومن ذلك: يُزَرِّف ويُزَلِّف يعنى يزيد.

وفى حديث قرة بن خالد **(كان الكلبى يُزَرِّف فى الحديث أى يزيد فيه مثل يُزَلِّف)**[2] وتعطر النساء وتعطلهن.

(وكان ﷺ يكره تعطر النساء وتشبههن بالرجال) أراد العطر الذى يظهر ريحه كما يظهر عطر الرجال وقيل أراد تعطل النساء باللام وهى التى لا حلى عليها ولا خضاب واللام والراء يتعاقبان[3].

والعاذر: العرق الذى يسيل منه دم الاستحاضة ويروى العاذل باللام.

وفى حديث ابن عباس: وسئل عن الاستحاضة فقال: **ذلك العاذل يغزر** أى يسيل وذكر بعضهم العاذر بالراء، وقال: العاذرة: المرأة المستحاضة فاعلة بمعنى مفعولة من إقامة العذر ولو قال العاذر العرق نفسه لكان وجها إلا أن المحفوظ العاذل باللام[4].

ويقال: سهم أمرط وأملط.

وفى حديث أبى سفيان **(فأمرط قذذ السهم)** أى سقط ريشه[5].

---

(١) النهاية ١/ ٢٦٢ (جرف).
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٠١ (زرف).
(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٥٦ (عطل).
(٤) النهاية ٣/ ٢٠٠ (عذل).
(٥) المصدر السابق ٤/ ٣٢٠ (ملط).

ويقال: اعتكار الأمور واعتكالها: أى اختلاطها والتباسها[1].

ويقال: عـيهـر وعيهل لـلناقة[2]، وفرق وفلق والوجـر والوجل وهو الفزع[3] وانخرعت كتفه وانخلعت[4].

وقد قال ابن جنى إن الراء لا تكون بدلا[5] ولكنه أتى بأمثـلة يشتبـه فى تصور الإبدال فيها بين الراء واللام وخرجها بحسب ما رأى -وأتى ببعض الأمثلة الأخرى يوضح بها مبدأ الاشتقاق الأكبر ومبناه على الإبدال كما نعلم بين الراء واللام أيضًا وها هى ذى:

١- جِربّانة وجِلبّانة وقال: قرأت على أبى علىّ لحميد بن ثور:

جلبـانة ورهاء تخـصى حـمـارها بفى من بغى خـيرا إليـها الجـلامد[6]

٢- نثرة ونثلة: للدرع عامة أو الواسعة منها[7].

٣- قرمة. قلمت أظفارى[8]. بيضة عرماء وقطيع أعرم -العلم والعلامة- جبر وجبل[9].

قال ابن جنـى إنه لا إبدال فى المثال الأول بل كل من الكلمـتين أصل، «فـأما قولهم امـرأة جِربّانة وجِلِبّانة إذا كـانت صخّابة فليس أحـد الحرفين فـيه بدلا من صاحبـه، ويدل على أن جلبانة وجريانة أصـلان غير مبـدل أحدهما من صاحبـه وجودك لكل واحد منهما أصلا مـتصرفا واشتقاقا صحيحًـا فأما جلبانة فمن الجلبة والصياح لأنها الصخابة وأما جربانة فمن جرب الأمور وتصرف فيها.. والتجريب

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٨٤ (عكل).
(٢) المزهر ١/ ٥٥٨.
(٣) المصدر السابق ١/ ٥٥٩.
(٤) الصحاح ٢/ ١٤٤، والمزهر ١/ ٥٥٩.
(٥) سر الصناعة ١/ ٢٠٥.
(٦) المصدر السابق ١/ ٢٠٥.
(٧) المصدر السابق ١/ ٢٠٦.
(٨) الخصائص ١/ ١٤٧.
(٩) المصدر السابق ٢/ ١٤٩.

والدربة وفق الصخب لأنه ضد الحياء والخفر»[1] ولكن هذا الكلام من ابن جنى غير دقيق فالباحث يرى أن الكلمة الأولى (جربانة) أبدلت فيها الراء من اللام فى الكلمة الثانية (جلبانة) وذلك لوضوح الاشتقاق والمعنى الحقيقى فيها فجلبانة من مادة (جلب) التى تدور حول معنى إحداث ما يزعج مثل «جلبه يجلبه جلبا واجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر فجلب هو وانجلب والجلب -محركة- ما جلب من خيل أو غيرها، واختلاط الصوت كالجلبة وجلب لأهله: طلب واحتال كأجلب، وعلى الفرس زجره ورعد مجلب: مصوت وجلب الدم: يبس، وتوعد بشر، ومن معانى الجلبة شدة الزمان والجوع والجلب الجناية[2]. . . إلخ وهذا كله يتناسب حقيقة مع معنى الصخب الذى يدل عليه لفظ جلبانة.

وأما مادة «جرب» فلها معان كثيرة ليس بينها معنى الصخب المشار إليه ومنها: الجرب معروف والجربة -بالكسر- المزرعة والقراح من الأرض والجربياء: ريح الشمال أو بردها والريح بين الجنوب والصبا والرجل الضعيف وجربان القميص بالكسر والضم جيبه وجربان السيف: حده أو شىء يجعل فيه وجربه: اختبره[3] إلخ.

فمن هذا يبدو أن اللام هى الأصل والراء بدل منها لوضوح المعنى الحقيقى للفظين وأن المادة الأولى هى أصل الاشتقاق والدربة والمران التى ادعى ابن جنى موافقتها للصخب غير مناسبة لسوء الخلق والصياح والجلبة[4] وأما عن المثال الثانى فقد قال «يتبغى أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفا، فهى الأصل»[5].

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٥٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٥٣.

(٤) ووصف صاحب اللسان (جلبانة) بقوله: مصوتة صخابة كثيرة الكلام سيئة الخلق صاحبة جلبة ومكالبة ١/ ٤٦٠، ٤٦١، كما ينقل ابن جنى نفسه عن ابن الأعرابى أنه قال: جاءك خاصى العير إذا وصف بقلة الحياء.. سر الصناعة ١/ ٢٠٥.

(٥) سر الصناعة ١/ ٢٠٦.

ولكن مقياسه الذى بنى عليه رأيه وهو كثرة التصرف غير مؤكد - أحيانا - لجواز أن تكون الكلمة التى تصور فقدانها موجودة ولكن الرواة لم يصلوا إليها.

والذى يرجع إلى مادتى (نثر -ونثل) يرى أن المعانى متقاربة فى كليهما فهى تدور حول التفريق ونقل الشيء من مكان إلى غيره فمادة (نثر) معروفة فى التفريق، ومادة نثل أيضًا يقال: نثل الركية ينثلها نثلا: أخرج ترابها واسم التراب النثيلة والنثالة ونثل كنانته نثلا: استخرج ما فيها من النثل وكذلك إذا نفضت ما فى الجراب من الزاد، ونثل الفرس: راث، ونثل اللحم فى القدر وضعه فيه مقطعا إلخ... ويقال: قد نثل درعه ينثلها: صبها ونثلها: ألقاها عنه ولم يقولوا: نثرها ولعدم تأكد هذا المقياس فى معرفة الأصل من الفرع ربما يكون للمعنى دخل فى تحديده، فاللام هى الأصل لأن الدرع تتصل بمعنى النثل أكثر من اتصالها بالنثر إذ النثل فيه صفة تجمع الشيء واتصاله بعضه ببعض، وأما النثر فهو فصل لأجزاء الشيء بعضه عن بعض فالمعنى فى النثل حقيقى وقد اتصل بالثانى من طريق المجاز ولا مانع أن تكون الراء هى الأصل وقد نشأت الكلمة باللام للثغة فى اللسان أو نقول: إن كل كلمة أصل برأسها لأنها مشتقة من مادة تؤدى معنى الدرع ولبسها وخلعها عن بدن الإنسان فتكون من اختلاف اللهجات.

وأما الأمثلة الأخيرة ففيها مناسبة بين الحروف والمعانى فالقرمة هى الفقرة تحز على أنف البعير وقريب منه: قلمت أظفارى لأن هذا انتقاص للظفر وذلك انتقاص للجلد والراء تعاقب اللام.

وقالوا بيضة عرماء وقطيع أعرم إذا كان فيهما سواد وبياض وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه فكان كل واحد منهما أصلا لصاحبه واستعملوا تركيب جبر وجبل لتقاربهما فى موضع واحد وهو الالتئام والتماسك، منه الجبل لشدته وقوته، ومنه جبرت العظم ونحوه أى قويته، وعلى كل فالتبادل صحيح بين اللام والراء لاتحادهما مخرجا وصفة.

ومع ذلك يمكن أن تكون لهجات: يقول أبو عمرو بن العلاء: «قيس تقول للمريض: مبلسم وتميم تقول مبرسم»[١] والكلمة معربة أصلها بر: الصدر وسام الموت[٢] أو ورم أو مرض ويقول أبو عمرو أيضًا: سمعت بعض قيس تقول: سدل الرجل فى البلاد وسدر: إذا ذهب فيها فلم يثنه شيء[٣].

ويقال: الرثغ لغة فى اللثغ[٤] وفى لغة لهم: رعملك يريدون لعمرك[٥].

الراء والنون

من ذلك: كوّر، العمامة وكوّنها، وورد عنه ﷺ **(أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور)** أى من النقصان بعد الزيادة وكأنه من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها ويروى بالنون[٦]. ويقال: كار الفرس يكير: إذا جرى رافعًا ذنبه ويروى: يكين[٧]. وفى حديث المنافق كان **(يكبر فى هذه مرة وفى هذه مرة)** أى: يجرى والزور والزون: كل شيء يعبد ويتخذ إلها[٨]. ونرى أن قبيلة واحدة لا تنطق بذلك بل هوبينها وبين غيرها أو بين بعضها وبعض.

وقال ابن الفرج: سمعت بعض بنى سليم يقول: قد رجع كلامى فى الرجل ونجع فيه بمعنى، ورجع فى الدابة العلف ونجع: إذا تبين أمره[٩]. والراء والنون - كالراء- واللام- من حيز واحد بعضها أرفع من بعض وهى ذلقية[١٠]. وهى أوضح الأصوات كما يقول المحدثون فى السمع ومجرى الهواء متسع معها وتشيع فى الكلام وهى لذلك تشبه أصوات اللين[١١] ولذا يمكن التبادل بينها ولا بأس أن

---

(١) التهذيب ١٣/١٥٨.

(٢) التهذيب ٢٥٧ (برسم) ولغة تميم ص ١٣٠.

(٣) المصدر السابق ١٢/٣٥٥.

(٤) المصدر السابق ٨/٩١ (رثغ).

(٥) المصدر السابق ٢/ ٣٨٢ (عمر).

(٦) النهاية ٤/٣٠٨ (كور).

(٧) المصدر السابق ٤/ ٢١٧ (كير).

(٨) الإبدال لأبى الطيب ١٤٦ والقلب والإبدال لابن السكيت ص ٦٥.

(٩) التهذيب ١/٣٦٨ (رجع).

(١٠) شرح المفصل ١٠/١٢٨-١٣٠.

(١١) الأصوات اللغوية ص ٦٤.

ينسب ذلك إلى القبائل العربية على أنه من اختلاف اللهجات وقد ينسب بعضهم الاختلاف إلى قبيلة واحدة.

الزاي والسين

من أمثلة ذلك: الزفت لغة الأزد في السفت ويقولون: الزقف أي السقف[1] وشزب وشسف وشسب بمعنى ضمر، ولا مانع من التبادل بين الصوتين لاتحاد المخارج فهما من طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى.

وقد أوضح ابن جني بناء على اتحاد معنى الكلمات الثلاث الأخيرة وأنها بمعنى ضمر أنه يوافق على أن الزاي فيها بدل من السين ولكننا نرى أنه حكى أيضًا أن الأصمعي فصل فقال: الشازب الذي فيه ضمور وإن لم يكن مهزولاً والشاسب والشاسف الذي فيه يبس، وقد حكم بأن إحداهما ليست بدلا من الأخرى ليس على اعتبار الخلاف في المعنى ولكن على اعتبار تصرف الفعلين جميعًا[2].

ونحن نرى أن خلاف المعنى -إن صح- هو الذي يحسم النزاع ويجعل كلا من الكلمتين ذاتي الزاي والسين أصلا برأسه، إلا أن أصحاب المعاجم يخلطون بين المعنيين كقول صاحب اللسان في شزب: الشازب الضامر اليابس من الناس وغيرهم[3] وقول الفيروزآبادي: الشازب الخشن والضامر اليابس[4] وفرق بين ما هو يابس من أصله في الوجود وبين ما كان غضا سمينا ثم هزل وضمر.

الزاي والصاد

من ذلك قولهم في فُصِد: فصد أو في يصدر: يصدر بإشمام الصاد صوت الزاي -ومن العرب من يخلصها زايا فيقول: فُزْد ويَزْدر ومَزْدر والتزدير وازْدُقي في اصدقي، وعليه قول العرب في المثل: لم يُحرَم من فُزْد له: فُصِد له ثم أسكنت العين على حد قولهم في ضُرِب ضُرْب وقوله:

(١) العين ٥/ ٨١.

(٢) سر الصناعة ١/ ٥٦، ٥٧.

(٣) اللسان ١/ ٤٩٤، ٦/ ٣٧، ١١٧، ١٠/ ٧٠.

(٤) القاموس ١/ ١٠٣.

وَنُفْخُوا فى مَدائِنِهِمْ فطاروا[(١)]

وكذلك كل صاد ساكنة بعد الدال، ومن ذلك أيضًا: زقر فى صقر وزقعاء فى صقعاء وصمصمة وزمزمة[(٢)].

ونقول: لا مانع من التبادل بين الزاى والصاد لأنهما من مخرج واحد وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى وتشتركان فيما بينهما فى الرخاوة والصفير والإصمات، ومع ذلك يجوز أن يكون ذلك من قبيل اللهجات.

ونحن نعرف أن الصاد من المهموسات وما بعدها دال مجهورة فهذا التجاور بينهما يقتضى تقريب الصاد المهموسة من الدال المجهورة وذلك بإشمام الصاد صوت الزاى المجهورة لتناسب الدال فى الجهر ولذلك جعل ابن جنى هذه الصاد بمنزلة الزاى حين قال: (وأما الصاد التى كالزاى فهى التى يقل همسها قليلاً ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاى)[(٣)].

إذ إنه «لما جاورت الصاد وهى مهموسة الدال وهى مجهورة قربت منها بأن أشمت شيئًا من لفظ الزاى المقاربة للدال بالجهر»[(٤)].

وقد قلبها العرب زايا مخلصة لأنه لما سكنت الصاد ضارعوا بها الدال التى بعدها بأن قلبوها إلى أشبه الحروف بالدال من مخرج الصاد وهى الزاى لأنها مجهورة كما أن الدال مجهورة[(٥)].

ويشترط لهذا القلب أن تكون الصاد ساكنة، وبعدها دال (فإن تحركت الصاد لم يجز فيها البدل وذلك نحو صَدَر وصَدَف لا تقول: زَدَرولازَدَف وذلك أن الحركة

---

(١) سر الصناعة ١/ ٥٧، والخصائص ٢/ ١٤٤.

يقول ابن جنى: ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم فى مصدر: مزدر وفى التصدير: التزدير وعليه قول العرب فى المثل: لم يُحرَم من فُزْد له ثم سكنت العين فلما سكنت الصاد فضعفت به وجاورت الصاد وهى مهموسة الدال وهى مجهورة قربت منها بأن أشمت شيئًا من لفظ الزاى المقاربة للدال فى الجهر.

(٢) سر الصناعة ١/ ٢١٩، والمزهر ١/ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) سر الصناعة ١/ ٥٦.

(٤) الخصائص ٢/ ١٤٤.

(٥) سر الصناعة ١/ ٥٧.

قوت الحرف وحصنته فـأبعدته من الانقلاب بل قد يجوز فيها إذا تحـركت إشمامها رائحة الزاى، فأما أن تخلص وهى متحركة زايا كما تخلص وهى ساكنة فلا، وإنما تنقلب الصاد زايا أو تشم رائحتـها إذا وقعت قبل الدال فإن وقعت قـبل غيرها لم يجز ذلك فيها[1].

وفى الزقر وزقعـاء السين مهموسة والقـاف مجهورة فأبدل السين زايا مـجهورة والزاى أخت السـين كـمـا أن الصـاد أختـهـا[2]، ويقـول ابن جنى: وروينا عن الأصمعى: اختلف رجلان من العرب فى الصقر فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين فتراضيا بأول من يقدم عليهما فـإذا راكب فأخبراه ورجعا إليه فقال: ليست كما قلت ولا كما قلت إنما هو الزقر).. إلخ.

وقد اعتبر ابن جنى كـلا من صمصمة وزمزمة أصلا قـائمًا برأسه فقال: «ليس أحد الحرفين بدلا من صاحـبه لأن الأصمعى قد أثبتهما مـعا ولم يجعل لأحدهما مزيـة على صاحـبه[3]. ويؤيد رأى ابن جنى مـا ورد فى معاجم اللغـة فكل من اللفظين من مادة مستقلة لها معانيها الخـاصة، فصمصمة مشتق من مادة (ص م م) التى تدور معـانيها حول القوة والصـلابة والمناعة ومن ذلك: حجـر أصم وصخرة صماء: صلب مصمت والصماء: الناقة السمينة واللاقح والأرض الغليظة والداهية الشـديدة والأصم: الرجل لا يطمع فيـه ولا يرد عن هواه والحـية لا تقـبل الرقى والصـمة بالكسـر: الشجـاع والأسد وصم فى الأمـر والسيـر: مضى كـصمـصـم والسيف أصـاب المفصل والصمـصام: السيف لا ينثـنى وكزبرج: الغليظ القصـير والجرىء الماضى وبـهاء: وسط القوم ويفـتح والجمـاعة واشتـمال الصـماء، وهى كساء[4] وزمزمة مشـتقة من مادة (زمم) التى تدور معانيهـا حول إصدار الأصوات واختلاطها ومن ذلك زم القربة: ملأها فزمت زموما امتلأت والبعير: خطمه وتقدم فى السير وتكلم والزمزمة: الصوت البعيد له دوىّ وتتابع صوت الرعد وهو أحسنه

---

(1) المصدر السابق ١/٥٧.

(2) المحتسب ٢/١٦٩، ٢٨٣.

(3) سر الصناعة ١/٢١٩، وانظر فى الأمثلة المزهر ١/٢٢٥، ٢٢٦.

(4) القاموس ٤/١٦٣.

صوتا وأثبته مطرا وتراطن العلوج على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة لكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض وصوت الأسد وبالكسر: الجماعة أو خمسون من الإبل والناس وقطعة من الجن أو من السباع وجماعة الإبل ما فيها صغار... إلخ[1].

ولا شك أن المعنيين قد التقيا على سبيل المجاز فضلاً عن أن كلا من اللفظين قد انفرد عن الآخر ببعض المعانى الواضحة فى النص السابق كاستعمال الصمصمة فى اشتمال الصماء وهى كساء وفى وسط القوم واستعمالها فى الأكمة الغليظة التى كادت حجارتها أن تكون منتصبة[2]، واختصاص الزمزمة بالقطعة من الجن وبتحديد العدد بخمسين على أنه عند فتح الحرفين المكسورين تبقى الصمصمة بمعناها وتنصرف الزمزمة إلى الصوت البعيد الذى له دوىّ وبهذا ترى أن اللفظين لم يتفقا من جميع الوجوه سواء المعنى أو الضبط والمطلوب تحققه فى الإبدال.

وهذا التأثر لون من ألوان الادغام الأصغر الذى هو: تقريب الصوت من الصوت وقد نبه ابن جنى على ذلك كثيرا إذ يقول:

ومنه تقريب الحرف من الحرف[3]، ومنه[4]، وهذا التقريب بين الحروف مشروح الحديث فى باب الادغام[5]، وهذا التقريب للحرف من الحرف باب طويل منقاد وهو فى فصل الادغام وما أصنعه وما ألطفه وأظرفه[6].

وقد ظهر لعلماء اللغة المحدثين أن الصوت المجهور أوضح فى السمع من الصوت المهموس بل إن المجهور يسمع من مسافة قد يخفى عندها المهموس فصوت السين يخفى عند مسافة معينة ربما استمر ظهور القاف -مثلا- بعدها بوقت والدال كذلك بالنسبة للصاد وعلى هذا فالمجهور يتناسب مع حياة البدو لأن

---

(١) القاموس ٤/١٤٧.

(٢) لسان العرب ١٥/٢٤١.

(٣) الخصائص ٢/١٤٤.

(٤) المصدر السابق ٢/١٤٢، ١٤٣.

(٥) المحتسب ٢/١٦٨.

(٦) المصدر السابق ٢/٢٨٣.

الصحراء الشاسعة تتطلب ارتفاع الأصوات على حين يتناسب المهموس مع حياة الحضر لأنه يكتفى هناك بأقل الأصوات ارتفاعًا فتبدل الصوت المهموس بآخر مجهور يكون إذًا من خصائص القبائل الحضرية على حين يبقى لمجهور من خصائص القبائل البدوية.

وقد نسب أبو حيان ظاهرة إشمام السين صوت الزاى إلى قبائل قيس وقلبها زايا خالصة إلى قبائل عذرة وكعب وبنى القين[1] ونسبت فى العين للأزد[2]، والأزد قبائل وبطون كثيرة ولعل تلك الظاهرة تنسب إلى البدويين منهم كأزد عمان المجاورين للشحر، وقيس معروفة ببداوتها، وعذرة قبيلة اشتهرت بالعشق وهى بطن من قضاعة[3] وهم بدو وكعب بطن عامر بن صعصعة[4] من هوازن[5]، كانت تسكن العروض[6] مجاورة لبنى تميم، وبنو العنبر بطن من أسد[7] وهى بدوية على ما نعرف.

السين والشين

من أمثلة ذلك: جعشوش، وجعسوس -تنسمت منه علما وتنشمت[8] والسده والشده ورجل مسدوه فى معنى مشدوه[9] قال:

فلو كنت وردا لونه لعسقننى ولكن ربى سانى بسواديا[10]

وفى جعشوش وجعسوس جعل ابن جنى الشين بدلا من السين ألا ترى أن السين أعم تصرفا من الشين لوجودك إياها فى الواحد والجمع جميعًا، قال فى خصائصه «قال الأصمعى:

---

(١) البحر ١/٢٥.

(٢) والزقف لغة الأزد فى السقف.

(٣) نهاية (القلقشندى) ص ٣٥٩.

(٤) المصدر السابق ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٥) المصدر السابق ص٣٣٠-٣٣٢.

(٦) صفة جزيرة العرب ص ١٥٩.

(٧) نهاية (القلقشندى) ص ٧١.

(٨) سر الصناعة ١/٢١٥.

(٩) المصدر السابق ١/٢١٠.

(١٠) المصدر السابق ١/٢١٤، وانظر ديوان سحيم ص ٥٦.

يقال: جعشوش، وجعسوس وكل ذلك إلى قمأة وقلة، وصغر[1]، ويقال هم من جعاسيس الناس ولا يقال بالشين فى هذا فضيق الشين مع سعة السين يؤذن بأن الشين بدل من السين نعم، والاشتقاق يعضد كون السين غير معجمة هى الأصل وكأنه اشتق من الجعس صيغة على فعلول وذلك أنه شبه الساقط المهين من الرجال بالخرء لذله ونتنه[2]، ولكن مقياس كثرة التصرف غير مؤكد لجواز أن تكون مادة (جعش) موجودة إلا أن الرواة لم يصلوا إليها ومن الجائز أن تكون الشين هى الأصل وقد نشأت السين عنها بطريق التصحيف أو أنهما لغتان لقبيلتين مختلفتين، والذى دعانا إلى القول بذلك أن السين والشين وإن اتفقا فى كثير من الصفات كالهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات فهما متباعدان مخرجا فالأول من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى والثانى من وسطه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وبينهما فى ترتيب المخارج حروف كثيرة هى -على ما رأى سيبويه وابن جنى[3]- ى- ض - ل- ر- ن- ط- د- ت- ص- ز- وقد صرح ابن جنى نفسه بأن اشتقاق جعسوس (من الجعس) إنما هو على التشبيه لا على سبيل الحقيقة وذلك مطلوب فى الحكم بالإبدال.

وأما تنسمت، وتنشمت فقد كان ابن جنى الحكم الفيصل فيهما برأى سديد فقد قال:

فأما قولهم تنسمت منه علما وتنشمت فليس واحد من الحرفين بدلا من صاحبه لأن لكل واحد منهما وجها قائما أما تنسست فكأنه من النسيم كقولك استروحت منه خيراً فمعناه أنه تلطف فى التماس العلم منه شيئًا فشيئًا كهبوب النسيم وأما قولهم: تنشمت فمن قولهم: تنشمت فى الأمر أى ابتدأته ولم أوغل فيه وكذلك تنشمت منه أى ابتدأت بطرف من العلم من عنده ولم أتمكن فيه[4].

وبهذا أوضح اختلاف الاشتقاق فلا إبدال بينهما.

---

(١) فى سر الصناعة إلى قماء وصغر وقلة ١/ ٢١٥.

(٢) الخصائص ٢/ ٨٦، ٨٧.

(٣) على خلاف بينهما فى تقدم الضاد وتأخرها عن الشين.

(٤) سر الصناعة ١/ ٢١٥، ٢١٦.

وأما السده والشده فقد قال ابن جنى: (ينبغى أن يكون السين فيه بدلا من الشين لأن الشين أعم تصرفا).

ولسنا معه فى مقياسه ولا فى وقوع الإبدال على هذا النحو لتباعد المخارج.

ويمكن أن يفسر ذلك بأنه ليس لغة بل لثغة تلحق النطق العربى عندما يتكلم بتلك الألفاظ -بالشين- شخص أجنبى، وهذا ما صرح به ابن حنى -بعد إنشاده البيت- قال: إنما قلب[1] الشين سينا لسواده وضعفه من مقاربة الشين وليس ذلك باللغة وإنما هو كاللثغ، ويؤكد ذلك عدم وجود (سده) ولا (عسق) ولا (سان) فى قواميس اللغة[2] وهو مما يظن -كذلك- أن يكون للتصحيف أثر فيه.

ومما ورد فى معجمات اللغة -بالسين والشين- على أنه من اختلاف اللهجات فى تشميت العاطس: يقال: شمت وسمت لغتان والشين أعلى فى كلامهم وأكثر[3].

والجرنفش للعظيم الجنبين والأنثى جرنفشة -بالسين والشين: لغتان.

وصرح بعض اللغويين بنقل ذلك الاختلاف عن بعض العرب كالباهليين فى: شطأ الرجل المرأة -بالسين والشين قال ابن الفرج: سمعت الباهليين يقولون: سطأ الرجل المرأة أى: وطئها قال أبو منصور: وشطأها بهذا المعنى لغة[4] وفى البقلة التى يقال لها: الشبث معربة[5] يقول الأزهرى: رأيت البحرانيين يسمونها سبث بالسين والثاء قلبوا الشين سينا والذال ثاء وهى بالفارسية يقال لها: شوذيله بالذال المعجمة[6]، والتبادل بين السين والشين وقع فى كلمات مشتركة بين العربية واللغات السامية الأخرى[7].

(١) يعنى الشاعر وهو سحيم عبد بنى الحسحاس.

(٢) انظر أبواب القاف والنون والهاء فى القاموس ولسان العرب.

(٣) غريب الحديث لأبى عبيد ٢/ ١٨٤.

(٤) شفاء الغليل ١٥٩.

(٥) اللسان ١/ ٨٨ وانظر أيضًا ٩٤.

(٦) التهذيب ١/ ٣٣٧ (شبث).

(٧) التطور النحوى لبرجشتراسر ص ٢٤، ٢٥.

من أمثلة ذلك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ [الفاتحة: ٦] والسراط - ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ﴾ [الأنفال: ٦] ويصاقون- ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] وصقر[١] -سخر وصخر- ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ [لقمان: ٢٠] وأصبغ[٢] -سقت وصقت- سويق وصويق- ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [ق: ١٠] وباصقات[٣] السماخ والصماخ وسمخنى بصوته وصمخنى والأسقح والأصقح -سلهب وصلهب[٤].

ولا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى بجانب اشتراكهما فى الهمس ومع ذلك فاحتمال اللهجات أمر قائم.

والواضح أن السين قد وقع بعدها أحد الحروف الآتية: الصاد -القاف- الغين- الخاء، والطاء من أصوات الإطباق ولذلك تأثرت السين بها فقلبت صادا لأنها من مخرج السين وتناسب الطاء فى الإطباق، وفى الأمثلة الأخرى يلاحظ أن السين من حروف الاستفال والقاف والغين والخاء من أصوات الاستعلاء فاقتضى هذا التجاور أن تقلب السين إلى صوت مشابه لأصوات الاستعلاء وهذا ما لاحظه فيلسوف العربية ابن جنى يقول: الأصل السين وإنما الصاد بدل منها لاستعلاء القاف فأبدلت السين صادا لتقرب من القاف لما فى الصاد من الاستعلاء[٥]، ويقول -عند تعقيبه على قراءة (وأصبغ) بالصاد-: أصله السين إلا أنها أبدلت للعين بعدها صادا كما قالوا فى سايغ صايغ وفى سالخ صالخ وفى سقر صقر وفى السقر الصقر ذلك أن حروف الاستعلاء[٦] تجتذب السين عن سفالتها إلى تعاليهن والصاد مستعلية وهى أخت السين فى المخرج وأخرى حروف الاستعلاء وقد نقل أبو حيان -عن أبى جعفر الرؤاسى- نسبة التأثر بالإطباق إلى قريش ويقول: إنه اللغة الجيدة[٧] وكذلك ورد فى اللسان (وهى بالصاد لغة

(١) سر الصناعة ١/ ٢٢٠.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢، والمحتسب ٢/ ١٦٨.
(٣) المحتسب ٢/ ٢٨٣.
(٤) سر الصناعة ١/ ٢١٨.
(٥) المحتسب ٢/ ٢٨٣.
(٦) المحتسب ٢/ ١٦٨.
(٧) البحر ١/ ٢٥.

قريش الأولين التى جاءت فى الكتاب) وقد يكون ذلك صحيحا فى الألفاظ التى يوجد فيها إطباق نحو ﴿يَبْسُطُ﴾ [سبأ: ٣٦] و﴿بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] أما أن قريشا كانت تذهب إلى الإطباق فى باسقات وأسبغ وسقر فذلك ما لا نظنه لأن البيئة الحضرية تميل إلى الأناة فى الأداء بحيث تعطى كل صوت حقه فتنطقه بصفاته ولعل هذه الظاهرة أن تنسب إلى البادية أجدر حيث عرفنا أن صوت الإطباق فيه من الوضوح ما يناسب البيئة الصحراوية[١]، وقد نسب ذلك إلى قوم من تميم يقال لهم: بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعة أحرف: الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين وقال الفراء: ونفر من بلعنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء صادا فمن ذلك قولهم: الصراط والسراط.. إلخ[٢] والصاق فى الساق عنبرية قال ابن سيده: (وأراه ضربا من المضارعة لمكان القاف) (والصويق لغة فى السويق المعروف لمكان المضارعة)[٣]. ويقال: سمخنى بحدة صوته وكثرة كلامه ولغة تميم الصمخ[٤]، والصماخ من الأذن: الخرق الباطن الذى يفضى إلى الرأس: تميمية والسين لغة فيه[٥] وذكر ابن دريد: الأسقح والأصقح بالسين والصاد يمنية -الأصلع- والسقحة: الصلع يمانية[٦].

وأما سلهب وصلهب فقد تردد ابن جنى فى رأيه فيهما قال: (يجوز أن تكون الصاد فيه لغة ويجوز أن تكون بدلا من سين سلهب لأنه أكثر تصرفا من صلهب[٧] ولعدم تأكد مقياسه فى بعض الأحيان وهو الاعتماد على كثرة التصرف وشيوع الاستعمال فإننا لحظنا اتجاه المعاجم اللغوية إلى التسوية بينهما فى الاستعمال فصاحب اللسان يقول: الصلهب من الرجال الطويل وكذلك السلهب[٨] وصاحب القاموس يروى

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٥٠.
(٢) اللسان: سرط، وصرط.
(٣) المصدر السابق: سوق وصوق.
(٤) المصدر السابق: سمخ.
(٥) المصدر السابق: سمخ وصمخ ٣/ ٥٠٤، ٤/ ٤.
(٦) الجمهرة ٢/ ١٥٤، ١٦٣.
(٧) سر الصناعة ١/ ٢١٨.
(٨) اللسان ١/ ٥٣١.

تصرفا للمادتين فيقول: الصلهب الرجل الطويل كالمصلهب والبيت الكبير والشديد من الإبل واصلهبت الأشياء امتدت على جهتها[٩] والسلهب الطويل أو من الرجال ج سلاهبة ومن الخيل ما عظم وطال عظامه كالسلهبة وهى الجسيمة والسلهابة الجريئة كالسلهاب بكسرهما[١].

والذى يبدو أن الكلمة بالسين لهجة وبالصاد لهجة أخرى وربما كانت الصاد متطورة عن السين فى لغة البدو لتلائم التفخيم الذى يلجأ إليه سكان الصحراء فقد ذكر سيبويه (هذا باب ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات تقلبها القاف إذا كانت بعدها فى كلمة)[٢].

وصرح ابن جنى بأن الصاد تبدل من السين فقال: إذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صادا[٣] وهذا ينطبق على الأمثلة المذكورة.

وقد أجرى ابن جنى لونا من **إمساس الألفاظ أشباه المعانى** على ألفاظ وردت بالزاى والصاد مثل علّوز وعلّوص وبالسين والصاد مثل سعد وصعد وسد وصد وقسم وقصم والوسيلة والوصيلة فالكلمة بالزاى أو السين تناسب معنى وبالصاد تناسب معنى آخر، وهذا مما يدخل فى نطاق ما يسميه اللغويون **(الاشتقاق الأكبر)**.

الصاد والضاد

من أمثلة ذلك: نصنص لسانه ونضنضه: حركه -تصوك فى خرئه وتضوك[٤].

نرى أن بين الصاد والضاد بعدا فى المخرج فالصاد من طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى والضاد من جانب اللسان أو من كلا الجانبين وبينهما من الحروف: ل-ب- ن- ط- د- ت- إلا أنهما يشتركان فى بعض الصفات كالإطباق والإصمات وذلك لا يصح به التبادل.

---

(١) القاموس ١/ ١١٠، ١١١.

(٢) القاموس ١/٩٩.

(٣) الكتاب ٤/٤٧٩.

(٤) سر الصناعة ١/ ٢٢٠.

(٥) المصدر السابق ١/٢٢١.

وقد ناقش ابن جنى هذين المثالين على أن كلا منهما لا إبدال فيه بل كل من اللفظين أصل إذ ليست الصاد أخت الضاد فتبدل منها[1].

والباحث فى المعاجم يرى أن مادتى: نصنص ونضنض متقاربتان معنى فالأولى تدور حول الحركة والانتقال والحث والثانية تدور حول الحركة والانتقال والحث والقلة ومن الأول: نص ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير والحركة ونصنص غريمه: استقصى عليه ونص المتاع جعل بعضه فوق بعض[2].

ومن الثانية: نض الماء سال قليلاً أو خرج رشحا ونضاضة الماء وغيره بالضم بقيته، وأنض الحاجة: أنجزها، ونضنض فلانا: أقلقه أو استحثه[3] فكل منهما على هذا مشتق من مادة مستقلة فهما لغتان.

ولا يستبعد أن يكون التصحيف قد تطرق إلى اللفظين وأصل المادة بالضاد أو بالصاد وكذلك: تصوّك فى خرئه وتضوّك رواهما صاحب اللسان بمعنى واحد: تصوّك فى عذرته تصوكا وبالضاد كذلك تلطخ رواهما اللحيانى عن زياد بالضاد المعجمة وعن الأصمعى بالصاد المهملة[4].

ولعل ذلك من باب اختلاف اللهجات.

ومما ورد بالصاد والضاد منسوبا إلى بعض العرب أو على أنه لغات: الضئبل: الداهية ولغة بنى ضبة الصئبل والضاد أعرف كما يقول الكسائى[5].

وقد صرح الأزهرى بأنه لم يسمعه من غير أبى تراب مع أنه كان يسكن بين أبناء ضبة، وجاص لغة فى جاض، وحفص الشىء: ألقاه، قال ابن سيده: والضاد أعلى، وفلان ما ينوض بحاجة وما يقدر أن ينوص أى يتحرك بشىء والصاد لغة، والمناص: الملجأ عن كراع والصاد أعلى، وضاف السهم يضيف: إذا عدل عن

---

(١) القاموس ٢/٣١٩، ٣٢٠.
(٢) القاموس ٢/٣٤٥، ٣٤٦.
(٣) اللسان ١٢/ ٣٤٥، ٣٤٩.
(٤) التهذيب ١٢/١٠٢، ١٢/ ١٩٤ وبنو ضبة هم بنو ضبة بن الحارث بن فهر من ساكنى الحجاز، جمهرة أنساب العرب ١٧٦، ١٧٧.
(٥) التهذيب ٢/ ٧٣.

الهدف ويقال فيه صاف بالصاد وهو لغة[1]، وقال تعالى ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه:٩٦] -بالضاد- وقرأ أبىّ، وابن الزبير والحسن وغيرهم بالصاد فيهما[2].

الصاد والطاء

من أمثلة ذلك: الحصب: الحطب، أو ما يسجر به منه، أو ما يرمى به فى النار، فى لغة أهل اليمن[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] هى بالصاد فى قراءة الجمهور، وقرأ أبىّ وعلىّ وعائشة وابن الزبير وزيد بن علىّ: (حطب) بالطاء، وجاءت فى آية أخرى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥].

وقرئت (حضب) بالضاد، ونقلت هذه القراءة عن ابن عباس وقد فسرت الكلمة بمعان مختلفة بحسب الصوت المنطوق به، فالحصب -بالصاد- هو ما رميت به فى النار، ولا يقال له حصب إلا وهو فى النار. وقال عكرمة: هو حطب جهنم بالحبشية[4] والحطب معروف أما الحضب -بالضاد- فهو كل ما هيجت به النار أو أوقدتها به.

ويذكر بعض الباحثين أن الكلمة بالطاء هى الأصل، لورودها فى القرآن الكريم مرتين وورودها -كذلك- فى العبرية والحبشية، على حين وردت الكلمة بالصاد مرة واحدة فى القرآن الكريم[5].

وليست كثرة العدد دليلا مؤكدا على الأصالة، كما أن قلته ليست دليلا مؤكدا على الفرعية، وقد وقعت الكلمة بالصاد فى الحبشية كما وقعت بالطاء فيها أيضًا.

---

(١) التهذيب ٢/ ٧٣ (ضاف).

(٢) البحر ٦/ ٢٧٣.

(٣) القاموس ١/ ٥٥ (حصب) وانظر معانى القرآن للفراء حيث نسب الكلمة بالصاد إلى أهل نجد، وتاج العروس ١/ ٢١٦، واللسان ١/ ٣١١ (حصب)، وانظر بحثنا فى القراءات، وصلتها باللهجات العربية بمجلة منبر الإسلام العدد ٧ السنة ٣٧ ص ٢٦.

(٤) تاج العروس واللسان.

(٥) لغة تميم ص ١١١.

ولعل نطق الطاء ضاداً فى (حضب) أو صاداً فى (حصب) لم تكونا خالصتين بل كانت بين الطاء والصاد أو بينها وبين الضاد وهى ما يطلق عليه الضاد الضعيفة[1] وهى من الحروف غير المستحسنة.

ويقال للناقة إذا ألقت ولدها ولم يشعر[2] ملصت وملطت، وألقته مليصاً ومليطا، وهى ناقة مملص ومملط، وإبل مماليص ومماليط، فإذا كان ذلك من عادتها قيل: مملاص ومملاط.

ويقال: اعتاطت رحمها، واعتاصت وهما سواء إذا لم تحمل أعواما، وهى ناقة عائط والجمع عيط.

ولا يجوز التبادل بين الطاء والصاد أو الضاد لبعد المخارج واختلاف الصفات واختلاف المعنى، فلا يمكن نسبة الصور المتعددة للنطق - هنا - إلى العرب جميعا، ولو كان ذلك على سبيل التطور الصوتى، فمن شروط الإبدال -كما عرفنا- تقارب المخارج أو الصفات بين الأصوات مع اتفاق المعنى بين ما وقع فيه البدل والمبدل منه، وذلك غير متحقق هنا، فالأولى أن يكون ذلك لهجات كما ذكر بعض اللغويين.

الضاد والظاء

من أمثلة ذلك: رجل ظالع: مائل وقيل: إن المائل بالضاد، وفى الحديث: (**أعطى قوما خاف ظلعهم**) بفتح اللام أى ميلهم عن الحق وضعف إيمانهم وأصل الظلع داء فى قوائم الدابة تغمز منه[3] وورد فى اللغة: ضحى -من الأضحية- بالصاد والظاء.

وروى أن رجلا سأل عمر: أيظحى بضبى؟ فقال عمر: وما عليك لو قلت أيضحى بظبى؟ قال الرجل: إنها لغة -بكسر اللام- فقال عمر: انقطع العتاب ولا يضحى بشىء من الوحش[4].

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٢ وسر الصناعة ١/ ٤٦.

(٢) أى لم ينبت شره. (٣) النهاية ٣/ ١٥٩.

(٤) المزهر ٢/ ٥٦٣.

وذكر الجاحظ أن جارية تسمى ظمياء كان يناديها صاحبها يا ضمياء بالضاد[1].

ومن ذلك: الفيض وهو الموت ويقال: فاضت نفسه أى لعابه الذى يجمع على شفتيه عند خروج روحه، ويقال: فاض الميت بالضاد وروى بالظاء أيضًا.

وقد كثر ورود الكلمات بالتناوب بين الضاد والظاء وشاع إلى حد أن ألف بعض العلماء كتبا فى الألفاظ التى جاءت بالضاد والظاء ويخشى اللبس بينهما وقال فى ذلك القاسم بن على الحريرى:

أيها السائلى عن الظاء والضاد لكيلا تضله الألفاظ

إن حفظ الظاءات تعييك فاسمعها استماع امرىء له استيقاظ

هى ظمياء والمظالم والإظلام والظلم والظبى واللحاظ[2]

وبين الضاد والظاء بعد فى المخارج فالضاد العربية من جانب اللسان أو من كلا الجانبين والظاء من طرف اللسان مع أطراف الثنايا وبينهما فى المخرج حروف كثيرة: ل -د- ن- ط- د-ت- ص- ز- س، ويزيد على ذلك عند سيبويه: ج- ش- ى.

ولكن بينهما -مع هذا التباعد فى المخرج- تقارب فى بعض الصفات كالجهر والاستعلاء والإطباق والإصمات.

ولكن يبدو أن المعول عليه فى القول بالإبدال هو المخرج ولذا فهذا اللون من التناوب بين الضاد والظاء يرجع -فى الراجح- إلى اختلاف اللهجات والقول بذلك أولى من التفسير على أنه من الإبدال.

وقد نسبت الضاد والظاء إلى بعض القبائل العربية، فنسبت الضاد إلى بنى تميم وقضاعة -فى بعض الكلمات- ونسبت الظاء إلى أهل الحجاز وطيئ. قال ابن سيده: فاضت نفسه: خرجت، تميمية، وفى حديثه عن (اضرورى):

---

(١) البيان والتبين ٢/ ٢١١.

(٢) المزهر ٢/ ٢٨٦.

حكى عن أبى عمرو: (اطرورى) بالطاء ورواية أبى زيد (اظرورى) وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه وقد سألت عنه بعض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد[1]، ويذكر ابن منظور: أهل الحجاز وطيئ يقولون: فاظت نفسه، وقضاعة وتميم وقيس يقولون: فاضت نفسه مثل فاظت دمعته.

ومما جاء من الشعر فى ذلك ما نسب لرؤبة بن العجاج من تميم:

والأزد أمسى شكوهم لفاظا   لا يدفنون منهم من فاظا[2]

وقال قطرى بن الفجاءة من تميم:

فلم أر يوما كان أكثر معقصا   يسيح دما من فائظ وكليم[3]

والضاد الشديدة يفضلها التميميون والظاء الرخوة يفضلها الحجازيون.

وبعض العلماء يرى أن العرب ينطقون: فاضت بالضاد إلا بعضهم كبنى ضبة: يقول السيوطى: كل العرب تقول: فاضت نفسه بالضاد إلا بنى ضبة فإنهم يقولون: فاظت بالظاء.

وورد عكس ذلك من نسبة الظاء إلى العرب إلا بعضهم كبنى ضبة أو ناس من تميم ينطقونها بالضاد وقع ذلك فى رواية عن المازنى نقلا عن أبى زيد قال: إن العرب تقول: فاظت نفسه إلا بنى ضبة يقولونه بالضاد[4].

وفى الغريب المصنف: فاظت نفسه تفيظ: مات وناس من بنى تميم يقولون: فاضت نفسه تفيض[5].

وورد اضطراب النسبة إلى قيس فعلى حين نقل عن الفراء نسبة الضاد إلى قيس والظاء إلى طيئ فى فاضت نفسه[6] روى عن أبى زيد وأبى عبيدة نسبة الكلمة بالظاء إلى قيس وبالضاد إلى تميم.

---

(١) المخصص ٥/ ٨٠.

(٢) التهذيب ١٢/ ١٨٠ (فاظ).

(٣) اللسان (فيظ).

(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٥٠١ فيض.

(٥) المزهر ٢/ ٢٨٦.

(٦) النهاية ٣/ ٤٨٥.

وقد حاول بعض الكاتبين فى الفرق بين الضاد والظاء أن يوضحوا الفروق المعنوية بين الكلمات التى تقاربت فيها الضاد والظاء، ومن ذلك ما ورد فى حديث وفد تميم، وهو كلمة (أخفضهم) بمعنى: وضع منهم فى قوله **(فلما دخلوا المدينة بهش إليهم النساء والصبيان يكون وجوههم فأخفضهم ذلك)** قال أبو موسى: أظن الصواب بالحاء المهملة والظاء المعجمة أى أغضبهم[1].

ومن ذلك عظت الحرب بنى تميم فالعض أخذ الشىء بالأسنان والشد بها عليه وبالظاء اشتداد الزمان والحرب.

ويبدو ذلك فى بعض القراءات كقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾ [التكوير: ٢٤].

قرأ زيد بن ثابت وعاصم وأهل الحجاز (بضنين)[2] وهو حسن، وقرأ (بظنين) ابن كثير وأبو عمرو والكسائى[3].

والمعنى مختلف على القراءتين فالضاد على معنى أنه ليس بخيلا، والظاء على أنه ليس متهما على الوحى أو ليس ضعيفا[4].

وأورد ابن جنى فى سر الصناعة:

إلى الله أشكو من خليل أوده ... ثلاث خصال كلها لى غائض

أراد: غائظ.

وخرج ابن جنى المثال على وجهين: إبدال الضاد من الظاء أو «يكون غائظ غير بدل ولكنه من غاضه أى: نقصه فيكون معناه: أنه ينقصنى ويتهضمنى[5].

ومعنى البيت يحتمل التخريج الأول والثانى فربما يكون الشاعر من قوم يفضلون الضاد على الظاء وهم التميميون وأضرابهم، وعلى التخريج الثانى يمكن تفسير

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٥٤ (خفض).

(٢) التهذيب ١١/٤٦٧، ٤٦٨ (ضنن).

(٣) السبعة لابن مجاهد ٦٧٢.

(٤) حجة القراءات لأبى زرعة ٧٥٢، ومعانى القرآن للفراء ٣/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٥) سر الصناعة ٣/ ٢٢٢.

البيت بأن خصال الصديق تضر بالشاعر وتقضى على بعض حقوقه وتكون الكلمة من غاضه أى نقصه وتهضمه حقه[1] وحينئذ فلا إبدال، وبعض العلماء كان يخرج هذا التناؤب على أنه من التصحيف ففى:

أنضج السنبل: إذا رؤى الدقيق فى حبه يقول الأزهرى:

(الذى حفظناه وسمعناه من الثقات نضج السنبل وأنضج والظاء بهذا المعنى تصحيف إلا أن يكون محفوظا عن العرب فتكون لغة من لغاتهم)[2].

الطاء والظاء

من ذلك: مشطت يده تمشط مشطًا وهو أن يمسّ الرجل الشوك والجذع فيدخل فيه يده، ويقال: مشظت يده بالظاء.

قال جرير: **مشاظ قناة دروها لم يقوم**[3].

وقال سحيم بن وثيل الرياحى:

وإن قناتنا مشِظٌ شظاها ... شديد قدّها عتق القرين[4]

وذكر الأزهرى فى الموضع الأول أنهما لغتان.

ومن ذلك: ما أورده ابن جنى: البرطلة (ابن الظل) -ناطور ونواطير ومستنطر قال ابن جنى: إن الظاء لا توجد فى كلام النبط وإذا وقعت فيه قلبوها طاء[5].

وقد ذكرت المعاجم اللغوية أن تلك الكلمات التى استشهد بها ابن جنى غير عربية حقيقة فلا توجد مادة (ن ط ر) فى اللغة العربية وإنما هى ما يقابل مادة (ن ظ ر) وقد فسر ابن جنى البرطلة بقوله (ابن الظل) وذلك لأن الأصمعى يقول:

---

(١) اللسان ٩/ ٦٥، وقد نسب ابن منظور رأى ابن جنى إلى ابن سيده وليس صحيحا لأن ابن جنى هو صاحب الرأى إذ هو المتقدم ولعل ابن منظر نقل ذلك من المحكم دون تأكد من صاحب الرأى.

(٢) التهذيب ٤/ ٤٥٨ (نظج).

(٣) التهذيب ١١/ ٣١٩ (مشط).

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٣٣ (مشظ) وإصلاح المنطق ص ٤٢٠ المشظة: قناة صلبة تمشظ بها يد من يتناولها والقناة: الرمح الأجوف وكل عصا مستوية أو معوجة والقِدّ: الشق والقدّ السوق والعتق: النجابة.

(٥) سر الصناعة ١/ ٢٣٢.

(بر) ابن والنبط يجعلون الظاء طاء فكأنهم أرادوا ابن الظل والبرطلة: المظلة الصيفية نبطية، وقد استعملت فى لفظ العربية[1] والناطر والناطور من كلام أهل السواد: حافظ الزرع والتمر والكرم قال بعضهم: وليست بعربية محضة[2] وقال الفيروزآبادى: والناطور حافظ الكرم والنخل أعجمى[3] والإبدال لا يتأتى بين الطاء والظاء لاختلاف مخرجيهما إذ بينهما من الحروف: د -ت- ص- ز- س، وبينهما اختلاف فى بعض الصفات فالكلمتان إذًا مستعملتان فى لغتين مختلفتين: عربية ونبطية، ولا إبدال بينهما كما ذكر ابن جنى ولذلك أتى اللفظ على أصله بالظاء المعجمة فى قول الشاعر (أنشده ابن الأعرابى):

وشف فؤادى أن للعذب ناظرا ... حماه وأنى لا أعيج بمالح[4]

وفى المقارنة بين العربية وأخوتها الساميات نرى أن الطاء حلت محل الظاء فى بعض الكلمات مثل طليل أى ظليل ونطار بمعنى ناظر[5].

وقد سمع من ذلك: بهطنى الأمر وبهظنى ووقيط ووقيظ.

وطلف على الخمسين زاد والظاء لغة فى كل ذلك.

العين والغين

ذكر ابن جنى أن الغين لا تكون بدلا[6] وقد ناقش أمثلة وردت فى اللغة بالعين والغين ولم يجزم بالإبدال فى شيء منها وها هى ذى: لعنى ولغنى ورغنى - ارمعل وارمغل- علث الطعام وغلثه- النشوع والنشوغ.

قبحت من سالفة ومن صدغ ... كأنها كُشبةُ ضَبٍّ فى صقغ

حتى إذا ما هوت كف العلام لها ... طارت وفى كفه من ريشها بتك[7]

(1) اللسان ١٣/ ٥٤.
(2) اللسان ٧/ ٧١.
(3) القاموس ٢/ ١٤٤.
(4) سر الصناعة ١/ ٢٣٣.
(5) الكنز اللغوى ٢٣٦، ٢٤٩.
(6) سر الصناعة ١/ ٢٤٧.
(7) المصدر السابق ١/ ٢٤٧، ٢٤٨، ولسان العرب ١٥/ ٣١٥

وقد تردد ابن جنى فى إثبات الإبدال فى بعض هذه الأمثلة وعبارته تنم عن هذا التـردد فتارة يأتـى بلفظ (كأن) وتارة أخـرى بكلمة (ينبـغى) وثالثة ينسب الـقول بالإبدال إلى غيره فيأتى بكلمة (أراد) أى فلان غيره وهكذا.

قال - فـى لعنى ولغنى ورغنى -: ينبـغى أن يكون الغين فـيه بدلا من العـين لسعة العين فى الكلام وكـثرتها فى هذا المعنى وقلة الغين[1] وفى (ارمعل وارمغل وعلث الطعام وغلثه والنشوع والنشوغ قال: إنهـا لغات كلها لاستوائها فى الاطراد والاستعمال، وفى صقغ حكى القول بالإبـدال عن أبى محمد بن الحسن بن مقسم -أحد شيوخه- فقال: أراد صقع بالعين فأبدلها غينا، وفى المثال الأخير أوضح ابن جنى أن الغلام بالغين معروف والعلام بالعين الصقر وعلى هذا فلا إبدال لاختلاف المعنى على كل[2].

ونحن نلمح عدم جزمه بالإبدال فى المثالين الأولين وإخلاله بمقياسه -كثرة الشيوع والاستـعمـال- فى المثال الأول لحكمـه بأن كلا من اللفظين لغـة على الرغم من أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه، وظاهر أن العلاقة الصوتية بين العين والغين تسوغ التبادل، فكلها حروف حلقية وتتفق العين والغين فى الجهر والانفتاح والإصمات.

ويبدو أن لعنى ولغـنى ورغنى لهجات لقـبائل عربيـة فالغين للـبدو لميلهم إلى الحروف المجهورة والمستعلية والعين للحـضر وهو المشهور فى كتب اللغة، وارمعل وارمغل قد وردا فى القوامـيس العربية متساويى الاستـعمال بألفاظهما ومعـانيهما يقال: ارمعل الثوب: ابتل وقيل: كل ما ابـتل فقد ارمعل وارمعل الدمع وارمعن: سال فهو مرمعل ومرمعن، وارمعل الشىء: تتـابع وقيل: سال فتتابع وارمغل مثله تمامًا فى التصرف السابق[3].

وكذلك علث وغـلـث -يقال: علث الشىء يعلثـه علثا وأعلثه: خـلطه وطعام عليث وغليث، ومادة (غـلـث) على نحو من هذا[4]، ولعل إحـداهما ناشـئة عن

(١) سر الصناعة ٧/ ٢٤٧.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٨.
(٣) لسان العرب ١٣/ ٣١٧ والقاموس المحيط ٣/ ٤٤٦.
(٤) اللسان ٢/ ٤٧٤، ٤٧٨.

الأخرى بطريق التصحيف، والمثالان بعد ذلك عرفت مادة كل منهما بالعين فى القواميس دون الغين، فالنشع انتزاعك الشىء بعنف إلخ.

وورد النشوع والنشوغ بمعنى السعوط والوجور الذى يوجره المريض أو الصبى والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم ويقال نشع الطيب شمه[1] ولم يعرف نشغ ومادة صقع معروفة، صقعه كمنعه: ضربه وصقع الديك: صاح وبه الأرض: صرعه والصاقعة: الصاعقة[2] والصقع: ناحية الأرض والبيت[3] ولم تعرف صقغ بالغين.

فالظاهر أن المادتين بالعين، والغين فيهما ناشئة بطريق التصحيف ولذلك تردد ابن سيده فى المثال الثانى (صقغ) فقال: فلا أدرى أهو هرب من الإكفاء أم الغين فى (صقغ) وضع (أى وضع لغوى مسموع) وقد رواها -كذلك- أبو عمرو وقال ابن جنى:

فإذا كان الأمر على ما رواها أبو عمرو فالحال ناطقة بأن فى (صقع) لغتين العين والغين جميعًا وأن يكون إبدال الحرف للحرف.

وهذا تردد من ابن جنى فى قبول صقغ، بالغين إلا أنه أذعن للقبول لأن راويه أبو عمرو وهو من الثقات.

والحقيقة أنه من التصحيف ولا يجرح ذلك ثقة العلماء من أمثال أبى عمرو لأن التصحيف نشأ بعد تدوين اللغة وربما لم يروه أبو عمرو إلا بوجه واحد عرض له التصحيف فيما بعد، ومن الجائز -أيضًا- أن تكون رواية الغين صحيحة وقد حول الشاعر العين غينا لإصلاح الشعر.

وأما النشوغ فالتصحيف ظاهر فيه، ويدل على عجيب أمر التصحيف وغرابته فى مثل ذلك ما رواه ابن جنى فى كلمة (العلام) فى بيت الشعر السابق إذ إن الكلمة بالعين لا غير لأن البيت فى وصف قطاة يطاردها صقر وما قبله وما بعده من

(١) اللسان ١٠/ ٢٣٢.
(٢) القاموس المحيط ٣/ ٥٠.
(٣) اللسان ١٠/ ٧٠.

الأبيات فى وصف الصقر الذى يطارد القطـاة، وإذًا فلا معنى لأن تكون الكلمة هنا بالعين إلا أن التصحيف تطرق إليها.

ومن هنا تعجب ابن جنى كيف ترد مثل هـذه الكلمة بالغين فى هذا البيت من الشعـر وقال: وهذا من طريف الرواية وغـريب اللغة[١] وليس بين مادتى (علم) و(غلم) أية مناسبة أو قرب[٢].

ومن ذلك الغوهق: الغراب بـالعين والغين[٣] وذكر مرة أخرى الغـيهق بالغين محفوظ صحيح والغيهقة قال الأزهرى[٤]: لا أحفظهما لغير الليث ولا أدرى أهى لغة حفظت عن العرب أم العين تصحيف.

والسرغ -بالغـين- لغة فى السـرع بمعنى الغضب ويقـال سروغ الكرم قضـبانه الرطبة الواحد سرغ وقال الليث: هى السروع -بالعين، والغين لغة معروفة[٥].

جرح نعار: يسيل منه الدم ويقال نغار بالعين والغين، وقد صحتا معا[٦].

وفى بطنه معص ومغص قاله بعض الأعراب[٧] والغين أصل.

ومنه ممعط وممغط: طويل ولا يبعد أن يكونا لغتين[٨].

اللغوس: الذئب واللعوس هو الذئب الحريص على الشىء وأنشد لذى الرمة:

ومـــاء هتـكت الليـل عنه ولـم يرد روايا الفـــراخ والذئاب اللـغــاوس

ويروى اللعاوس، ولا ينكر أن تكون العـين لغة[٩]، وذو الرمة له صلة بتـميم لأنهم من قبيلة ذات صلة قرابة بالتميميين[١٠].

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٤٨.
(٢) القاموس ٤/ ١٣٨، ١٨٢.
(٣) التهذيب ٥/ ٣٨٦، ٣٨٧ (رباعى الغين).
(٤) المصدر السابق ١/ ١٢٤ (عهق).
(٥) المصدر السابق ٨/ ٣٤ (سرع).
(٦) التهذيب ٢/ ٢٦٩، ٨/ ٨١.
(٧) المصدر السابق ٨/ ٣٢ (مغص).
(٨) المصدر السابق ٢/ ١٩٣ (معط).
(٩) المصدر السابق ٢/ ٩٨ (لعس).
(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢٠.

والعلاقـة الصوتية بين العين والغـين -كما ذكـرنا- تسوغ التبادل بينهـما ولكن السماع هو الذى يجـعلنا نحكم بورود الوجهين أو ورود أحدهمـا ونسبة ذلك إلى بعض القبائل.

العين والقاف

قال الخليل: البالوقة والبالوعة، طوقت له نفسه: لغة فى طوعت بمعنى رخصت وسهلت، وليس بـين الصوتين تقارب فى المخـرج أو الصفات فـالعين حلقـية من وسط الحلق والقاف من أقصى اللسان، والعين متوسطة على حين أن القاف شديدة وهذا من قبيل اللهجات.

الغين والقاف

عسّ الليل وغسّ: أظلم، ويقال: قسّ أيضًا.

ولعل ذلك من باب التصحيف والتحريف وذكر صاحب اللسان أن ذلك لغة تميم.

الفاء والقاف

الزحلوفة آثـار تزلج الصبيـان من فوق إلى أسـفل وهى لغة أهل العـالية وتميم تقوله بـالقاف[١] ونسب ابن السكيت القـاف إلى هوازن أيضًـا، وابن دريد عكس فنسب القاف للحجاز والفاء لتميم[٢].

والقرزوم -بالقاف- الخشـبة التى يحذو عليها الحذاء وجمعـها قرازيم وقال ابن السكيت: هو الفرزوم بالفاء وفى شعر الطرماح يصف النساء:

إلى الأبـطال من سـبـأ تكـمت مناسـب منه غـيـر مـقـرزمـات

أى غير لئيمات وهما لغتان[٣].

وينقل بعض الباحثين رأى بعض الغـربيين وهو: دى كورتنال الذى عرضه سنة

---

(١) التهذيب ٥/ ٣٠٤.

(٢) القلب والإبدال ٦٤، والمزهر ١/ ٥٥٤.

(٣) التهذيب ٩/ ٣٩٩، ٤٠٠.

١٨٩٣م وملخصه أن الأصوات التى فى الحنك تتقدم فى اتجاه مقدم الفم إلى الأسنان والشفتين.

وقرر أن القاف التميمية هى كاف قافية تميمية تطورت إلى الفاء عند أهل العالية.

كما ذكر هذا الباحث أنه يمكن تفسير زحلوفة بالفاء والقاف وفق قانون المغايرة الذى يلجأ إلى تغيير أحد المتماثلين إلى حرف آخر بغية التخفيف فأصل (زحلوفة) وزحلف من (زحّف) -بتضعيف الحاء- فنقلت إلى زحلف- بإبدال إحدى الحاءين لاما للتخفيف -كما أن الكلمة بالقاف أصلها (زلّق) فأبدل مكان إحدى اللامين قافا.

وكلا الرأيين فى نظرنا لا دليل عليه بل إننا نرى أن الإدغام ربما يكون ناشئًا عن تحويل الحروف المختلفة إلى حروف متماثلة وإدغامها طلبا للإسراع فى النطق وعدم تكلف المجهود العضلى[1].

وقانون الأصوات الحنكية مقيد كما يقول (يسبرسن) بأن يلى الصوت المحول صوت اللين الأمامى وهو الكسرة القصيرة أو الطويلة إلى جانب أن القاف والفاء متباعدتان فى الصفات كالجهر والهمس والاستعلاء والاستفال والشدة والرخاوة بخلاف ما حول فى المعاجم.

وعرض هذا الباحث تفسيرًا لنشأة القاف والفاء عن طريق النحت بناء على مذهب ابن فارس فى نحت ما زاد على ثلاثة أحرف من الألفاظ الرباعية والخماسية المجردة فقال: إن زحلف منحوتة من (زحف) و(زلف) أو (زحل) و(زلق) أو إن الكلمة بالفاء والقاف ترجع إلى مادة واحدة هى (زحل) زيدت عليها الفاء عند أهل العالية والقاف عند تميم، ومما يقوى ذلك عنده ورود زحاليل بمعنى زحاليق فظهرت اللام ولكن أصلها (زحل)، وهذا الرأى الذى قال به ابن فارس لم

(١) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية ص ٢٤٢ وما بعده.

وكتابنا: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، ص ١٩٠ وما بعدها عن رأى مشابه لهذا فى بعض الصيغ ومناقشته.

يسلم من النقد عند علماء اللغة فقوله بنظرية النحت قول غير مطرد فمعرفة الأصلين للكلمة المنحوتة لم يكن أمرا واضحًا على الدوام بل خفى الأصل الثانى فى معظم الأحيان.

وعند معرفة أصل واحد دون الآخر رأى أن الحرف الذى لم يعرف أصله زيد للمبالغة دون دليل واضح وأحيانًا خفى على ابن فارس معرفة الأصلين معا فقال - حينئذ- إن ذلك مما وضع وضعا وليس منحوتا كالزخرف والخندريس وغير ذلك مما يؤيد ضعف نظريته وضعف ما بنى عليها[1]، ويكفى أن نقول: إنها لهجات دون معرفة أصلها التطورى أو إن ذلك نشأ بطريق التصحيف وقد وضع السيوطى: الزحلوفة والزحلوقة فى باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف)[2].

القاف والكاف

من أمثلة ذلك: كشطت وقشطت ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١] فى قراءة عبد الله (قشطت) بالقاف[3] والمعنى واحد -امتك الفصيل ما فى ضرع أمه وامتق.

وقد عد ابن جنى المثال الأول من اختلاف اللهجات ورجح الإبدال فى الثانى يقول عن الأول: أخبرنى أبو علىّ قراءة عليه عن أبى بكر عن بعض أصحاب يعقوب عنه قال: قال الفراء: قريش تقول كشطت وقيس وتميم تقول قشطت بالقاف وليست القاف فى هذا بدلاً من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين[4]، ويقول عن الثانى: الأظهر فيه أن تكون القاف بدلا من الكاف لما ذهب إليه أبو علىّ لأنه قال من هذا أخذ اسم مكة لأنها كالمجرى للماء فهو ينجذب إليها. . . فقول الجميع مكة ولم يقولوا مقة يقوى أن الكاف هى الأصل[5]، والناظر فى

---

(١) انظر كتابنا: العربية خصائصها وسماتها ط٤ ص ٣٠٣ وما بعدها.

(٢) المزهر ١/ ٥٣٧.

(٣) وانظر التهذيب ١٠/ ٦، والمعنى: نزعت فطويت.

(٤) سر الصناعة ١/ ٢٧٨، واللسان ٩/ ٢٥٥.

(٥) سر الصناعة ٨/ ٢٧٨، ٢٧٩.

العلاقة الصوتيـة بين الحرفين يراها قوية فكلاهما من أقصى الـلسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويتفقـان فى الانفتاح والإصمات والـهمس -على رأى المحدثين فى القاف بأنهـا مهمـوسة- فلا مـانع من التبادل بينهـما وقد فـضلت تميم القاف لاختيارها للأصوات المستعلية القوية وفضلت الحجاز الكاف لاستفالها ورقتها.

أما تـقدير ابن جنى بأن الكاف أصل فى امـتك اعتـمادا علـى كثرة تـصرفـها واشتقاق مكة منهـا بالمعنى الذى نقله عن أستاذه وبذلك تكون مادتها أكـثر تصرفا من مادة (مق) فغير مسلم له من نواح:

١- أن ما نقله عن أسـتاذه ليس «إلا وجـها واحدا من وجـوه كثيـرة قيلت فى التعليل لتسمية مدينة البيت الحـرام بهذا الاسم (مكة) فقد قيل: سميت بذلك لقلة مائها وذلك أنهم كانوا يمتكون الماء فيها أى يسـتخرجونه وقيل: سميت مكة لأنها كانت تمك من ظلم فيـها وألحد أى: تهلكه[1] ولا صلة للتسميـة الثانية المعلل بها بمعنى امتك الفصـيل ضرع أمه فلا تفضل بذلك (مق) لأن (مق) لهـا معان أخرى غير المعنى المشترك بينهما وهو الامتصاص.

٢- وكما أن (مك) تسـتخدم فى غيـر معنى الامتصــاص كالإهلاك والازدحام كذلك استـعملت (مق) فى معـان أخرى مثل: مققـت الشىء أمقه فتـحته، ومق الرجل على عـيالـه: إذا ضيق عليـهم فـقرًا أو بخـلا[2] وبهـذا لا نجد فرقـا فى الاستعمال بين المادتين فلا مانع إذًا أن تكون الكاف مبدلة من القاف أو العكس.

على أننا لو قدرنا القاف هى الأصل لكان أقرب إلى تسهيل النطق إذ من العادة أن الإبدال يكون للتخفـيف والسهولة والكاف أسهل نطقـا من القاف بل إن القاف عندما تنحدر إلى مقدم الفم فى مخرجها تنقلب كافا.

وأيا كان الأمر فإن التبادل بينهما ظاهرة لهجية.

---

(١) اللسان ١٢/ ٣٨٠.

(٢) المصدر السابق ١٢/٢٢٣ وإذا كانت هذه المعانى لا تتصـل بالمعنى الأول (الامتصاص) فإن معنى الإهلاك وتفسير مكة عليه (وربيما كان هو المعـقول) لا صلة له أيضًا بالمعنى الأول وإذا كانت له صلة مجازية فإن صلة المعنى الذى رويناه من تضييق الرجل على عياله مـجازية مثل تلك الصلة فى (مك) فلا فرق إذًا بين المادتين انظر: سر الصناعة ١/ ٢٧٩، ولسان العرب فى الموضعين السابقين.

من ذلك: الدمان والدمال -بالفتح وتخفيف الميم- فساد التمر قبل إدراكه حتى يسود.

وفى الحديث: (**كانوا يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها فإذا جاء التقاضى قالوا: أصاب التمر الدمان**)، وإذا طلعت النخلة عن عفن وسواد قيل: أصابها الدمان، النون واللام بمعنى[(١)].

ومن ذلك: الضميلة أو الضمينة: الزمنة ليُبس وجُسُوّ فى ساقيها ويروى بالصاد مكان الضاد.

وفى حديث معاوية (**أنه خطب إليه رجل بنتا له عرجاء فقال: إنها ضميلة فقال: إنى أريد أن أتشرف بمصاهرتك ولا أريدها للسباق فى الحلبة**).

ويقول الزمخشرى: إن صحت الرواية بالضاد فاللام بدل النون من الضمانة وإلا فهى بالصاد المهملة[(٢)].

ومن ذلك: العلاك والعلك: شجر ينبت بناحية الحجاز ويروى بالنون وسئل جرير عن منزله ببيشة فقال: سهل دكداك وحمض وعلاك[(٣)].

ويقال: كلاز وكناز لمجتمع الخلق الشديد واكلأزّ: إذا انقبض وتجمع، قال حميد بن ثور:

نحمل الهمَّ كِلازًا جلعدا[(٤)]

ويقال: هتلت السماء وهتنت وسحائب هتّل وهتّن وعُلوان الكتاب وعُنوانه ولهزته ونهزته: دفعته وضربته وأسود حالك وحانك[(٥)].

---

(١) النهاية ٢/ ١٣٥ (دمن).

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٠١ (ضمل).

(٣) المصدر السابق ٣/ ٣٩٠ (علك).

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٩٦.

(٥) المزهر ١/ ١٦٥.

وذكر ابن جنى بعض الأمثلة التى تبدل فيها اللام من النون كقول النابغة الذبيانى:

وقفت فيها أضيلالا أسائلها أعيت جوابا وما فى الربع من أحد[1]

والنون من مخرج اللام وهو طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما الراء فى ترتيب الحروف إلا أنها من مخرجهما[2].

واللام والنون يتفقان فى جميع الصفات وهذا يسوغ التبادل بينهما، ولكن الصرفيين جعلوا إبدالهما فى المثال السابق شاذا أو نادرا ولا وجه للشذوذ فيه إذ إنه متفق مع قوانين الإبدال الصوتية وربما كان للمخالفة التى تدعو إلى تغيير أحد المثلين أثر فى ذلك التبادل وبخاصة أن الحاجزبينهما غير حصين وهو الألف.

ومن الأمثلة التى أوردها ابن جنى مما يصح فيه التبادل: رعن ورعل (أنف الجبل) خامن وخامل -لعنّ ولعلّ- بن وبل- هتنت السماء وهتلت.

والعلاقة بين النون واللام قوية تسوغ التبادل فهما متحدان مخرجا وصفة، ولكن ابن جنى جعل لكل من رعل ورعن -وهو (أنف الجبل)- اشتقاقا، فرعن بالنون مشتق من الرعن وهو الاضطراب قال الشاعر:

ورحلوها رحلة فيها رعن

أما رعل باللام فمن الرعاة والرعيل وهو قطعة من الخيل، والخيل توصف بالحركة والسرعة[3] وبذلك يلتقى المعنيان على سبيل المجاز فهما أصلان، ورأى ابن جنى فى هذا سديد على أنه لا مانع من التبادل، وقد حكم بأن هتلت السماء وهتنت وسكر طبرزل وطبرزن أصلان لأنهما متساويان فى التصرف والاستعمال[4]، ولا مانع من التبادل -كما ترى- لأن مقياس التصرف غير مؤكد،

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ٦١.

(٢) ينظر سر الصناعة ١/ ٥٠، ٥٢ وأصيلال تصغير أصيل على غير قياس وقيل جمع أصيل على أصلان مثل بعير وبعران ثم صغروا الجمع فقالوا: أصيلان ثم أبدلوا من النون لاما فقالوا: أصيلال والأول أولى. التصريح ٢/ ٣٦٧ والأشمونى ٣/ ٢٨.

(٣) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨٤.

(٤) الخصائص ٢/ ٨٢.

وفى خامل الذكر وخامن قال: النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وكذلك قولهم: خمل خمولا[1] ولكن الباحث يرى أنه يمكن اشتقاق خامن من مادة (خمن) ولذا يقال: خمان للرمح الضعيف ومن الناس رديئهم والخمن محركة النتن[2] ولهذا صلة بمعنى خامن الذكر فيمكن اشتقاقه منه فلا إبدال بينهما إذًا، ولكن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل[3] كما حكم ابن جنى بإبدال النون من لام لعل، وفى بل عمرو وبن عمرو قال ابن جنى: النون بدل من اللام ألا ترى إلى كثرة استعمال بل وقلة استعمال بن والحكم على الأكثر لا على الأقل، هذا هو الظاهر من أمره، ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأسها[4].

وهنا نرى ابن جنى لا يعتمد على مقياس كثرة التصرف والاستعمال ويعتبره أمرًا غير مؤكد وفى كل هذه الأمثلة نقول: إن إحداهما أبدلت من الأخرى فى لغة فريق ويبدو أن اللام من خصائص الحضر والنون من خصائص البدو لميلهم إلى غموض الأصوات على حين يميل الحضريون إلى الأناة وفصل الأصوات والإبانة عنها واضحة جلية:

وقد نسبت النون فى بعض الكلمات لبنى سعد وكلب وباهلة، قال الفراء: والعرب تقول: لابن بمعنى لابل[5]، بنو سعد هم بنو سعد بن قيس عيلان بن مضر، والباهليون هم بعض بنى سعد لأنهم أبناء مالك بن أعصر ابن سعد بن قيس عيلان[6].

وبعض الأعلام الأعجمية جاءت باللام والنون مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وجاءت بالنون كذلك وهى الأصل فى هذه الأعلام، وقد نسبت اللام لكثير من

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٤.

(٢) القاموس ٣/ ٤٧٧، ٤/ ٢٥٥.

(٣) لسان العرب ١٣/ ٢٣٤.

(٤) الخصائص ٢/ ٨٤.

(٥) التهذيب ١٥/ ٣٩٤ قال الفراء وهى لغة بنى سعد ولغة كلب قال: وسمعت الباهليين يقولون: لابن بمعنى لابل. لسان العرب١٣/ ٧٣. ويذكر جواد على أن (بن) كانت تستخدم عند أهل اليمن حرف جر بمعنى (من) و(عن) بلغة الشمال وأنها وردت كذلك فى كتابات المسند، المفصل ١/ ١٠٢، ٧/ ١٣٠.

(٦) جمهرة أنساب العرب ٢٤٤، ٤٨١.

اللهجات كأهل الحجاز وتميم وقيس وكثير من أهل نجد والنون نسبت إلى بنى أسد[1].

ويقال: العلوان لغة فى العنوان[2] ويقول ابن السكيت: حكى عن بعض كلب عنيان الكتاب[3].

الميم والنون

يقال: طانه الله على طينته أى خلقه الله على جبلته وطينة الرجل خلقه وأصله مصدر من طان، ويروى طين عليه وطيم بمعنى أى جبل عليه[4].

ويقال: قمح البعير إذا رفع رأسه من الماء بعد الرى ويروى بالنون.

وفى حديث أم زرع: (**أشرب فأنقمح**) أى حتى تروى وترفع رأسها[5].

ومث ونث، ففى حديث عمر (أن رجلا أتاه يسأله قال: هلكت قال: أهلكت وأنت تمث مث الحميت؟) أى ترشح من السمن ثم يقول: ويروى بالنون[6].

ويتعذر نسبة هذه الكلمة إلى أصحابها.

ويقال للريح الشمالية مسع ونسع والغيم والغين للسحاب وامتقع لونه وانتقع والحزن والحزم: ما غلظ من الأرض وأسود قاتم وقاتن[7].

ومما أورده ابن جنى للتبادل بى الميم والنون: دهنج البعير ودهمج: إذا قارب الخطو وأسرع، بعير دهانج ودهامج وقاتم اللون وقاتن، ففى المثال الأول حكم بأن كلا من الكلمتين أصل بناء على التساوى فى التصرف والاستعمال[8].

وقال: ذهب أبو عمرو الشيبانى فى قول الطرماح:

كطوف متلى حجة بين عبقب ... وقرة مسودّ من النسك قاتن

(1) البحر ١/٢١٨.
(2) فى التهذيب لغة غير جيدة ١/١١٣.
(3) القلب والإبدال ٨.
(4) النهاية ٣/١٥٣.
(5) المصدر السابق ٤/١٦ (قمح).
(6) المصدر السابق ٤/ ٢٩٤ (مقت).
(7) سر الصناعة الإعراب ١/٢١٩، ٢٢٠، والمزهر ١/٤٦٨.
(8) الخصائص ٢/٨٣.

إلى أنه أراد قاتم أى أسود فـأبدل الميم نونا قال: وقد يمكن غيـر ما قال وذلك أنه يجوز أن يكون أراد بقوله: قاتن فاعلا من قول الشماخ:

وقـد غـرقـت مـغـانيـهـا وجـادت بدرتـهـا قــرى حـجـن قـتـين

والقتين: الحقير الضئيل، فإذا كان كذلك لم يكن بدلا[1].

والناظر فى العـلاقة بين الميم والنون يـرى أن المخارج متـباعـدة، فالميـم حرف شفوى والنون من طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما حروف: ط -د- ت- ص- ز- س- ظ- ذ- ث- ف- ق- وليس هنا مـا يدعو إلى انتقـال المخرج فـلا يسوغ التبـادل اللهم إلا إذا اعتبرنا اتحـاد الصفات أمرا يدعـو إليه ويسوغه بالإضـافة إلى وجوه التقارب والشه الأخرى التى ذكرناها سابقًا.

والواقع أن تخريج كل مثـال مما سبق على أنه لهجة يستعمـلها فريق من العرب أمر معقول، وذلك واضح فى المثال الأول وفى المثال الثانى كذلك إلا أنه يجوز فيه أن تكون كل كلمة مشتقة من مادة تخـتلف عن الأخرى فقاتم من قتم بمعنى أسود على ما نعرف وقـاتن من القتن وهو الحقير الضئـيل ويكون معنى بيت الطرماح أن المشبه به رجل يطوف بين هذين الصنمين (عـبقب وقرة) وأن هذا الرجل مسود من النسك حقير للضرر والجهد الذى يبذله[2].

وهذا مـا عناه ابن جنى وهو سـديد وعلى هـذا فلا إبدال بـينهـما لاخـتـلاف الاشتقاق.

وأورد ابن جنى أمثلة للتبادل بين النون والميم منها: قنـبر -عنبر- قنبلة (قمبر - عمبر- قمبلة)، وقول الشاعر:

يا هـال ذات المنطق التـمـتـام وكـف المخـضب البنـام

---

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨٤.

(٢) اللسان ٢٠٨/١٧ والـقتين فى البـيت اسم للقراد ويسـمى بذلك لقلة دمه أو لـقلة طعمه لأنه يـقيم المدة الطويلة من الزمان لا يطعم شيئًا وقد جعل الشاعر عرق هذه الناقة قوتا للقراد.

فتبدل الميم من النون إذا وقعت بعدها: باء وهى ساكنة مثل: قنبر -عنبر- قنبلة وإنما قلبت لما وقعت ساكنة قبل الباء من قبل أن الباء أخت الميم وقد أدغمت النون مع الميم نحو: من معك ومن محمد، فلما كانت تدغم النون مع الميم التى هى أخت الباء أرادوا إعلالها أيضًا مع الباء إذ قد أدغموها فى أختها الميم[1].

فوجود الباء في هذا النوع من الأمثلة استلزم انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء، وترتب على هذا الانتقال أن استبدل بالنون صوتًا نظيرًا لها فى المخرج الجديد، وأقرب أصوات هذا المخرج الجديد إلى النون هو الميم لأن كلا منهما من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فضلا عن أن النون والميم صوتان أنفيان[2].

وفى هذا يقول ابن جنى: ولما كانت الميم التى هى أقرب إلى الباء من النون لم تدغم فى الباء مثل أقم بكرا لا تقول: أقبكرا ولا فى قم بالله: قبالله كانت النون التى هى من الباء أبعد منها من الميم أجدر بألا يجوز فيها الإدغام فى الباء، فما لم يصلوا إلى إدغام النون فى الباء أعلوها دون إعلال الإدغام فقربوها إلى الباء وهو الميم[3]. وكلمة (البنام) أبدلت فيها الميم من النون لروى الأبيات ولما فيها من الغنة والهُوِىّ، وقد عد هذا الإبدال شاذًّا[4] لأن المخارج متباعدة وليس هناك داع لانتقال مخرج الصوت فالميم حرف شفوى والنون من طرف اللسان مع اللثة العليا بيد أنهما متحدان فى جميع الصفات وقد يكون ذلك -مع وجوه الشبه السابقة- مسوغًا لهذا التبادل وقد تكون تلك لهجة بدوية.

قال أبو عمرو: الدمدم: أصول الصليان المحيل فى لغة بنى أسد وفى لغة بنى تميم: الدندن[5].

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ٨١.

(٢) الأصوات اللغوية ص ١٣٣.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ٨١.

(٤) لعدم وجود الباء بعد النون وهى متحركة لا ساكنة، الأشمونى ٤/٣١٩.

(٥) التهذيب ١٤/٨٢، والقلب والإبدال لابن السكيت ص٢٢، والصليان: نبت والمحيل الذى أتى عليه حول.

تعقيب:

عـرضنا -بالبحث والتـحليل- ظاهرة الإبدال اللغـوى فى الحروف الصـامتـة، وشرحنا آراء اللغويين القدامى والمحدثين فى أسـباب هذه الظاهرة وسبل علاجها، ورأينا اشتجـار الآراء فى إدخال اللفظ فى نطاقها، أو إخراجـه منها وفق ما ارتأى أصحاب هذه الآراء من أدلة، ووجهات نظر مختلفة.

ومن خلال دراستى لها على أسس ومعايير دقيقة استطعت -بتوفيق الله وعونه- أن أبين وجه الحقيقة فى انتـماء اللفظ إلى الإبدال أو خروجه من دائرته، بالتحليل الواعى المستند إلى الأدلة، والبـراهين العلمية واللغـوية الصحيـحة، واتضح -من خلال البـحث- أن معظم كلمـات هذا النوع ليست من الإبدال، وأنهـا تنتمى إلى بيئات لغوية متعددة، وأن بعضها نشأ نتيجة الحاجة إلى التنوع فى الأصوات لتجدد المعانى، أو لتطورها التاريخى تطوراً صوتيًّا ودلاليًّا.

وبذلك يمكن الحكم الصحيح على هذا العدد الكبير من الكلمات، التى تتنوع صورها اللفظية باختـلاف بعض الحروف فيها وكيفـية ردها إلى أصلها، وبذلك لا تمثل عبئًا على المعجم العربى ويتبين أن العربية ليس فيها فضول، بل هى لغة اللفظ والمعنى على سواء، ويتجلى بذلك أن لغة العرب فيها من الدقة ما لا يتوافر لغيرها من اللغات.

والله ولى التوفيق . .

***

ثانيًا: الإبدال فى الحركات

ما له مصطلح لهجى أو لغوى:

ذلك يتنوع بين ما يتصل ببنية الكلمة وما يتعلق ببنائها ونذكر صوراً من ذلك مما له مصطلح لهجى أو لغوى.

الوكم:

هو كسر كاف الخطاب فى الجمع عند فريق من العرب، فالمشهور أن جمهور العرب يضم كاف الخطاب للجمع مطلقًا دون نظر إلى الحرف أو الحركة التى تسبقها.

ولكن ربيعة أو بكر بن وائل يكسرون هذه الكاف إذا سبقت بياء أو كسرة فى مثل (عليكم) و(بكم) وذلك مناسبة للياء أو الكسرة قبلها.

وسيبويه يصف هذه اللهجة بالرداءة فيقول عند الحديث عن كسر الكاف فى (أحلامكم) من قول الشاعر:

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادث   من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وإنما كسرت الكاف من (أحلامكم) ونحوه تشبيها لها بهاء (أحلامهم) لأنها أختها فى الإضمار ومناسبة لها فى الهمس وذلك ضعيف لأن أصل الهاء الضم والكسر عارض عليها بخلاف الكاف فحمل الكاف عليها بعيد ضعيف لأنها أبين وأشد[(1)].

وقد وصفها المبرد بأنها غلط فاحش قال وناس من بكر بن وائل يجرون الكاف مجرى الهاء، إذ كانت مهموسة مثلها. وكانت علامة إضمار كالهاء وذلك غلط فاحش منهم، لأنها لم تشبهها فى الخفاء الذى من أجله جاز ذلك فى الهاء، وإنما ينبغى أن يجرى الحرف مجرى غيره إذا أشبهه فى علته، فيقولون: مررت بكم وينشدون هذا البيت: وإن قال مولاهم. . . إلخ[(2)].

---

(1) الكتاب ٤/ ١٩٧ بتصرف.

(2) المقتضب ١/ ٢٦٩، ٢٧٠.

وبعض العلماء نسب هذه اللهجة لربيعة وناس من بكر معا، وربما تسرب ذلك من الآرامية والعبرية اللتين كانتا مجاورتين لسكان الطائفتين قريبًا من العراق.

الوهم:

المعروف أن هاء ضمير الغيبة للجمع تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة في مثل قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ﴾ [النساء:١٠٢] وقوله عز وجل ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم:٣٨] وقوله جل وعلا ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥].

وتضم الهاء في غير ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣] وقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣].

وبنو كلب يكسرون هاء ضمير الجمع الغائب مطلقا سواء سبقت الهاء بياء أو كسرة أو لا فيقولون: فيهم -عنهِم- بينهِم. قال سيبويه: واعلم أن قوما من ربيعة[1] يقولون (منهِم) أتبعوها الكسرة، ولم يكن المسكن حاجزا حصينًا عندهم، وهي لغة رديئة، فإذا فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل، لأنك قد تجرى على الأصل ولا حاجز بينهما، فإذا تراخت وكان بينهما حاجز لم تلتق المشابهة، ألا ترى أنك إذا حركت الصاد فقلت: صدق كان من يحقق الصاد أكثر لأن بينهما حركة، وإذا قال مصادر فجعل بينهما حرفا ازداد التحقيق كثرة، فكذلك هذه[2]، وبعضهم -وهم بعض ربيعة أو كلب بن وبرة من قضاعة- يضمون هاء (هم) دائمًا سواء تقدم عليها ياء أو كسرة أو لم يتقدم، وتسمى هذه اللهجة الأخرى بالوهم.

تلتلة بهراء:

هي كسر حرف المضارعة عدا الياء[3]، وهذا في الأفعال التي زادت على ثلاثة أحرف ومن ذلك ما ذكره ابن فارس في كتابه الصاحبي، قال في (باب القول في اختلاف لغات العرب):

---

(١) هم قوم من كلب انظر المزهر ١/ ٢٢٢.

(٢) الكتاب ٤/ ١٩٦ وانظر المزهر ويسمى الكسر بالوهم ١/ ٢٢٢.

(٣) القاعدة عند أكثر العرب أنهم يفتحون حرف المضارعة في جميع الأفعال إلا الرباعي منها فإنهم يحركونه بالضم.

«اختلاف لغات العرب من وجوه، أحدها: الاختلاف فى الحركات كقولنا (نستعين) و(يستعين) بفتح النون وكسرها. قال الفراء: هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر»[(١)].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قال أبو حيان فى البحر: «وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهى لغة الحجاز وهى الفصحى وقرأ عبيد بن عمير الليثى وزيد بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والأعمش بكسرها وهى لغة قيس وتميم وأسد وربيعة، وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبهه»[(٢)].

أما فى الثلاثى فإذا كان الفعل أجوف أو ناقصًا أو مضاعفًا أو كان الماضى مكسور العين فلغة غير الحجازيين كسر حرف المضارعة إلا الياء.

يقول سيبويه: «هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثانى الحروف[(٣)] حين قلت فعِل وذلك عند جميع العرب إلا أهل الحجاز وذلك قولهم: أنت تِعلم ذاك وأنا إِعلم وهى تِعلم ونحو ذاك، وكذلك كل شىء فيه فعل من بنات الياء والواو التى الياء والواو فيهن لام أو عين والمضاعف وذلك قولك شقيت فأنت تِشقى وخشيت فأنا إخشى، وخلنا فنحن نخال، وعضضن فأنتن تِعضين»[(٤)].

وقال ابن جنى: «وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون تعلمون وتفعلون وتصنعون[(٥)] بكسر أوائل الحروف» وقال ابن منظور فى اللسان: «وتلتلة بهراء كسرهم تاء تفعلون يقولون تعلمون وتشهدون ونحوه»[(٦)].

وعليها جاء قول الشاعر:

لو قلت ما فى قومها لم تيثم ... يفضلها فى حسب وميسم[(٧)]

(١) الصاحبى: ٢٨.
(٢) البحر المحيط ١/ ٢٣، ٢٤.
(٣) وذلك للتنبيه على حركة عينه فى الماضى، و(فعل) -فى النص- يضبط بكسر العين.
(٤) الكتاب ٤/ ١١٠ وفى ط بولاق ٢/ ٢٥٦، ٢٥٧.
(٥) الخصائص ٢/ ١١ وسر الصناعة ١/ ٣٣٥.
(٦) اللسان ١/ ٤٤٢.
(٧) شرح التصريح ٢/ ١١٨.

وقال الرضى فى شرح الكافية:

«وكسر حروف المضارعة إلا الياء غير الحجازيين إذا كان الماضى مكسور العين، ويكسرون الياء أيضًا إذا كانت بعدها ياء أخرى»[(١)].

وذكر أبو حيان أن أبا عمرو قرأ ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] بكسر التاء على لغة تميم[(٢)] ويقول ابن جنى: فى تخريج قراءة ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ بكسر التاء: «وهذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما يأتى ماضيه مكسور العين نحو علمت تِعلم وأنا إِعلم وهى تِعلم ونحن نِركب وتقل الكسرة فى الياء نحو يعلم ويِركب استثقالاً للكسرة فى الياء وكذلك ما فى أول ماضيه همزة وصل نحو ينطلق ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦][(٣)] فكذلك فتِمسكم النار».

وقال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠] قرأ الجمهور (أعهد) -بفتح الهمزة والهاء- وقرأ طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفى بكسر الهمزة قال صاحب اللوامع: وهذا الكسر فى النون والتاء أكثر من بين حروف المضارعة يعنى نعهد وتعهد، وقال ابن عطية: وقرأ الهذيل بن وثاب (ألم إعهد) بكسر الهمزة وفتح الهاء وهى لغة من كسر أول المضارع سوى الياء[(٤)].

وفى الحديث: كأنك وهمت؟ قال: وكيف لا إيهم فالأصل: أوهم -بالفتح والواو- فكسروا الهمزة لأن قوما من العرب يكسرون مستقبل فعِل -بكسر العين- مثل إِعلم ونِعلم وتِعلم فلما كسروا همزة (أوهم) انقلبت الواو ياء[(٥)] ومن هذه النصوص فهمنا أن المضارع المبدوء بالياء لا يكسر لثقل الياء والكسرة فهو مفتوح فى الثلاثى وغيره عند العرب جميعًا، إلا إذا توالت الياءات فقد سمع الكسر مثل ييجل مضارع وجل.

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٢٢٨ ونسب هذا الكسر فى الياء إلى بعض بنى كلب يقولون: هل يعلم. البحر ٧/ ٣٤٣.

(٢) البحر ٥/ ٢٦٩.

(٣) المحتسب ١/ ٣٣٠.

(٤) البحر المحيط ٧/ ٣٤٣.

(٥) النهاية ٥/ ٢٣٤.

كما أننا علمنا كذلك من كتب اللغـة فتح أوائل المضارع عند الحجاز لا فرق فى ذلك بين الهمـزة أو التاء أو النون ولا بين الثـلاثى وغيره، ويـدخل فى ذلك فتح الهمزة فى (أعهد) التى نقلنا تفسيـرها عن البحر المحيط وكذلك فتح همزة (أخال) فى قول العباس بن مرادس:

قـد كان قـومك يحـسبونـك سيـدا وأخـال أنك سـيـد مـعـيـون[1]

وقول زهير:

ومـا أدرى ولست أخـال أدرى أقـوم آل حـصن أم نسـاء[2]

وبعض اللغويين عكس الأمـر فى الفعل (أخال) فنسب الكسر للحـجاز والفتح لغيرهم.

وبعضهم قصر التلتلة على كسـر التاء فقط، ولكن كتب اللغة تنطق بخلاف ذلك وأن الأمر شائع فى غير الـياء. وهى شائعة فى قبائل وسط الجزيرة وشرقـيها كأسد وتميم وقيس وإن اشتهرت نسبتها إلى بهراء التى هى بطن من تميم أو من قضاعة[3].

وقد فشت نسبتها إلى قبائل أخرى من أهل الحجاز وغيرهم فيذكر ابن عطية أن ذلك نسب إلى قريش عند شرح قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾ [آل عمران:٧٥] وقد ذكر أن (تِأمنه) بكسر التاء لغة قرشية[4]، ويذكر أبو حيـان أنها لغـة فاشيـة فى العرب كقـيس وتميم وأسد وربيـعة وهذيل[5] وفى اللسان: وتقـول: أنت تَتقى الله وتِتـقى الله على لغة من قال: تعلـم وتعلم بفتح التاء وكسرها وتعلم بالـكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعـامة العرب، أما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون: تَعلم بفتح التاء والقرآن عليها[6].

---

(١) لسان العرب (خال).
(٢) شرح ديوان زهير ص٧٣.
(٣) جمهرة أنساب العرب وخزانة الأدب ٤/ ٤٩٥، ٤٩٦ وصفة جزيرة العرب ص١٣٢.
(٤) البحر ٢/٤٩٩.
(٥) البحر ١/ ٢٣، ٢٤.
(٦) اللسان ١/ ١٤١، ٤/ ٤٩٣.

وفى المخصص أنها لغة جميع العرب إلا أهل الحـجاز، وكذلك ذكر سيبويه[1] ويذكـر السيـوطى فى نسـتعـين ونحـوه أن الفـتح لغة قـريش وأسـد، وغيـرهم يكسرها[2].

وهذا يؤكد انتشار الكسر فى قبائل كثيرة على سبيل التأثر والتأثير وإلا فالمشهور أن الكسر فى حروف المضارعـة عند أرباب البادية من القبائل المشار إليهـا، فبهراء من قضاعـة كانوا يقطنون ناحية الشام قـريبًا من العراق[3] وربيعة مسكـنها الحيرة وأسد بن ربيعة كانت تسكن قـبل الكوفة بخمس مراحل[4] وتميم من قبائل شرقى الجزيرة بالقرب من العـراق وهذيل من سكان الحجاز[5] وهذه القبائل بدوية -كما نرى من البيئة التى تعيش فيها ما عـدا هذيل المضرية- وقد فسر الدكتور أنيس ميل بعض قبـائل المدن إلى كسر حرف المضـارعة بأن «بعض القبائل التى تأثرت بـحياة الحضـر قد آثرت صوت اللين الأمـامى الذى نسميـه الكسرة»[6] وحاول أن يفسر وجود تلك الظاهرة عند قبـيلة بهراء بهذا المعنى فقد تأثرت لغتـها بما فى الشام من لغات كالآرامية والعبرية لوضوح كسر حرف المضارعة باطراد فيهما.

والواقع أن ذلك ليس أمرًا مـؤكدًا ولا مانع من تأثر بعض قبائـل المدن بما انتشر عند إخوانهم العرب فى البوادى فهم على صلة بهم يلاقونهم ويتعاملون معهم[7].

ويرى بعض الباحثين أن (هذه الظاهرة سامية قديمة توجد فى العبرية والسريانية والحبشـية) وزعم أن الفتح فى أحرف المضـارعة حادث فى العربية القـديمة بدليل عدم وجـوده فى اللغـات السامـية الأخـرى وبدليل ما بقى من الكسـر فى بعض اللهجات العربية القديمة واستمـراره فى اللهجات الحديثة كلها ولم يبق فتح حرف المضارعة فى اللهجات الحديثة فيما يعلم هذا الكاتب إلا فى لهجة نجد[8].

---

(1) المخصص ٤/٢١٦، ٢١٧.

(2) المزهر ١/٢١١.

(3) صفة جزيرة العرب ص١٣٢.

(4) البحر ١/٢٣.

(5) صفة جزيرة العرب ص ١٣١.

(6) فى اللهجات العربية ص٧٤.

(7) كسر حرف المضارعة منتشر فى لهجاتنا العامية.

(8) فصول فى فقه العربية ص ١٢٥.

ونسى هذا الباحث أن العربية هى اللغة السامية التى بقيت فى الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات فالفتح ليس حادثا فيها بل إنه الأصل والكسر هو الذى حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم.

التخفيف فى بعض اللهجات

- بالإتباع.
- بالإسكان (أو حذف الصوائت).
- باجتماع التغيير والحذف.
- السكون والحركة فى الصوامت الحلقية.

أولاً: بالإتباع:

فاء فعيل وفعل

يميل التميميون[1] إلى كسر فاء فِعيل -بكسر العين- إذا كانت عينه حرفًا حلقياً مثل شعير وبخيل ولئيم وشهيد ورغيف، وكذلك ما كان على وزن فعِل بكسر العين وهو حلقيها مثل فخِذ وضحِك ولعِب ووهِم، وقرأ أبو السمال: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ**﴾ [المائدة: ١] بكسر باء بهيمة[2]، فالتميميون يتبعون الفاء للعين فى حركتها إذا كانت حلقية مكسورة[3] وسواء كان ذلك فى اسم أو فعل.

ونقل عن تميم إتباع الفاء للعين فى فعِيل ولو لم تكن العين حرف حلق يقول ابن مكى: (وزعم الليث أن من العرب قوما يقولون فى كل ما كان على فعيل فِعِيل -بكسر أوله- وإن لم يكن حرف حلق فيقولون: كِثير وكِبير وخِليل وما أشبه ذلك)[4].

---

(١) تنسب أحيانًا بلفظ سفلى مضر (وهم بنو تميم ومن يجاورهم من سكان نجد) وتنسب إلى قيس وأسد وتميم، التهذيب ٧/ ١٢٢.

(٢) سورة المائدة الآية (١) ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ٣١.

(٣) الكتاب ٤/١٠٧، ١٠٨.

(٤) تثقيف اللسان ص ٢٢٥، ٢٢٦.

ويقول ابن منطور:

«لغة تميم شِهيد -بكسر الشين- يكسرون فعيلا في كل شيء كان ثانيه أحد حروف الحلق وكذلك سفلى مضر يقولون فعيلا أى بالكسر، قال: ولغة شنعاء يكسرون كل فعيل، والنصب اللغة العالية[1] وعلل سيبويه لعدم تأثير الفاء فى العين بقوله: «ولم تفتح هى أنفسها هنا[2] لأنه ليس فى الكلام فعيل بفتح الفاء والعين وكراهية أن يلتبس فعِل بكسر العين بفعَل بفتحها فيخرج من هذه الحروف فعِل بكسر العين، فلزمها الكسر ههنا، وكان أقرب الأشياء إلى الفتح وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها»[3].

وقد جعل ابن جنى إيثار الكسر فى شعير ورغيف ونحوهما ضربا من تقريب الصوت من الصوت فسلكه فى باب الإدغام الأصغر ولكنه صرح بأنه أكثر ما يكون ذلك مع حروف الحلق فقال: ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شعير وبعير ورغيف وسمعت الشجرى غير مرة يقول: زِئير الأسد يريد الزئير، وحكى أبو زيد عنهم: (الجنة لمن خاف وِعيد الله) بكسر الواو فى وعيد وفى النِّقيذ، شبهت القاف بالخاء لقربها منها فيما حكاه أبو الحسن، كما شبهت الخاء والغين بحروف الفم حتى أخفيت النون معهما فى بعض اللغات وهذا فى فعيل مما عينه حلقية مطرد وكذلك فعل بكسر العين نحو نغِر ومحِك وضحِك و﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم﴾ [البقرة: ٥٨][4] ولا يقول على هذا فى ظَريف ظِريف ولا فى قَتيل قِتيل بكسر الفاء لأنه لا حرف حلق فيه)[5].

والانسجام الصوتى بتتابع الحركات تتطلبه السرعة فى النطق التى هى من خصائص أهل البادية ولذا نسبت هذه اللهجة إلى بنى تميم على أنه لون من التخفيف والتفريع[6].

وهذه الظاهرة تتحقق فى الأسماء والصفات والأفعال: فالأسماء مثل بعير والصفات مثل شهيد والأفعال مثل مخض فإذا أرادت الناقة أن تضع قيل: مخضت

---

(١) اللسان (شهد) وانظر التهذيب ٢/ ٣٧٧ حيث قال: الفتح أفصح اللغتين.

(٢) يقصد بعض حروف الحلق.

(٣) الكتاب ٤/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) الخصائص ١/ ١٤٣، ٢/ ٣٣٦.

(٥) المنصف ٢/ ٢٢٤.

(٦) فقه اللغة د. نجا ٤/ ٣١.

وعامة قيس وتميم وأسد يقولون: مِخضت بكسر الميم ويفعلون ذلك فى كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق فى (فعلت) وفى فعيل (يقولون): بِعير وزِئير وشِهيق ونِهلت الإبل وسجرت منه[1].

صور من الإتباع

ومن الإتباع ما يذكره اللغويون -عن بعض العرب- فى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١] ولذلك صور هى:

١- إتباع الدال للام فى الكسر: الحمدِ لِله (قرأ بها الحسن) فمن خفض الدال قال: هذه كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل (إبل) فكسروا ليكون على المثال من أسمائهم[2].

وقال الزجاج: «لا يلتفت إلى هذه اللغة ولا يعبأ بها»[3] ويعلل الأخفش لهذا الإتباع بقوله: «قال بعض العرب (الحمدِ لِله) فكسره، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التى ليست بمتمكنة، وذلك أن الأسماء التى ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة لا تزول عنها»[4].

وهذه لهجة لبنى تميم ونسبت إلى بعض غطفان[5].

٢- إتباع اللام لضمة الدال: (الحمدُ لُله) (قرأ بها إبراهيم بن أبى عبلة) قال الفراء: أما الذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الآخر من أسماء العرب الذى يجتمع فيه الضمتان مثل: الحلم والعقب[6]، وقال الزجاج: من قرأ: الحمدُ لُله، أى برفع اللام إتباعا لحركة الدال فى غير القرآن فهى لغة رديئة[7] وهذه اللغة لبعض ربيعة[8] وأصحاب هذه اللهجات من البدو[9].

---

(١) التهذيب: ٧/ ١٢٢.
(٢) معانى القرآن للفراء ١/ ٣.
(٣) اللسان: حمد.
(٤) معانى القرآن للأخفش ١/ ٩.
(٥) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس.
(٦) إعراب ثلاثين سورة: ص ١٩.
(٧) اللسان: حمد.
(٨) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس.
(٩) إعراب ثلاثين سورة: ص ١٩.

٣- والقراءة المشهورة هى (الحمدُ لِله) برفع الدال وكسر اللام، قرأ بها الجمهور وقال ابن خالويه بعد أن ذكر صور القراءات فى هذه الآية: لا يقرأ بشىء من ذلك إلا بما عليه كل الناس فى كل مصر (الحمدُ لِله) بضم الدال وكسر اللام(١).

٤- وهناك قراءة أخرى: (الحمدَ لِله) بنصب الدال، وعليها فالحمد ليس باسم إنما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول: أحمدُ الله، فإذا صلح مكان المصدر (فعل أو يفعل) جاز فيه النصب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ﴾ [محمد: ٤] يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن تقول: فاضربوا الرقاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ** ﴾ [يوسف: ٧٩] يصلح أن تقول فى مثله من الكلام: نعوذ بالله ومنه قول العرب: سقيًا لك ورعيًا، يجوز مكانه: سقاك الله ورعاك(٢).

وقال أبو حيان -فى النهر الماد- قرئ بالنصب على إضمار فعل، قيل من لفظه، تقديره: حمدت الحمدَ لله، فتخصص الحمد تخصيص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث، ويكون من المصادر التى حذف فعلها وأقيمت مقامه، وذلك فى الاختيار نحو قولهم شكرًا لا نكرًا وقيل التقدير: اقرأوا الحمدَ لله أو الزموا الحمدَ لله.

واللام فى قراءة الرفع للاستحقاق، وفى قراءة النصب للتبيين فيتعلق بمحذوف تقديره: لله أعنى نحو قولهم: سقيًا لزيد(٣)، و(الحمد لله) فى الوجهين الأولين -بالإتباع- عده ابن جنى من باب تقريب الصوت من الصوت فيقول: وجميع ما هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت(٤).

والاتباع كثير من هذا النوع مثل: أنا أجوءك وأنبؤك وهو منحدر من الجبل -بضم الميم والدال-(٥).

---

(١) المصدر السابق: ص ١٩.
(٢) معانى القرآن للفراء: ١/ ٣.
(٣) النهر الماد على البحر المحيط ١/ ١٨.
(٤) الخصائص ٢/ ١٤٥.
(٥) المصدر السابق ٢/ ١٤٣.

فهذا لون من تجانس الصوت وانسجامه يؤدى إلى الإسراع والخفة فى النطق وقد ضعف ابن جنى الإتباع بكسر الدال وقراءة أبى جعفر فى قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [البقرة: ٣٤] بضم التاء فى الملائكة مع أنها مجرورة تبعًا لضمة الجيم بعدها إذ الحاجز غير حصين لخلل ذلك بالإعراب.

ومن أمثلة الإتباع قراءة أبى السمّال ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ [المزمل: ٢][1] بضم الميم إتباعا لضمة القاف وهى لغة بلعنبر وكذلك:

اضرب الساقين إمك هابل

بكسر همزة (أم) المضمومة إتباعا لكسرة النون قبلها.

ومن ذلك يتضح أن الإتباع تارة يكون للأول وأخرى يكون للثانى وهذا اللون من الانسجام وتأثر الأصوات اعترف به اللغويون المحدثون وأطلقوا على كل من قسميه اسمًا خاصاً فإذا تأثر الصوت الأول بالصوت الثانى سمى تأثرا رجعياً وإذا تأثر الثانى بالأول سمى تأثرا تقدمياً ويلاحظ أن هذا التقريب فى نطق الأصوات قد أثر عن أهل البادية كنجران[2] وبلعنبر وأزد شنوءة[3] إذ إنه يساعد على سهولة إخراج بعض الأصوات وقلة المجهود العضلى، وهذا بخلاف أهل المدن الذين يعمدون إلى إيضاح الأصوات وفصل كل منها عن الآخر.

ثانيًا: بالإسكان (أو حذف الصوائت) واجتماع التغيير والحذف:

يسكن بعض العرب كبنى تميم وغيرهم المتحرك فى بعض الأوزان المستعملة فى الأسماء والأفعال رغبة فى التخفيف ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جنى فى بعض كتبه:

١- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] بسكون الراء.

٢- فى قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء: ٩٥] قرأ ابن عباس بخلاف (وحرم) بفتح الحاء وسكون الراء والتنوين ويخرج ابن جنى القراءة فيقول:

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٧٢.

(٢) حكى أبو عمرو أن أهل نجران يقولون فى ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١]، يجرون الميم والنون. المحتسب ١/ ٢٨٣.

(٣) البحر: ١/ ١٥٢.

وأما (حَـرْم) بفتح الحاء وتسكين الراء فـمخفف مـن حرم على لغة بنى تميم فـهو كبَطْر من بطِر وفَـخْذ من فخِـذ وكِلْمة من كَلِمة بسكون الثـانى فى الكلمة الأولى وكسره فى الثانية[1].

٣- وفى باب الساكن والمتـحرك فى الخصـائص يذكر من المتـحرك الذى أسكن وهو متصـل «ما كان ثلاثياً مضـموم الثانى أو مكسوره فـلك فيه الإسكان تخفـيفًا وذلك كقـولك فى عِلم علْم وفى ظرُف قد ظرْف وفى رجُل رجْـل وفى كبد كـبد بتحريك الحـرف الثانى من الكلمة الأولى وسكونه فى الثانية، وسمـعت الشجرى وذكر طعنة فى كتف فقال الكتفية بفتح الكاف وسكون التاء»[2].

٤- قـرأ أبو الحسن بخـلاف وأبو رجاء ومـجاهد فـيمـا روى عنه ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] قال أبو الفتح: أما فـنظْرة بسكون الظاء فسكنه للتخفيف من نظِرة كقولهم فى كَلِمـة كلْمة وفى كبِد كبْد بتحـريك الحرف الثانى فى الكلمة الأولى وتسكينه فى الثانية لغة تميمية[3].

٥- وبنو تميم يقولـون كِلْمة وكِلَم ككِسْرة وكِـسَر[4] والصيـغة الحجـازية بفتح الكاف وكسر اللام[5] وعند بنى تميم تخفف بإسكان اللام كِسدْرة[6] وفى لغة ثالثة بفتح الكاف وسكون اللام يقول الأشمـونى: «ومنها ثلاث لغات: كلِمة على وزن نبِقة وكِلْمة على وزن سدرة وكَلْمة على وزن تمرة»[7].

والأعلى هى الحجازية وقرئ بلهجة تميـم فى القراءات الشاذة كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] قـرأ أبو السمّال: كِلْمة[8] وكذلك قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قرأ أحمد بن موسى كِلمة[9] بكسر الكاف وسكون اللام.

---

(١) المحتسب ٢/ ٦٥، ٦٦.
(٢) الخصائص ٢/ ٣٣٨.
(٣) المحتسب ١/ ١٤٣.
(٤) الخصائص ١/ ٢٦.
(٥) تاج العروس ٩/ ٤٩.
(٦) المصباح ٣٩.
(٧) شرح الأشمونى ١/ ١٠.
(٨) آل عمران ٦٤، وانظر: مختصر شواذ القرآن ٢١.
(٩) مختصر شواذ القرآن ٦٨.

٦- وعند تخريج ابن جنى لقراءة الحسن ﴿عَضُدَكَ﴾ [القصص: ٣٥] يقول: «فيها خمس لغات ضم الضاد وتسكينها مع فتح العين وضمها وكسر الضاد مع فتح العين وأفصحها وأعلاها عضد بوزن رجل وعضد مسكن الضاد مع فتح العين وعضد منقول الضمة من الضاد إلى العين وعضد بالضمتين جميعًا كأنه تثقيل عضد بضم العين وسكون الضاد وقد شاع عنهم نحو ذلك كقولهم فى تكسير أحمر: حمر بضمتين إلخ(١).

٧- روى عن الحسن أنه قرأ ﴿الْحِبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] بكسر الحاء ووقف الباء قال ابن جنى: وأما الحبك فمخفف منه (أى من الحبك) كإبل وإطل بسكون الحرف الثانى فى إبل وإطل(٢).

٨- روى ابن جنى عن ابن مجاهد قال: قال ابن عباس: سألت أبا عمرو عن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٢٩] فقال: أهل الحجاز يقولون: يعلمهم ويلعنهم ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم بسكون آخر الفعل ومثله:

فاليوم أشرب غير مستحقب | إثمـا من الله ولا واغل(٣)

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا | وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وقد كثر إسكان الياء فى موضع النصب كقوله:

يا دار هند عفت إلا أثافيها

وهو كثير جداً وشبهت الواو فى ذلك بالياء كما شبهت الياء بالألف قال الأخطل:

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها | نزلن وأنزلن القطين المولدا

ومثل ذلك كثير، وعليه قراءة ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] بإسكان الهمزة(٤).

---

(١) المحتسب ٢/ ١٥٢.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٨٦، ٢٨٧.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٠٩، ١١٠، ٢٠٥، ٢/ ٦٧.
(٤) الخصائص ٢/ ٣٤٠- ٣٤٣.

٩- قرئ ﴿كَطَيِّ السِّجْلِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] بكسر السين ساكنة الجيم خفيفة اللام -وقد قرر ابن جنى أن إسكان الجيم فى (السجل) بعد حذف حركتها وتخفيف اللام لغة لأهل مكة- وذكر أن إسكان الراء فى (مرض) لغة[١] كما صرح فى نظير لها وهو قراءة (حرم) بإسكان الراء بأنها لغة تميمية كما يقولون فى رسُل رسْل وكتُب كتْب[٢] بإسكان الحرف الثانى ويبدو أن بنى تميم ومن على شاكلتهم يحسون ثقلا فى هذه الأوزان فى مجال الأسماء وما يشبه بعضها من الأفعال (فَعِل -فَعُل) -بفتح الفاء مع كسر العين وضمها-، و(فُعُل) بضم الفاء والعين، و(فِعِل) بكسر الفاء والعين، فيلجأون إلى تخفيفها لأنهم يميلون إلى الانسجام الصوتى بعيدًا عن تنوع الحركات وتجاورها، فقد كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم من المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل، وكذلك كرهوا الضمة بعد الفتحة فيما كان على (فَعَل) بفتح الفاء والعين، ويكرهون تتابع الضمتين كالواوين، وتتابع الكسرتين تتابع الياءين، وكرهوا الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الياء مع الواو فى مواضع[٣].

فالوزن (فَعِل) بفتح الفاء وكسر العين إذا كان حلقى العين فالمشهور عنهم -كما يقول أستاذنا الدكتور نجا- «تخفيفه وتفريعه بإسكان عينه مع بقاء حركة الفاء فيصير فَعْلا أو إسكان عينه بعد نقل حركتها إلى الفاء وذهاب حركة الفاء فيصير فِعْلا ويتجه فريق منهم إلى بقاء حركة العين ولكنهم يتبعون حركة الفاء لها فيصير فِعِلا وإن كان غير حلقى العين اقتصروا فى تخفيفه على الوجهين الأولين ككتف يقولون فيه كَتْف وكِتْف بإسكان التاء مع فتح الكاف وكسرها وفَعُل كعضُد وفُعُل كحُرُم وعنُق وفِعِل كإبِل يقتصرون فيهما على الوجه الأول ولا تزال بعض هذه اللهجات موجودة فى بعض جهات جمهورية مصر العربية[٤]، ولكن الحجازيين ينطقون بتلك الكلمات دون تغيير ولا يعبأون بثقل أو خفة، وفى بعض صيغ

---

(١) المحتسب ١/٥٣، ٥٤.

(٢) المصدر السابق ١/٢٠٥.

(٣) الكتاب ٤/١١٤.

(٤) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٩ وفقه اللغة له ص ٣٠، ٣١.

الأفعال مثل ظـرف وكرم وعلم والمبنى للمجهول يحدث هذا التـخفيف عندهم لما ذكرنا.

وفى النص السابق كـقراءة ﴿ويُعلِّمْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] بإسكان الميم مـا يفيد اعترافـه بنسبة ذلك إلى تميم وهم للتـخفيف يسكنون أواخر الكلمـات التى تتوالى فيهـا الحركات كمـا فى اشرب ـتعرف ـ أثافي ـ ويحـسب بعض العلماء ذلك من ضرورات الشعر إلا أن الثابت عن الثقات أنه سائغ فى حال السعة لأنه لغة[١].

***

ومن التخفيف: تسكين شين عشرة ـحـال التركيب ـ فى لغة الحجاز، وجاءت عليها قراءة ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وهذا فى لفظ عشرة ومـا تركب معه إلى تسع عشرة إذا كـان فى التأنيث، وقد سكنوا العين لما طال الاسم وكثـرت الحركة[٢] وقد ورد فـيها كسـر الشين فـيقال (عشِرة) عند بنى تميم، وبها وردت بعض القراءات.

قال أبو حـيان: قرأ الجـمهور (عـشْرة) بسكون الشـين، وقرأ مجـاهد وطلحة وعيسـى ويحيى بن أبى وثاب وابن أبى ليلى ويزيد بكسر الشـين وروى ذلك نعيم السعدى عن أبى عمرو ـمشهـور عنه الإسكان ـ وتقدم أنها لغة تميم، وكسرها لها نادر فى قياسهم، لأنهم يخففـون فَعِلا يقولون فى نمر: نمر -بإسكان الميم مع فتح النون وكسرها[٣].

فسبيلهم التـخفيف، ولغة أهل الحجاز (عشْرة) وسبـيلهم التثقيل[٤]، فبنو تميم يفتحـون العين ويكسرون الشـين ويجعلونها بمنزلة (كَلِمة) وأهل الحـجاز يسكنون الشين ويجعلونهـا بمنزلة (ضربة) وهذا عكس ما عليه لغـة أهل الحجاز وبنى تميم، لأن الحجاز فى غير العدد يكسرون الثانى، وبنو تميم يسكنون.

---

(١) الضرائر ص ٧٠.

(٢) شرح الأشمونى ٤/ ٦٧ والمزهر ٢/ ٢٧٥، وشرح المفصل ٦/ ٢٧.

(٣) البحر المحيط ١/ ٢٢٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس.

فيقـول الحجازيون: نبِقة وفـخِذ ويقول التميـميون: نبقة وفـخذ بالسكون فلما ركب الاسمان فى العدد استحال الوضع، فقال بنو تميم: إحدى عشِرة وثنتا عشِرة إلى تسع عشِرة ـأى بكسـر الشين ـ وقال الحجازيون: عـشْرة بسكونها[1]. ونسب الكسر ـكـذلك ـ إلى أهل نجد، وهو أوسع من تميم، أو يعبـر بها عن سكان هذه المنطقة لأنها أكبرها.

وفى فائدة ذكـرها السيوطى فى الإتقان نقـلاً عن كتاب (تحفـة الأقران فيمـا قرئ بالتثليث فى القرآن) فى قوله تعالى: ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] قرئ بسكون الشين، وهى لغة تميم وكسرها وهى لغة الحـجاز، وفتحها وهى لغة[2] فنسب الكسر للحجاز والتسكين لتميم وهو عكس المشـهور المعروف فى ذلك، وكتب النحو واللغة تجمع على أن الأفصح التسكين، وهو لغة الحجاز هذا فيما كان فيه لفظ عشر مؤنثًا.

ورويت فـيه لغـة أخـرى وهى فتح الشـين وقـرأ بها ابـن المفضل الأنصـارى والأعمش وروى عن الأعمش الإسكان والكسر أيضًا. قال الزمخشرى: الفتح لغة وقال ابن عطية: هى لغة ضعيفة، وقال المهدوى: فتح الشين غير معروف ويحتمل أن تكون لغة[3]، وينسب بعضهم الفتح إلى بنى تميم[4]. أما إذا استعمل لفظ عشر مركبًـا للمذكر فالشين مفـتوحة، وقد تسكن عين عـشر فيقال (أحد عـشر) وكذا أخواته إلى (تسعة عشر) لتوالى الحركات، وبها قرأ أبو جعفر، وقرأ هبيرة صاحب حفص ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] وفـيها جـمع بين ساكنين[5]، واستثنى بعضهم (اثنى عشر) فإن العين لا تسكن لسكون الألف والياء قبلها[6].

وهذا التخـفيف وإن لم ينطبق على أهـل مكة والحجاز بعـامة لأنهم حـضريون (فلعلهم تركـوا لهجتهـم ومالوا إلى التخـفيف فى كلمة (السـجل) وعشرة المركـبة وبخاصـة أن ابن جنى يذكر أن بعض التمـيميـين فى بعض الألفاظ كانوا يتـركون

(١) المحتسب ١/ ٨٥ وشرح المفصل ٦/ ٢٧.

(٢) الإتقان ٢/ ٢٧٧.

(٣) البحر المحيط ١/ ٢٢٩.

(٤) المزهر ٢/ ٢٧٥.

(٥) شرح الأشمونى ٤/ ٢٧.

(٦) اللسان: عشر.

لهجتهم إلى لهجة الحجازيين وأن هؤلاء يفعلون ذلك أحيانًا[1] وبذلك تسقط دعوى ابن جنى أن قراءة ﴿بَارِئْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] بالإسكان غير واردة في العربية حتى خطأ بها القراء يقول «ألا ترى إلى قراءة أبى عمرو ﴿مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١] مختلسا لا محققًا وكذلك قوله عز وجل ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] مخفى لا مستوفى وكذا قوله عز وجل ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] مختلسًا غير مُمكَّن كَسْرِ الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها ألبتة وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنًا ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف أمانة لكن أتوامن ضعف دراية[2]، والواقع أن ابن جنى سها فى توجيهه لهذه القراءة، فتسكين المرفوع فى نحو ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] لغة لتميم وأسد باعترافه كما ذكرنا فلا وجه للإنكار من جهة الرواية كما يقول أستاذنا الشيخ النجار[3] ولعل هذا الطعن ناشئ عن سوء الظن الذى عرف بين النحاة والقراء[4] فى هذه الآونة من التاريخ بحيث كان القراء لا يعتدون بكلام النحاة على حين تظهر ردود فعل لذلك فى إنكارهم لبعض القراءات.

الضميران: هو وهى

هو للواحد المذكر، وهى للواحدة المؤنثة.

والأصل أن تضم هاء هو، وتكسر هاء هى: وأن تكون الواو والياء مفتوحتين وهى اللغة الشائعة عند العرب، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] وقوله: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩].

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٢٠، ومما أورده ابن جنى من ذلك تحويل الحجازيين كسر الشين فى عشرة المفردة إلى سكونها عند التركيب فقالوا إحدى عشرة إلى تسع عشرة على حين عكسها التميميون فكسروا الشين حال التركيب مع أنهم يسكنون فى الإفراد وهم يعكسون فى نظائره من فخذ ونحوه، المحتسب ١/ ٨٥.

(٢) الخصائص ١/ ٧٢، ٧٣.

(٣) التعليق ١/ ٧٣.

(٤) البحر ٤/ ٢٧٢، ٣٦٢.

وقد تسكن الواو والياء، عند بعض القبائل كأسد وتميم[1] وقيس قال الشاعر:

أدعــوته بـالله ثـم قـتلتــه ... لو هو دعــاك بذمــة لم يـغـدر[2]

وقال عبيد بن الأبرص:

وركـضك لولا هو لقيت الذى لقـوا ... فأصبحت قد جـاوزت قومـا أعاديا

وقال آخر:

إن سـلـمـى هـى الـتـى لـو تـراءت ... حـبــذا هـى من خـلة لو تـراعى

وبعضهم وهم همدان يشددون الواو والياء، وهذا هو الأصل فيهما، إذ الأصل أن يكون كل منهما ثلاثى الأحرف مثل أنت فيقولون: هوّ وهىّ، قال شاعرهم:

وإن لسـانى شـهـدة يـشـتـفى بـهـا ... وهوّ عـلى من صـبــه الـله علـقم

وقال:

والنفـس مـا أمـرت بالعنـف آبيـة ... وهىّ مــا أمـرت بالـلطف مــأتمر

ويجوز تسكين الهاء فى هذين الضميرين إذا وقـعا بعد الفاء والواو واللام وثم، كما تسكن بعد همزة الاستفهام وكاف الجر اضطراراً وذلك عند قيس وأسد[3].

ومن أمثلة ذلك:

وكنا إذا مــا كــان يـوم كـريهــة ... فـقـد علمـوا أنـى وهو فـتـيـان[4]

وقرأ بعـضهم ﴿فَهْيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقـرة: ٧٤] بإسكان الهاء وبعضهم بكـسرها وذلك أن لغة للعرب فى (هو وهى ولام الأمـر) إذا كان قبلهن واو أو فاء أسكنوا أوائلهن ومنهم من يدعها[5].

---

(١) اللسان: ها.

(٢) لمتمم بن نويرة يخاطب ضرار بن الأزور الأسدى الذى أمره خـالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة بعد أن أخذ مال الزكاة وارتد وقبله قوله:

نـعم الـقــتــيـل إذا الـرياح تـناوحـت ... خلـف البـيــوت قــتلت يـا ابن الأزور

انظر المفضليات للضبى ط دار المعارف هامش ص ٢٦٤.

(٣) الأشمونى بحاشية الصبان ١/١١٣، ١١٤.

(٤) اللسان: ها.

(٥) معانى القرآن للأخفش ١/١٠٧.

وبعد همزة الاستفهام كقوله:

فقـمت للطيف مـرتاعـا فـأرقنى   فـقـلت أَهْى سـرت أم عـادتى حلم

أراد: أهِي سرت، فلما كانت (أهِي) كقولك (بهِى) خفف على حد قولهم (به) فى (بهِى) وفى عِلم (علْم) بسكون اللام.

وقد تحذف الواو والياء -عند بعض العرب- كقول أبى خالد الأسدى:

(إذاه لم يؤذن له لم ينبس)

وقول الآخر:

(ديار سعدى إذه من هواكا)

السكون والحركة فى الصوامت الحلقية

١- قرئ: ﴿قَرْحٌ﴾ [آل عمران: ١٣٩][١] -﴿جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]- ﴿زَهْرَةَ﴾ [طه: ١٣١][٢]- ﴿يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦][٣]- ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤][٤]- ﴿الضَّأْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣][٥]- كل شىء فى القرآن محركا.

٢- قال الشجرى: محموم -يعدو- تغذو- وقال غيره من بنى عقيل: اللحم - نحوه[٦]- بفتح حرف الحلق فى الأمثلة كلها.

اختلف القدامى فى فتح حرف الحلق الساكن، فيرى البصريون أنه لهجة عربية، فمذهبهم (فى كل شىء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح، يعنى فى صيغة فَعْل من الأسماء أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه كالزهرة والنهر -بسكون الهاء وفتحها- والشعر- بسكون العين وفتحها- فهذه لغات عندهم كالنشر- بسكون الشين وفتحها- والحلب- بسكون اللام وفتحها والطرد- بسكون الراء وفتحها[٧] وليس قياسًا عندهم[٨] لكن الكوفيين والبغداديين قد قاسوه.

---

(١) المحتسب ١/١٦٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ٨٤.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٦٦.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٦٧.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٣٤.

(٦) المصدر السابق ١/ ٨٤.

(٧) المصدر السابق ١/ ٨٤ وانظر ٢/ ١٦٦.

(٨) الخصائص ٢/ ١٠.

فمذهب الكوفيين أنه يحرك الثانى لكونه حرفًا حلـقيًا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوا كالبحر -بسكون الحاء وفتحها- والصخر- بسكون الخاء وفتحها[1].

وابن جنى كان فى أول أمره يوافق أصحابه البصريين، ففى الخصائص يذكر ما ينم عن موافقته لمدرسـة البصرة كما يفهم من قوله: «وسمعت الشجـرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحـرف الحلقى فى نحو: يعدو، وهو محموم، ولم أسمعـها من غيره من عقيل، فقد كان يرد علينا من يؤنس به ولا يبـعد عن الأخذ بلغته، ولا أظن الشجرى إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم[2] من تحريك الحرف الحلقى بالفتح إذا انفتح ما قبله فى الاسم على مذهب البـغداديين... لكن مثل يعدو وهو مـحموم لم يرو عنهم فـيما علمت، فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه»

وقد أيد رأى البـصريين فى المنصف يقول: «فأمـا أصحابنا فـلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانيه حرف غير حلقى... فلا فصل بين نشز ونشر -بسكون الشين وفتحها- وشعر وشعر- بسكون العـين وفتحها -فهذان لغتان كـما أن هذين لغتان» ويدافع عن رأى البصـريين فيقـول: «إن حروف الحلق لا تحرك سـاكنًا، ولا تسكن متحـركًا، بل لعمرى إنه يراد فيها الإتباع وتجانس الصوت، فأما تسكين متحرك أو تحريك ساكن فلا يجب لها»[3].

ولكننا نلاحظ -أيضًـا- مما ذكـره فى المحتـسب مـا ينم عن مـوافقـته لـلكوفيـين والبغداديين بقياسية فتح حرف الحلق الساكن إذ يقول عن -رأى الكوفيين-: «وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق إلا فى أيديهم».

ويقول: «لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفًا حلقـيًا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان سـاكنًا من حروف الحلق نحو قوله فى الصخر الصخر -بفتح

---

(١) المحتسب ١/ ٨٤ وانظر ٢/ ١٦٦.

(٢) أى ما جاء عن عقيل أو غيرهم من العرب من تحـريك عين (فَعْل) فى الاسم مثل شعر وبحر ونهر ونشر ونحو ذلك أمـا ما جـاء عن الشجرى هنا فليس مـن هذا النوع لأنه فى الفعل يعـدو أو يغذو وفى اسم المفعول محموم وكان ابن جنى حتى تأليفـه الخصائص لم يسمع فى ذلك فتح حرف الحلق كما سمع من الشجرى.

(٣) الخصائص ٢/ ١٠ والمنصف ٢/ ٣٠٥-٣٠٧.

الخاء- ولعمرى إن هذا عند أصحابنا ليس أمرًا راجعًا إلى حرف الحلق لكنها لغات، وأنا أرى فى هذا رأى البغداديين فى أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدًا معتمدًا، فلقد رأيت كثيرًا من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدًا لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم نحوه -بفتح الحاء- يريد نحوه- بسكونها- وهذا لا توقف فى أنه أمر راجع إلى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه ألبتة»[1].

وهو بهذا يخرج على مذهب البصريين الذين يعدون ذلك لغات لا يصح القياس عليها.

ولا تناقض بين هذين الموقفين من ابن جنى، فالثابت أنه ألف المحتسب فى آخر حياته، وذلك يعطينا أمرين:

١- أنه سمع كثيرًا من عقيل لا يحصيهم تفتح حرف الحلق الساكن وقبل ذلك لم يكن سمع مثله من غير الشجرى كما يتبين من نص كلامه.

٢- كان لاستقراره الذهنى[2] أثر كبير فى تعليل هذه الظاهرة وغيرها بحيث أدرك أن لحرف الحلق أثرا معتدا معتمدا فى تحويل سكونه فتحة كما هو نص كلامه -أيضًا- وقد أكد ابن جنى ذلك حين قال: وأنا أرى، وأن الحق مع البغداديين وفى أيديهم، وأنه أمر راجع إلى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه.

وبذلك يبعد أن يكون توثيق ابن جنى للقراءات الشاذة هو السبب فى هذين الموقفين المتعارضين على ما ذهب إليه الدكتور عبد الفتاح شلبى من أنه «استعان بالمذاهب الأخرى ووجد فيها مقنعا ومحتجا»[3].

ويؤيد علم اللغة الحديث هذه الظاهرة الصوتية فـ (حرف الحلق بعد صدوره من مخرجه يحتاج إلى اتساع مجراه فى الفم، ولذلك ناسبه من أصوات اللين أكثره

---

(١) المحتسب ١/١٦٧.

(٢) أبو على الفارسى د. شلبى ص ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق ص ٣٧١.

اتساعًا وهو الفتحة[1] وذلك أيضًا موجود فى أخوات العربية كالعبرية نحو baal (بعل) ـ naal (نعل) وكذلك الصامت الذى قبله، فالفعلان الماضيان Shamar، (سمع) patah (فتح) كان ينبغى أن يكون مضارعاهما على قياس الثلاثى الصحيح YashmoA (بضم الميم)، Yeptoh (بضم التاء) لكن العين فيهما تفتح لصوت الحلق الواقع لاما بعدها: Yeptah - YeshmaA.

وقد نسب ابن جنى هذه اللهجة ـوهى فتح حرف الحلق الساكن - إلى بنى عقيل، وبين أنه فاش فيهم فإلى جانب ما نقلناه من قبل عنه يقول أيضًا: سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره، حتى لسمعت الشجرى يقول: أنا محموم ـبفتح الحاءـ وليس أحد يدعى أن فى الكلام مفعولاـ بفتح الفاءـ وسمعته مرة أخرى يقولـ وقد قال له الطيب: مُصّ التفاح، وارم بثفلهـ والله لقد كنت أبغى مصه وعليته تغذوـ بفتح الغينـ ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفعل-بفتح الفاءـ وسمعت جماعة منهمـ وقد قيل لهم قد أقيمت لكم أنزال[2] من الخبزـ قالوا: فاللحم ـبفتح الحاءـ يريدون اللحمـ بسكونهاـ وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه نحوه بفتح الحاء)[3].

ويعترف ابن جنى بكثرة ذلك عن بنى عقيل[4].

ومن ذلك يتضح أن فتح حرف الحلق الساكن من خصائص لهجة عقيل، وينسب أبو حيان تلك الظاهرة إلى بعض بنى بكر بن وائل[5] وتثبت كتب البلدان أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين[6] وأن بنى بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين[7] ومن هذا نفهم (سر التشابه بين القبيلتين)[8].

---

(١) فى اللهجات العربية ص ١٣٥.

(٢) هو ما يهيأ للنزيل.

(٣) المحتسب ١/ ٨٤.

(٤) الخصائص ٢/ ٩.

(٥) البحر ٣/ ٢٤٧.

(٦) نهاية الأرب ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(٧) صفة جزيرة العرب ص ١٦٩ ونهاية الأرب ص ١٧٨.

(٨) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١١٣.

ما ليس له مصطلح لهجى أو لغوى من اختلاف الحركات:

أ- الفتح والضم

فى أحيان كثيرة ينسب الضم لتميم والفتح للحجاز وقد يأتى العكس فى النسبة وربما يأتى فى بعض مصادر اللغة غير منسوب ومما جاء من الأمثلة بنسبة الفتح للحجاز والضم للقبائل البدوية كتميم وأسد (قرح) فى قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. نسب الفتح فى (قرح) للحجاز والضم لتميم[(١)]. و(زعم) فى قوله تعالى:

﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٦][(٢)] نسب الفتح للحجاز والضم لأسد[(٣)].

وقال أبو حيان: الفتح فى المصدر والضم فى الاسم[(٤)]. و(ينعه) فى قوله سبحانه: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩].

نسب الفتح لكنانة والضم لتميم[(٥)].

وقد نسب عكس ذلك لهذه القبائل فنسب الضم للحجاز والفتح للقبائل البدوية كتميم ومن أمثلة ذلك:

(ضعف) فى قوله جل ثناؤه: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦][(٦)] جاءت بالفتح المنسوب لتميم والضم المنسوب للحجاز.

و(كسالى) فى قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

عزى الفتح لتميم والضم للحجاز[(٧)].

---

(١) اللغات فى القرآن على هامش الجلالين ص٦١، والمصباح المنير ١/ ٤٩٦ (قرح).

(٢) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥٥، ٥٦، التهذيب ٢/ ١٥٨..

(٣) المصباح ١/ ٣٨٠.

(٤) البحر المحيط ٥/ ١١٥.

(٥) اللغات فى القرآن ص٢٦.

(٦) البحر المحيط ٤/ ٥١٨.

(٧) البحر المحيط ٣/ ٣٣.

و(حوب) فى قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيراً﴾ [النساء: ٤]. بضم الحاء للحجاز وفتحها لتميم[١].

ونسب ابن الأثير الفتح فى (حوب) لأهل الحجاز والضم لتميم فى (اغفر لنا حوبنا) أى إثمنا قال: تفتح الحاء وتضم والفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم[٢].

وفى الحديث: **(ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا)** عقر الدار بالضم لغة أهل نجد وبالفتح لغة أهل الحجاز وهو أصلها.

ويأتى الفتح والضم غير منسوبين وبلا ترجيح فى مثل:

(بهلة) فى الحديث **«من ولى من أمور الناس شيئًا فلم يعطهم كتاب الله فعليه بَهْلَةٌ من الله»** أى لعنة الله وتضم باؤها وتفتح والمباهلة الملاعنة وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولون: لعنة الله على الظالم منا[٣].

و(دجر) فى حديث عمر: **(اشتر لنا بالنوى دَجَرًا)** الدجر: بالفتح والضم: اللوبياء[٤].

و(مملكة) فى حديث الأشعث أنه **(خاصم أهل نجران إلى عمر فى رقابهم فقالوا: إنما كنا عبيد مملكة ولم نكن عبيد قِنّ)** المملكة بضم اللام وفتحها أن يغلب عليهم فيستعبدهم وهم فى الأصل أحرار والقِنّ أن يملك هو وأبواه[٥].

و(الدلجة) كما فى الحديث: **(عليكم بالدُّلجة)** بضم الدال وفتحها من أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل وادّلج بالتشديد إذا سار من آخر الليل والاسم الدلجة.

و(مشربة) كما فى الحديث: **«أنه كان فى مشربة له»** فالمشربة بضم الراء وفتحها: الغرفة[٦].

---

(١) البحر ٣/ ٦١ والإتحاف ١٨٦ والمصباح: حوب.

(٢) النهاية ١/ ٤٥٥ حوب، ٥/ ٣٧٠ والصحاح ١/ ١١٦ (حوب) والقاموس ١/ ٦٠ حوب واللسان ١/٣٢٦ حوب.

(٣) النهاية ١/ ١٦٢ بهل واللسان ١٣/ ٧٤ بهل.

(٤) النهاية ١/ ٤٥١ حنطب والتهذيب ٥/ ٣٣١ والقاموس ١/ ٥٨ واللسان ١/ ٣٢٦.

(٥) النهاية ٤/ ٣٥٨ ملك والتهذيب ١٠/ ٢٦٩، ٢٧٠ والقاموس ٣/ ٣٣١ واللسان ١٢/ ٣٨١.

(٦) النهاية ٢/ ٤٥٥ شرب والقاموس ١/ ٨٩ واللسان ١/ ٤٦٩.

و(شــرب) فى قوله تعــالى ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥][(١)] قرأ أبو عمرو (شرب) بفتح الشين وهو تميمى ويقول ابن الأثير والفتح أقل اللغتين.

وفى بعض الأحيان نجد ترجيح حركة على أخرى بالصحة والكثرة والقلة وغيرها.

و(بطحان) كما فى حديث الصداق **«لو كنتم تعزفون من بطحان ما زدتم»** بُطحان اسم واد بالمدينة والبطحانيون ينسبون إليه وأكثـرهم يضمون الباء ولعله الأصح فيما نقله ابن الأثير[(٢)].

و(اللطف) جاء فى حديث الإفك:

«ولا أرى منه اللطف الذى كنت أعرفه» أى الرفق والبر ويروى اللَّطف بفتح اللام والطاء لغة فيه[(٣)].

و(أتــاوى) كمــا جــاء فى حديـث عثمان **(إنا رجلان أتاويان)** أى عربيان قال أبو عبـيدة: الحـديث يروى بالضم وكلام العـرب بالفتح يقال: سـيل أتى وأتاوى جاءك ولم يجئك مطره، ومنه قول المرأة التى هجت الأنصار:

أطعـــــــتم أتـاوىّ مـن عنـدكـم ... فـــلا من مــــراد ومـن مــــذحج

وأرادت بالأتاوى النبى ﷺ[(٤)].

و(أنفة) كمــا فى الحديث: **«لكل شىء أنفـة وأنفة الصـلاة التكبيـرة الأولى»** أنفة الشىء ابتداؤه هكذا روى بضم الهمزة وعن الهروى أن الفتح هو الصحيح[(٥)].

- وقد يــوصف الفتـح بالقـلة مثل: (شفر) كما فى حـديث سعد بن الربيع: **«لا عذر لكم إن وصل رسول الله ﷺ وفيكم شُفْرٌ يطرف»**.

الشفر بالضم وقد يفتح حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر[(٦)].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢١٠ والكشف عن وجوه القراءات وعللها لابن أبى طالب القيسى والنهاية ٢/ ٤٥٤ شرب.
(٢) النهاية ١/ ١٣٥ بطح والقاموس ١/ ٢٢٣ واللسان ٣/ ٢٣١.
(٣) النهاية ١/ ٤٥٥ حوب، ٥/ ٣٧٠ والصحاح ١/ ١١٦ واللسان ١/ ٣٢٦.
(٤) النهاية ١/ ٢١ (أتى) والصحاح ٦/ أتى والقاموس ٤/ ٢٩٩ (أتو) واللسان ١٨/ ١٥ أتى.
(٥) النهاية ١/ ٧٥ أنف والتهذيب ١٥/ ٤٨٢ أنف والصحاح ٤/ ١٣٢ والقاموس ٣/ ١٢٣ واللسان ١٠/ ٣٥٤.
(٦) النهاية ٢/ ٤٨٤ شعر والتهذيب ١١/ ٣٥٠ والقاموس ٢/ ٦٣ واللسان ٦/ ٧٦.

- وأحيانًا يوصف الضم بأنه قليل والفتح شائع مثل العوار فى حديث الزكاة **«ولا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عوار»** العوار بالفتح: العيب وقد يضم[1].

وفى صفته ﷺ **(كث اللحية)** الكثاثة فى اللحية أن تكون غير رقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال للرجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم[2].

و(بسأ) بفتح السين وكسرها.

وفى الحديث: أن النبى ﷺ قال يوم بدر: **«لو كان أبو طالب حياً لرأى سيوفنا وقد بسئت بالميائل»** وبسِئت وبسأت بفتح السين وكسرها أى اعتادت واستأنست والميائل والأماثل كأنه من المقلوب[3].

و(الحصاد) ورد فى الحديث: **«أنه نهى عن حصاد الليل»** الحصاد بالفتح والكسر: قطع الزرع وإنما نهى عن ذلك ليلاً من أجل المساكين أو لأجل الهوام أن تصيب الناس إذا حصدوا ليلاً»[4].

(ورسعت).

ففى حديث عمرو بن العاص: **«بكى حتى رسعت عينه»** أى تغيرت وفسدت والتصقت أجفانها وتفتح سينها وتكسر وتشدد أيضًا[5].

(الرطانة).

بكسر الراء ورواه الجوهرى مفتوحًا: كلام العجم أو كلام لا يفهمه الجمهور[6].

و(البضع) فى العدد بالكسر وقد يفتح ما بين الثلاث إلى التسع وقيل البضع واحد إلى عشرة[7].

---

(١) النهاية ٣/ ٣١٨ عور والتهذيب ٣/ ٧٧٠ (عار) والقاموس ٢/ ١٧٠ عور واللسان ٦/ ٢٩٠.

(٢) النهاية ٤/ ١٥٢ كث والقاموس ١/ ١٧٩ واللسان ٥/ ٣٢٧.

(٣) النهاية ١/ ١٢٦ بسأ والصحاح ١/ ٣٦ والقاموس ١/ ٨ واللسان ١/ ٢٧٩.

(٤) النهاية ١/ ٤٥٠ واللسان ٤/ ١٢٨ (حصد).

(٥) النهاية ٢/ ٢٢١ رسع والتهذيب ٢/ ٩٢ والقاموس ٣/ ٣٠ والصحاح ١/ ٨٠. والقاموس ٩/ ٨٢.

(٦) النهاية ٢/ ٢٣٣ رطن والتهذيب ١٣/ ٣١٨ والصحاح ٣/ ٤٨٩.

(٧) النهاية ١/ ١٣٣ بضع والتهذيب ٣/ ١١٨٦ والقاموس ٣/ ٥ واللسان ٩/ ٣٥٩.

و(السبـر): حسن الهيئـة، وفى الحديث: «**يخرج رجـل من النار قد ذهب حِـبْرُه وسِبْرُه**» السِّبْر حسن الهيئة والجمال وقد تفتح السين[1].

- و(الضعة): الذل والهوان والدناءة وقد وضُع ضعـةً فهو وضيع والهاء عوض من الواو المحذوفة وقد تكسر الضاد[2].

وكذلك: دحية.

وفى الحديث: «**كان جبريل عليه السلام يأتيه في صورة دحية الكلبى**».

وهو دحيـة بن خليفة أحد الصـحابة كان جـميلاً حسن الصـورة ويروى بكسر الدال وفتـحهـا. الدحية رئيس الجند ومـقدمـهم وكأنه من دحاه يـدحوه إذا بسطه ومهده لأن الرئيس له البسط والتمهيد إلا أن الأصمعى أنكر فيه الكسر[3].

ب- الفتح والكسر

جاء منسوبًا وغير منسوب فى بعض مصادر اللغة.

ومن المنسوب ما عرف أن الفتح للحجاز والكسر لتميم وأضرابهم مثل:

- أهل الحجاز يقولون: برأت من المرض وسائر العرب: برئت[4].

- يسمى الفرد (الوتر) بالفتح عند أهل الحجاز وأهل نجد وتميم يكسرون الواو[5] وذكر ابن دريد أن الكسر للحجاز والفتح لغة نجدية[6].

وفى الحديث: «**إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا**»[7].

و(نعجـة) فى قوله سبـحانه: ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾ [ص: ٢٣]. نعجة جاءت بكسر النون عند تميم[8].

---

(١) النهاية ٢/ ٣٣٣ سبر والتهذيب ١٢/ ٤٠٩ والصحاح ١/ ٥٦٣.
(٢) النهاية ٤/ ٢٧ وضع والقاموس ٣/ ٥٩ واللسان ١٠/ ٢٧٦.
(٣) النهاية ٢/ ١٠٧ دحا والقاموس ٤/ ٣٢٩ والصحاح ١/ ٣٩٠ واللسان ١٨/ ٢٧٥.
(٤) اللسان ١/ ٢٢.
(٥) اللسان ٧/ ١٣٥، ١٣٦ والبحر ٨/ ٤٦٧ والإتحاف ٤٣٨.
(٦) الجمهرة ٢/ ١٤.
(٧) النهاية ٥/ ١٤٧ وتر والقاموس ٤/ ١٥٧ والبحر ٨/ ٤٦٧ والإتحاف ٤٣٨.
(٨) البحر ٧/ ٩٩٢.

والفرية بالفتح وبالكسر لغة يمانية ومن ثم اجتمعوا فى جمعها على الفُرَى فحملوها على لغة من يقول: كُسوة وكُسى.

ووردت أمثلة رجح فيها بعض العلماء الفتح على الكسر أو العكس من ذلك (رشدة) فى الحديث: **«من ادعى ولدًا لغير رشدة فلا يرث ولا يورَّث»**.

يقال: هذا ولد رِشدة إذا كان لنكاح صحيح كما يقال فى ضده ولد زِنْية وابن رشدة وقد قيل: زَنية ورَشْدة والفتح أفصح اللغتين[1].

ومن غير المنسوب:

(مأكمة) كما فى الحديث: **«إذا صلى أحدكم فلا يجعل يديه على مأكمتيه»**.

هما لحمتان فى أصل الوركين وقيل بين العجز والمتنين وتفتح كافها وتكسر[2].

و(الإلب):

ففى الحديث **«إن الناس كانوا علينا إلبًا واحدًا»** الإلب بالفتح والكسر: القوم يجتمعون على عداوة إنسان وقد تألبوا عليه أى تجمعوا[3].

- البداوة: تفتح باؤه وتكسر أى الخروج إلى البادية[4].

- السحنة: بشرة الوجه وهيئته وحاله وهى مفتوحة السين وقد تكسر ويقال فيها: السحناء بالمد[5].

- وفى حديث علىّ: **(كلما أطل علكم منسرمن مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه)**.

---

(١) النهاية ٢/ ٢٢٥، رشد والتهذيب ١١/ ٣٢١ والصحاح ٣/ ٤٨٤ والقاموس ١/ ٣٠٥ واللسان ٤/١٥٦.

(٢) النهاية ٢/ ٥٩ أكم والقاموس ٤/ ٧٦ واللسان ١٤/ ٢٨٦.

(٣) النهاية ١/ ٥٩ ألب والصحاح ١/ ٨٨ والقاموس ١/ ٣٨ واللسان ١/ ٢٠٩.

(٤) النهاية ١/ ١٠٨، ١٠٩ بدا والتهذيب ١١/ ٢٠٣ والصحاح والقاموس ٤/ ٤٠٣ واللسان ١٨/ ٦٩.

(٥) النهاية ٢/ ٣١١.

المَنْسر وبكسر السين وبعكسهما: القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير والميم زائدة والمنسر فى غير هذا للجوارح كالمنقر للطير[١].

- وفى صفته ﷺ: **(جليل المُشاس والكتد)**.

الكتد بفتح التاء وكسرها: مجتمع الكتفين وهو الكاهل[٢].

- وقال كعب:

ترمى الغيوب بعينى مفرد لهن

بفتح الهاء وكسرها فى (لهن): الأبيض والمفرد: الثور الوحشى شبهها به[٣].

- ومن ذلك مجنة فى قول الشاعر:

وهل أردن يومًا مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

مجنة: موضع بأسفل مكة على أميال وهى عند الحديبية وكان يقام للعرب بها سوق وبعضهم يكسر ميمها والفتح أكثر وهى زائدة[٤].

- وفى الحديث:

(ملاك الدين الورع) الملاك بفتح الميم وكسرها: قوام الشىء ونظامه وما يعتمد عليه[٥].

- وفى الحديث أيضًا:

«ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعته سوى ثوبى مهنته». أى خدمته وبذلته والرواية بفتح الميم وقد تكسر[٦].

---

(١) النهاية ٥/ ٤٧ نسر والتهذيب ١٢/ ٣٩٦، ٣٩٧، والقاموس ٤/ ١٤٦ واللسان ٧/ ٥٩.

(٢) النهاية ٤/ ١٤٩ كتد والتهذيب ١/ ١٠٦ والقاموس ١/ ٣٣٤ واللسان ٤/ ٣٨٠.

(٣) النهاية ٤/ ٢٨٢ لهق والتهذيب ٥/ ٤٠٥ والقاموس ٣/ ٢٩١ واللسان ١٢/ ٢٠٨.

(٤) النهاية ٤/ ٣٠١ (مجن) والقاموس ٤/ ٢١٣ جن واللسان ١٦/ ٢٤٤ جن.

(٥) النهاية ٤/ ٣٥٨ ملك والتهذيب ٧/ ٢٠٧ والقاموس ٣/ ٣٣١ واللسان ١٢/ ٣٨١.

(٦) النهاية ٤/ ٣٧٦ مهن والتهذيب ٦/ ٣٣٠ والقاموس ٤/ ٢٧٥ واللسان ١٧/ ٣١٣.

جـ- الضم والكسر

جاءت كلمات حركت بعض حروفها بالحركتين: الضمة والكسرة لاختلاف القبائل وغالبًا ما ينسب الضم للبدو والكسر للحضر وقد يرد عكس ذلك وقد يرجح أحدهما على الآخر ونسب ذلك في بعض الأحيان ولم ينسب أحيانًا أخرى.

فمما نسبا فيه دون ترجيح:

- قرئ ﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] بضم الراء وينسب المضموم للتميميين يقولون (رُبيون) بضم الراء تميمية والكسر أيضًا لغة(١).

- ﴿صِنْوَانٌ﴾ [الرعد: ٤]: بالضم لتميم وقيس وبالكسر لأهل الحجاز وقرأ عبد الرحمن السلمي (صنوان) بالضم وقراءة غيره (صنوان) بالكسر(٢).

- ﴿قِنْوَانٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]: بالكسر للحجاز وبالضم لقيس(٣).

- و(قبل) كما في قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ [الأنعام: ١١١]. قبل بضم القاف والباء لتميم والكسر لكنانة(٤).

- وروى السيوطي عن اليزيدي أن تميمًا تضم أوائل غدوة وعشوة وأسوة وقدوة(٥)، قرأ عاصم والأعمش ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢٠]. بضم الهمزة، وهي لغة قريش وتميم والباقون بكسرها لغة أهل الحجاز(٦).

- (رضوان) بضم الراء لغة قيس وتميم(٧) وذكر أن الضم لبني تميم والكسر لأهل الحجاز(٨).

- و﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ٣٥] بالكسر عند الكلابيين وبالضم عند غيرهم، يقول ابن سيده: (الكلابيون يقولون: شواظ من نار بالكسر وغيرهم يقول: شواظ بالضم)(٩).

---

(١) المحتسب ١/ ١٧٣.
(٢) البحر ٥/ ٣٥٧ والمحتسب ١/ ٣٥١.
(٣) المصباح ٢/ ٧٩٨.
(٤) اللغات في القرآن ص ٢٦.
(٥) المزهر ٢/ ٢٧٧.
(٦) إبراز المعاني، الإتحاف ٣٥٤.
(٧) المصباح ١/ ٣٥٢.
(٨) إبراز المعاني ٢٦٧.
(٩) المخصص ١٥/ ٨٦ وإصلاح المنطق لابن السكيت نقلاً عنه ١٠٦.

وجاءت النسبة بعكس ما تقدم فى العدوة، فى قوله تعالى:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٢].

قرأ أبو عمرو وابن كثير بكسر العين والباقون بضمها ونقل عن أبى عبيدة أن الضم أعرب اللغتين[١].

وفى الحديث: **«لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عُدْوتان»**.

العُِدوة بالضم والكسر: جانب الوادى[٢].

وأحيانًا يترجح الكسر على الضم أو العكس.

ومن ذلك: الكدنة: بكسر الكاف وقد تضم: غلظ الجسم وكثرة اللحم ويقال: «إنك لحسن الكدنة»[٣].

و(المرار) المشهور فيها ضم الميم وبعضهم يكسرها وهى عند الحديبية[٤].

ومما لم ينسبا فيه:

(تجار) ففى الحديث: **«التجاز يبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى الله وبر وصدق»** سماهم فجارًا لما فى البيع والشراء من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس وجمع التاجر تجار بالضم والتشديد وتجار بالكسر والتخفيف[٥].

و(الحبوة) ففى الحديث: **«الاحتباء حيطان العرب»** أى ليس فى البرارى حيطان فإذا أرادوا أن يستندوا احتبوا لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم ذلك كالجدار يقال: احتبى يحتبى احتباء والاسم: الحبوة بالكسر والضم[٦].

و(الحشوة) ففى حديث المبعث: **«ثم شقا بطنى وأخرجا حُِشوتى»**.

---

(١) إرشاد المريد على إبراز المعانى من حرز الأمانى لأبى شامة ص ٣٣٤.

(٢) النهاية ٣/ ١٩٤ عدا والقاموس ٤/ ٣٦٢ واللسان ١٩/ ٢٥٧.

(٣) النهاية ٤/ ١٥٦ (كدن) والتهذيب ١/ ١٢١ والقاموس ٤/ ٤٦٤ واللسان ١٧/ ٢٣٥.

(٤) النهاية ٤/ ٣١٨ (مرر) والقاموس ٢/ ١٣٧ واللسان ٧/ ١٠.

(٥) النهاية ١/ ١٨١ تجر والصحاح ٢/ ٦٠٠ والقاموس ٢/ ٣٤٣ واللسان ١٢/ ١٥٦.

(٦) النهاية ١/ ٣٣٥، ٣٣٦ حبا والقاموس (مثلثة) ٤/ ٣١٦ واللسان ١٨/ ١٧٢.

الحشوة بالضم والكسر: الأمعاء[1].

و(الخيلاء) ففى الحديث: «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

الخيلاء: بالضم والكسر: الكبـر والعجب يقال: اختال فهو مختـال وفيه خيلاء ومخيلة: كبر[2].

و(سوار) بكسر السين وضمها[3].

- (الرشوة) بكسر الراء وضمها[4].

- (الحظوة) بكسر الحاء وضمها[5].

- و(شجنة) فى الحديث (الرحم شجنة من الرحمن) أى قـرابة مشتبكة العروق مشتملة بذلك مـجازًا واتساعًا وأصل الشجنة بالكسر والضم شـعبة من غصن من غصون الشجرة[6].

- الطبى بضم الطاء وكسرها يقـال للأخلاف من الخيل والسباع والجمـع أطباء كما يقال فى ذوات الخف والظلف الضروع وقيل: يقال لموضع الأخلاف خِلْف وضرع[7].

- و(الضبنة) فى الحديث: (اللهم إنى أعوذ بك من الضبنة فى السفر).

الضبنة: ما تحت يدك من مـال وعيال ومن تلزمك نفقته سـموا ضبنة لأنهم فى ضبن من يعولهم والضبن ما بين الكشح والإبط تعوذ بالله من كثرة العيال فى مظنة الحاجة والسفر، وقيل تعوذ من صحبة من لا غناء فيه ولا كفاية من الرفاق إنما هو كَلٌّ وعيال على من يرافقه[8].

---

(١) النهاية ١/ ٣٩٢ حشا والتهذيب ٥/ ١٣٨ والصحاح ٦/ ٣١٣ والقاموس ٤/ ٣١٩ واللسان ١٨/ ١٩٤.

(٢) النهاية ٢/ ٩٣ خيل والتهذيب ٧/ ٥٦٤ والصحاح ١/ ٣٨٢ والقاموس ٣/ ٣٨٣ واللسان ١٣/ ٢٤٠.

(٣) النهاية ٢/ ٤٢٠ سور والتهذيب ١٣/ ٥١ والقاموس ٢/ ٥٥ واللسان ٦/ ٥١.

(٤) النهاية ٢/ ٢٢٦ رشا والتهذيب ١١/ ٤٠٦ والقاموس ٤/ ٣٣٦ واللسان ١٩/ ٣٧.

(٥) النهاية ١/ ٤٠٥ حظو والتهذيب ٥/ ٢٠٥ والصحاح ٦/ ٣١٥ والقاموس ٤/ ١١٩ واللسان ٥/ ٧٨.

(٦) النهاية ٢/ ٤٤٧ شجن والتهذيب ١/ ٥٣٨ والقاموس ٤/ ٢٤٠ والصحاح ١/ ٦٥٠ واللسان ١٧/ ٩٧.

(٧) النهاية ٣/ ١١٥ طبل والقاموس ٤/ ٣٥٨ واللسان ١٩/ ٢٢٦.

(٨) النهاية ٣/ ٧٣ ضبن والقاموس ٤/ ٢٢٤ واللسان ١٧/ ١٢٠.

- وفى حديث صلاة الخوف (وطائفة وجاء) أى مقابلهم وحذاءهم وتكسر الواو وتضم[1].

- القرطم: حب العصفر، الفسطاط: المدينة التى فيها مجتمع الناس روى كل منهما بكسر الفاء وضمها[2].

د- بين الحركات الثلاث: الفتح والضم والكسر

- من ذلك: (غلظة).

قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] قرأها الأعمش والمفضل بن عاصم بالفتح وقرأها السلمى وابن أبى عيلة بضمها وتكسر فالفتح للحجازيين والكسر لهجة بنى أسد وقيس والضم لهجة بنى تميم[3].

- (زعم) بكسر الزاى وفتحها وضمها: نسب أبو حيان الكسر لتميم وبعض قيس والضم لبنى أسد والفتح للحجاز[4] وذكر ذلك الفيومى[5] وفى بعض المصادر اكتفى بنسبة الضم والفتح[6].

- (غواث): هو كالغياث بالكسر من الإغاثة روى بالضم والكسر ويقول ابن الأثير: والفتح فيها شاذ[7] وربما جاء الشذوذ لأن ما دل على صوت يكون على وزن فعال كنباح إلخ.

- (قينقاع): بطن من بطون يهود وردت بضم النون وقد تكسر وتفتح[8].

---

(١) النهاية ٥/ ١٥٩ وجأ والتهذيب ٦/ ٣٥١ والقاموس ٤/ ٢٩٦ واللسان ١/ ١٨٥.

(٢) التهذيب ٩/ ٤٠٩ و١٢/ ٣٤٠ والقاموس ٢/ ٣٩١، ٤/ ١٦٥.

(٣) البحر المحيط ٥/ ١١٥، ٤/ ٢٢٧ ومختصر شواذ القرآن ص ٥٥، ٥٦.

(٤) البحر ٤/ ٢٢٧.

(٥) المصباح ٢٥٣ زعم.

(٦) الإتحاف ٢١٧ واللسان: زعم ١٥.

(٧) النهاية ٣/ ٣٩٢ غوث والتهذيب ٨/ ١١٧ والقاموس ١/ ١٧٧ واللسان ٢/ ٤٧٩.

(٨) النهاية ٤/ ١٣٦ قنع والقاموس ٣/ ٧٩.

- (حلاوة): وفى حديث المبعث: (فسلقنى لحلاوة القفا) أى أضجعنى على وسط القفا، لم يمل به إلى أحد الجانبين وتضم حاؤه وتفتح وتكسر[1].

- (المطرف) بكسر الميم وفتحها وضمها: الثوب الذى فى طرفيه كمكمان والميم زائدة[2].

- (العرام): الشدة والقوة والشراسة وقد عرم بالضم والفتح والكسر[3].

- (المهل والمهلة): وفى حديث أبى بكر: **ادفنونى فى ثوبىّ هذين فإنما هما للمُهل والتراب** ويروى للمهلة بضم الميم وكسرها وفتحها وهى ثلاثتها: القيح والصديد الذى يذوب فيسيل من الجسد ومنه قيل للنحاس الذائب: مُهل[4].

ومن هذا يفهم أن الضم لهجة للقبائل البدوية أما الفتح والكسر فهو لهجة أيضًا ولكن للحضريين من أهل الحجاز وهذا تخريج تسوغه القوانين الصوتية الحديثة (فالفتحة تلائم البيئة الحضرية لما فيها من خفة على حين تناسب الضمة أهل البادية لثقلها)[5] وكذلك حيث تكون الضمة والكسرة تنسب الأولى إلى البدو والثانية إلى الحضر[6].

وإن كنا نرى أن ذلك ليس مطردًا فقد يأتى عكس ما قيل فى النسبة - كما رأينا - وهذا يؤكد التأثر والتأثير بين البيئات اللغوية بدوها وحضرها.

****

---

(1) النهاية ١/ ٤٣٦ والتهذيب ٥/ ٣٣٦ والصحاح والقاموس ٤/ ٣٢١ واللسان ٨/ ٢٠٨.

(2) النهاية ٣/ ١٢١ طرف والقاموس ٣/ ١٧٢.

(3) النهاية ٣/ ٢٢٣ عرم والقاموس ٤/ ١٥٠ واللسان ١٥/ ٢٨٨.

(4) النهاية ٣/ ٣٧٥ مهل والقاموس ٤/ ٥٤ واللسان ١٤/ ١٥٥.

(5) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٢٥٩.

(6) السابق.

الفصل الثانى

التغيير فى بعض الصيغ اللغوية وتعدد الأوجه النحوية

إبدال الياء ألفا فى بعض الأفعال الثلاثية

المعروف فى كتب التصريف أن الواو والياء تقلبان ألفا إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما مثل: دعا وسعى فإن سكنت الواو والياء أو لم ينفتح ما قبلهما لم يقلبا ألفا مثل: بيت وعين وصوم ونوم والسعى والظبى ويقوم ويبيع... إلخ. وقد نقل عن بعض العرب مثل بلحارث بن كعب أنهم يقلبونها ألفا دون تحقق الشروط السابقة فيقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا، فالحرفان (على) و(إلى) ـ من حروف المعانى ـ وبعض الظروف إذا اتصلت بالمضمر قلبت ألفها ياء فنقول: عليك وإليك ولديك، وقال سيبويه إن ذلك القلب ليفرقوا بين الظاهر والمضمر لأن المضمر لا يستقل بنفسه بل يحتاج إلى ما يتوصل به إليه.

وبنو الحارث بن كعب وخثعم وكنانة يقلبون الياء ألفًا فيها لا فرق عندهم بين المظهر والمضمر: وكذلك كل ياء ساكنة مفتوح ما قبلها يقلبونها ألفا فيقولون: إلاك وعلاك ولداك[1] وقالوا: السلام علاكم[2] وأنشد لبعض أهل اليمن:

أى قلوص راكب تراها   طاروا علاهن فطر علاها[3]

---

(١) الكتاب ٣/ ٤١٢، ٤١٣، والمصباح (إلى) ١/ ٢١.

(٢) النوادر لأبى زيد ٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) الخصائص ٢/ ٢٦٩ وشرح شواهد العينى ١/ ١٢٧، ١٢٩، ٢/ ٥٨٥، ٧٨٦.

والقلُوص من الإبل: الشابة أو الباقية على السير أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تُثنى، والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث. القاموس ٢/ ٣٢٦.

وقد قلبت الواو ألفًا لغير علة فى قول الشاعر:

تبت إليك فتقبل تابتى وصمت ربى فتقبل صامتى

وقد شرحنا ذلك فى إبدال حروف العلة بعضها من بعض.

وقد يلتبس ذلك حال القلب التباسًا لفظيًا بأسماء وأفعال مثل (إلاه) فى (إليه) يلتبس بلفظ (إله) ومثل (علاه) يلتبس بالفعل (علا) فى مثل: علا زيد ثوب وعلاه ثوب بمعنى (عليه)[1].

وقد اشتهر أن قبيلة طيىء تقلب الياء الواقعة بعد الكسرة ألفًا فى بعض الأفعال الثلاثية - مخالفة القاعدة العامة التى أشرنا إليها من قبل - سواء أكانت الكسرة والياء أصليتين أو عارضتين للبناء للمجهول فيقولون فى فنِى، فنَى، وفى بقِى: بقَى، بكسر العين وفتحها وفى المبنى للمجهول: هُدِى زيد، وبُنِى البيت: هُدَى وبُنَى بضم الفاء وفتح العين. قال زيد الخيل الطائى:

أفى كل عام مأتم تبعثونه على مِحْمَرٍ[2] منكم أثيب وما رُضَا

رضى بضم الراء وفتحها.

وقال المستوفز بن ربيعة:

هل ما بقَى إلا كما قد فاتنا يومٌ يكِرُّ وليلة تحدونا؟

وقال امرؤ القيس:

لها متنتان[3] حظاتا كما أكبّ على ساعديه النمر[4]

يريد: حظيتا.

وقال آخر:

ثم عذت بباقاة لحى ولا أحد على الدنيا بباق

---

(1) انظر اللسان (علا ١٩/ ٣٢٢.

(2) المحمر كمنبر: الذى لا يعطى إلا على الكدّ واللئيم. القاموس ٢/ ١٤.

(3) متنتا الظهر: مكتنفا الصلب ويؤنث. القاموس ٤/ ٢٧١.

(4) أكبّ عليه: أقبل ولزم وكبّه وأكبّه: صرعه وقلبه كاكبه وكبكبه فأكبه القاموس ١/ ١٢٥.

وقال:

وما الدنيا بباقاة علينا

[يريد: بباقية][1].

وقال:

(غير باناة[2] على وتره)

[أى غير بانية].

وعليها جاءت بعض القراءات الشاذة كقراءة الحسن: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقَيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٢٧٨]ـ بفتح قاف بقى ـ وقراءة الأعمش: ﴿**فَنَسَيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ [طه: ١١٥] بفتح السين فى نسى.

وفى المزهر: أن ما بنته جماهير العرب على فَعِل مما لامه واو كشقى أو ياء كفنى فطيئ تبنيه على فعَل ـ بفتح العين ـ يقولون: شقَى يشقى وفنَى يفنى[3].

ويبدو أن قبيلة طيئ فعلت ذلك فيما تطرفت فيه الياء، وعلل الرضى لذلك بأن الطرف محل التغيير والتخفيف، فإن توسطت الياء بسبب التاء اللازمة نحو: ناصاة فى ناصية ونحوها فقليل[4].

قال الأزهرى: لغة طيئ فى الناصية: الناصاة حكاه أبو عبيد وأنشد:

لقد آذنت أهل اليمامة طيئ بحرب كناصاة الحصان المشهّر[5]

وعلى ذلك فإن هذه اللهجة شائعة فى الفعل الماضى الثلاثى المكسور العين قليلة فى غيره.

والظاهرة منسوبة لطيئ[6] وقد رويت بعض شواهدها منسوبة لغير طيئ كتميم

---

(١) الجمهرة ٢/ ٤٣، شرح المفصل ٢/ ١١.

(٢) بنت القوسُ على وترها: لصقت، فهى بانية وباناة ورجلٌ باناة مُنْحنٍ على وتره إذا رمى. القاموس ٤/ ٣٠٧.

(٣) ٢/ ٣٨.

(٤) شرح الشافية ٣/ ١١١.

(٥) التهذيب ١٢/ ٢٤٥. شهره كمنعه وشهّره: أظهره والشهرة: الظهور فى شنعة القاموس ٢/ ٦٧.

(٦) المقاييس ١/ ٢٧٦ والمخصص ٦/ ٤٠ واللسان ٤/ ١٨٤ والمزهر ١/ ٢٣٧.

وأسد وقيس وفريق من سكان نجد من قبائل اليمن وقد تأثرت قبائل نجد بطيئ حينما هاجروا إلى شمالى الحجاز، وكذلك نسبت إلى بلحارث بن كعب وغيرها.

قلب ألف المقصور ياء

المقصور: هو الاسم المعرب الذى آخره ألف لازمة قبلها فتحة، ومنه القياسى والسماعى، وذكر الرضى أن ألف المقصور تقلب ياء فى الوقف، قال: (وأما إذا وقفت عليها ـ (أى الألف) ـ فتخفى غاية الخفاء... ولهذا يبدلونها فى الوقف حرفًا من جنسها أظهر منها)[1].

وسئل ابن عباس عن قتل المحرم الحيات فقال: لا بأس بقتل الأفعو ولا بأس بقتل الحِدَوْ فقلب الألف فيهما واوًا على حسب لغته[2].

ونقل أن هذا القلب ياء يكون فى الوقف والوصل، فقوم من العرب يبدلون هذه الألف ياء فى الوقف فيقولون: هذه أفعىْ وحبلىْ، ومثنّىْ فى أفعى وحبلى ومثنّى وكذلك كل ألف فى آخر الاسم وهى لغة فزارة وناس من قيس وهى قليلة فأما الأكثر الأعرف فأن تدع الألف فى الوقف على حالها ولا تبدلها ياء وإذا وصلت استوت اللغتان لأنه إذا كان بعدها كلام كان أبين لها منها إذا سكتّ عندها فإذا استعملت الصوت كان أبين (يعنى استعمالها بالألف).

وقال: وطيئ يجعلونها (أى الألف) ياء فى الوصل والوقف[3] أى: يدعونها فى الوصل على حالها فى الوقف لأنها خفية لا تحرك ولأنها تشبه الألف فى سعة المخرج والمد وتتبادلان لأن وتبدلان من الألف أيضًا وهن أخوات، وبعض طيئ يقلبونها واوًا لأن الواو أبين من الياء والقصد البيان[4].

وتقلب ألفه همزة فى الوقف أيضًا فيقال فى أفعى: أفعأ، وحبلى: حبلأ،

---

(١) شرح الشافية ٢/ ٢٧٦. (٢) التهذيب ٣/ ٢٣٣.

(٣) الكتاب ٤/ ١٨١ وط بولاق ٢/ ٢٨٧. وشرح المفصل ٩/ ٧٧ وانظر المحتسب ١/ ٧٧.

(٤) الكتاب ٤/ ١٨١، ١٨٢ واللسان نقلاً عن ابن الأثير فى النهاية ١/ ٥٥ وفى كتاب سيبويه (وزعموا أن بعض طيئ يقول أفعو) ويقول السيرافى: ومنهم - أى من طيئ كما يقول ابن يعيش - من يجعل الألف واوًا (السيرافى على سيبويه ٥/ ٤٤ وشرح المفصل ٩/٧٧)، والواو والياء دون ريب أظهر وأبين من الألف ولهذا قلبت إليهما وكثيرًا ما يبدل أحد أصوات اللين من صاحبه.

يقول السيوطى: وربما قلبت الألف الموقوف عليها همزة أو ياء أو واوًا نحو هذا أفعأ - أفعىْ أفعوْ فى هذه أفعىَ وهذه عصأ وعصىْ وعصوْ فى هذه عصا الأولى والأخيرة لبعض طيئ والثانية لغة فزارة[1] وكذلك فى شرح التصريح[2]. ويعلل لها القدماء بأن الألف أخفى من الهمزة، والهمزة إذا كان ما قبلها متحركًا كانت أبين من الألف، والألف قريبة من الهمزة لأن الألف تهوى وتنقطع عندها[3].

وقد نسبت هذه اللهجات إلى بعض طيئ وفزارة كما عند سيبويه والرضى[4] والسيوطى.

وقد تعددت صور النطق بألف المقصور فى الوقف كما رأينا فى أفعى وعصا وليس من المعقول أن ينسب ذلك إلى قبيلة واحدة فى مدة زمنية واحدة، بل المعقول أن تكون كل صورة من الصور المذكورة فى بعض بطونها دون بعض أو أنه حدث فى أزمان مختلفة[5].

«فيرجح أن بطنا من طيئ كانت تنطق بالهمزة تارة وبطنًا أخرى بالألف وثالثة بالياء أو ربما أن هذه اللهجات حدثت فى فترات متباينة وقد جمع النحاة هذه الاستعمالات دون توضيح أو بيان»[6].

ونسبها ابن دريد إلى أهل اليمن قال: قوم من أهل اليمن يسمون العصا عصَوْ[7] والمسألة فى رأينا مسألة نبرة شديدة تتضح عند القبائل البدوية.

وتبقى ألف المقصور على حالها عند إضافتها إلى ياء المتكلم كالعصا والفتى والرضا كما فى قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: ١٨] وقوله سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠] هذا عند جمهور العرب.

(١) الهمع ٢/ ٢٠٦. (٢) شرح التصريح ٢/ ٣٣٩.
(٣) شرح التصريح ٢/ ٣٣٦ والهمع ٢/ ٢٠٦.
(٤) الكتاب ٤/ ١٨١ وشرح الشافية ٢/ ٢٨٦.
(٥) ٢/ ٢٠٦. (٦) اللهجات العربية فى التراث ٢/ ٤٩٦.
(٧) الاشتقاق ص ٥٤.

وهذيل[1] تقلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم فيقولون: عصيّ وفتيّ، ورضيّ عوضًا عن كسرة الحرف الذى قبل الياء، قال أبو ذؤيب الهذلى:

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم   فتُخُرِّموا ولكل جنب مصرع

وقال الآخر:

فأبلونى بليتكم لعلى   أصالحكم وأستدرج نويّا

فهويّ: أصله هواى، ونويّ: أصله نواى فقلب الألف ياء وأدغمهما فى ياء المتكلم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] قرئ (هدىّ) بقلب الألف ياء وإدغامها فى ياء المتكلم[2].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلامٌ﴾ [يوسف: ١٩] قرئ (بشرىّ)[3].

وينسب السيوطى قلب ألف المقصور ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم لهذيل وغيرهم[4] ونسبها بعضهم إلى طيئ[5] وحكى عيسى بن عمر هذه اللغة عن قريش[6].

أما إذا ثنى الاسم المقصور فتبقى ألفه حال الإضافة إلى ياء المتكلم مثل فتيان تقول: فتياى، إذ لا موجب لقلبها ياء[7].

أما الحروف مثل: على وإلى، والظروف مثل لدى فإنها إذا اتصلت بياء المتكلم قلبت ألفها ياء وأدغمت فى ياء المتكلم مثل علىّ وإلىّ ولدىّ بتشديد الياء.

---

(١) شرح التصريح ٢/ ٦١ وشرح الشافية ١/ ٢٩٤ والبحر المحيط ١/ ١٦٩، ٤/ ٢٣٩، ٥/ ٢٩٠ والمحتسب ١/ ٧٦، ٣٣٦ والخصائص ١/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢) البحر المحيط ١/ ١٦٩ والمحتسب ١/ ٧٦ عن عاصم والجحدرى وعبد الله بن أبى إسحاق وعيسى بن عمر ونسبت إلى النبى ﷺ.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٩٠ والمحتسب ١/ ٣٣٦، ونقلت هذه القراءة عمن قرأوا (هدىّ).

(٤) الهمع ٢/ ٥٣.   (٥) شرح التصريح ٢/ ٦١ واللسان ٢٠/ ٥٥.

(٦) شرح الأشمونى ٢/ ٢٨١، ٢٨٢.

(٧) شرح التصريح ٢/ ٦١ والأشمونى ٢/ ٢٨١، ٢٨٢ والهمع ٢/ ٥٣.

تصحيح اسم المفعول من الثلاثى الأجوف

التصحيح: إبقاء حرف العلة على حاله دون التعرض له بأى تغيير. والإعلال: تغيير حرف العلة بالقلب أو الحذف أو الإسكان[1] واسم المفعول من الثلاثى الأجوف يعل عند الحجازيين واوياً أو يائياً فيقال فى اسم المفعول من قال وباع: مقول ومبيع، ولكن التميميين يعلون الواوى ويصححون اليائى فيقولون: مبيوع ومديون ومعيون ومغيوم ومطيوب[2] من ذلك قول علقمة بن عبدة التميمى فى طائر:

حتى تذكر بيضات وهيجه ... يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم

وقال عباس بن مرداس:

قد كان قومك يحسبونك سيداً ... واخال أنك سيد معيون

ومما أنشده أبو عمرو بن العلاء:

(وكأنها تفاحة مطيوبة)[3]

وقد ورد التصحيح فى الواوى حكاية عن البغداديين من أن بعضهم يقول: ثوب مصوون وفرس مقوود ومسك مدووف ورجل معوود فى مرضه قال:

(المسك فى عنبره مدووف)[4]

وقال سيبويه: «ولا نعلمهم أتموا فى الواوات لأن الواوات أثقل عليهم من الياءات ومنها يفرون إلى الياء فكرهوا اجتماعها مع الضمة»[5].

---

(١) شرح الشافية ٢/ ٦٧.

(٢) الخصائص ١/ ٢٦٠ وشرح المفصل ١٠/ ٧٨ وشرح الشافية للرضى ٣/ ١٤٧ والمقتضب ١/ ١٠١.

(٣) الخصائص: ١/ ٢٦١ وشرح المفصل ١٠/ ٨٠.

(٤) الخصائص: ١/ ٢٦١ واللسان (قود).

مدووف: الدَّوف: الخلط والبلّ بماء ونحوه، فالمراد مسك مبلول أو مسحوق. القاموس ٣/ ١٤٦.

(٥) الكتاب ٤/ ٣٤٩.

ونقل ابن منظور تعليل هذا الإتمام فقال: وذلك لثقل الضمة على الواو، والياء أقوى على احتمالها منها، فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط[1].

وقد جعل ابن جنى التصحيح فى الواوى من الشاذ فى القياس والاستعمال جميعًا.

قال: والرابع الشاذ فى القياس والاستعمال جميعًا وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون ومسك مدووف، وحكى البغداديون فرس مقوود ورجل معوود من مرضه وكل ذلك شاذ فى القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره إليه[2].

وقد أجاز المبرد الإتمام فى ذوات الواو - مخالفًا بذلك النحويين - قياسًا على ما ورد فيها وقال: ليس بأثقل من سرت سُوُورًا وغارت عينه غُوُورًا، لأن فى (سُوُور) و(غُوُور) واوين وضمتين، وليس فى (معوود) مع الواوين إلا ضمة واحدة[3].

وقد قال (لست أراه ممتنعًا إلا عند الضرورة)[4].

ويرى بعض المحدثين أن الصيغة التميمية هى الأصل والحجازية فرع عنها تبعًا لنظرية السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى والانسجام الصوتى فى الصيغة الحجازية يجعلها أحدث من التميمية[5] وفى كتاب سيبويه ما يفيد أن الصيغة التميمية أقدم من الحجازية[6].

بعض الأسماء المقصورة والممدودة

تستعمل أولاء اسم إشارة للجمع مذكرًا ومؤنثًا بصيغة المد عند الحجازيين مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] ولكن

---

(١) اللسان (دوف).

(٢) الخصائص ١/ ٩٩.

(٣) الممتع لابن عصفور ٢/ ٤٦١.

(٤) المقتضب ١/ ١٠٢.

(٥) فى اللهجات العربية ص ٦٧، ٦٨.

(٦) الكتاب ٤/ ٣٤٨ والخصائص ١/ ٢٦٠، ٢٦١.

بنى تميم - وبعض القبائل الأخرى مثل قيس وربيعة وأسد وغيرهم من أهل نجد - يستعملون اسم الإشـارة للجمع مقصوراً فيقـولون (أولى) ويقرر النحاة أن الممدود يمتنع اقتـرانه بلام البعد فـلا يقال (أولاء لك) ويجوز أن تلحق المقـصور فيـقولون (أولالك) قال الشاعر:

أولا لك قــومـى لم يكونـوا أشــابة وهل يـعظ الضـليل إلا أو لا لـكا[1]

وقد وردت كلمات مقصورة وممدودة على حسب اختلاف القبائل.

من ذلك السدى والسداء ممدود البلح[2] بلغة أهل المدينة[3] والحجا والحجاء لغة فيها[4].

والشقا والشقاء والبكا والبكاء ـ بالمد والقصر[5].

قال حسان:

بكـت عـــينـى وحق لـهــا بكـاها ومـــا يغنـى البكـاء ولا العـــويل

وأوضح اللغـويون أن المد فى (البكاء) للصوت المـعبر عن الحـزن والقصـر فى (البكا) للتعبير عن نفس الحزن[6].

وذكر ابن دريد أن القصر والمد كثير فى الشعر الفصيح[7].

ولا بأس عند اللغويين أن يستعمل القصـر والمد فى لهجة واحدة أو قبيلة واحدة بنفس المعنى لكن مع اخـتلاف الأزمـان والبيئـات، والمد أقيس وأكـثر فى أسـماء الأصوات.

وقد نسب المقصـور من هذا وأمثاله إلى أهل نجد واليمـن أو يغلب القصر على لسانهم، على حين يكـثر المد عند الحجازيين وهذا لا يمـنع من العكس بوجود المد

---

(١) الأشمونى ١/ ٣٩ وشرح التصريح ١/ ١٢١ والهمع ١/ ٧٥.

(٢) فى القاموس: البلح الأخضر ويستعمل السَّدى للثوب وندى الليل والمعروف إلخ ٤/ ٣٤٣.

(٣) التهذيب ١٣/ ١٠٠ ونسب إلى أهل اليمن. اللسان ١٤/ ٢٧٦ «سدا».

(٤) التهذيب ٥/ ١٣١، ١٣٢.

(٥) الجمهرة ٣/ ٦٧.

(٦) المخصص - حكاية عن الخليل - ١٣/ ١٤٠ والأصول فى النحو لابن السراج ٢/ ٤١٦.

(٧) الجمهرة ٣/ ٢١٠.

فى بيئة نجد والقصر فى بيئة الحجاز، فقد روى: السدى والسداء ممدود: بلغة أهل المدينة كما ذكرنا من قبل.

كِلا وكلتا

تتحدث قواميس اللغة عن لفظة «كلا» مذكرًا ومؤنثًا وتشير إلى الآراء الواردة فى معناها وتركيبها وأحوالها الإعرابية وتتلخص فيما يأتى.

أما عن معناها فيتفق العلماء على أنها كلمة مصوغة للدلالة على اثنين ولكنهم يختلفون فى بيان كونها مفردًا أو مثنى.

فابن جنى وسيبويه وابن سيده يقررون أنها اسم مفرد يفيد معنى التثنية كما أن «كُلاًّ» مصوغة للدلالة على الجمع. وكذلك يتفق مع هؤلاء العلماء الجوهرى فهو يقول: كِلا فى تأكيد الاثنين نظير كُلّ فى المجموع وهو اسم مفرد غير مثنى[1] ويقف فى الجانب الآخر ابن الأنبارى وأبو الهيثم.

فابن الأنبارى يحكى لنا أن طائفة من العرب لا تميلها وعلى هذا تكون ألفها للتثنية كألف «غلامان وذوا» وواحد «كلتا» على هذا الرأى كِلْت وألف التثنية لا تمال.

كما يحكى لنا أن طائفة أخرى من العرب تميلها وعلى هذا تكون اسمًا واحدًا عبر به عن التثنية وهو بمنزلة شعرى وذكرى.

وأما أبو الهيثم فيروى لنا الأزهرى عنه أن «كِلا» أصلها «كلّ» بالتشديد فخففت اللام وهو رأى الفراء وكذلك كلتا ولا يتكلم منهما بواحد ولو تكلم به لقيل: كِل وكِلت وكِلان وكلتان واحتج بقول الشاعر:

فى كِلْت رجليها سُلامى واحدة ... كلتاهما مقرونة بزائدة[2]

هذه هى الآراء عن كونها مفردًا أو مثنى.

---

(١) اللسان ج١٥ ص٢٢٧.

(٢) المصدر السابق ج١٥ ص٢٢٨.

وأصحاب الرأى الأول يقولون بأن ألفها للتأنيث وهى على وزن فِعْلى كذِكْرَى هذا بالنسبة لـ«كلتا» فأما كلا فوزنها «فِعْل» بكسر الفاء وسكون العين ولامها معتلة بمنزلة حِجًا ورِضًا وألفها منقلبة عن واو بدليل التاء فى «كلتا» لأن بدل التاء من الواو أكثر من بدلها من الياء وألفها للتأنيث كما ذكرت ولذلك تمنع الصرف معرفة ونكرة.

ولكن أبا عمر الجرمى يقول إن التاء فيها علم التأنيث والألف لام الكلمة فوزنها فِعْتل وعلى هذا تصرف نكرة لأن أقصى أحوالها عنده أن تكون كقائمة وقاعدة[1].

ونحن نرى إصابة الرأى الأول الذى قال به سيبويه واعتمده ابن جنى وذلك لضعف الآراء الأخرى ونشير إلى أدلة ضعفها فيما يأتى:

ضعف أهل البصرة كون هذين اللفظين مثنى لأنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن تنقلب ألفهما فى النصب والجر ياء مع الاسم الظاهر. ولأن معنى «كلا» مخالف لمعنى كل لأن «كُلاًّ» بتشديد اللام للإحاطة وكلا يدل على شىء مخصوص وأما «كِلت» فى قول الشاعر السابق فمحمولة على الضرورة لأنه اعتبر الألف زائدة لما استدعاه الوزن الشعرى لذلك فلا يعتبر حجة[2].

أما معاملة هذين اللفظين معاملة المثنى من زاوية إعرابية خاصة حال إضافتهما إلى المضمر فليس دليلاً على أنهما مثنيان لأن هذه المعاملة ملحوظ فيها شبه آخر ولذلك لزما الألف حال إضافتهما إلى الظاهر وحتى حال إضافتهما إلى المضمر عند الرفع.

أما نصبهما وجرهما بالياء فمبنى على شبههما بعلى ولدى فى لزومهما الإضافة ونحوها ولذلك اقتصر فى هذا التشبيه على النصب والجر لأن على لا تقع إلا منصوبة أو مجرورة ولا تستعمل مرفوعة فبقيت كلا فى الرفع على أصلها مع المضمر لأنها لم تشبه بعلى فى هذه الحال.

---

(١) اللسان ج١٥ ص٢٢٧.

(٢) المصدر السابق ج١٥ ص٢٢٨.

وإنما أبدلت التاء من الواو فى «كلتـا» لأنها تنوب عن الألف إذا صارت ياء مع المضمر ففى هذا الإبدال تأكيد للتأنيث.

وينقض رأى أبى عـمر الجرمى وهـو أن التاء علم التـأنيث ووزن «كلتا» فِـعْتل ينقض ذلك ما ساقه ابن جنى من أن التاء لا تكون عـلامة للتأنيث إلا إذا انفتح ما قبلها كحمزة وفاطمة أو أن يكون قـبلها ألف مثل سعلاة وعزهاة واللام فى «كلتا» ساكنة.

ووجـه آخر هو: أن عـلامة التـأنيث لا تأتى إلا آخـرًا والتـاء ههنا متـوسطة، وأيضًا: فلا يوجد وزن «فِعْتل» فى الكلام حتى يحمل ذلك عليه.

وقد قيل فى الرد على أبى عمر أيضًا: لو كان الأمر كما ادعى لقيل فى النسب إليها كِلْتوِىّ ولكنهم لم يقولوا ذلك بل قالوا كِلَوِىّ كما قالوا فى النسب إلى أخت أخِوىّ فدل ذلك على أن التاء مبدلة من واو.

وقد عـارض الدليل الأخير ابن برى حين قـال: كِلَوِىّ قيـاس من النحويين إذا سميت به رجلاً وليس ذلك مسموعًا فيحتج به على الجرمى.

وأيّاً ما كان الأمر فـالأدلة الأخرى تضعف رأيه وتعضد رأى الجمـهور السابق. فلم يبق لنا إلا أن نعترف برأى الجمهور الذى عضده ابن جنى بالدليل.

هيهات

يدور معنى هذه الكلمة فى معاجم اللغة حول البعد وفيها مناقشات مختلفة.

أولها يتعلق بحركة التاء ـ **ثانيها** يتعلق بأصالة التـاء أو انقلابها ـ **ثالثها** يتعلق بإفرادها أو جمعها.

أما حركة التـاء فقد وردت على أوضاع متنوعة، فقد وردت مـفتوحة بلا تنوين ومكسورة بلا تنوين أيضًـا ومنونة فتحًا وكسـرًا، وحاول اللغويون القدامى تفـسير هذه الأوجه فمن قـال هيهات بفتح التاء بغيـر تنوين شبه التاء بالهاء ونصـبها على مذهب الأداة لأنها معرفة فى هذه الحال ومن قـال بالفتح والتنوين شبهه بقول الله

تعالى: ﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] ومن قال هيهات بالكسر بلا تنوين شبهه بحذام وقطام ومن قال هيهات بالتنوين شبهه بالأصوات كقولهم غاق وطاق[١] وقد سمى ابن الأنبارى كل ذلك لغات[٢] وأضاف إليها ورود الضم فيها فتكون كالكسر بلا تنوين وأورد فيها الضم مع التنوين أيضًا وهى فى هذا الوضع مشبهة بتاء الجمع فى عرفات وأنا أميل إلى اعتبار اختلاف حركة التاء راجعًا إلى اختلاف اللهجات كما ذكر ابن الأنبارى وتعليلات اللغويين القدامى تتجه ناحية الفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطها باللغة من ناحية كونها ظاهرة اجتماعية.

وأما عن أصالة التاء أو انقلابها فهنا آراء.

يقول بعض اللغويين: إن التاء أصلها الهاء بل يحكى ابن منظور فى لسانه اتفاق أهل اللغة على ذلك ويروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه يوقف عليها بالهاء مثل: هيهات هيهاه قال ذلك فى قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]. وهذا دليل لذلك وهذا الرأى يقابله رأى آخر يقول بأصالة التاء وأنها ليست منقلبة بل هى تاء التأنيث. وأما عن إفرادها فيقول العلماء: إن المتحركة بغير الكسر تعتبر اسمًا مفردًا فإذا كانت مكسورة منونة أو غير منونة فهى جمع ومفردها على ذلك هيهة[٢] وممن قال بذلك سيبويه وأبو على، وفى قول آخر لأبى على أن مفردها هيهات والمعروف فيها أنها اسم فعل ماض بمعنى بعد[٣] ولكن أبا على الفارسى كان يقول فيها: أنا أفتى مرة بكونها اسمًا سمى به الفعل كصه ومه وأفتى مرة بكونها ظرفًا على قدر ما يحضرنى فى الحال وقال مرة ثالثة: إنها وإن كانت ظرفًا فغير ممتنع أن تكون مع ذلك اسمًا سمى به الفعل كعندك روى ذلك عنه ابن جنى.

ويكون معناها على الظرفية فى البعد فمعنى هيهات ما تقول: فى البعد ما تقول، وهذا الرأى سبق به المبرد فى المقتضب كما يقول الأستاذ النجار محقق الخصائص.

---

(١) اللسان ج١٣ ص٥٥٣.

(٢) أشار إليها ابن جنى فى الخصائص ج٣ (باب فى تسمية الفعل).

(٣) اللسان ج١٣ ص٥٥٣.

(٤) الأشمونى مع الصبان ج٣ ص١٩٧.

ويروى ابن جنى أنهـا من الألفاظ الرباعـية المكررة فـاؤها ولامهـا الأولى هاء وعينها ولامها الثانية ياء فهى لذلك بمـنزلة صيصية وقد حذفت اللام لأنها فى اسم غير متمكن.

فال ابن سيده: أنشد ابن جنى قول العجاج:

هيهات من منخرق هيهاؤه

ولم يفسره قال: ولا أدرى ما معنى هيهاؤه.

ولكن بالبحث عن مـعناه نجد أنه البعـد والشىء الذى لا يرجى وهو يدل على كون هيـهات من مضـاعف الأربعة[1] وألف هيهاؤه هى ألف فـعلال بعكس ألف هيهات[2].

ونحن لا نرتضى الآراء التى تتحدث عن إفرادها وجمعها فالذى نعرفه من واقع كتب اللغـة أنها وضعت هكذا اسم فـعل ماض بمعنى بعد فـلا تتصرف فأمـا كون مفردها هيـهة أو هيهات فـذلك من غرائب اللغة لأن هيهة لم نـعرف لها أثرًا فى المعاجم اللغوية وأما من قال إن مفردها هيهات فلم يأت بجديد.

أما معنى الظرفـية الذى لمسه فيه أبو على الفـارسى ورجحه ابن جنى وادعى أن ذلك من عنده فربما استـفيد من معنى الفعل واسـمه فبعد بحسب أصلهـا يتضمن معنى الظرفـية ولكن أبا على لم يعطنا رأيًا صـريحًا بل اضطرب بين روايات ثلاث كما سبق، أما قول ابن جنى بأنها رباعية مكررة فهذا أمر مقبول.

هلم

تستعمل عند الحـجازيين اسم فعل بطريقة واحدة، فلا تلحق بهـا الضمائر البارزة، وإنما يستتر فاعلها، مفردًا أو مثنى، أو جـمعًا، مذكرًا أو مؤنثًا، فتقول: هلم يا زيد، وهلم يا زيدان، وهلم يا زيدون، وهلم يا هند وهلم يا هندان، وهلم يا هندات.

---

(١) اللسان ج١٣ ص٥٥٤، ٥٥٥.

(٢) الخصائص (باب فى تسمية الفعل) ج٣.

وبنو تيم[1] يجعلونها فعل أمر تتصل بها الضمائر للمفرد والمثنى والجمع مذكرًا ومؤنثًا، فيقولون: هلم يا زيد، وهلمى يا هند، وهلما يا زيدان ويا هندان، وهلموا يا زيدون، وهلممن يا هندات.

وجاءت (هلم) فى القرآن بلهجة الحجاز، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠] ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨].

ولذا رجح النحاة لهجة الحجاز[2] وذكر الرازى أنها أفصح[3].

ويرى الخليل أن (هلم) مركبة من (ها) التى للتنبيه و(لُمّ) بمعنى: اجمع شملك إلينا، وحذفت الألف تخفيفًا لكثرة الاستعمال، يقول سيبويه، وزعم (أى الخليل) أنها (لُمّ) ـ بضم اللام وتشديد الميم المفتوحة ـ لحقتها ها للتنبيه وإنما حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم[4]. وعند الأخفش أنها مركبة من (هل) التى للاستحثاث و(لُمّ).

ويرى الفراء أنها مركبة من (هل) و(أُمّ) بمعنى اقْصِدْ، ثم حذفت الهمزة تخفيفًا، وبناء على وجود الفعل فى تركيبها قال التميميون بفعليتها وقد وردت صيغة للمضارع منها: حكى الأصمعى أن الرجل يقال له: هلم فيقول: لا أَهَلُمّ[5].

---

(١) ينسب الخليل لهجة غير الحجاريين إلى بطن من تميم هم بنو سعد (العين ٤/ ٥٦ والصحاح (هلم) ونسبها الأزهرى إلى تميم وبنى سعد (التهذيب ٦/ ٤٣٧) ونسبت أيضًا إلى تميم وبعض نجد (تاج العروس ٩/ ١٠٨) وإلى أهل نجد (المصباح ص٦٤٠) وفيه أن أبا زيد قال: (استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عقيل وقيس وإلحاق الضمائر من لغة تميم وعليها أكثر العرب)، لكن وقوعها فى القرآن بلغة الحجاز وعدم قراءتها - ولو شذوذًا - باللغة التميمية دليل على أن أكثر العرب على لهجة الحجاز لا لهجة تميم. انظر لغة تميم د. ضاحى عبد الباقى ص٤٨٩.

(٢) الكتاب (باب ما لا يجوز فيه نون خفيفة ولا ثقيلة وذلك الحروف التى للأمر والنهى وليست بفعل نحو إيه وصه ومه وأشباهها ٣/ ٢٥٩ والمقتضب ٣/ ٢٠٢، ٢٠٣ وشرح المفصل ٤/ ٤١ والأشمونى ٣/ ٢٠٦ واللسان (هلم).

(٣) مختار الصحاح ص٦٩٨.

(٤) الكتاب ٣/ ٢٥٩.

(٥) شرح المفصل ٤/ ٤٣ وانظر فى اعتبارها فعلاً - عندهم - الأشمونى ٣/ ٢٠٦ والبحر المحيط ٤/ ٢٣٥ والهمع ٢/ ١٠٧.

ويقول النحاة: إن (هلم) لما غُيِّر معناها بعد التركيب صارت كسائر أسماء الأفعال المنقولة عن أصلها عند الحجاز، ولذا لم تتصرف عندهم، على حين يصرفها بنو تميم نظرًا لأصلها(١).

هذا هو الرأى القديم فى (هلم) اسم فعل أمر وفعلا مركبًا، ولكن بعض المحدثين يميلون إلى القول ببساطتها على ضوء اللغات السامية، فالكلمة فى العبرية هى halom كلمة واحدة ليست مركبة، وهو أقرب إلى القبول.

إلحاق الفعل علامة التثنية والجمع

إذا كان فاعل الفعل اسمًا ظاهرًا مفردًا جاء الفعل بصيغة الإفراد عند العرب جميعًا(٢). أما إذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا مثنى أو جمعًا مذكرًا أو مؤنثًا فإن جمهور العرب يفردون الفعل فلا يلحقون به علامة تثنية أو جمع فتقول: قام أخواك وقام إخوتك وقام أختاك وقامت أخواتك وقال قومك فحذفوا العلامة اكتفاء بما أظهروا(٣) وعلى ذلك تجرى الفصحى، وفى القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ [آل عمران: ٤٥].. إلخ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥].. إلخ.

ولكن بعض العرب ومنهم قبيلة طيئ وبلحارث بن كعب، وأزد شنوءة(٤) وهى قبائل يمنية كانت تلحق الفعل - إذا كان فاعله ظاهرًا مثنى أو جمعًا - علامة التثنية وعلامة الجمع فيقولون: قاما أخواك وقاموا إخوتك وقمن نسوتك، يقول سيبويه:

(واعلم أن من العرب من يقول: ضربونى قومك وضرباني أخواك وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث. ومن قال: أكلونى البراغيث أجرى هذا على أوله فقال: مررت برجل حسنين أبواه ومررت بقوم قرشيِّين آباؤهم

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٧٢، ٧٣ والحجة للفارسى ١/ ١٤٦، ١٤٧.

(٢) شرح درة الغواص للخفاجى ١٥٢ وشرح التصريح ١/ ٢٧٥، ٢/ ١١٠ وهمع الهوامع ١/ ١٦٠ والجنى الدانى للمرادى ١٧١.

(٣) شرح الأشمونى ٢/ ٤٨.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٨.

وكذلك أفعل نحو أعورَ وأحمرَ فتقول: مررت برجل أعورَ أبواه وأحمرَ أبواه فإن ثنيت قلت: مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسمًا ومن قال أكلونى البراغيث قلت على حد قوله: مررت برجل أعورين أبواه[١]. ومررت برجل أعورَ آباؤه كأنك تكلمت به على حدّ أعورين[٢].

ووردت بعض آيات القرآن الكريم - ظاهرها - يشير إلى هذه اللغة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١] وقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] فبعض النحاة يجعل الاسم الظاهر (كثير) و(الذين ظلموا) فاعلاً على اللغة السابقة بيد أن جمهور النحاة والمفسرين يحاولون تخريج الآيتين على اللغة المشهورة التى عليها جمهور العرب فيعربون «كثير» على أنه بدل من (الواو) التى يجعلونها ضميرًا فاعلاً فى عموا وصموا كما تقول: رأيت قومك ثلثيهم أو يضمرون فعلاً آخر ارتفع به الاسم الظاهر والتقدير (عمي وصَم كثير منهم) أو «كثير» خبر لمبتدأ محذوف ويكون التقدير (العُمْى والصُّمّ كثير منهم)[٣].

ويعربون (الذين ظلموا) بدلاً من الواو فى (أسروا) العائد إلى الناس - فى صدر السورة - قال المبرد: وهو كقولك: إن الذين فى الدار انطلقوا بنو عبد الله فبنو بدل من الواو فى انطلقوا أو يعرب (الذين ظلموا) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هم الذين ظلموا أو مبتدأ وما سبقه خبر الذين ظلموا وهو (وأسروا النجوى) أو منصوبًا بفعل محذوف أى أعنى الذين ظلموا وأجاز الفراء أن يكون خفضًا بمعنى اقترب[٤] للناس

---

(١) الكتاب ١/ ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٣٧ ط بولاق ٢/ ٤١، ٤٢ د. هارون.

(٣) تفسير القرطبى ٦/ ٢٤٨ وانظر الكتاب ١/ ٢٣٦ بولاق، ٢/ ٤١ هارون قال سيبويه: (وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فإنما يجيء على البدل وكأنه قال: انطلقوا فقيل له من؟ فقال: بنو فلان فقوله جل وعز ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على هذا فيما زعم يونس.

(٤) فى قوله تعالى فى أول السورة: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ① مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ② لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١- ٣].

الذين ظلموا حسابهم[١] وهذه التأويلات عدها بعض العلماء تعسفًا وتكلفًا مستغنى عنه فإن تلك اللغة (إلحاق علامة الجمع للفعل) مشهورة ولها وجه من القياس واضح[٢].

وجاءت تلك اللغة فى بعض الأحاديث كقوله ﷺ: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»**[٣] والحديث رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة وتكملته: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»**[٤]. (يتعاقبون: أى تأتى طائفة عقب طائفة ثم تعود الأولى عقب الثانية مرتبة ترتيب الجيوش أن يجهز الأمير بعثًا إلى مدة ثم يأذن لهم فى الرجوع بعد أن يجهز غيرهم إلى مدة ثم يأذن لهم فى الرجوع بعد أن يجهز الأولين).

فذكر الواو إلى جانب الاسم الظاهر (ملائكة) وأوّل الحديث على أنه جزء من حديث طويل وأصله **(إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)**[٥] الحديث.

وقد قال أبو حيان: إن الراوى قد تصرف فى الحديث بعبارته مستندًا إلى رواية البزار ـ عن أبى هريرة ـ بلفظ (إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم) الحديث[٦] والواو ـ على هذه الرواية ـ ضمير الفاعل ولا شاهد فيه. وفى البخارى ـ فى باب بدء الخلق بلفظ: والملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وعند النسائى: إن الملائكة يتعاقبون فيكم.

---

(١) تفسير القرطبى ١١/ ٢٦٨ ومعانى القرآن للفراء ١/ ٣١٦ وشرح التصريح ١/ ٢٧٠، ٢٧٧ ومغنى اللبيب ٢/ ٣٦٥.

(٢) فتح البارى ٣/ ٢١٨.

(٣) شرح الأشمونى ٢/ ٤٨.

(٤) فتح البارى ٣/ ٢١٨ - ٢٢١، كتاب مواقيت الصلاة ٤/ ٣٣، رواه الشيخان والنسائى والإمام مالك فى الموطأ، تنوير الحوالك شرح للسيوطى على موطأ مالك ١/ ١٨٤.

(٥) الفائق للزمخشرى ٣/ ٧٣ والنهاية ٣/ ٣٩٧ ولسان العرب ٤/ ٣٩٧.

(٦) فتح البارى ٣/ ٢١٨ كتاب مواقيت الصلاة.

وأيد السيوطى رأى أبى حيان قائلاً: (وتوارده جماعة من شراح الحديث ومعهم ابن مالك على أن الحديث جاء على لغة أكلونى البراغيث والحق ما قاله جماعة آخرون منهم أبو حيان أن الحديث تصرف فيه الراوى[1]. ولعله روى مرة هكذا ومرة هكذا.

ولكن ـ كما قال ابن حجر ـ هذا الحديث ورد بلفظ (يتعاقبون فيكم ملائكة) فى الصحيحين فالعزو إليهما أولى[2]. وقد سومح فى العزو إلى مسند البزار.

ومن أقوال التابعين قول الحسن البصرى (قد أوكدتاه يداه، وأعمدتاه رجلاه) أوكدتاه: أى أقامتاه واستعان بهما وأعمدتاه: أى صيرتاه عميدا وهو المريض الذى لا يستطيع أن يثبت على المكان حتى يعمد من جوانبه لطول اعتماده فى القيام عليهما يقال: عمدت الشيء وأعمدته جعلت تحته عماداً وقوله: أوكدتاه يداه وأعمدتاه رجلاه على لغة من قال: أكلونى البراغيث وهى لغة طيئ[3].

ومن الشعر الذى جرى أصحابه على هذه اللغة قول عمر بن ملقط الطائى:

ألفيتا عيناك عند القفا   أولى فأولى لك ذا واقية[4]

بدلاً من: ألفيت عيناك. يلتفت إلى ورائه فى حال انهزامه فتلفى عيناه عند قفاه، واقية: أى وقاية.

وقول أمية بن الصلت:

يلوموننى فى اشتراء النخيل أُهلى فكلهم يعذل[5].

بدلاً من يلومنى أهلى.

وقول عبد الرحمن العتبى:

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى   فأعرضن عنى بالخدود النواضر

بدلاً من: رأت الغوانى.

---

(١) تنوير الحوالك ١/ ١٨٤.   (٢) فتح البارى ٣/ ٢١٩.

(٣) النهاية ٣/ ٣٩٧.

(٤) شرح شواهد المغنى رقم ١٤٩ شواهد الياء المفردة ١/ ٣٣١ وأمالى ابن الشجرى ١/ ١٣٢.

(٥) ديوان أمية بن الصلت ١٦ والدرر اللوامع ١/ ١٤٢ وأمالى ابن الشجرى ١/ ١٣ وشرح التصريح ١/ ١٧٦ والهمع ١/ ١٦٠.

وقول الفرزدق:

ولكن ديافىّ أبوه وأمه   بحوران يعصرن السليط أقاربه[١]

بدلاً من: (يعصر أقاربه).

وقول عبد الله بن قيس الرقيات:

تولى قتال المارقين بنفسه   وقد أسلماه مبعد وحميم[٢]

وبعض العلماء من القدامى حكم بأنها غير فصيحة أو قليلة وبعضهم أشار إلى أنها لغة فاشية أو لغة حسنة[٣] وأصحاب هذه اللهجة طيئ وبنو الحارث بن كعب وأزد شنوءة وأضرابهم من العرب - كما أشرنا من قبل.

وهذه اللهجة ظلت على بعض الألسنة حتى عصر الحريرى المتوفى سنة ٥١٦هـ وعدها لحنًا لكنها لهجة عربية ليست بلحن كما قال الشهاب الخفاجى فى شرح الدرة، وهى شائعة فى اللهجات الدارجة الآن فى مصر مثل (لامونى الناس) إلخ وقد اتخذ المجمع قرارًا بجوازها فقال: «يجوز إذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا أو مثنى أو مجموعًا جمعًا لمذكر أو مؤنث أو ما يدل على أحدهما أن يلحقوا الفعل المسند إلى أحدهما علامة التثنية أو علامة الجمع»[٤].

وربما كان إلحاق العلامة شائعًا إبان نشأة اللغة ثم تطورت إلى ترك العلامة بعد عصر تهذيب اللغة بما استقرت عليه الفصحى.

فَعال للمؤنث

يختلف العرب فى إعراب ما جاء على (فَعال) علمًا لمؤنث، فالحجازيون بينونه

---

(١) الكتاب ٢/ ٤٠ والشاعر يهجو عمرو بن عفراء الضبى ودياف: قرية بالشام وحوران من مدن الشام والسليط: الزيت.

(٢) ديوان ابن قيس الرقيات ٢/ ٣٥، ١٩٦ وأمالى ابن الشجرى ١/ ١٣١ وشرح التصريح ١/ ٢٧٧ والهمع ١/ ١٦٠.

(٣) انظر الكتاب ٢/ ٤٠ وفتح البارى ٣/ ٢١٨ والبحر ٦/٢٩٧ والقرطبى ٦/ ٢٤٨.

(٤) فى أصول اللغة ٢/ ٢١٠.

على الكسر مطلقًا رفعًا ونصبًا وجرًا سواء كان آخره راء أو لا مثل حذام وقطام ولكاع، ومن ذلك قول لجيم بن صعب بن بكر بن وائل:

إذا قالت حذامِ فصدقوها فإن القول ما قالت حذامِ[1]

ويفرق التميميون بين ما كان آخره راء وما ليس آخره كذلك فإن كان آخره راء فمعظم التميميين يبنونه على الكسر كالحجازيين فيقولون: هذه ظفارِ ودخلت ظفارِ ونزلت بظفارِ وعليه قول الشاعر:

متى ما ترد يومًا سفار تجدْ بِها أُديهم يرمِى المستجيز المعوِّرا[2]

وروى متى تردن يومًا إلخ.

وقليل منهم يعربه إعراب ما لا ينصرف فيرفعه بالضمة وينصبه ويجره بالفتحة فيقول: هذا سفارُ ورأيت سفارَ وشربت من سفارَ.

وإن لم يكن آخره راء فالتميميون يعربونه إعراب ما لا ينصرف فى جميع أحواله فيقولون: هذه حذامُ ورأيت حذامَ ومررت بحذامَ. وبناء (فعالِ) ـ علمًا لمؤنث ـ على الكسر مبنى على شبهه بفعال اسم الفعل لاشتراكهما فى الصيغة والتأنيث والتعريف والعدل وهم يشبهون الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله فى جميع الأشياء[3].

فـ(نزال) - مثلاً- معدول عن (انزل) فشبه به (فَعالِ) للزومه حالة واحدة وهى الكسر، كما أن الأمر يلزم البقاء على حالة واحدة.

وليس كل (فعال) معدولة عن (أفعل) فحذام معدول عن حاذمة، لأنها تحذم، وفجار معدول عن الفجرة المؤنثة، وهنا كلاهما علم لا صفة.

---

(١) الأشمونى ٣/ ٢٦٨ وشرح التصريح ٢/ ٢٢٥.

(٢) شرح التصريح ٢/ ٢٢٥ والشذوذ ٩٦ واللسان (سفر) ٦/ ٣٦.

سفار: اسم ماء قبل ذى قار بين البصرة والمدينة وهو لبنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

المستجيز: المستسقى - المعوِّرا: الذى لا يسقى إذا طلب الماء.

الدهمة: السواء والأدهم: الأسود يكون فى الخيل والإبل ونحوهما، لسان العرب ١٥/ ٩٩، القاموس ٤/ ١١٦.

(٣) الكتاب - بتحقيق هارون - باب ما جاء معدولا عن حده من المؤنث ٣/ ٢٧٠ وما بعدها إلى ٢٨٠، وشرح التصريح ٢/ ٢٢٥.

ومذهب التميـميين فى إعرابه إعراب ما لا ينصرف هـو القياس لأن ذلك شأن الأعلام المعدولة[1] كعمر وزفر، وهذا المذكر نظير المؤنث.

وإذا كان جميع هذا نكرة، انصرف كما ينصرف عمر فى النكرة لأن ذا لا يجيئ معدولاً عن نكرة والحجازية هى اللغة القدمى.

الاسم الموصول

يستعمل (الذى) و(التى) اسمين موصـولين للمفرد والمفردة، وفى المفرد لغات: (الذى) و(الذْ) بحذف الياء ومـثناهما: اللذانِ واللتانِ بتخفيف النون عـند جمهور العرب، وبعض العـرب - تميم وقيس - يشدد النون فى التـثنية فيـقولون: اللذانّ واللتانّ بتشديد النون المكسورة.

ويرى الكوفـيـون أن تشـديد النون يكون فى حـالات الإعـراب الثـلاث الرفع والنصب والجـر، لكن البصـريين يرون جواز التـشديد فى حالة الـرفع وقد وردت بعض القراءات بتـشديد النون فى أحوال الإعـراب كلها[2]، ويعلل النحـاة لجواز تشديد الـنون فى المثنى المذكر بأنه للتـعويض عن اليـاء المحذوفة فـى المفرد: الذى والتى أو لتأكيد الفرق بين صيغة المبنى والمعرب[3] وبلحرث بن كعب وبعض ربيعة تستعمل المثنى المذكور بحذف النون حالة الرفع مثل قول الفرزدق:

أبـنى كـليـب إن عـــــمىّ اللـذا قـتــلا الملوك وفـككا الأغــلالا

وقول الأخطل:

هـمـــــا اللتـــــا لو ولـدت تميـم لقـيـل فــخــر لهمُ عــمـيـم

ومنه:

هما اللتا أقصدنى سهماهما[4]

---

(١) الكتاب ٣/ ٢٧٧.

(٢) الأشمونى ١/ ١٤٧، ١٤٨ وشرح التصريح ١/ ١٣٢.

(٣) شرح التصريح ١/ ١٣٢.

(٤) اللسان ٢٠/ ٣٤٣.

وهذا الحذف لتقصير الموصول لطوله بالصلة لكونهما كالشيء الواحد وأمن الالتباس بالمفرد ولهذا لا يجوز حذف النون من اسمى الإشارة (ذان - تان) للالتباس بالمفرد ولعدم الطول[1] ويرى بعض الباحثين أن بلحرث قبيلة يمنية وأكثرهم بدو، وربيعة بعضها حضرى والآخر بدوى وتلك الظاهرة تناسب البدو من ربيعة[2].

وهذا فى رأينا كلام جزافى فمرة يقول هذا الباحث: قبائل اليمن ومنهم بدو وهنا يقول: وأكثرهم بدو، وربيعة يجعل بعضها بدوًا وبعضها حضرًا وكأن المسألة فى يده يصنع ما يشاء بالقبائل فيصيرها بدوًا أو حضرًا إخضاعًا لما يريده من التعليلات للهجات وهذا لا دليل عليه.

أما الاسم الموصول لجماعة الذكور (الذين) فيلزم الياء فى جميع حالات الإعراب عند جمهور العرب وقد تحذف نون الجمع فيقال: (الذى) كما قال الأشيب بن بديلة:

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

ومنه ما أورده ثعلب:

فإن ظفر القوم الذى أنت فيهم ... فآبوا بفضل من سناء ومن غنم[3]

وقيل: منه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقيل: إنها تحذف على لغة من يعرب الذين بالواو رفعًا قال:

قومى الذو بعكاظ طيروا شررا ... من رأس قومك ضربًا بالمصاقيل[4]

ولكن كيف قصروا ذلك على المرفوع مع أن سبب الحذف كما يتحقق حال الرفع يتحقق حال النصب والجر وصورة اللفظ واحدة فيها جميعًا؟

وبعض العرب كهذيل وعقيل يعربون (الذين) إعراب جمع المذكر السالم بالواو رفعًا وبالياء نصبًا وجرًا، قال أحد شعراء بنى عقيل أو رؤبة:

---

(١) شرح التصريح ١/ ١٣٢ وخزانة الأدب ٢/ ٥٠٣ وشرح المفصل ٣/ ١٥٤.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢/ ٦٦٢. (٣) مجالس ثعلب ٢/ ٣٦٥.

(٤) شرح المفصل ٣/ ١٥٦ وخزانة الأدب ٦/ ١٤، ١٧.

نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا[1]

وذكر بعض النحويين أن بعض العرب ومنهم هذيل يستعمل (اللاءون) اسمًا موصولاً لجماعة الذكور بالواو حال الرفع وبالياء (اللائين) حالى النصب والجر وعليها قول الشاعر الهذلى:

هم اللاءون فكوا الغل عنى بمرو السابحات وهم خصاص[2]

وهذا على غير المشهور من استعمال (اللاء) اسمًا موصولاً لجماعة الإناث.

إعراب المثنى

المشهور أن المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء عند جمهور العرب، فيقولون: جاء أخواك ورأيت أخويك ومررت بأخويك، وبعض العرب: بلحرث بن كعب، وخثعم، وكنانة وبلعنبر، وبطون من ربيعة، وبكر بن وائل وزبيد وهمذان وعذرة[3] يلزمون المثنى الألف مطلقًا - رفعًا ونصبًا وجرًا - قال الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

وقال الآخر:

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

وفى رواية: أعرف منها الأنف.

وقال الآخر:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغًا لناباه الشجاع لصمما

وقال هوبر الحارث:

تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابى التراب عقيم[4]

---

(١) الهمع ١/ ٨٣ والأشمونى ١/ ١٤٩ وشرح المفصل ٣/ ١٤٤ والمغنى ٢/ ٤١٠ وابن عقيل ١/ ١٤٤.

(٢) المغنى ٢/ ١١٠، والهمع ١/ ٨٣.

(٣) الهمع ١/ ٤٠، وليس فى كلام العرب ٣٢٤ والصاحبى ص ٢٩.

(٤) الصاحبى ٢٩، وشرح المفصل ٣/ ١٢٨، ١٢٩ والأشمونى ١/ ٧٩.

وقد ورد ذلك فى بعض القراءات كما فى قراءة: ﴿إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣] بتشديد نون (إنّ) فى بعض قراءات السبعة كنافع وابن عامر وحمزة والكسائى[١] وعليها قراءة: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠][٢] (مؤمنان) وقول الرسول ﷺ: «لا وتران فى ليلة»[٣] وفي نوادر أبى زيد أن الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها تقلب ألفًا - فى المثنى وغيره - وعلى هذا جرى أصحاب هذه اللهجة فى المثنى فهم يقولون: أخذت الدرهمان بدلاً من الدرهمين، وفى (عليها) يقولون: علاها، وفى (السلام عليكم): السلام علاكم لانفتاح ما قبل الياء الساكنة فتقلب ألفًا وهذا عند بلحرث بن كعب[٤].

ويرى بعض الباحثين أن ظاهرة إعراب المثنى بالألف فى الحالات الثلاث يمكن تفسيرها وفق قانون السهولة وذلك لانكماش الصوت المركب (Diphtong) أى ai فيحول إلى كسرة طويلة سالمة كالذى نلاحظه فى نطق المثنى فى عاميتنا المصرية مثل ولدين (uala den) بدلاً من (ولدَين) ثم تحولت هذه الكسرة الطويلة السالمة إلى فتحة طويلة وهو شبيه بتحويل الإمالة فيما أصله ياء إلى الألف عند الحجازيين ولهذا التحول نظائر فى عاميتنا مثل (فان) - عند بعض سكان مصر - المتطورة عن (فِين) والتى أصلها (فَين) اختصار (فأين) كما أن له نظائر فى العربية القديمة مثل (عاب) و(باع) المتطورين عن (عيب) و(بيع).

ويرى أن هذه اللهجة تمثل الطور الثالث لصوت اللين المركب وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال المثنى من لهجات مختلفة ثم خصص النحاة حالة الياء بالنصب والجر وحالة الألف بالرفع[٥].

ونقول لهذا الباحث: إن هذا التحول يمكن إذا كانت الألف لم توجد فى اللهجات العربية الأخرى لكنها واقعة فى بعض جوانب الإعراب وهو حالة النصب فلسنا بحاجة إلى هذا التحليل الغريب الذى لا دليل عليه.

(١) السبعة لابن مجاهد ص ٤١٩.
(٢) البحر المحيط ٦/ ١٥٥.
(٣) الترمذى ١/ ٢٩٣.
(٤) النوادر ٥٨ وانظر ص ٣٧٩ وما بعدها من هذا الكتاب.
(٥) فى اللهجات العربية ص ١٤٣، ١٤٤.

وكذلك أخذ أوجـه الإعراب من لهجات متعـددة لا دليل عليه أيضًا وليس من عمل النحاة كما ادعى هذا الباحث.

ما الحجازية والتيميمة

(ما) مشتركة بين الاسم والفعل.

ترد (مـا) نافيـة وهى من الحـروف غـير المختـصة التى تدخـل على الأفعـال والأسماء، والمـعروف أن أصل العمل أن يكون للأفعـال لأن كل فعل لابد له من فاعل إلا مـا استعمل زائدًا مـثل (كان)[1] أو فى معنى الحرف مـثل (قلما)[2] أو تركب مع غيره مـثل (حبذا)[3] وما يعـمل من الأسماء فـإنما ذلك لشبهـه بالفعل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة إلخ.

والحروف نوعان: نوع مختص بما يدخل عليـه من الأفعال أو الأسماء ولم ينزل منزلة الجزء منه فيعمل فيه.

ونوع لم يختص أو اختص ولكن تنزل منزلة الجزء منـه فهذا لا يعمل لأن جزء الشىء لا يعمل فى الشىء.

---

(١) تزاد (كان) للتأكيد:

سـراة بنى أبى بكـر تسـامى ... علـى (كـان) المسـوّمـة العـراب

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] (زائدة) و(صبيًا) حال ومـثله قولهم، (ما كان أحسن زيدًا) زائدة عند سيبويه، وحكى زيادة غيرها من أخواتها مثل أصبح وأمسى الكافية ٢/ ٢٩٣.

(٢) (ما) الكافة:

صـددت فـطولت الـصـدود وقلـمـا ... وصـال عـلى طـول الصـدود يـدوم

عند سيبويه (ما) كافة ووصال مبتدأ وقيل (ما) زائدة ووصال فاعل (قلّ) الكافية ٤/ ٣٤٥.

(٣) (حبذا) قـيل فاعله (ذا) ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فنقول: حـبذا زيد - الزيدان - الزيدون - هند - إلخ ولا يقال حب ذان ولا حب أولاء وخـلع منه الإشارة، وعند المبرد تركـيب ذا مع حب أزال فعليـته فيعـرب: حبذا مبـتدأ والمخصوص خبـره أى المحبوب زيد وقيل: (حـبذا) كلها فعل والمخـصوص فاعله وتدخل عليه (لا) فيصيـر بمنزلة بئس يقال: لا حبذا زيد والأرجح إعراب مخصوص حبـذا كمخصوص نعم وبئس. الكافية ٣/ ٣١٨، ٣١٩.

و(ما) حرف غير مختص ولها شبهان:

أحدهما عام: راعاه بنو تميم مثل هل وقد فى عدة الحروف. راعوا أنها غير مختصة مثلها.

والثانى خاص: وهو شبهها بليس فى كونها للنفى وداخلة على المبتدأ والخبر وتخلص المحتمل للحال كما أن ليس كذلك، وراعى هذا الشبه أهل الحجاز فأعملوها عملها فرفعوا بها المبتدأ اسمًا لها ونصبوا الخبر خبرًا لها مع عدم اختصاصها[(١)].

وقد أعملها الحجازيون - عمل ليس - بشروط:

١- ألا ينتقض النفى بإلاّ.

٢- ألا تزاد بعدها إن النافية فإن زيدت بطل عملها مثل:

بنى غدانة ما إن أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف

٣- ألا يتقدم خبرها فإن تقدم بطل عملها نحو ما قائم زيد خلافًا للفراء وغيره إلا إذا كان جارًا ومجرورًا أو ظرفًا.

وجاء على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢] وقرئ (أمهاتهم) - بالرفع على لغة تميم - واللغة الأولى أقيس والثانية أفصح وبها ورد الكتاب العزيز[(٢)] كما تقدم.

زيادة الباء فى خبرها:

وتزاد الباء فى خبر (ما) عند الحجازيين قياسًا على (ليس) فى الراجح من الآراء، يقول ابن يعيش: «والأصل فى زيادة الباء فى النفى مع ليس وحملت (ما) الحجازية على ليس إذ كان خبرها منصوبًا كخبر ليس»[(٣)].

وذهب قوم إلى أن أصل دخول الباء إنما هو مع (ما) لضرب من التقابل وذلك أن القائل يقول: إن زيدًا قام فيقول النافى لذلك الخبر: ما زيد قائمًا فيدخل (ما)

(١) همع الهوامع ١/ ١٢٣. (٢) شرح المفصل ١/ ١٠٨.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١١٥، ١١٦.

بإزاء (إن) فإذا قال: إن زيدًا لقائم قال النافى: ما زيد بقائم فتأتى الباء لتأكيد النفى كما أتى باللام لتأكيد الإيجاب فصار الحرفان بإزاء الحرفين[1] ومن أمثلة زيادة الباء فى خبر (ما) قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] ودخلت الباء لتأكيد النفى.

زيادة (مِن) مع اسمها:

وتزداد (مِن) كذلك مع المبتدأ أو اسم (ما) فى مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧]. (من ولى) (من) هى التى للاستغراق إذا كانت تميمية.

وكذلك إذا كان «ولى» اسم (ما) فتزاد (من) لما ذكر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٦٩].

فتوجه (من شىء) على ما تقدم، فتكون (ما) تميمية أو حجازية على جواز تقدم الخبر إذا كان جارًا ومجرورًا أو ظرفًا.

الوقف على تاء التأنيث

إذا كان الاسم مفردًا مختومًا بتاء التأنيث ففى الوقف عليه طريقتان:

الأولى: الوقف بالهاء فتقول: فاطمة وطلحة.

الثانية: الوقف بالتاء عند طيئ[2] فيقولون: فاطمت، وطلحت وهذه أمت فى (أمة) وسمع بعضهم يقول: يا أهل سورة البقرت فقال مجيب: ما أحفظ منها ولا آيت، وعليها أنشد قطرب لراجز من حمير أو أبى النجم:

والله أنجاك بكفى مسلمت	من بعدها وبعدما وبعدمت
صارت نفوس القوم عند الغلصمت	وكادت الحرة أن تدعى أمت[3]

(١) المصدر السابق ٢/ ١١٦.

(٢) نسبت أيضًا إلى حمير وأهل اليمن.

(٣) شرح المفصل ٥/ ٨٩ والهمع ٢/ ٢٠٩ والأشمونى ٤/ ٢١٤ والتصريح ٢/ ٣٤٤.

وقد وقف بعض القراء على بعض الكلمات بالتاء موافقة لرسم المصحف في مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] وقوله سبحانه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] وقوله سبحانه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١] وقوله جل شأنه ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]، وعلى هذا رسمت فى المصحف العثمانى بعض التاءات المفتوحة وهى للتأنيث، قال سيبويه: «وزعم أبو الخطاب الأخفش أن ناسًا من العرب يقولون فى الوقف: طلحت كما قالوا فى تاء الجمع قولاً واحدًا فى الوقف والوصل»[1] وهى لغة فاشية[2] وهذا كله إجراء للوقف مجرى الوصل خوفًا من الخفاء لأن التاء أظهر من الهاء.

هذا فيما إذا كان قبل التاء متحرك، أما إذا كان ما قبلها ساكنًا صحيحًا مثل: بنت وأخت فالوقف عليها بالتاء فقط.

وإذا كان ما قبل التاء ساكنا معتلاً - فى غير جمع المؤنث - مثل الصلاة، فالأرجح الوقف عليها بالهاء، وقد يوقف عليها بالتاء مثل الصلات.

أما جمع المؤنث السالم فيوقف عليه بالتاء مثل: البنات والأخوات.

وقد أجرى بعض العرب الجمع مجرى المفرد شذوذًا، فوقفوا عليه بالهاء وهم قبيلة طيئ[3] يقول الشيخ خالد الأزهرى: ومن الوقف بالإبدال هاء قولهم: كيف البنون والبناه، وكيف الإخوة والأخواه وقولهم: (دفن البناه من المكرماه) حكاه قطرب عن طيئ بإبدال تاء الجمع هاء فى الوقف، تشبيهًا بتاء التأنيث الخالصة، وقال إن الراجح فى تاء الجمع الوقف عليها بالتاء، وإنما كان الأرجح الوقف عليها بالتاء لأنهم لما أرادوا أن يكون فى جمع المؤنث السالم زيادتان لم يكفهم أن يزيدوا الواو ولا الياء مع الألف لأنهم لو زادوهما لانقلبتا همزة فزادوا التاء معه لأنها

---

(١) الكتاب ٤/ ١٦٧.

(٢) شرح المفصل ٥/ ٨١.

(٣) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٧.

تصير بدلاً من الواو كما فى تخمة فصارت علامة التأنيث وأغنت عن أن يقال فى مسلمة: مسلمتات، فلما أفادت هذه التاء الجمع والتأنيث وأغنت عن علامة التأنيث الملحقة بالواحد أثبتت فى الوقف ولم تبدل هاء وعاملوا ما ألحق بالجمع معاملته لأنهم لما أجروه مجراه فى الإعراب أجروه مجراه فى غيره[1].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن تاء التأنيث لا تنقلب هاء فى الوقف ويقول: «إن هذه الظاهرة ليست فى الحقيقة قلب صوت إلى آخر، بل هى حذف الآخر من الكلمة، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هو فى الواقع امتداد فى النفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل أو كما يسمى عند القدماء ألف المد ويصدق ذلك على الأسماء المؤنثة المفردة التى تنتهى بما يسمى التاء المربوطة فليس يوقف عليها - كما ظن النحاة - بالهاء بل بحذف آخرها ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهى بالهاء.

ويؤيده بعضهم بأنه ليس لرأى القدماء ما يسنده من الناحية الصوتية فلا تقارب بين تاء التأنيث والهاء ولكن الملاحظة الصوتية تثبت وجود الهاء حال الوقف على الاسم المختوم بالتاء.

مطابقة المصدر لموصوفه

المشهور أن المصدر لا يطابق الموصوف، فيأتى بالإفراد والتذكير للواحد والمثنى والجمع مذكرًا ومؤنثًا، فتقول: رجل عدل، وامرأة عدل ورجلان عدل وامرأتان عدل ورجال عدل، ونساء عدل.

وهذا لأن الوصف بالمصدر من قبيل الوصف بالجنس، فالمصادر أجناس للمعانى[2] كما أن غيرها أجناس للأعيان كرجل وفرس.

---

(١) شرح التصريح ٢/ ٣٤٣ والمفصل ١٠/ ٤٥ وقد وقف على بعض التاءات الأصلية بالهاء مثل التابوت واللات والعنكبوت وهيهات، نسب ذلك إلى اليمن وطيئ والأنصار من الأزد اليمانية ممن هاجر قبل الإسلام وقرأ الكسائى والبزى: هيهاه فى القرآن (المؤمنون ٣٦) والنشر ٢/ ١٣١.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٦.

فالتذكير والإفراد أقوى فى اللغة، وأعلى فى الصنعة، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [المائدة: ٦] وقال جل ثناؤه: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

وإنما كان التذكير والإفراد أقوى من قبل أنك لما وصفت بالمصدر أردت المبالغة بذلك، فكان من تمام المعنى وكماله أن تؤكد ذلك بترك التأنيث والتثنية والجمع للمصدر، ألا ترى أنك إذا أنثت، أو ثنيت أو جمعت سلكت به مذهب الصفة الحقيقية التى لا معنى للمبالغة فيها، نحو قائمة ومنطلقة وضاربات ومكرمات فكان ذلك يكون نقضًا للغرض أو كالنقض له، فلذلك قل حتى وقع الاعتذار لما جاء منه مؤنثًا أو مجموعًا(١).

وذلك جرى على الأصل للمصادر من الإفراد والتذكير(٢).

وقال الزجاج: يقال: رجل جُنُب ورجلان جُنُب وقوم جُنُب وامرأة جُنُب كما يقول رجل رِضًا، وقوم رضًا: وإنما هو على تأويل ذوو جُنُب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما أضيف إليه(٣).

ويقول الأستاذ العقاد - عن الوصف بالمصدر - فإذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد فى مدلوله، لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث، ولا مع الواحد أو الكثير، فإن (العدل) - مثلاً - عدل واحد فى صفته على جميع الحالات، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع إذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها، ولا يختلف المعنى إذا قيل: رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل، لأن الأسماء هنا فى حكم المضاف والمضاف إليه من جهة المعنى(٤).

فالوصف بالمصدر على معنى عادل وعادلة وذو عدل وذات عدل وذوا عدل وذواتا(٥) عدل وذوو عدل وذوات عدل.

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٠٧. (٢) شرح التصريح ٢/ ١١٣.

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ١٦٩.

(٤) مجلة الأزهر. عدد رجب سنة ١٣٨١هـ - ديسمبر ١٩٦١م من مقال بعنوان (الصفة فى اللغة العربية) ص ٧٨٩.

(٥) كان القياس أن يقال ذاتا مثنى ذات بمعنى صاحبة ولكن عين الكلمة ردت وهى الواو فقيل ذواتا اتباعًا لأسلوب القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] انظر النهر الماد من البحر على هامش البحر المحيط لأبى حيان ج ٨ ص ١٩٤.

وبعض العرب يجيز تـثنية المصدر وجمعه وتأنيثـه، وهذا قليل، يقول الزجاج: من العرب من يثنى ويجـمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفـاعل، وإذا جمع جُنُب قلت: فى الرجال جنُبُون، وفى النساء جُنُبات، وللاثنين جُنُبان[1].

ويقول سيبويه: وأما فُعُـل - بضم الفاء والعين - فهو فى الصفات قليل، وهو قولك: جُـنُب - بضم الجيم والنون - فـمن جمع من العـرب قال أجناب، كـما قالوا: أبطال.

ويقول: وأما قول العرب رجل ضَيف، ورجال أضياف وضيوف وضيفان وامرأة ضيفة فقليل[2].

وجعل ذلك المبـرد مخـالفًا الوجه الأقـوى فقـال: ليس بالوجه رجـلان جنُبان وامرأة جنبة وقوم أجناب[3].

وجاء فى الحديث عـن عائشة (كنت اغتسل أنـا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جُنُبان)[4].

وجاء مثل ذلك فى الشعر كما فى قول الخنساء:

ابـكى أخـــــاك لأيتـــــام أراملـة وابكى أخـاك إذا جـاورت أجنابا[5]

ولكن اللهـجة الأولى هـى الأقوى والأفـصح وقد جـرى القـرآن على الأكثـر الأفصح كما ذكرنا من قبل.

****

---

(١) انظر نص الزجاج السابق وشرح التصريح ٢/ ١١٣.
(٢) الكتاب ٣/ ٦٢٩.
(٣) الكامل ٣/ ١٥.
(٤) صحيح مسلم ١/ ٢٥٦.
(٥) ديوانها.

لهجات يلفقها النحاة
قبل وبعد

لعلك تقرأ فى كتب النحو أن لقبل وبعد أربع حالات:

١- حالة ذكر المضاف إليه مثل: قبلهم وبعدهم. وتعربان حينئذ.

٢- حالة حذف المضاف إليه ونية لفظه.

٣- حالة قطعهما عن الإضافة لفظًا ومعنى.

وفى هاتين الحالتين يعرب اللفظان.

٤- حالة حذف المضاف إليه ونية المعنى وهنا يبنى اللفظان.

والحالات الثلاث الأخيرة - كما ترى - قسمها النحاة - فى حكمها النحوى - إلى موقفين: موقف تعرب فيه قبل وبعد وموقف تبنيان فيه وهذه الحالات الثلاث ليست فى رأيى إلا تصويرًا لحالة واحدة، وهى حالة حذف المضاف إليه فقط ويبدو لى - كذلك - أن هذه الحالة كان العرب يقفون حيالها مواقف مختلفة.

فبعض العرب يعربون اللفظين - حينئذ - وبعضهم يبنيهما ولا شىء غير ذلك.

وفى الحقيقة أن النحاة لفقوا طرائق العرب فى إعرابها، وبنائها وجعلوا منها قاعدة يجوز فيها الوجوه التى ذكروها.

ويبدو لك عدم جدوى هذه العلل النحوية من تصويرهم لحال حذف المضاف إليه، بأنه تارة يقصد اللفظ، وتارة يقصد المعنى، وتارة يحذف، ولا يقصد.

ولا يبدو الفرق على وجه التحديد بين نية اللفظ، ونية المعنى، فما الفرق بين أن أقصد تقدير لفظ معين وهو الغلب - مثلاً - فى قوله تعالى ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] وبين أن أقصد لفظًا عاماً دون تحديد كالغلب أو النصر أو الفوز أو التفوق أو نحو ذلك؟ إن هاتين الحالتين - فى نظر المتكلم والسامع - سواء لا فرق بينهما فالمهم أن المضاف إليه ملحوظ بما يؤدى المعنى المراد.

ثم إن الحالة الثالثة التى ادعوا فيها أن المضاف قد حذف وقطعت الكلمتان - قبل وبعد - عن الإضافة لا يبدو أنها كما تصوروا، فالملاحظ أن ذهن المتكلم أو السامع - فى تلك الحالة نفسها - لا ينصرف عن المضاف إليه المقدر، وتأمل معنى هذا البيت الذى يدعون فيه أن لفظ (قبل) فيه قد قطع عن الإضافة:

فساغ لى الشراب وكنت قبلاً أكاد أغص بالماء الفرات

ألا ترى أن المعنى: وكنت قبل أخذ الثأر الذي يرمز الشاعر إليه، وقيل البيت فى مناسبته، أو أن (قبلا) إذا لم يكن تقدير المضاف إليها ذلك أو نحوه فماذا يكون المقصود قبل أى شىء؟ إذ لابد من شىء محذوف مقدر لحظه المتكلم فى نفسه، ويلحظه السامع كذلك، وإن لم يذكر صراحة.

ويدل لذلك أيضًا أن الآية الكريمة السابقة قرئت بالأوجه الثلاثة فإذا لم يكن المقصود واحدًا بالنسبة للمضاف إليه المقدر فعلام تصح هذه الأوجه؟ وفيما يبدو أنها أوجه لطرائق النطق العربية التى أشرنا إليها.

ففى نظرى أن قول النحاة إن قبل وبعد تقطعان عن الإضافة نهائياً قول غير مسلم، وأن الكلمتين وأشباههما من الظروف المبهمة كأسماء الجهات لا تكون إلا فى حالتين:

١- إضافة ظاهرة.

٢- إضافة مقدرة.

وأنها فى حالة ظهور المضاف إليه معربة لا محالة.

وفى حالة تقدير المضاف إليه تختلف لهجات العرب فيها فمن معرب لها ومن بان ولا شىء غير ذلك.

وتكون عملية نية المعنى، ونية اللفظ والقطع عن الإضافة لا تعدو أن تكون حديثًا فلسفيًا محضًا لا داعى إليه عند تدريس مثل هذه القواعد الراجعة إلى اختلاف اللهجات.

لا النافية للجنس

يذكر النحـاة فى باب (لا) النافيـة للجنس أن الصفة التى تتـبع اسم (لا) المبنى على الفتح مثل (لا رجل ظريف فى الدار) يجوز فيها ثلاثة أوجه:

١- البناء على الفتح، بتركيب الصفة مع الموصوف تركيب خمسة عشر ودخول (لا) عليهما بعد التركيب.

٢- النصب، باعتبار محل اسم (لا) لأنه فـي محل نصب لأنها - كما نعلم - تعمل عمل (إن).

٣- الرفع، باعتبار محل (لا) مع اسمها، لأنهـما معًا فى موقع المبتدأ، والمبتدأ ـ كما نعلم ـ يكون مرفوعًا.

كما يذكـر النحاة ـ أيضًا ـ أن (لا) إذا كررت فى مـثل: (لا حول ولا قوة إلا بالله) جاز فى الاسم الأول (حول) وجهـان: (البناء على الفتح والرفع)، فإذا فتح الاسم الأول جاز فى الاسم الثانى (قوة) ثلاثة أوجه:

١- البناء على الفتح، باعتبار (لا) الثانية عاملة عمل «إن».

٢- النصب، عطفًا له على محل اسم (لا) الأولى و(لا) الثانية مهملة.

٣- الرفع عطفًا له على محل (لا) الأولى مع اسمها.

وإذا رفع الاسم الأول جاز فى الاسم الثانى وجهان:

١- البناء على الفتح ـ كما سبق ـ.

٢- الرفع عطفًا على الاسم الأول، لأنه مبتدأ مرفوع[1].

ويلفت نظر البـاحث هنا أن النحاة يجـيزون كل هذه الوجوه، فـهى فى رأيهم سائغة الاستعمال، فيجوز استعمال هذا وذاك كما يشاء المتكلم.

---

(١) انظر شذور الذهب ط ١١ (١٣٨٨هـ - ٢٩٦٨م) ص ١٢١ - ١٢٤.

ولئن صح أن يحدث ذلك لنا فإنه لم يكن يسوغ للعـرب، إذ إن القبيلة العربية الواحدة، أو قـبائل العرب كلها لم تكن تنطق بهـذا وذاك كما يشاء لهـا الحديث، ومجـالاته، وإلا لكانت اللغة ضـربًا من الفوضى التى لا يوقف فـيهـا عند حد، والعربى حكيم يسير وفق طريقة يرتئيها ولا يحيد عنها.

فالمعروف أن العربى كـان يتمسك بلهجته، فلا يتـنازل عنها حتى فى أحرج الأحوال، لأن لسانه قـد طبع عليها، ونشأ منذ نعومـة أظفاره، ويؤكد لنا ذلك القصـص المروية عن الأعـراب فى عصـر فـصـاحـة اللغة ومن تلك الـروايات ما حكـاه ابن جنى فى خصائصـه من أن أبا حاتم - الراوية اللغوى المعـروف - أقرأ أعـرابيًا بالحـرم الآية الكريمة ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ [الرعد: ٢٩]. وكان الأعرابى هـذا ممن ينطق كلمة (طوبى) بالياء بدل الواو (طيبـى)، فقال له أبو حـاتم: (طوبى) فنطق الأعـرابى (طيبى)، فكـرر أبو حاتم (طوبى) وأعـاد الأعرابى (طيبى) حتى ضجر أبو حاتم وتألم فقال: (طو طو)، فقال الأعرابى: (طى طى)[1].

ولئن كان فى تلك القصة ما يدل على تعنت الأعرابى وتشدده فى عدم مطاوعة أبى حاتم على ما يريد، فإنه يدل دلالة قـاطعة على أن العربى لم يكن يتنازل عن لهجته وعـدم التنازل عن اللهجات لأنها أمر مركـوز فى طبع الإنسان لا يزال حتى يومنا هذا، اللهم إلا بعد كثير من عناء التغيير والممارسة.

وأريد من ذلك أن أقول: إن جـواز مثل هذه الأوجـه المتعددة فى الأمـثلة التى ذكرتها يدل على أن تلك الأوجه كان كل منها عند فريق من العرب وطائفة منهم، ثم إن النحاة جـمعوا الأمـثلة التى تحمل هذه الظواهر الإعـرابية المتـعددة فى إطار واحد، وقالوا لنا: يجوز هذا ويجوز ذاك.

ويمكن أن نجد لكلامنا دليلاً واضحًا فى ذكـرهم بعض الشواهد لتحقق هذه الظواهر الإعرابية، فقد رووا لنا لكل وجه منها شاهدًا من القرآن أو الشعر وهو

---

(١) انظر الخصائص ١/ ٣٨٤.

بلا ريب يحمل وجـهًا واحدًا فـقط لا عدة أوجه مما يؤكـد كلامنا فى أن هذه الأوجه ترجع إلى اختلاف اللهجات.

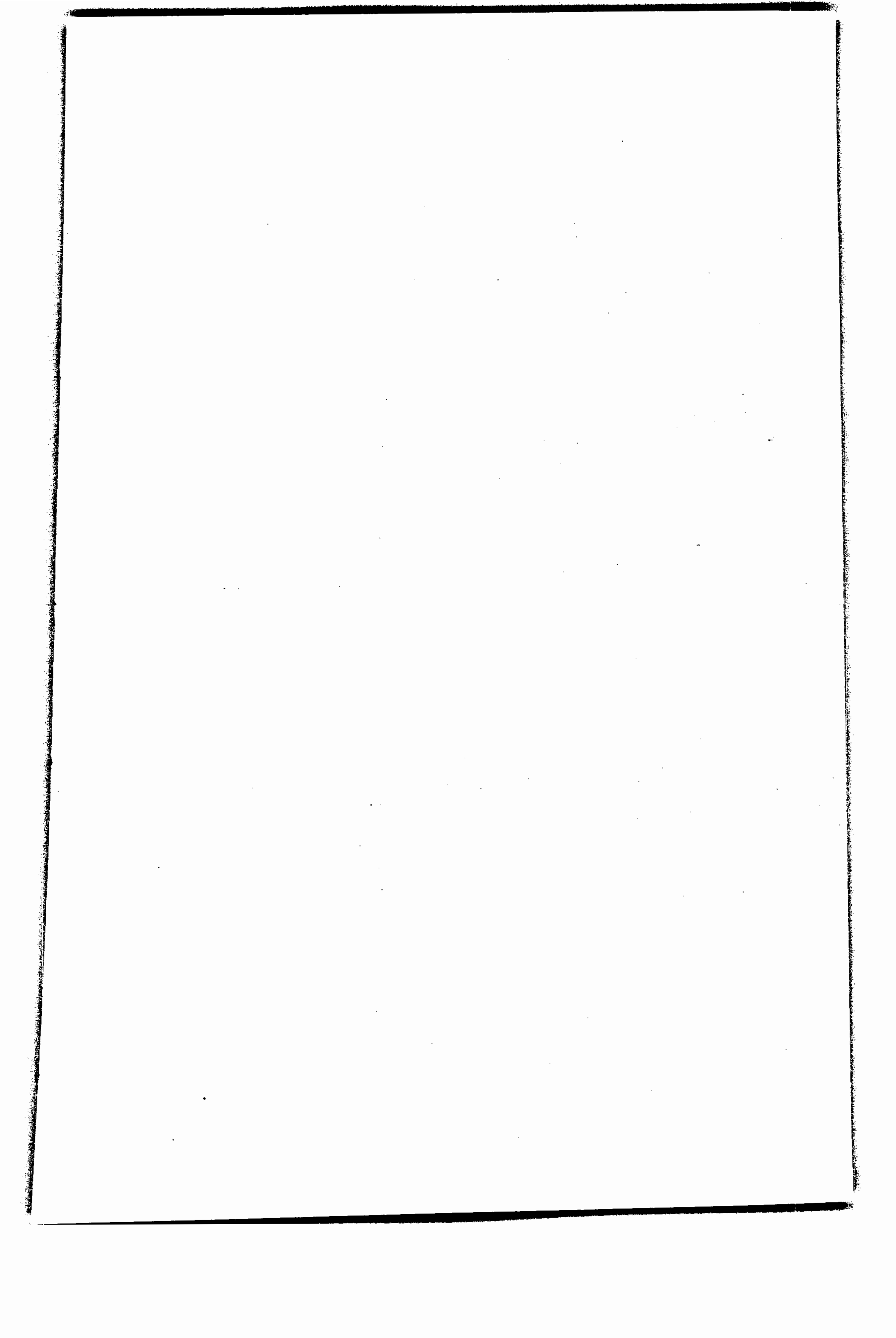
ويبدو ذكر اللهـجات واضحًا فيـما كتب السابقون مـن النحاة فى هذا الباب كقول سـيبويه (والدليل على أن لا رجل - بفتح اللام - فى موضع اسم مـبتدأ وما من رجـل - فى موضع اسم مبـتدأ فى لغـة بنى تميم قول العرب من أهل الحجاز: لا رجل أفضل منك)[1].

ولذا فإن تعليلات النحـاة لبعض هذه الوجوه كان مجـرد فلسفة عقلية مـحضة كتـعليلهم لوجه رفع الصفـة ورفع الاسم بعد (لا) الثـانية ـ مع بناء الاسم الأول على الفـتح ـ فإنهم يعللون ذلـك ـ كمـا ذكرنا ـ بالعطف على مـحل (لا) مع اسمـها، وهذا شىء لم يكن يعرف العـربى عنه شيئًا، كـذلك فإن مسـألة تركيب الاسم والصفـة، وبنائهما كـما تركب خمـسة عشر لم يكـن فى ذهن العربى عند نطقه بتلك العبارة على هذه الصفة.

****

---

(١) الكتاب ٢/ ٢٧٥، ٢٧٦.



الفصل الثالث

الفك والإدغام

الفك والإدغام فى الفعل الثلاثى المضعف

مضعف الثلاثى[1] هو: ما كانت عينه ولامه من جنس واحد[2] ولهذا الفعل من حيث الفك والإدغام أحوال:

فتارة يكون ترك الإدغام ـ بإبقاء كل حرف على حاله ـ وهو الفك ـ ملتزما عند العرب.

وأخرى يكون إدغام العين واللام ملتزما كذلك عندهم جميعًا إلا ما خالف ذلك مما عُدّ شاذا.

وثالثة يختلف العرب فى فكه وإدغامه.

فيلتزم الفك فى الماضى منه والمضارع والأمر حال الإسناد إلى ضمائر الرفع المتحركة.

فمن الصدّ والجدّ تقول فى الماضى صددت وجددت وصددنا وجددنا، وصددن وجددن وفى المضارع والأمر[3] يصددن ويجددن واصددن واجددن، وقال تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] وقال عز حكمه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) الفعل المضعف نوعان: ثلاثى وهو ما نتحدث عنه، ورباعى وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل زلزل ووسوس وهذا النوع يأخذ حكم الفعل السالم فلا يعتريه تغيير عند إسناده إلى الضمائر أو الاسم الظاهر لأن الحرفين المتماثلين فيه غير متجاورين.

(٢) فيخرج منه مضعف العين مثل كبّر ومضعف اللام مثل ابيضّ واقشعرّ واطمأنّ واستعدّ واجترّ واحمرّ وضارّ، ويعامل مضعف اللام معاملة المضعف الثلاثى أما الأول - وهو مضعف العين - فلا يحدث فيه تغيير عند الإسناد إلى الضمائر أو الاسم الظاهر.

(٣) يسند إليهما -من الضمائر المتحركة- نون النسوة فحسب.

ويلتزم الإدغام عند إسناد المضعف -بأنواعه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر- إلى ضمائر الرفع الساكنة كألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة[1] فتقول: فى الماضى- صدّا وجدّا وصدّوا وجدّوا، وفى المضارع المرفوع: يصدّان ويجدّان ويصدّون ويجدّون وتصدين وتجدين والمنصوب والمجزوم: لن أو لم يصدّا ويجدّا ويصدّوا ويجدّوا وتصدّى وتجدّى وفى الأمر: صُدّا وجِدّا وصُدُّوا وجِدُّوا وصُدّى، وجِدّى.

وكذلك يجب الإدغام فى الماضى المضعف إذا أسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر أو لحقته تاء التأنيث فتقول: جَدَّ خالد وصَدّ على، ومحمد جدّ، وجدّت آلاء.

وكذلك يجب الإدغام فى المضارع المضعف إذا أسند إلى الأسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالتى الرفع والنصب فتقول يشبّ الطفل على ما عوّده أبواه والطفل يشبّ على الجد، ولن يشبّ الطفل أو الطفل لن يشبّ على غير الجد.

وهذه الحالات التى يجب فيها الفك أو الإدغام تكون عند العرب جميعًا.

وهناك حالات يجوز فيها الفك والإدغام فى الفعل المضعف الثلاثى على حسب اختلاف القبائل.

وذلك فى المضارع المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالة الجزم لا غير فتقول: لم يصدّ علىّ ولم يصدُدْ ولم يجدّ أحمد ولم يجدد وعلىّ لم يجد ولم يجدد.

وكذلك فعل الأمر المسند إلى ضمير الواحد -وهو المبنى على السكون مثل: كُفَّ واكْفُفْ وجِدّ واجددْ وصُدّ واصدُدْ وقد نسب الفك إلى الحجازيين، والإدغام إلى التميميين.

ففى شرح الشافية: أهل الحجاز لا يدغمون فى المضاعف الساكن للجزم أو الوقف نحو اردد ولم تردد، لأن شرط الإدغام تحريك الثانى، وبنو تميم وكثير

---

(1) فى المضارع والأمر.

من غيرهم لما رأوا أن هذا الإسكان عارض للوقف أو الجزم وقد يتحرك وإن كانت الحركة عارضة فى نحو (اردد القوم) لم يعتدوا بهذا الإسكان وجعلوا الثانى كالمتحرك، فسكنوا الأول ليدغم فتخفف الكلمة بالإدغام[١].

وقال الأزهرى إن بنى تميم -أدغموا فى المضارع المجزوم بالسكون وفعل الأمر المبنى على السكون اعتداداً بتحريك الساكن فى بعض الأحوال نحو لم يردد القوم واردد القوم وأهل الحجاز لا يعتدون بذلك[٢].

ويذكر السيوطى أن الفعل المضاعف إن سكن للجزم أو البناء فالحجازيون يفكون وغيرهم من العرب يدغم لعدم اعتدادهم بالعارض[٣].

وفى حالة الإدغام -هنا- يفتح آخر الفعل- مضارعًا كان أو أمرًا- للتخفيف عند من يدغم من التميميين وأهل نجد بصفة عامة سواء وليه ضمير الغائب المذكر أو الغائبة أو وليه ساكن أو لا نحو رده ولم يرده ولم يردها ورد المال ولم يرد المال ورد ولم يرد وروى عن قبيلة كعب وغنى ونمير -وكلها بطون من قيس- الكسر مطلقًا على أصل التخلص من التقاء الساكنين.

ونقل عن بنى أسد الفتح حين لا يقع بعد المدغم حرف ساكن، أما إذا وقع بعده ساكن فإنهم يكسرون المدغم لالتقاء الساكنين فيكسر فى مثل رد المال ولم يرد المال ويفتح فيما عداه.

ونقل عن بعضهم إتباع آخر الفعل لأقرب الحركات إليه نحو رد -بالضم- وعض- بالفتح- وفر- بالكسر- إلا مع ضميرى المذكر الغائب والمؤنثة الغائبة فيحرك بحركة الضمائر فيقال: عضه -بالضم- وردها- بالفتح وإلا فيما بعده ساكن من كلمة أخرى كلام التعريف أو غيرها فيجوز عند بعضهم الفتح وعند آخرين الكسر وهو أجود كما يقول سيبويه مثل فغُضّ الطرف وردّ ابنك -بكسر آخر الفعل وفتحه-.

---

(١) ٢/ ٢٣٩.

(٢) شرح التصريح ٢/ ٤٠١.

(٣) همع الهوامع ٢/ ٢٢٧.

يقول سيبويه: اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحريك ما قبله، فإن كان مفتوحًا فتحوه، وإن كان مضمومًا ضموه وإن كان مكسورًا كسروه، وذلك قولك رد وعض وفر يا فتى[1] فإن جاءت الهاء والألف فتحوا أبدا، وسألت الخليل لم ذاك؟ فقال: لأن الهاء خفية فكأنهم قالوا: ردا وأمدا وغلا ـإذا قالوا: ردها وغلها وأمدهاـ (كلها أفعال أمر)، فإن جئت بالألف واللام وبالألف الخفيفة كسرت الأول كله لأنه كان فى الأصل مجزوما، لأن الفعل إذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر، وذلك قولك: اضرب الرجل، فلما جاءت الألف واللام والألف الخفيفة رددته إلى أصله، لأن أصله أن يكون مسكنًا على لغة أهل الحجاز، ومنهم من يفتح إذا التقى ساكنان على كل حال إلا فى الألف واللام والألف الخفيفة، فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف وسوف وأشباه ذلك، وفعلوا به إذا جاءوا بالألف واللام والألف الخفيفة ما فعل الأولون وهم بنو أسد وغيرهم من بنى تميم، وسمعناه ممن ترضى عربيته، ومنهم من يدعه إذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحًا يجعله فى جميع الأشياء كأين، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون: غض الطرف إنك من نمير[2].

وقد جاءت آيات كثيرة بالإدغام والفك واختلفت القراءات فى الآيات كما جاء ذلك فى بعض الأحاديث النبوية تبعًا للهجات العربية فمما جاء من المضارع الفعل (تضار) فى قوله تعالى: ﴿**لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم (لا تضار) ـبالرفعـ أى برفع الراء المشددة[3] على الإخبار[4].

---

(١) بالضم فى الأول والفتح فى الثانى والكسر فى الثالث على الاتباع.

(٢) الكتاب ٣/ ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤ وانظر نحو ذلك فى الكامل للمبرد ١/ ٣٣٩، ٤٣٠ والهمع ٢/ ٢٢٧ وانظر أيضًا شرح التصريح ٢/ ٥٠١، والمصباح ٦٨٦.

(٣) هذا الفعل -فى هذه القراءة ونظائرها- من ضار- بتشديد الراء لا من ضار بتخفيفها وانظر البحر ٢/ ٢١٢، ٢١٤.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٠، ٣٧١، وهى خبرية لفظًا إنشائية -على النهى- معنى.

وقرأ باقى السبعة (لا تضار) ـبفتح الراء على الجزم جعلوم نهيا[1] وقرأ الحسن بكسر الراء المشددة على النهى والجزم[2].

وروى عن ابن عباس (لا تضارر) بفك الإدغام وكسر الراء الأولى وسكون الثانية ـمبنيًا للمعلومـ وقرأ ابن مسعودـ كذلكـ بفك الإدغام لكن بفتح الراء الأولى وسكون الثانية ـمبنيًا للمجهولـ وكلا القرائتين على الجزم والنهى[3].

والإظهار فى هذا ونحوه لغة الحجاز والفك لغة تميم.

والفعل (يغرّ) فى قوله سبحانه: ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ [غافر: ٤] قرأ الجمهور بالفك ـوهى لغة أهل الحجازـ وقرأ زيد بن على وعبيد بن عمر (فلا يغرك) بالإدغام مفتوح الراء وهى لغة تميم[4].

والفعل (يضر) فى قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠][5] قرأ الكوفيون وابن عامر بالإدغام، وقرأ أبى: (لا يضرركم) بفك الإدغام، وقرأ عاصم ـفيما روى أبو زيد عن المفضل عنهـ بضم الضاد وفتح الراء المشددة نحو، لم يردّ زيد، والفتح هو الكثير المستعمل، والفك لغة أهل الحجاز، ولغة سائر العرب الإدغام[6].

---

(١) سكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للإدغام فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التى قبل الراء لتجانس الألف والفتحة.

(٢) فى هذه الحالات الثلاث التى جاءت فيها الراء مشددة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة يجوز أن يكون الفعل مبنيًّا للمعلوم وأصله (تضارر) بكسر الراء الأولى -أو مبنيًّا للمفعول وأصله (تضارر) بفتح الراء الأولى.

(٣) فى حال البناء للمعلوم يكون ما بعد الفعل -والدة ومولود- هو الفاعل والمفعول محذوف والتقدير: لا تضارر والدة زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر، ولا يضارر مولود له زوجته بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة وأخذ ولدها مع إيثارها إرضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر.

وإذا كان مبنيًّا للمجهول فما بعده نائب فاعل والمراد النهى عن أن يلحق الوالدة الضرار من قبل الزوج وأن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد.

(٤) انظر البحر ٧/ ٤٤٩.

(٥) اختلف أحركة الراء إعراب فهو مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد، وهو مجزوم، فخرج الرفع على التقديم والتقدير: لا يضركم أن تصبروا، ونسب هذا القول إلى سيبويه، وخرج أيضًا على أن (لا) بمعنى (ليس) مع إضمار الفاء والتقدير: فليس يضركم. قاله الفراء والكسائى.

(٦) البحر ٣/ ٤٣.

وكذلك الفعل (يمس) فى قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠](١) قرئ يمسكم بالإدغام -ويمسسكم بالفك.

وجاء الفعل (يـرتد) -مجزوما- بالفك والإدغام فى قـوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧](٢).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] قرأ نافع وابن عامر (من يرتدد) بدالين مفكوكا وهى لغة الحجاز، والباقون بواحدة مشددة وهى لغة تميم(٣).

كما جاء الفعل (يشاق) -مجـزوما- كذلك فجاء بالفك فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥](٤).

كـما جـاء بالإدغام والـفك فى قوله تعـالى: ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤](٥) قرأ الجمهور بالإدغام وقرأ طلحة بالفك(٦).

والفعل (يحب) فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عـمران: ٣١] قـرأ الجمـهور (تحـبون ويحـبـبكم) من أحب، وقرأ أبو رجـاء العطاردى بفتـح التاء والياء من حب -وهمـا لغتان، وقـرئ (يحبكم) بفـتـح الياء والإدغام.

وأيضًا الفعل (يحل) فى قول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

---

(١) البحر ٣/ ٦٢ وانظر ص ٤٣ أيضًا.
(٢) لم تقرأ هنا بإدغام المثلين. البحر ٢/ ١٥٠.
(٣) انظر الكتاب ٢/٤١٧، ٤٧٣ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥ والبحر ٣/ ٥١١.
(٤) البحر ٣/ ٣٥٠.
(٥) أجمعوا على فك المثلين اتباعا لخط المصحف. البحر ٤/ ٤٧١.
(٦) البحر ٨/ ٤٤.

والفعل (تمنن) فى قوله سبحانه ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] قرأ الجمهور بالفك والحسن وأبو السمال بشد النون[١].

ويستعف فى قوله سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣][٢].

ومما جاء من ذلك فى الحديث ما وقع فى حديث لأبى ذر (فلم أتقار أن قمت) بالإدغام أى لم ألبث وأصله أتقارر فأدغمت الراء فى الراء[٣].

ومما جاء من صور الأمر قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨][٤].

وقوله سبحانه: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩][٥] الحجازيون يقولون: اغضض وأهل نجد يقولون غُضّ بالإدغام.

وفى الحديث (اللهم اشدد وطأتك على مضر)[٦] جاء هذا بالفك وكذلك (ثم قال لإنسان يصب: اصبب فصب على رأسه)[٧].

وفى حديث آخر (خذ يا جابر فصب على)[٨] بالإدغام.

وكذلك (فمن جاءك منا فاقصص عليه)[٩] بالفك، وجاء بالإدغام فى قوله (من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له)[١٠].

---

(١) انظر البحر ٢/ ٤٣١، ٦/ ٢٦٣، ٨/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) انظر: النهر الماد على البحر ٦/ ٤٥٠.

(٣) النهاية ٣/ ٣٨.

(٤) انظر البحر ٦/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٥) لم يقرأ هنا بإدغام المثلين.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٤٦٧.

(٧) المصدر السابق ٤/ ٣٠٦.

(٨) المصدر السابق ٤/ ٣٠٨.

(٩) المصدر السابق ٣/ ٤٢٣.

(١٠) المصدر السابق ٤/ ٧٧٩.

ومما ورد فى الشعر قول جرير:

فَغُضَّ الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ويقول المبرد: أهل الحجاز على القياس الأصلى: اردد واغضض وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين[1].

فأهل الحجاز لا يدغمون لئلا يؤدى الإدغام إلى التقاء الساكنين إذ يحتاج إلى تسكين الأول والثانى ساكن فيلتقى ساكنان نحو: إن تردد أردد واشدد وغيرهم يدغم حملا للمجزوم على غيره مثل يفرّ وحمل ما سكونه بناء على ما سكونه للجزم للمشابهة بينهما كحذف آخر الفعل المعتل للجزم وللبناء مثل اغز ولم تغز[2].

هذا هو المشهور عند العرب.

وقد جاءت بعض الروايات عن بعض العرب بالإدغام فى الماضى والمضارع والأمر المسندة إلى ضمائر الرفع المتحركة فيقولون: ردّت -بضم التاء وفتحها للمتكلم والمخاطب- وردّن- بالإسناد إلى نون النسوة- فى الماضى- ويردّن وردّن- بإسناد المضارع والأمر إلى نون النسوة والمشهور عند العرب الفك بأن يقال: رددت بضم التاء للمتكلم وفتحها للمخاطب -ورددن ويرددن وارددن (كأنهم قدروا وجود الإدغام قبل دخول تاء الضمير أو نونه)[3] وكأن اتصال الضمير أمر عارض[4].

وعليه فى الحديث **(رأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفا)** الرواية بالفك وعند السمرقندى هزّت سيفا بزاى مشددة[5].

وفى حديث أحد **(حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل)** أى يعدون جاء الفعل يشتددن بالفك -على الأصل، وجاءت فيه رواية أخرى هى **(يستدّن)** -بالسين المهملة والنون- أى: يصعدن فيه.

---

(١) اللسان (غض) والبحر ٢/٤٤٣ والكامل للمبرد ١/ ٣٤٠.
(٢) الممتع ٢/٦٥٦، ٦٥٧.
(٣) الممتع ٢/ ٦٦٠.
(٤) شرح الشافية ٢/٢٤٦.
(٥) شرح مسلم للنووى ١٥/ ٣٢.

وعلى ذلك جاءت قراءة ابن أبى عبلة والوليد بن مسلم وأبى جعفر وشيبة ونافع -فى بعض الروايات عنهم- فى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥] (أفَعيَّنا)(١) قرأوها بتشديد الياء من غير إشباع فى الثانية، ووجهها ابن خالويه فى الشواذ بأنها من إدغام الياء فى الياء فى الماضى عيى وهى مفتوحة قبل لحاق ضمير المتكلمين به، فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الإدغام(٢).

وعليه ما جاء فى الحديث (حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها) كذا الرواية عند السجزى وعند أبى بحر: هشّنا بفتح الهاء وتشديد الشين على الإدغام ولغة بعض العرب فى نقل الحركة ثم إدغامها(٣).

وهذا الإدغام مخالف للمعهود فى اللغة وقد وصفه بعض شراح الحديث بأنه صحيح(٤) وقيل إنه شاذ قليل(٥) أو تركيب قبيح فى العربية(٦) وذلك لأن الإدغام إنما جاز فى المضعف لسكون الأول وتحرك الثانى وعند الإسناد إلى ضمير الرفع المتحرك يلزم الفك لأن ما قبل الضمير المتحرك يسكن لتوالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة فيلتقى ساكنان (الحرف الأول من المدغم والمدغم فيه بعد التسكين) فيحرك الأول ويفك الإدغام.

ونسب الإدغام هنا إلى بكر بن وائل أو أناس منهم وهى لهجة ضعيفة(٧) كما ذكر الخليل وسيبويه قال الرضى: اعلم أنه إذا اتصل النون وتاء الضمير بالمضاعف نحو رددت ورددنا فإن بنى تميم وافقوا فيه الحجازيين فى فك الإدغام للزوم سكون الثانى، وزعم الخليل وغيره أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمون نحو ردّت نظرا إلى عروض اتصال الضمائر فيحركون الثانى بالفتح للساكنين، قال السيرافى: هذه لغة رديئة فاشية فى عوام أهل بغداد(٨).

---

(١) قرأ الجمهور (أفعيينا) بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة وهو الماضى (عيى) كرضى أسنده إلى ضمير المتكلمين.
(٢) انظر: البحر ٨/ ١٢٢، ١٢٣.
(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٧.
(٤) النووى فى شرح مسلم ١٥/ ٣٢.
(٥) شرح الشافية للرضى ٣/ ٢٤٥
(٦) اللسان ٤/ ٢٢٠.
(٧) شرح التصريح ٢/ ٤٠٣ والأشمونى ٤/ ٣٥١، ٣٥٢ والممتع لابن عصفور ٢/ ٦٦٠، ٦٦١ والكتاب لسيبويه ٣/ ٥٣٥ والبحر عند الحديث عن الآية أفعيينا إلخ.
(٨) شرح الشافية ٢/ ٢٤٦.

كما جاء الفك فى الماضى المسند إلى ضمائر الرفع الساكنة شذوذا فى قول الشاعر:

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى   أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

وكذلك فى الأمر فى قول البوصيرى:

فما لعينيك إن قلت اكففاهمتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم

كما جاء الفك فى الفعل الماضى المسند إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر منسوبًا إلى هذه القبيلة السابقة أيضًا.

ومن ذلك الحديث (**فازحفت عليه بالطريق فعيى بشأنها**)[1] الرواية بكسر الياء الأولى من العِىّ والعجز، وفى رواية بعضهم فعىّ بتشديد الياء وإدغام الأولى فيها على اللغة السابقة.

وفى كتب اللغة: عىّ بأمره وعيِىَ والإدغام أكثر نقله الأزهرى وذلك عند بعض العرب[2] يقال: عِيِىَ من باب تعِب وقد يدغم الماضى فيقال عىّ[3].

صيغة افتعل

يجرى فيها تقريب الصوت من الصوت لأجل الإدغام، فقد أراد العرب التخفيف حين تتجاور تاء الافتعال المهموسة الشديدة مع بعض الأصوات المجهورة أو الرخوة كالدال والذال والزاى لصعوبة النطق بها دون حدوث تغيير صوتى.

فالتاء المهموسة لا تتناسب مع الدال المجهورة، والدال والزاى مع جهرهما رخوان فتقلب تاء الافتعال دالا فتقول فى افتعل من دان: ادان ومن ذكر اذدكر ومذدكر ومن زان ازدان ومن زجر ازدجر.

وبعض العرب -فى غير المتماثلين كالذال والزاى- يزيد من قوة التماثل فيحول الدال صوتا من جنس فاء الافتعال ويدغمها فيها فيقول من ذكر: اذّكر ومذّكر ومن زان: ازّان، ومن زجر: ازّجر.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٩٦٢.

(٢) اللسان والصحاح والقاموس (عيى).

(٣) المصباح ٤٤١.

وبعضهم يقلب فاء الافتعال إذا كانت ذالا من جنس الدال بعدها ثم يدغمها فيها فيقول: ادكر، ومدكر ومنه قوله تعالى: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] وقرأ بعضهم (واذّكر) بالذال، وعلى ذلك جاء فى الحديث (وعليه جمازة فاذرع منها يده) أى أخرجها، هكذا رواه الهروى وغيره واذّرع افتعل من ذرع بمعنى مدّ ذراعيه ويجوز ادّرع أيضًا(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] وفى حديث أصحاب المائدة (أمروا ألا يدخروا فادخروا) أصل الادخار: اذتخار افتعال من الذخر يقال ذخر واذتخر فقلبت التاء إلى ما يقاربها من الحروف وهو الدال لأنهما من مخرج واحد ولتناسب الذال فى الجهر فقيل اذدخر، وفيها طريقتان أخريان:

إحداهما: قلب الذال المعجمة دالا وإدغامها فيها فتصير دالا مشددة ادخر - وهذا هو الأكثر.

والثانية: قلب الدال المهملة إلى ذال وإدغامها فيها فتصير اذخر وهذا هو الأقل(٢).

وأراد العربى التخفيف -أيضًا- حين تكون فاء الافتعال من أصوات الإطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء)، لأن تاء الافتعال مستفلة، وهذه الأصوات مستعلية مطبقة مما يسبب ثقلا فى النطق بها متجاورة مع التاء بعدها، فيحول العربى التاء إلى صوت من مخرج التاء له صفة الاستعلاء والإطباق وهو الطاء لينتقل اللسان من صوت مطبق إلى نظير مطبق أيضًا فيسهل النطق ويتحقق الانسجام فيقول: من صبر: اصطبر ومصطبر.

ومن ضجع: اضطجع ومضطجع.

ومن طلع: اطلع ومطلع.

ومن ظعن: اظطعن ومظطعن.

---

(١) النهاية ٢/ ١٥٨ (ذرع) وسر الصناعة ١/ ٢٠٢ - ٢٠٤.

(٢) النهاية ٢/ ١٥٥، ١٥٦ وسر الصناعة ١/ ٢٠٠ - ٢٠٢.

وقد قرب العربى التاء المستفلة من الفاء المستعلية المطبقة ولم يدغم، أما مع الطاء فيجب الإدغام لاجتماع المثلين والأول منها ساكن.

وأحيانًا يزيد بعض العرب التخفيف والتقريب فيقلب الطاء المبدلة من تاء الافتعال إلى جنس الصوت الذى هو فاء الافتعال ثم يدغم فيه فيقول: فى اصطبر: اصّبر، وفى مصطبر: مصّبر.

قال تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء:١٢٨] قرأ الجحدرى: (أن يصّلحا) بتشديد الصاد، ويقول فى اضطجع: اضّجع، وفى اظطعن اظّعن بتشديد الفاء.

وأحيانًا أخرى نجد بعض العرب يقلب فاء الافتعال من جنس الطاء التى حلت مكان التاء فيقول: فى اضّطجع: اطّجع، وفى أضطره: أطّره قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]، قرأ ابن محيصن: أطّره بتشديد الطاء.

وكان أصل (يصّلحا) هو يصتلحا لأنه يفتعل من صلح فقلبت تاء الافتعال طاء ليتحقق التماثل والانسجام فى أصوات اللفظ لأن التاء صوت مستفل والصاد مستعل فحولت التاء إلى صوت مستعل مناسب وهو الطاء فصار اللفظ (يصطلحا) وهذا نوع من تقريب الصوت دون إدغام ثم حولت الطاء من مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا إلى مخرج الصاد من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى لتتفق معها فى الرخاوة ويسمح للهواء بالمرور وعندئذ يتحد الصوتان فيدغمان نتيجة لذلك فصار اللفظ على ما هو عليه الآن (يصّلحا)، وعلى هذا النمط تفسر اصّبر، أما قراءة (أطّره) فقد كان أصل اللفظ أضتره ثم لاستفال التاء واستعلاء الضاد قلبت التاء طاء لتناسب الضاد فصارت أضطره ثم إن الضاد انتقلت إلى رخاوة الطاء فقلبت صوتا مماثلاً ثم أدغمت فيها، ويعتبر ابن جنى هذه لغة مرذولة أعنى إدغام الضاد فى الطاء وذلك لما فيها من الامتداد والفشو فإنها من الحروف الخمسة التى يدغم ما يجاورها فيها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهى:

(ش ـض ـ ر ـ ف ـ م) ويجمعها (ضم شفـر) وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك وجمعها فى قولهم (مشفر)[1].

وهذه الحروف يدغم بعضها فى بعض ويحـول بعضها إلى بعض لقرب المخارج فأصـوات الإطباق أخوات ومن قبلهـا الدال والذال والزاى كلهن من الثنايا وطرف اللسان[2] فكلهن من حيز واحد.

أما إذا بنيت (افتعـــل) من واوى الفاء أو يائيه فـالعرب يختلفون، فالحجازيون لا يعبـــأون بتلاعب الحــركات التـى قد تقلب الواو ياء أو ألفا أو تقلب الياء واواً أو ألفا ففى افتعل مــن (ورث) يقولون: ايترث، ياترث، موترث ومن ينع: ايتنع، ياتنع، موتنع وأما التميـميون فيبدلون الواو أو الياء تاء ويدغمـونها فى تاء الافتعال حتى لا تتعرض لتلاعب الحركات بها فيقولون فيما سبق: اتّرث يتّرث فهو متّرث، واتّنع يتّنع فهو متّنع.

تفاعل وتفعل

تأتى كل من الصيغـتين بإظهار التاء دون إدغامـها فيما بعـدها وإذا كانت الفاء فيهمـا من طائفة الحروف التى تخرج من أصول الثنايـا العليا أو السفلى أو مما بين الثنـايا (ط د ت ـ ظ ذ ث ـ ص س ز) أو من حـــروف وسط الـلســـان (ج ش) اختلفت قبائل العرب.

فبعضهم يظهر التاء فيها دون إدغام لها فى الفاء بعدها وبعضهم يدغم.

فمن الإظهـار فى صيغـة تفاعل قـوله تعالى: ﴿لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [القلم: ٤٩] ومن الإدغـام قـوله عز حكمـه ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] وقـوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦] وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨].

---

(١) المحتسب ١/١٠٦.

(٢) الكتاب ٤-٤٦٢-٤٦٤.

ومما جاء بعدة أوجـه قوله تعالى: ﴿إنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقـرة: ٧٠] قرئ يتشابه بالياء والتاء دون إدغام وقرئ (يشّابه) بالإدغام[١].

وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤] قـرئ: تظاهرون بحذف إحـدى التاءين وبإدغام التاء الثانية فى الظاء[٢].

ومن الإظهار فى صيغـة تفعل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] وقوله ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] وقـوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: ٣٥].

ومن الإدغام قوله عز حكمه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ٢٤] فـأصل ازّينت: تزينت فـأدغم، وقـرئ على الأصل[٣] وقوله تـعالى: ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ﴾ [الصافـات: ٨] أصله يتسمعون، والبيان عربى حسن لاختلاف المخرجين[٤].

وقوله جل ثناؤه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

أصل يصّعّد، يتصعّد، وقرئ يصّاعد وأصله يتصاعد[٥].

وقوله سبـحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] أصله: يتصـدعون على معنى يتفرقـون فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار.

---

(١) تفسير أبى السعود ١/ ١١٢.

(٢) تفسير أبى السعود ٧/ ٩٠.

(٣) الإتحاف: ٢/ ١٠٨.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٦٣.

(٥) تفسير أبى السعود ٣/ ١٨٣.

وفى حديث الزكاة: (لا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدق)[1] ـ بضم الميم وتشديد الصاد والدال معا مع كسر الدال وهو صاحب المال وأصله: المتصدق فأدغمت التاء فى الصاد.

ومما لا ريب فيه أن وضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذل مجهود عضلى كبير حتى لا تختلط، ولا تشوه صورها، وهذا خاص بالبيئة المدنية التى تتسم بتلك السمات، أما غموض الأصوات ودخول بعضها فى بعض فإنه ناجم عن السرعة فى إخراجها، وعدم التأنى فيها، وذلك هو اتجاه قبائل البادية.

ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الإدغام ينسب إلى تلك القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بادية تميل إلى التخفيف، والسرعة فى الكلام كتميم وأسد وغنىّ وعبد القيس، وبكر بن وائل وكعب ونمير[2].

كما ينسب الإظهار إلى بيئة الحجاز المتحضرة وهى تمثل التأنى فى الأداء بحيث تظهر كل صوت فيه[3] وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى قبائلها فى مواطن من كتابه.

وليس معنى هذا أن كل قبائل الحجاز لا تدغم فى كل حال، بل إن بعض قبائل الحجاز ربما تأثرت بمجاوريها من أرباب الإدغام، فتميل إليه كهذيل، فهى قبيلة مدنية، وقد ثبت أنها تدغم ياء المتكلم فى ألف المقصور بعد قلبها ياء وقد تقدم شرح ذلك[4].

وهذه الظاهرة تسمى عند علماء اللغة المحدثين (المماثلة assimilation وتدرس أحيانًا تحت اسم التضعيف doubling وهى تخضع لنظرية السهولة، وكأن الإدغام ظاهرة حادثة، والفك هو الأصل قبل التطور.

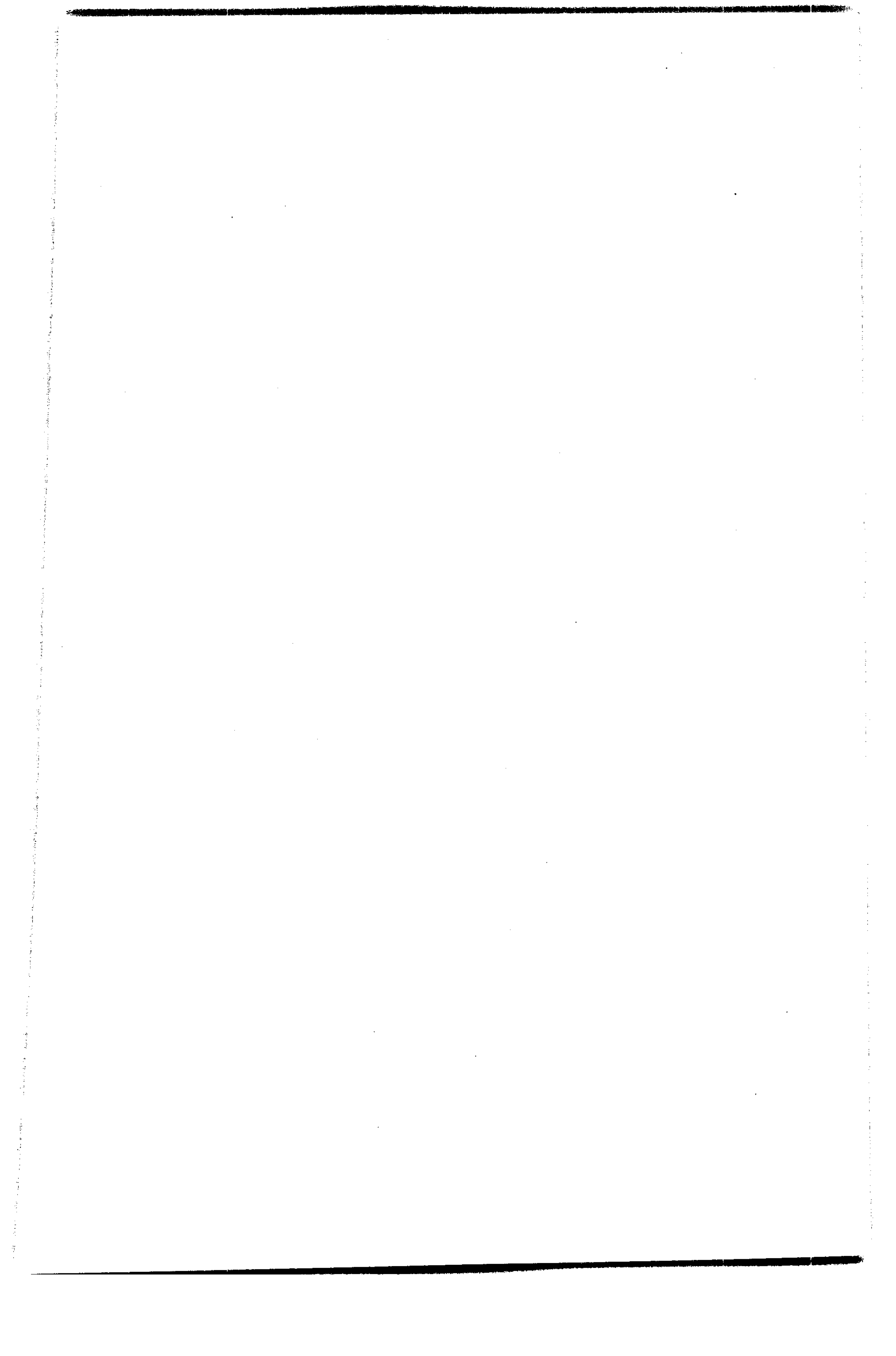
---

(١) النهاية ٣/ ١٥ الهرمة وذات العوار لا تؤخذ فى الصدقة إلا إذا كان المال كله كذلك عند بعضهم، وقد نهى عن أخذ التيس فى الصدقة لأنه مضر برب المال إلا أن يسمح به.

(٢) اللهجات العربية والقراءات القرآنية ص١٣٣.

(٣) فى اللهجات العربية د. أنيس ص٥٦.

(٤) انظر ص ٣٨٤ من هذا الكتاب.



الفصل الرابع

نقص بعض الحروف وزيادتها

حذف نون من

تحذف بعض قبائل زبيد وبنى خثعم من اليمن نون (من) الجارة إذا وقع بعدها حرف ساكن، ونسب بعضهم ذلك إلى هذيل وبعضهم نسبه إلى تميم[1].

قال الشاعر:

أبلغ أبا دختنوس مألكة ... غير الذى قد يقال م الكذب

وقال الآخر:

لقد ظفر الزوار أقفية العدا ... بما جاوز الآمال م الأسر والقتل

وقال أبو صخر:

كأنهما ملآن لم يتغيرا ... وقد مر للدارين من بعدنا عصر[2]

واختلفت آراء الباحثين القدامى فى ذلك فيرى ابن عصفور: أن حذف نون (من) من باب الضرورة ويرى ابن مالك أنه قليل، وقال أبو حيان: إنه كثير ويجوز فى سعة الكلام وطالما بنى النحويون الأحكام على بيت واحد أو بيتين فكيف جواز حذف نون (من) فى هذه الحالة وقد جاءنا منه ما لا يخفى كثرة ويمكن تتبع ذلك فى دواوين العرب[3] وكلام أبى حيان يمكن أخذه على اعتبار أنه يميل إلى رأى الكوفيين.

أما البصريون الذين لا يقننون للظاهرة إلا مع كثرة الشواهد فيعدون ذلك قليلا أو من الضرورات.

حذف ألف (على) الجارة ولامها

تحذف بلحرث بن كعب الألف من (على) الجارة وتحذف معها لامها إذا تلاها اسم معرف بأل قال الشاعر:

---

(١) الشعر والشعراء تحقيق أحمد شاكر ١/٤١٣.

(٢) الخصائص ١/ ٣١٠.

(٣) شرح التصريح ٢/٢٦ والهمع ٢/ ٢٠٠.

فـمـا سبـق القيـسى من سـوء سيـرة ولكن طـغت علمـاء غـرة خـالد

وروى الشطر الأول (وما غلب القيسى من ضعف قوة).

وقال آخر:

غـداة طغـت علمـاء بكـر بن وائل وهاجت صـدور الخيل شطر تميم[1]

فـأصل علمـاء: على الماء. حذفت همـزة الوصل من (الماء) لأنهـا تسـقط فى الدرج وحذفت ألف (على) لالتقائها سـاكنة مع لام المعرفة الساكنة ثم حذفت لام على كراهة اجتماع المثلين. ونظير ذلك حذف النون من بنى الحارث وبنى العجلان حين قالوا: بلحارث وبلعـجلان لأن النون قد اجتمعت مع اللام وهى مـقاربة لها فلأن يحذفوا اللام مع أختها بطريق الأولى[2].

اللخلخانية

هى اللكنة فى الكلام والعجـمة، ويقال رجل لخلخانى وامرأة لخلخـانية إذا كانا لا يفصحان.

وقيل: إنهـا منسوبة إلى لخلخـان وهى قبيلة وقـيل: هى موضع[3]. وورد فى حديث معاوية: أى الناس أفصح؟ فقال رجل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية العراق[4] واللخلخانيـة تعرض فى لغات أعـراب الشحر وعمـان كقولهم. مشـا الله كان - يريدون: ما شاء الله كان[5]، وهم بذلك يحذفون بعض الحروف اللينة[6].

وسبب هذا الحذف أن بعض الناطقين يميلون إلى تقصيـر الحركات تقليلا للجهد العضلى وفى العربيـة الفصحى المنطوقة الآن تقصير للحـركات على لسان الناطقين فلا نجد الآن ناطقا ينطق حروف المد على طبيعتها كما حددها علماء التجويد.

(١) شرح المفصل ١٠/١٥٥، وشرح الشافية ٤/٤٩٨.

(٢) شرح المفصل ١٠/١٥٥.

(٣) اللسان ٥/٤٠٨، وخزانة الأدب ٤٠/٥٩٦، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/٢٤٤.

(٤) اللسان ٤/٢٠.

(٥) فقه اللغة وسر العربية ١٢٩، والمزهر - نقلا عنه ١/٢٢٣.

(٦) تاريخ آداب العرب ١/١٤٢.

وفى العاميات ـ اعتراها كثير من التغيير لما ذكر العلماء من شيوعها فى اللغات وما يعتريها من البلى الصوتى.

وربما انتشر ذلك أول الأمر فى البدو فعرفت اللخلخانية عند الأعراب وقد نسبت إلى الفرات أو العراق أو الشحر وعمان[1].

القطعة

هى قطع اللفظ قبل تمامه مثل: يا أبا الحكم تقول طيئ: يا أبا الحكا فتقطع كلامها[2] وقد ورد مثل ذلك من قطع نهاية الكلمات فى غير لهجة طيئ مثل قول عبيد بن الأبرص:

ليس حى على المنون بخال

يقصد بخالد.

وقول لبيد بن ربيعة:

درس المنا بمتالع فابان[3]

يريد المنازل ولم يَسْما يريدون لم يسمع[4]

ولعل ما جعله بعض النحاة من ترخيم المنادى يدخل فى هذا النوع من اللهجات كما ورد عن ابن أحمر من قوله:

وعمار وآونة أثالا

يريد: أثالة[5].

وقول جرير[6]:

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٢١٢ وفقه اللغة الثعالبى ١٠٧ وتاج العروس ٢/ ٢٧٧.

(٢) يقول الخليل فى العين (قطع): القطعة فى طيئ كالعنعنة فى تميم ١/ ١٥٦ ونقله الأزهرى فى التهذيب ١/ ١٩٦.

(٣) الخصائص ١/ ١٨١ واللسان: أبن.

(٤) مميزات لغات العرب ص٣١.　　　(٥) الكتاب ٢/ ٢٧٠.

(٦) وجرير من قبيلة تميم. انظر جمهرة أنساب العرب ص٢٢٥.

ألا أضحت حبالكم رماما وأضحت منك شاسعة أماما

يريد: أمامة.

وبعض أمثلة القطعة تظهر فيها إطالة الحرف الأخير بعد الحذف خلافا لما يحدث في الترخيم.

والقطعة وإن كانت حذفا لأواخر الكلمات فإنها تختلف عما يسمى فى علم النحو (الترخيم) إذ للترخيم شروطه لأنه حكم خاص بالنداء فيكون فى آخر الاسم المنادى ويكون بحذف حرف أو حرفين مثل أفاطم فى فاطمة ومثل يا سلم ويا منص ويا مسك فى سلمان ومنصور ومسكين(١).

ولكن الحذف هنا فى القطعة ليس خاصا بالأسماء بل يمكن أن يدخل الاسم والفعل كما يمكن أن يكون حذفا لحرف أو أكثر دون شروط.

وإذا كان قطع الكلمات هنا ورد فى بعض الأبيات الشعرية فإن بعض العلماء كسيبويه يعد ذلك من الترخيم فى غير النداء للضرورة لكن يمكن أيضا أن يكون منسوبا إلى اللهجات التى كانت تقطع أواخر الكلمات ويؤكد ذلك أن كلا الشاعرين: عبيد بن الأبرص الذى ينتسب إلى قبيلة أسد ولبيد الذى ينتمى إلى بنى عامر من قبيلتين كانتا تعيشان على مقربة من ديار طيئ ويمتد ذلك إلى اليمن ولذا نسبت هذه الظاهرة إلى أهل اليمن ويمكن أن يمتد ذلك إلى غيرهم تأثرا بهم.

والأصل فى نطق الكلمات أن تتم فيه الحروف كاملة بذلا للمجهود العضلى المطلوب ولكن بعض الناطقين يختصر نطق الكلمات جريا على قانون السهولة الذى شاع فى البدو والحضر على سواء وإن خصه بعضهم بالبدو.

وبعض المحدثين يرجع حذف أواخر الكلمات إلى الأخطاء السمعية التى تنجم عن ضعف بعض الأصوات وقد ينشأ عن ذلك سقوطها من الكلام الصوتى على مر الأجيال عند انتقال اللغة من جيل إلى آخر.

---

(١) الكتاب ٢/٢٢٩- ٢٧٤.

فعل ـ أفعل

المعروف أن حروف الزيادة التى تدخل الأفعال يكون لكل منها زيادة فى المعنى وفقا للقاعدة التى تقول: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

فكل حرف يزاد على الصيغة الفعلية تقابله زيادة فى المعنى وهذا واضح فى الأفعال التى تعتريها هذه الزيادة.

ولكن قد تجىء عدة صيغ فيها بعض حروف الزيادة مع اتحاد المعنى وهذا قد يرجع إلى اختلاف اللهجات.

من ذلك: فعلت وأفعلت التى ألف فيها بعض العلماء كتبا كالزجاج فى كتابه (فعلت وأفعلت) أحيانا مع اتفاق المعنى وأخرى مع اختلافها وكذلك لابن دريد كتاب فى هاتين الصيغتين على ما يقال.

فقد يجىء فعلت وأفعلت والمعنى فيهما واحد إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل فيجىء به قوم على فعلت، ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلت[1].

ويقول ابن درستويه: لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد[2].

وذكر ذلك ابن جنى فى خصائصه (باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا)[3] مثل سقى وأسقى فى قول الشاعر:

سقى قومى بنى مجد وأسقى   نميرا والقبائل من هلال

ووفى وأوفى فى قول آخر:

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته   كما وفى بقلاص النجم حاديها

---

(١) الكتاب ٤/ ٦١.   (٢) المزهر ١/ ٣٨٤.

(٣) الخصائص ١/ ٣٧٠ والحجة لابن خالويه ص ٢١٢.

وفى القرآن الكريم: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]. ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧] قرىء وفَى بالتخفيف ثلاثيا عند ابن محيصن[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦] قرئ ﴿لا يُحْزِنْكَ﴾ من أفعل[٢]. وقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣][٣] قرئ ﴿لا يُحزِنُهُم﴾ من أفعل. وقوله سبحانه: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١] بضم الياء قرأ حفص وحمزة والكسائى وهى لغة نجد وتميم، وبفتح الياء قرأ الباقون وهى لغة الحجاز[٤].

وفى الحديث: «**الوليمة فى الإعذار حق**» الإعذار: الختان، ورد عذرته وأعذرته، ويقال للطعام الذى يعد فى الختان إعذار[٥]، وفى حديث عمر (**أطردنا المعترفين**) أى المقرين على أنفسهم بما يوجب الحد عليهم، وقد ورد: أطرده السلطان وطرده، أى: أخرجه من بلده وأبعده[٦]، وفى حديث خديجة: (**إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم**) يقال: كسب وأكسب فلانا مالا. أى: أعانه على كسبه وجعله يكسبه[٧]، وحديث الإيمان: (**أدناها إماطة الأذى عن الطريق**) أى: تنحيته، يقال مطت الشىء وأمطته وقيل: مطت أنا وأمطت غيرى، وماط وأماط بمعنى واحد[٨].

وقد جمع الرسول الكريم بين فعل وأفعل فى قوله: «**يردّ من صدقة الجانف فى مرضه ما يردّ من وصية المجنف عند موته**» يرد بضم الياء وتشديد الدال المضمومة،

---

(١) الإتحاف ص ٤٠٣.
(٢) المصدر السابق ص ١٨٢ (قراءة نافع).
(٣) والجمهور يحزنهم - من حزن - وهى لغة قريش.
(٤) الإتحاف ص ٣٠٤.
(٥) النهاية ٣/١٩٦.
(٦) المصدر السابق ٣/١٧.
(٧) المصدر السابق ٤/١٧١.
(٨) المصدر السابق ٤/٢٢٢ والصحاح (ماط)..

ويقال: جنف وأجنف إذا مال وجار، فجمع بين اللغتين ، وقيل: الجانف يختص بالوصية، والمجنف المائل عن الحق[1].

ويقال: بشَرت الرجل بخير وأبشرته[2]. وجنّه الله وأجنّه[3]، وألاته عن وجهه[4] بمعنى حبسه وصرفه عند تميم، ويقال: لاته بمعناه عند الحجاز[5].

وقال ابن منظور: (فعل وأفعل كثيرا ما يتعاقبان على المعنى الواحد نحو: جدّ فى الأمر وأجدّ، وصددته عن كذا وأصددته، وقصر عن الشىء وأقصر، وسحقه الله وأسحقه ونحو ذلك)[6].

ولابن دريد باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة والأصمعى يشدد فيه ولا يجيز أكثره مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت[7].

وقد ألف كتاب فعلت وأفعلت ومنها ما اتفق معناه وجمع منها أحد الباحثين ستة ومائتى فعل[8].

والهمزة هنا ليست للتعدية، والنقل على ما هو مشهور فيها فى مثل ذلك لكنها لتأكيد المعنى إن صح هذا الاعتبار كما ورد عن بعض اللغويين ونقله صاحب الإتحاف[9].

وقد اضطربت أقوال الباحثين فى نسبة كل من الصيغتين إلى بيئة لغوية، فبعضهم يرى أن (فعل) ـ بغير همز ـ للحجاز وبالهمز (أفعل) لتميم، ففى قوله

(١) النهاية ١/٣٠٧ ومختار الصحاح ص ١١٣.
(٢) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج ص١٣٠.
(٣) المصدر السابق ١٣٥.
(٤) المزهر ٢/١٧٦ والقاموس ١/١٦٣.
(٥) الإتحاف ٣٩٨.
(٦) اللسان ١٥/٢٣٣.
(٧) الجمهرة ٢/٤٣٤.
(٨) فى بحث بمجلة مجمع اللغة العربية ج٣٦ ص١١٦.
(٩) الإتحاف ص ٢٩٨. التميميون يميلون إلى تأكيد المعنى وتقويته فأدخلوا الهمزة التى للتعدية مبالغة فى تأكيد المعنى.

تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١] يقول الفراء: قوله ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ قراءتنا من أسريت بنصب الألف وهمزها، وقراءة أهل المدينة (فاسر بأهلك) من سريت[١].

ويقول أيضا: قرأ أهل الحجاز ﴿فَأسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ موصولة من سريت وقراءتنا (فأسر بأهلك) من أسريت، وقال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] وهو أجود[٢].

وقال لبيد بن ربيعة:

إذا المرء أسرى ليلة ظن أنه ... قضى عملا والمرء ما عاش عامل

ويذكر بعض اللغويين أن أسرى بالألف لغة أهل الحجاز[٣]. ولعل الفعل بالهمزة قد تأثر به أهل الحجاز وقد جمعهما حسان فى قوله:

إن النظيرة ربة البيت ... أسرت إليك ولم تكن تسرى[٤]

وقال الفراء - أيضا -: فتن لأهل الحجاز وأفتن لأهل نجد[٥] وجاء أعشى همدان باللغتين فى قوله:

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت ... سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم

وقال أبو حيان فى فتن وأفتن: لغة الحجاز فتن ولغة تميم وربيعة: أفتن رباعية[٦] وقرأ عيسى بن عمر ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [التوبة: ٤٩] بضم التاء من أفتن وقرأ الباقون بفتح التاء من (فتن)[٧].

وكان الأصمعى يعد (أفتن) ليس يثبت وأبى إلا (فتنت) ولما أنشد بيت أعشى همدان السابق قال: هذا أخذ عن مخنث وليس بثبت[٨].

---

(١) معانى القرآن ٢/ ٢٤.

(٢) وفى حديث جابر رضى الله عنه «قال له: ما السرى يا جابر؟ أى ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت؟ والسرى السير بالليل وسرى وأسرى لغتان (النهاية ٣/ ٣٦٤) سرى).

(٣) ديوان الأدب ٤/ ١٠١، والمصباح ١/ ٢٧٥ واللسان ١٤/ ٣٨١.

(٤) ديوانه / ٢٢٤.

(٥) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٩٤.

(٦) البحر المحيط ٣/ ٣٣٩ والخصائص ٤/ ٣١٩ ويراد سعيد بن جبير.

(٧) البحر ٥/ ٥١.

(٨) الجمهرة ٢/ ٢٤، ٢٥.

وقد عد ابن دريد (فتنت) الصيغة الراجحة فقال: اختلف أهل اللغة فى (فتنت) و(أفتنت) فقال قوم: لا يقال إلا فتنه فهو مفتون، وهى اللغة الكثيرة، وقال آخرون: أفتنه فهو مفتن، وذكر رأى الأصمعى السابق، وقد ذكر الخليل والأصمعى: رابنى هذا الأمر يريبنى: أى أدخل علىّ شكا وخوفا، أو رأيت منه ما أكره وفى لغة رديئة نسبت إلى هذيل: أرابنى[1] ويقال: ضاء السراج يضوء وأضاء يضىء والأخيرة أقوى[2]، وقد يصفونها بأنها لغة قليلة، تقول: غار إذا أتى الغور، وأغار أيضا وهى لغة قليلة، وذكر صاحب المصباح أنه لا يقال أغار، وأن الفراء زعم أنها لغة[3].

وعند الحديث: (فوقع الجبل على باب الكهف فأوطده) أى: سده بالهدم هكذا روى، يقول ابن الأثير: وإنما يقال: وطده وأوطد قليلة فى وطد[4].

وفى كتابه ﷺ لأهل نجران (وألا يغتر واقف من وقيفاه) يذكر ابن الأثير: الواقف خادم البيعة لأنه وقف نفسه على خدمتها، والوِقّيفَى بالكسر والتشديد والقصر: الخدمة وهى مصدر كالخصيصى والخليفى يقال: وقفت الشىء أقفه وقفا، ولا يقال أوقفت إلا على لغة رديئة[5] وذكر الخليل أن (أوفى) بالألف - من (وفى) - هى فى أهل تهامة[6].

وقد أشار المبرد إلى أن الأفصح هو (أوفى) لمجىء القرآن بها فى مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠][7] وأشار بعضهم إلى فصاحة اللغتين.

وفى (هبط) و(أهبط) ذكر ابن دريد أنهما لغتان فصيحتان[8] وعند المبرد أن (أهبط) لغة تميم[9] ويقال فرزت الشىء وأفرزته لغتان جيدتان[10] وقال

---

(١) العين ٨/٢٨٨.
(٢) التهذيب ١٢/٩٦، ١٥/٢٥٢، ٢٥٣.
(٣) النهاية ٣/٣٩٣. والمصباح (غور).
(٤) النهاية ٥/٢٠٤.
(٥) المصدر السابق ٥/٣١٦.
(٦) العين ٨/٤٠٩.
(٧) انظر الكامل ٢/١٨٧.
(٨) الجمهرة ١/٣١١، ٣/٤٣٨.
(٩) الكامل ١/٣٧٥.
(١٠) التهذيب ١٢/٩٦.

الأصمعى فى (غسا) و(أغسى) يقال: غسى الليل وأغسى، وغسى إذ اسود قال العجاج:

من مر أيام وليل مغسى

فهذا من (أغسى) وسمعت رجلا من باهلة منذ خمسين سنة ينشد:

كأن الليل لا يغسى عليه   إذا زجر السبنداة الأمونا[1]

ونرى أن اللغويين - أحيانا - يؤكدون فصاحة اللغتين، وأحيانا فصاحة إحداهما دون الأخرى تبعا للسماع والورود عن العرب وفى القرآن الكريم، وبعضها يأتى مع نسبته إلى أصحابه، وأحيانا لا ينسبون بعضها، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى: **«أسمحوا لعبدى كإسماحه إلى عبادى»** الإسماح لغة فى السماح يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء[2].

وفى الحديث: (**إن أكثبكم القوم فانبلوهم**) وفى رواية: (**إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل**) يقال: كثب وأكثب إذا قارب والكثب القرب[3].

وفى خطبة عائشة (**وأنجح إذا أكديتم**) يقال نجح فلان وأنجح إذا أصاب طلبته وأنجحت وأنجحه الله[4].

وفى حديث ابن مسعود (**كان يصلى الظهر والجنادب تنقز من الرمضاء**) أى تقفز وتثب من شدة حرارة الأرض وقد نقز وأنقز إذا وثب[5].

وفى حديث ابنى مليكة: (**إن أمنا حين رعد الإسلام وبرق**) إلخ أى جاء بوعيده وتهديده يقال: رعد وبرق وأرعد وأبرق[6].

وفى الحديث: (**سألت ربى ألا يسلط على أمتى سنة فترمدهم فأعطانيها**) أى تهلكهم يقال رمده وأرمده إذا أهلكه[7].

---

(١) السبندى: الطويل الجرىء ومؤنثه: السبنداة وناقة أمون: وثيقة الخلق. انظر القاموس ١/ ٣١٠، ٤/ ١٩٩.

(٢) النهاية ٢/ ٣٩٨.

(٣) المصدر السابق ٤/ ١٥١.

(٤) النهاية ٥/ ١٨،

(٥) المصدر السابق ٥/ ١٠٥.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٢٣٤.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٢٦٢.

وفى حديث رافع بن خديج: (وسئل عن كراء الأرض البيضاء بالذهب والفضة فقال: لا بأس إنما نهى عن الإرماث) من قولهم رمثت الشيء بالشيء إذا خلطته وقولهم رمث وأرمث: إذا زاد[1].

والذى عليه جمهور اللغويين أن (فعل) للحجاز و(أفعل) لتميم، وجرى على ذلك المحدثون من علماء اللغة وإن جاء عكس ذلك فقد ورد عن بنى تميم: جبره وبقية العرب تقول: أجبره[2].

قال اللحيانى: تميم تقول: جبرته على الأمر أجبره جبرا وجبورا بغير ألف قال الأزهرى: وهى لغة معروفة وكثير من الحجازيين يقولونها إلا أن بعض اللغويين فرق بينهما فى المعنى فجعل جبر لجبر العظم بعد كسره وجبر الفقير بعد فاقته والإجبار للإكراه[3] وعند بنى تميم (هلك) وغيرهم (أهلك) قال العجاج وهو تميمى:

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدلجا

يعنى (مهلك) وهى لغة تميم[4].

وتقول تميم: خلا فلان على اللبن وعلى اللحم إذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به وكنانة وقيس يقولون: (أخلى)[5].

ونسبت (فعل) إلى قيس مثل (فتيء).

قال أبو زيد: تميم تقول: أفتأت وقيس وغيرهم: فتئت[6]، وقيس قبيلة بدوية وربما قصد بغيرهم أهل الحجاز.

وتنسب صيغة (فعل) للكلابيين فى تعس وأتعس يقال: تعس بنفسه وأتعسه الله وروى تعس بفتح العين[7]. وهذا يدل على أن بعض القبائل تتأثر بالأخرى للاتصال بينها.

---

(١) النهاية ٢/ ٢٦١.
(٢) اللسان ١/ ٥٣٤.
(٣) التهذيب ١١/ ٦٠.
(٤) اللسان: (هلك).
(٥) المصدر السابق (خلى).
(٦) التهذيب: ١٤/ ٣٣٠.
(٧) المصدر السابق ٢/ ٧٨.

فعل وافتعل

جاءت صيغ من هذا النوع من الثلاثى وغيره بمعنى وهى ـ دون ريب ـ ترجع ـ فى معظمها ـ إلى اللهجات وإن لم يسم أصحابها فى كتب اللغة، من ذلك: فرى فريا وافترى افتراء إذا كذب وهو افتعال من الفرى، وفى القرآن الكريم عن بيعة النساء ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢] وجاء مثله فى الحديث[١].

وجاء القود بمعنى القصاص، وقاده به وأقاده قتل القاتل بدل القتيل واستقاد الحاكم سأله أن يقيده واقتاد منه يقتاد افتعال منه وفى الحديث: **(من قتل عمدا فهو قود)** ويقال: قاد البعير واقتاده: جرى خلفه[٢] ويقال: مك الفصيل ما فى ضرع الناقة وامتكه إذا مص كل ما فيه من اللبن[٣] ومن ذلك: نضا السيف من غمده وانتضاه: أخرجه ومن افتعل جاء انتضى فى حديث على حين ذكر عمر فقال: **(تنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما)** على معنى استخرجها من كنانته[٤].

ويقال: نظرت فلانا وانتظرته: إذا ارتقبت حضوره، ومن الأول (الثلاثى) ما ورد فى حديث أنس قال: **نظرنا النبى ﷺ ذات ليلة حتى كان شطر الليل**[٥]، ومن ذلك: همط ماله وطعامه وعرضه، واهتمطه أخذه مرة بعد أخرى من غير وجه.

وفى الحديث أنه ﷺ **(سئل عن عمال ينهضون إلى القرى فيهمطون الناس فقال لهم المهنأ وعليهم الوزر)**[٦].

ويقال: قص الأثر واقتصه إذا تتبعه وجاء فى الحديث عن غسل دم الحيض: **(فتقصه بريقها)** على معنى تزيله من الثوب بأسنانها وريقها ليذهب أثره كأنه من القص[٧].

---

(١) النهاية ٣/ ٤٤٣.
(٢) المصدر السابق ٤/ ١١٩.
(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٤٩.
(٤) المصدر السابق ٥/ ٧٣.
(٥) المصدر السابق ٥/ ٧٨.
(٦) المصدر السابق ٥/ ٢٧٤.
(٧) المصدر السابق ٢/ ٤٧٧.

ضميرا الخطاب

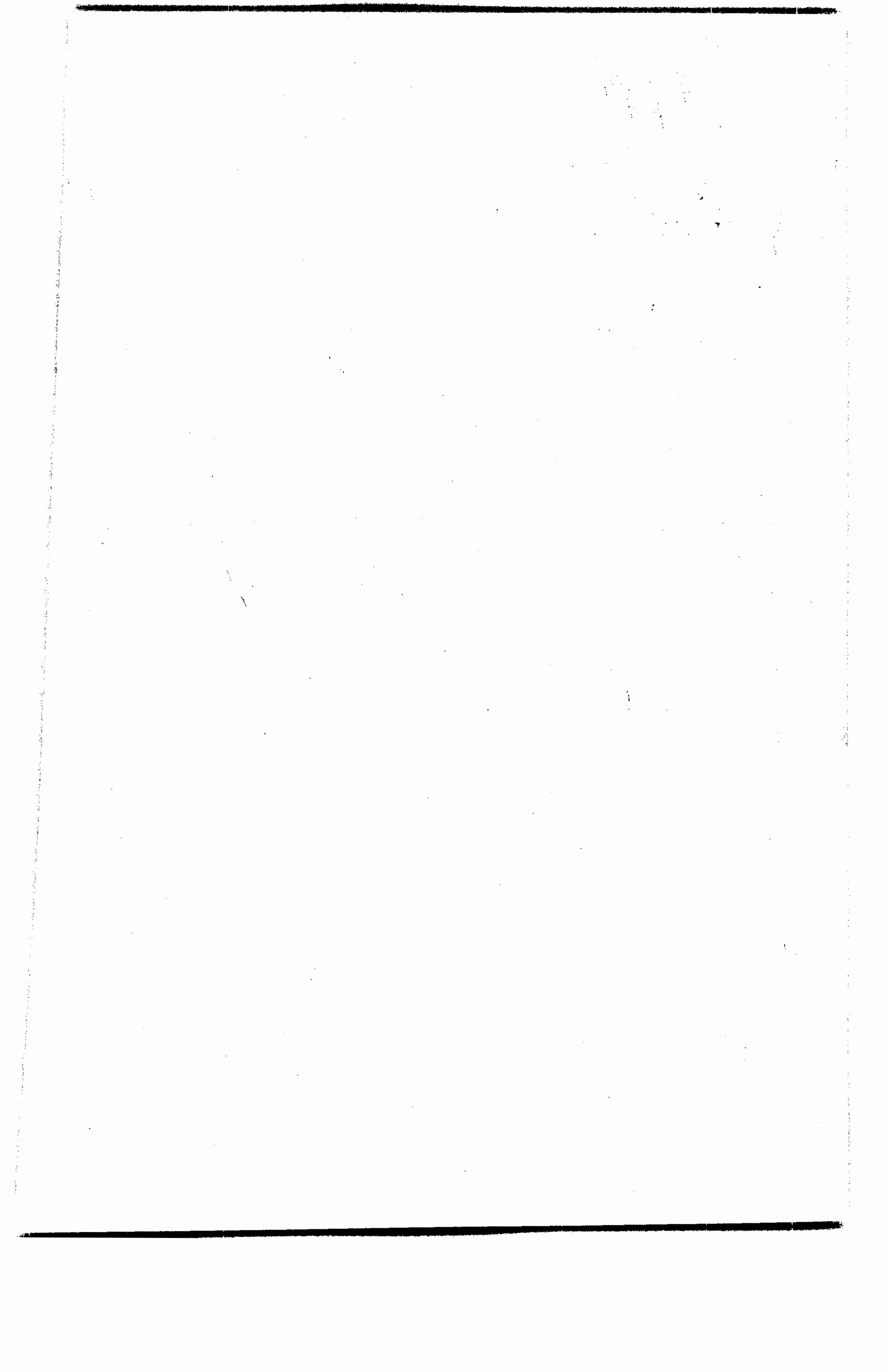
نلاحظ أن التاء والكـاف تستعـملان ضمـيرين لخطاب المذكـر، والمؤنث، فمع المذكر يفتح كل منهما، ومع المؤنث يكسران تقول: حضرتَ وحضرتِ، وشاهدتكَ وشاهدتكِ، وهذا شائع عند جمهور العرب.

وقد تشبع فتـحة المخاطب المذكر فتنشأ عنه ألف، وتشبع كسـرة المخاطبة المؤنثة فتنشأ عنها ياء فيقال: حـضرتا - حضرتى - شاهدتكا - شاهدتكى - وهذا ينسب لربيعة وتجرى عليها اللهجة العامية فى مصر.

وبهذه النماذج المتعددة للهجات نتـأكد من وجود لهجات عديدة فى الجزيرة وإن كانت القرشية قد سيطرت وأصبحت اللغة العامة للعرب جميعا.

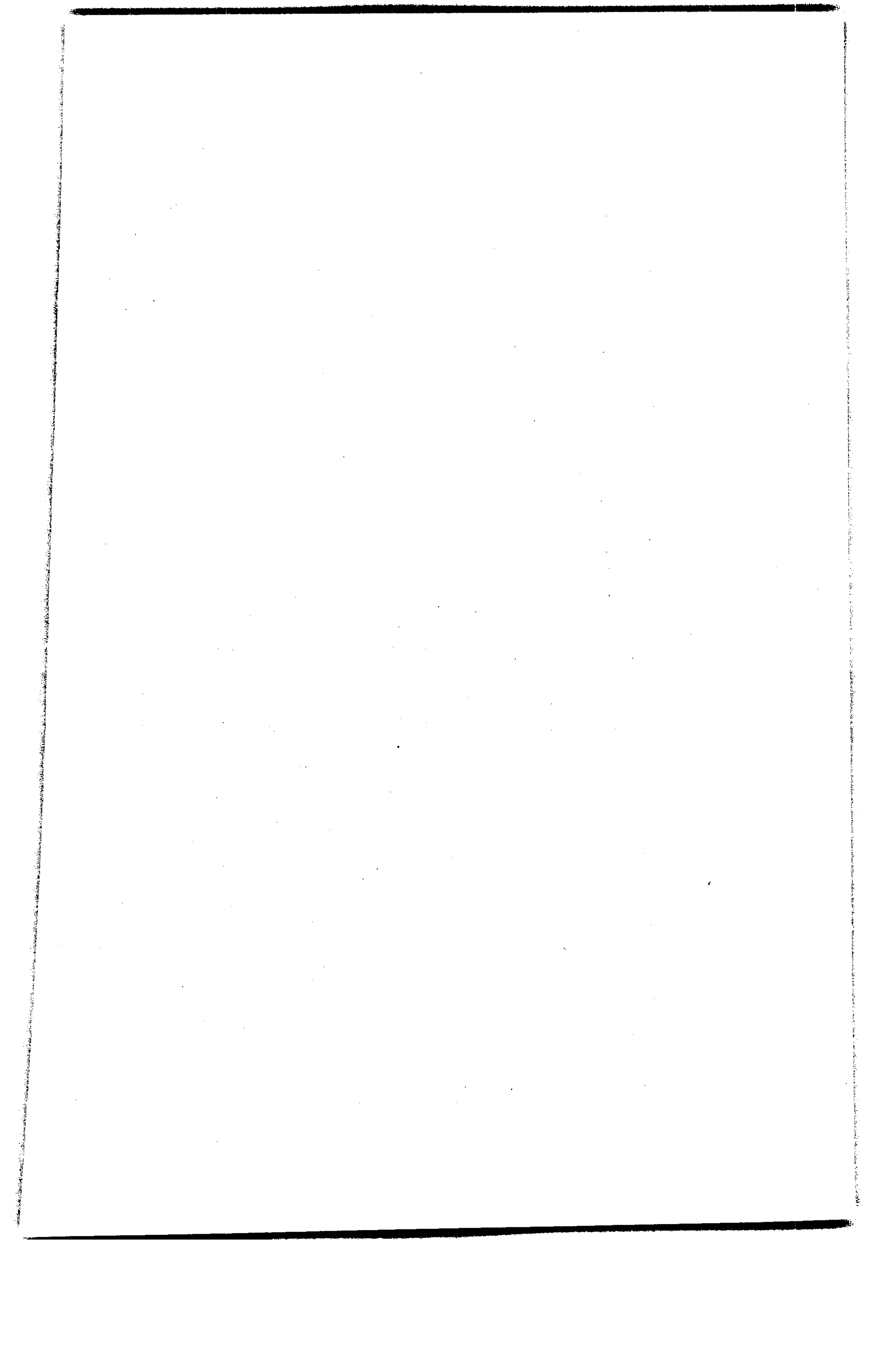
ولو أن الرواة اهتموا بهـذه اللهجات لنقلوا لنا فيضـا كبيرا كنا قد اسـتفدنا منه لكنهم - لخوفهم على القرآن الكريم ولغته - اهتموا باللغة العامة ولم يأبهوا لهذه اللهجات فنسى مـعظمها وتاه فى الجزيرة وقضى عليـه، على حين أننا نشاهد بقايا هذه اللهجـات يظهر واضـحا فى كتب النحـو، التى تحاول أن تخلط اللهـجات، وتستخلص القـواعد منها وتدافع عنها بالفلسفات كـما نرى ذلك عند إعراب المثنى بحاليه الـلذين أشرنا إليهمـا وعند إعراب قراءة ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣] بتشديد (إنّ) وقراءة ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠] برفع (مؤمنان) فـتذكر كتب النحـو كثيرا من الآراء ومن الممكن أن نـكتفى بتعليل واحد قـريب وواقعى، وهو أن هاتين القـراءتين جاءتا حسب لهـجة عـربية تلزم المثنى الألف فى جـميع أحوال إعرابه، وبهذا نريح التفكير العقلى من أن يضل فى متاهات النحاة.

****



الباب الخامس

الدرس اللهجى الحديث



دراسة اللهجات:

تعد دراسة الـلهجات dialectology[1] دراسة مهمـة من الدراسات اللغوية فى العصر الحديث، وهى من فروع علم اللغة العام: Linguistics.

وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر الـلغويون الغربيون إلى دراسة اللهجات المتفـرعة عن لغاتهم، بل حاولوا أن ينـشروا بين الناس الاتجاه إلى الفصـحى ونبذ العـاميـات لأن فى الفصـحى ما يحـافظ على كـيانهم الحـضارى والأدبى، فـهم يحافظون على الـفصحى من لغـاتهم حتى يستطيـعوا أن يحافـظوا على وحدتهم الثقافـية والقومية فـإن تلك اللغات قد وعت لهم تاريخ أجيال وحـضارات مضت ونقلتها إليهم بحيث يستطيعون فهمها ووعيها، فهم يتصلون بماضيهم، وحاضرهم ومسـتقبلهم، أما لو اتجـه الناس إلى العاميـات فسوف تصـرفهم عن تراثهم وتمزق وحدتهم وتقضى على أملهم فى المسـتقبل ولذلك حذر العلماء هناك من اسـتعمال العاميات وطلبوا من مجتمعاتهم أن يحافظوا على فصحاهم، بل حاولوا ـ ومعهم الحكام ـ ابتكار الطرق والوسائل التى تؤدى إلى منع انتشـار العاميات، ومن ذلك أن الجمـعية الوطنيـة الفرنسية عـهدت عام ١٧٩٤م إلى الأب جـريجوار بأن يضع تقريـرًا بين فيـه الوسائل الناجـعة للقـضاء على اللهـجات الشـعبـية ونشر الـلغة الفصحى[2].

ولم يكن الاهتمام بالفصحى على هذا النحو وحده هو السبب فى إهمال دراسة اللهجات فى تللك الحقبة من التاريخ بل ساعد على ذلك عوامل أخرى أهمها:

---

(١) هو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقـة بحدوث صور من الكلام فى لغة من اللغات، أو علم يدرس اللهجـات باعتبـارها أنظمة لغوية تنشـأ أو تتفرع عن لغـة أو لغات. انظر: المصطلحات العلمـية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤/ ٩٣، ١٥/ ٢٢١.

(٢) علم اللغة د. وافى ص ٤٩.

١- توجه الدراسة إلى الفصحى وبيان خصائصها واتجاهاتها لأنها - مع غرض الحفاظ عليها ودوام استمرارها ـ معبدة الطرق واضحة المسار مستقرة النظم ممتدة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها والنظر فى أمرها على العكس من اللهجات الشعبية التى يحتاج تحديد مسارها ونظمها وسماتها إلى دارسات دائبة وجهود يتجشمها الباحث فيها ويحتاج معها إلى أزمان طويلة لاستخلاص حقائقها وما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية والبيئية للشعوب.

٢- العلماء -آنذال- كانوا يحبون الدعة والهدوء ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعى الأسفار ولا مشقات الانتقال.

أما اللهجات فتحتاج ـ لتتبع خصائصها والتعرف على ظواهرها - إلى تنقل وترحال لملاقاة أربابها فى بيئتهم دنت أو نأت، سهلت أو صعبت، مع ما يصحب ذلك من عناء السفر والرحلات الشاقة.

ولكنها ـ يوما ما ـ فرضت نفسها عليهم وجذبتهم - إن طوعًا وإن كرهًا ـ إلى دراستها وتتبع مناحيها، لأن التطور سنة الحياة، وما فى الكون ـ بشتى ألوانه ـ يتطور، فاللغة لا تخرج عن سنن الكائنات فى هذا الشأن فكما يتطور كل شيء تتطور اللغة.

ولذا ـ على الرغم من محاولات الغربيين أن يمنعوا زحفها ـ وجدنا سيلها يتدفق فى كل مكان، ورأينا انشعاب اللغات الفصحى إلى عديد من اللهجات الشعبية تبعًا لسنة الطبيعة وعوامل الاجتماع ـ فى الداخل والخارج ـ فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها فاضطروا إلى التسليم بالأمر الواقع والاتجاه إلى تلك اللهجات الناشئة حتى يعرفوا خط سيرها فبدأوا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها.

وكما اهتم الفرنسيون ـ وجمعيتهم الوطنية ـ بمحاربة تلك اللهجات ـ أول الأمر - اهتموا أيضًا - بعد أن علموا كغيرهم عدم جدوى محاولاتهم ـ بدراستها، وظهر ذلك واضحًا فى إنشاء شعبة خاصة لدراسة اللهجات الشعبية فى معهد الدارسات العليا بفرنسا على يد أول مهتم فرنسى بها وهو (جاستون باريس) ونهضت دراستها على يد طائفة من العلماء الفرنسيين منهم تورتولون وبرنجييه وأنطوان توماس وألبرت دوزا.

وكذلك على يد غير الفرنسيين كالعالمين الإيطاليين كورنو وأسكولى، ومن أشهر المشتغلين بتلك الدراسة الأب روسلو الذى اهتم بالناحية الصوتية فى اللهجات وجيليرون الذى درس اللهجات من ناحيتها الدلالية.

وقد استعانت هذه الدراسة بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات وما يعرض لها من انقسام إلى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه. فاللغات قد تحيا نتيجة لاستمرار بقائها فى الاستعمال على ألسنة أهلها، وقد تموت لانقراضها من الاستعمال أو تغيرها واضمحلالها، وليس معنى موت اللغة أن يقضى عليها نهائياً بحيث لا يبقى لها أثر لأنها - عندما تموت - تكون قد تركت آثارا فى خليفاتها كما يقول الدكتور السعران:

«إن اللغة اللاتينية لم تمت فى الحقيقة من الناحية التاريخية بل أصابتها تغيرات عميقة أنتجت أشكالاً حديثة لها أبرزها: البرتغالية والقشتالية ولغة قطالونيا ولغة بروفانس والفرنسية والإيطالية ولغة رومانيا والأسبانية، وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أنا نحس إذا نظرنا إلى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة»[1].

ووصل العلماء ـ فى أمر التوحيد والانقسام ـ إلى نتائج ذات قيمة علمية كبيرة، فاللغات ـ متأثرة بحتمية العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية ـ تميل إلى الانقسام أكثر من التوحد وهذا رأى بعض اللغويين، وهو اتجاه تؤيده الدلائل الواقعية، فاللغات ـ منذ آدم عليه السلام ـ يتوالى عليها الانقسام بعد التوحد، وهى على هذه الحال فى شتى بقاع الأرض إلى اليوم، ولم تستمر ـ حتى الآن ـ لغة واحدة على طبيعتها دون تفرق إلى لهجات.

بيد أن (يسبرسن) يرى أن القوى الموحدة كانت فى العصور التاريخية أقوى - فى حقيقة الأمر - من القوى المقسمة[2] ويستدل لذلك بكثرة المتكلمين بكل لغة فى الأزمان الحاضرة عنها فى الأزمان الماضية.

---

(١) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص ١٦٧، ١٦٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠.

ولكن الرأى الأول تسانده ظواهر اللغات العالمية - دون ريب - وكثرة عدد المتكلمين لا يعنى توحد اللغة، فهذا قد يحدث مع تشعبها وانقسامها فكيف توصف بالتوحد مع الانقسام؟

وقد حدد العلماء الأسس التى تؤدى إلى ظهور لغة عامة وإلى استمرار التوحد اللغوى لأمة اكتملت لها تلك الأسس كالاتصال والاختلاط بين المتكلمين وشيوع الأدب والثقافة بعناصرها المتعددة. وما يصحب ذلك من حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية وإعلامية.

واللغات قد تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض وقد تبقى فى حيز ضيق من الوجود وربما توسط حالها كل ذلك يخضع لعوامل الانتشار والتعثر وعدم الانطلاق فمع أهلها تدخل أراضى جديدة وتتصارع مع لغات جديدة، نتيجة الغزو والاستعمار أو مع زيادة الناطقين بها زيادة طبيعية عن طريق النمو وذلك قد يدعو إلى انقسامها وقد تساعد على ذلك عوامل أخرى اجتماعية وسياسية ثقافية ونفسية وفسيولوجية وجغرافية فلا ريب أن الجماعات المختلفة على هذا النحو تختلف لغاتها بل تنقسم إذا كانت واحدة ثم اختلفت عليها هذه العوامل، بل إن الإقليم الواحد كجمهورية مصر العربية تنقسم فيه لغة المحادثة إلى ألوان شتى من اللهجات المحلية لاختلاف البيئات - نسبياً - بين أهلها فى مدنها وقراها فنحن نستطيع أن نلمس هذه الفروق من سيرنا فى تلك الأماكن فمن مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى أخرى نلمح مظاهر هذا الاختلاف بين اللهجات، فعلى حين ينطق بعضهم (يقول) ينطقها آخرون (يئول) وآخرون (يجول) وكان بعضهم يعبر عن السيارة بكلمة (كومبيل) وبعضهم (أتومبيل) وبعض ثالث (ترمبيل) والآن بعضهم يقول سيارة وبعضهم عربية وساقية المياه يسميها بعضهم (تابوت) وبعضهم (طبلية) وبعضهم (حلزونة) وبعضهم (حلوفة)، وهكذا تختلف وتتنوع وتتغير من وقت لآخر على حين تبقى مع ذلك اللغة العامة مفهومة للجميع ومستعملة فى الكتابة والأمور الرسمية كلغة قومية وهى - عندنا - العربية الفصحى التى تربط بين الأمة العربية فى شتى أقطارها.

والملاحظ أن لكل بيئة لهجاتهـا الخاصة التى تنبع من حـياتها والمؤثرات عليـها فهناك لهـجات خـاصة تبعًـا للطبقـات المتعددة فلهـجة للأرستـقراطيـين وأخرى للزراعـيين وثالثـة للتجـاريين ورابعـة للبحـريين، وخـامسـة لأرباب الصناعـات والمهندسيـن وسادسة للرياضـيين وغيـر ذلك من ألوان اللهجـات التى تناسب كل الفئات الاجتـماعية ولذا يطلق علماء اللغـة المحدثون على هذا اللون اللهجى اسم (اللهجات الاجتماعية) وأهم تلك اللهجات ما يسمونه: (اللهجات الحرفية)[1].

ويرى بعض علماء الأنتوجرافيا أن لهجات هذا النوع ترتجل ارتجالاً ويتفق عليها من أفراد الجماعـة المتكلمة بها ولكن الرأى السديد هو أنها تخـضع لعوامل النشأة الاجتماعية والبيئـة التـى تحياها تلـك الـطوائف مـع تسليمنا بأنه ربما نشأ اصطلاح أو أكثر عن طريق الاختراع ثم شاع استعماله بالتقليد ولكن هذا ليس ظاهرة عامة.

كل ذلك الانقـسام واخـتلاف اللغـات واللهجـات قد خـضع لعوامل كـانت الدراسة الغـربية فـاتحة له وممهدة طريقـه وواضعة أسـسه العـامة والخاصـة حتى أصبحت له قـوانين العلم التى طبقت ـ قديمًا ـ على اللغات الـهندية الأوربية وانقسـاماتها إلى طـوائف لغوية كبـيرة[2] وعلى اللاتينية ـ إحدى لغـات الفرع الإيطالى من هذه المجموعة اللغوية ـ فقد انشعبت إلى عـدة فروع لهجية - فى أواخر العصور الوسطى ـ هى: الفرنسيـة والإيطالية والأسبانية والبرتغـالية ولغة رومانيا[3].

وعوامـل تكوين اللغة العـامة برزت فى دراسـاتهم ـ أيضًا - فقـد لوحظ أن التغيـرات الفردية لا تؤثر تأثيرًا فعـالاً فى هذا المجال، بل الاعتمـاد على العوامل الاجتماعية متضافرة، فقد كانوا ـ كما ذكر الدكتور السعران ـ يفهمون قديمًا «أن الإيطالية قد كونها دانتى والإنجليزية كونها تشوسر والألمانية كونها لوثر والدينمركية كونها كـريستيرن بدرسن فـأظهر البحث أن كل لغة من هذه كـانت مكونة قبل أن

---

(١) علم اللغة د. وافى ص ١٧٣، ١٧٦ واللغة لفندريس ص ٣١٥، ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) لها طوائف ثمان. انظر علم اللغة د. وافى ص ١٨٠ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٠، ١٦١.

يخط هؤلاء حرفًا»[1] كما أن الانقسام إلى لهجات شعبية ومحلية كانت له مبادئ وقوانين عمل الغربيون على إثبات وجودها وتأكيدها بالأدلة السليمة النابعة من التجارب ودراسة الوقائع اللغوية التى تؤكد صحة النتائج.

وقد وصلوا من ذلك إلى تحديد عوامل الخلاف التى تحدث فى صراع اللغات واللهجات وما يعتريها من تشعيب، فقد يكون كثيرًا من الناحية الصوتية ثم يكون - أيضًا - من الناحية الدلالية، أما ناحية القواعد فإنها تكون قليلة وبطيئة التغير عادة.

وإننا نلاحظ ذلك فى لغتنا العربية فالخلاف كبير بين اللهجات الفصحى التى كانت فى الجزيرة مثل العنعنة والفحفحة والاستنطاء وغير ذلك وبعض الألفاظ قد اختلفت دلالتها كما فى وثب عند حمير بمعنى جلس وعند غيرهم من عرب الشمال بمعنى قفز، والسدفة - فى لهجة تميم - الظلمة، وفى لهجة قيس: الضوء[2].

أما الخلاف فى القواعد - كالبنية والاشتقاق والجمع والتأنيث والنسب والتصغير وتكوين الجمل - فهو قليل وهكذا فى اللهجات العربية الحديثة.

وقد ظهر من ملاحظة تلك العوامل وظواهر الانقسام ودراسات المحدثين من الغربيين ومن تابعهم أن تكوين لغة عالمية أمر بعيد المنال، فما دام البشر مختلفين فى طبيعة بيئاتهم وأجسامهم وثقافاتهم والعوامل التى تتغلب عليهم فلا يمكن اتحاد لغاتهم لأنها سوف تخضع لتلك العوامل وتتأثر بها فمهما تكن واحدة فى أول أمرها فسوف يعروها الانقسام وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

واللغوى الحديث يدرس اللغة من وجهين:

١- اللغة من الناحية التنظيمية والتركيبية الموروثة: والتى تكون مجموعة من القواعد والقوانين تختزن فى عقول الجماعة الناطقة بها وتطبقها فى ميادينها المختلفة للتعامل والسلوك الإنسانى.

---

(١) اللغة والمجتمع د. السعران ص ١٧٣.

(٢) المزهر ط الأولى ١/١٨٨، ١٩١.

٢- اللغة فى تطورها الاجتماعى والتاريخى: فالإنسان كما تنتقل أحواله البيولوجية ووظائفه العضوية من طور إلى آخر فى مراحل يمـر بها المجتمع البشرى بأسره فكذلك عاداته وتقاليده وظواهر الاجتمـاع التى تتصل به ومنها اللغة التى عراها ويعروها الاختلاف والانتقال بمرور الأجيال والعـصور فتتغير وتتلون بألوان تتأثر بحال الإنسان ومرور الأحداث المتقدمة به من ثقافات وتجارب تتقدم به أو تتأخر وتستحدث أمـوراً وتتخلص من أخرى مضى عليهـا الزمن أو غيرها من منظور اجتماعى أو سـياسى أو نفسى إلى غير ذلك مما يؤثر فى الإنسان وفهـمه للحياة فهمًا جديدًا وتخضع اللغة العامة للطبقـات الاجتماعية كما نرى فى لغة العمال والفلاحين والصناع والتجار إلى غير ذلك، ومن هنا تعددت اللهجات وتنوعت بما يسمى اللهجات الحرفية أو الطبقية.

وقد نظر إلى الـلغة المشتـركة على أنهـا النموذج الذى يحتـذى، وأنها المعـيار الأساسى الذى يقـاس عليه ولها قـواعدها، ونظمهـا المعروفة وعلى أن اللهـجات متفرعة من هذا النموذج وداخلة فى إطاره.

****

الأطلس اللغوى

فى العصر الحديث ظهرت طرق ومناهج لدراسة اللغات واللهجات فى الغرب وانتقلت إلى الدراسات اللغوية المعاصرة فى العالم العربى.

وقد ظهرت دراسات لبعض العلماء فى التوزيع الجغرافى فى اللغات واللهجات وإمكان بيان الحدود الجغرافية الفاصلة بين اللغات أو اللهجات التى تنضوى تحت اللغة الواحدة.

اللغات: قرر الباحثون سهولة بيان الحدود الجغرافية للغات فحدود اللغة العربية واضحة المعالم، فهى تمتد فى الجزيرة والشام والعراق وشمال أفريقية ويمكن معرفة نهاية حدودها بابتداء اللغات المجاورة لها من فارسية وتركية وأفريقية وغيرها. وهكذا حال اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية وغيرها حيث يمكن بيان حدود كل منها بطريقة ميسورة.

وهذا فى غالب الأمر، وقد يصعب إيجاد فاصل بين اللغات، بأن توجد فى بقعة واحدة، توجد بينها حواجز، كما فى سويسرا، ففيها أربع لغات هى: الألمانية والإيطالية والرومانية والفرنسية، فمناطقها يصعب الفصل بينها لخضوعها لنظام سياسى واحد واختلاط شعبها بعضه ببعض وهكذا شأن اللغات المتجاورة فالفروق بين اللغتين المتجاورتين تختفى فى الأقاليم الحدودية الانتقالية.

وكذلك اللغات المتقاربة فى الأصل اللغوى كالفرنسية والإيطالية فمع إمكان وضع نقاط انتقال محصورة بينهما لا يبقى هذا الخط عند حدود اللغتين وكذلك الحدود بين الفصحى ولهجاتها فلا نستطيع أن نبين بداية الفصحى الألمانية thigh German ونهاية الألمانية المبتذلة Lew German وهناك خصائص وسطية تربط اللغات المتشابهة بعضها ببعض وقد تختفى فيحصل الاختلاف الواضح.

وهذا ينطبق على طوائف اللغات كالهندوأوربية والسامية وغيرها، وهجرات السكان تقضى على الاختلافات وتقربها مع عدم تفكك سلسلة المناطق اللغوية.

اللهجات: يصعب رسم خط جغرافى لـلهجات التـى تنتمى إلى لغـة واحدة للصلات القوية بين الناطقين بها لأنهم أبناء أمة واحدة. وبناء على ذلك.

١- أنكر بعض الباحثين وجود لهـجات فى اللغة الواحدة بناء على أن المكان واحد لا يمكن تجـزئته، كمـا أنه ليس من الممكن التـفريق بين الخـصائص الصـوتية والصرفية والمعجمـية، ومن هؤلاء: بول مـيرو وجـاستين بارى الـذى يـقـول: لا يوجد أى حد حـقيقى يفصل بين فرنـسيى الشمال وفرنـسيى الجنوب فصور التكلم الشـعبيـة عندنا تمتد على أرض الوطن من طرف إلى آخـر كأنهـا بساط نضحت ألوانه المتنوعة فى كل نقطة منه بعضها على بعض وأصبحت درجات لا يكاد يتميز بعضها من بعض، وكذلك جوهان شميدت صاحب نظرية الأمواج، فالظواهر اللغـوية متداخلة كالموجات بحـيث يتعذر الفصل بينهـا أو بيان حدود كل منها.

وقد طبق ذلك على دراسة الـلغات الهندية الأوربية، وقرر عدم وجـود لهجات فيـها، وأن الخط الفاصل بين اللغة والـلهجة يصعب فى غـالب الأحيان تتبـعه ورسمه[١].

وقد ينظر إلى تصنيف اللهجات على أساس من سماتها الخاصة على أنه شىء من صنع الخيال إلى درجـة كـبيرة، ففـى الولايات المتحـدة الأمريكية - مثلاً - لا يوجد ما يمكن أن يـسمى لهجة جنوبية أو لهـجة غربية وسطى أو لهـجة نيو إنجليزية، ولكن توجد سلسلة من الخصائص المحلية غير المتناهية مع بعض ملامح مشتركة من ناحية، وملامح متباينة من إقليم إلى إقليم من ناحية أخرى[٢].

٢- وقال بعض الباحـثين: إن الفصل بين لهجات اللغـة الواحدة يمكن عن طريق التعرف على السـمات والخصائص البارزة لكل لهـجـة ممـا يـوجد فى منطـقـة ولا يوجد فى الأخرى، ومن هؤلاء مـييه الفرنسى ونص عبـارته: «هناك لهجة

---

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ٢١١ وفصول فى علم اللغة العام لـ(ف. دى سوسير) ص ٣٥٤ وما بعدها بتصرف.

(٢) المصدر السابق ص ٦٩.

محددة فى كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فإنه يبقى أن كلا منهما تتميز فى مجموعها ببعض السمات العامة التى لا توجد فى الأخرى... فإن كلا من اللهجتين فى مجموعها قد اشتملت على خصائص عديدة واضحة إلى حد يجعلها فى مأمن من الخلط بينها»[1].

ويذكر بعض الباحثين: هناك على سبيل المثال خط افتراضى واضح محدد يمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى يخترق معظم الأرض الألمانية وعلى أحد جانبى هذا الخط يقول المتكلمون dat وعلى الجانب الآخر يقولون das، وإذا كان هذا الخط الافتراضى لا يتطابق دائمًا مع الواقع فإنه ـ غالبًا ـ ما ينظم الظواهر فى شكل حزم أو مجموعات مع اختلافات يسيرة نسبياً، وإذا أخذ المرء المتوسط أو المعدل لهذه الخطوط الفاصلة فإنه يمكنه أن يحدد خطاً مفردًا يفصل منطقة لهجة رئيسية عن غيرها، وهذا هو أساس الطريقة العلمية لتصنيف اللهجات الرئيسية فى لغة معينة[2].

ويذكر فرديناند دى سوسير «من الممكن أن نحدد اللهجة بخصائصها الكلية التى تتضمن اختيار نقطة محددة على الخريطة، ومن الممكن ـ أيضًا ـ أن نحدد اللهجة بإحدى مميزاتها ونحدد بيد مدى انتشار هذه الميزة أو الخصيصة».

ويقول الدكتور أنيس: «متى برزت صفات خاصة واتضحت للسامين وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة، أمكن القول إن هناك لهجة قد نشأت وتميزت وتدرس على أنها لهجة متميزة»[3].

وهذا من شأنه أن يقرب المطلوب، ولكنه لا يؤدى إلى بيان الحد الفاصل الدقيق بين لهجة وأخرى.

---

(١) اللغة ص٣١٢.

(٢) أسس علم اللغة لماريوباى ص ٧٠.

(٣) فى اللهجات العربية ص١٧.

فلهجات اللغة العربية ـ مثلاً ـ يمكن التعرف على خصائص كل منها مصرية أو سورية أو عراقية إلخ، ولكن لا يمكن أن يعرف ـ بالتحديد ـ المكان الذى تنتهى عنده السورية أو غيرها للتداخل الشديد بينها.

وقياسًا على ذلك فاللهجات المحلية فى أى قطر يمكن أن تخضع لهذا المقياس من حيث الخصائص والمميزات، فطرائق النطق بينها مختلفة، فبعضها يميل فى مثل (عليه ـ إليه) وبعضها ينطق القاف همزة وبعضها جيما، وأخرى تحول الكاف إلى قاف فى نطق بعض الكلمات كما يلاحظ ذلك فى اللهجات العامية فى مصر.

وهكذا بيان كل ما يكشف عن الفواصل بين اللهجات بحيث يمكن معرفة خصائص وسمات كل منها.

وعلى هذا المنوال سائر اللهجات العربية فى أقطارها المتعددة ويبدو أن هذا الرأى جدير بالاتباع.

وقد كانت الدراسة القديمة تعتمد على الشواهد والنماذج وملاحظة ما تحتوى من نظم وقوانين تدرك بالتجارب الذاتية التى تقوم على المشافهة والتلقين والنقل عن السابقين.

ولا ريب أن الأطلس اللغوى كانت له بذوره فى دراسات علمائنا القدماء حين جمعوا النصوص اللغوية التى استخلصوا منها قواعد اللغة العامة، وفيما جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات السائدة فى بعض مناطق الجزيرة.

وفى العصر الحديث جدت الأجهزة والآلات المعملية وطرق القياس المستخدمة التى يسرت دراسة اللهجات وتحديد خصائصها والأماكن التى تنتشر فيها فيما يعرف بالأطلس اللغوى أو الجغرافية اللهجية [1] Linguistic Geography or Dialect Geography.

وذلك على أساس من علم اللغة الجغرافى لأن العلاقة قائمة بين اللهجات وبيئاتها الجغرافية.

وقد بدأ ظهور الأطلس اللغوى على يد اللغويين التاريخيين لأغراض تاريخية فى معظمها ثم أصبح ينحو المنحى الوصفى العلمى فى مجال البحث اللغوى [2]

---

(١) انظر: أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٣١.

وقد ظهرت فكرة الأطالس اللغوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٨٦م) وكان (وينكر Wenker) فى ألمانيا و(جيليرون Gillieron) - واضع علم اللغة الجغرافى[١] - فى فرنسا من أوائل المهتمين بوضع هذه الأطالس للغتين الألمانية والفرنسية ولهجاتهما ووضعوا شروط هذا المنهج الجديد للدراسة اللغوية حتى تخلو بهذا المنهج من الخطأ وتتجه ناحية الصواب، ثم امتد هذا النشاط العلمى اللغوى إلى دول أخرى كسويسرا والنرويج والسويد والبرتغال وإيطاليا وأمريكا وبعض البلاد الشرقية.

وفكرة الأطلس اللغوى نالت اهتمامًا كبيرًا فى العصر الحديث لتحديد جوانب مفيدة فى علم التاريخ اللغوى، ويبدو هذا فى الصيغ الحية للغة أى بلد، بالإضافة إلى ما تحويه من خصائص لهجية متنوعة، وقد ساعد هذا كثيرًا علماء اللغة التاريخيين، وبخاصة عند تحديد معالم التغير التى تمت فى الماضى حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة، أو غير كافية[٢].

ومع ذلك فحتى هذا الوقت لا توجد إلا مناطق ضئيلة جدًا هى التى وضع لها أطلس لغوى[٣].

ويهتم علماء الأطالس اللغوية بدراسة الظواهر اللغوية الحديثة المتكلمة، ويهتمون بالناحية العملية التى تنتقل إلى حقل التجربة.

وهم يجمعون المادة اللغوية المطلوبة من الأماكن المحلية التى يقع عليها الاختيار من إقليم ما - رسمت حدوده - لعمل خرائط له، مع الاستعانة براو يمثل

---

(١) وظيفة علم اللغة الجغرافى أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات فى مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية وطرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض. ماريوباى ص ٣٧. علم اللغة الجغرافى هو التطبيق العملى الحديث لعلم اللغة، وعلم اللغة الجغرافى يغطى بشىء من التفصيل الوضع الحالى للغات العالم من حيث عدد المتكلمين والتوزيع الجغرافى ص ٦٤. وانظر أيضًا ص ١٨٥، وتدرس فيه العوامل التى تؤدى إلى تقدم لغة أو تقهقرها وإحلال غيرها محلها ص ٧٢.

(٢) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٢ وانظر أيضًا ص ٣٧، ٢٢١.

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٠.

المتكلمين المحليين وكذلك الاستعانة بمسجل لغوى مدرب تدريبًا دقيقًا على كيفية الإجابة على الأسئلة.

ويجرى البحث بتحديد مجموعات الكلمات والعبارات والجمل التى يسبق إعداد مقابلات لها من اللغة العامة أو بتحديد الظاهرة أو الظواهر اللغوية التى يراد دراستها.

ويرتب ذلك فى صورة أسئلة يجيب عليها الراوى اللغوى، والمادة التى ينطقها الراوى اللغوى إما أن تكتب بالطريقة الصوتية أو تسجل على جهاز تسجيل، أو تستخدم الطريقتان معًا.

ثم تجرى مرحلة المقابلة والمعارضة بين كل كلمة أو عبارة أو اصطلاح أدلى به الرواة اللغويون المحليون وبين المقابلات لها من اللغة العامة، وتستخلص من المقارنة النتائج وتوضع على خريطة مستقلة للمنطقة.

ولهذا اللون من الدراسة طرق متنوعة عند العلماء والباحثين المشتغلين بعلم اللغة الجغرافى.

ففى ألمانيا برزت (طريقة وينكر) وتقوم على جمع إحصائى تحدد فيه عدة خصائص أو كلمات أو عبارات من اللغة الفصحى أو العامة تمثل مظاهر لغوية متعددة صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية ودلالية، وينظر إليها على أنها المقياس المعيارى.

ويقوم المسجل اللغوى باستطلاع رأى الراوى اللغوى الممثل لنطق اللغة المحلية أو اللهجة التى يراد دراستها، فيسجل الكلمة أو العبارة أو الجملة التى ينطقها الرجل العادى فى الشائع من الاستعمال اللغوى فى الحياة العادية للمجتمع مما يقابل النطق النموذجى للغة العامة.

وبعد ذلك تفحص الإجابات - لعدد كبير من الرواة اللغويين، والتى سجلها المسجلون اللغويون - ويقارن النطق الذى فى اللغة أو اللهجة المدروسة بالنظام أو الاستعمال اللغوى النموذجى، وتستخلص النتائج المستنبطة من الإجابات على

الأسئلة المدونة، ثم توضح هذه النتائج على خرائط لغوية، وتصنف على حسب مجالات الدراسة من حيث الأصوات المفردة والكلمات والجمل والدلالة والقواعد التى تخضع لها.

وفى فرنسا برزت (طريقة جيليرون) فى لون آخر من عمل الخرائط اللغوية.

وفيها تختار البلاد أو الأماكن التى يجرى فيها البحث من البلاد التى لها تأثير لغوى واضح فيما حولها من الأماكن بحيث تمثل بيئة لغوية واسعة.

وتوضع أسئلة فى صورة مجموعات كل مجموعة تتعلق بدراسة إحدى الظواهر اللغوية أو عدة ظواهر يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقًا، وتعرض هذه الأسئلة على أهل البلاد التى تجرى فيها دراسة اللهجة أو الظاهرة اللغوية عن طريق الرواة اللغويين أيضًا، ويقوم بعمل الإحصاء مسجل لغوى مدرب كذلك.

وبعد جمع الإجابات تدرس ليمهد ذلك لمعرفة الخصائص والسمات للهجة أو اللهجات التى يقصد دراستها فى مجال الأصوات أو صيغ الألفاظ أو طرق التعبير إلى غير ذلك، ثم تسجل هذه النتائج على الخريطة الخاصة بها.

ويحتوى الأطلس اللغوى فى فرنسا -على سبيل المثال- على خريطة منفصلة كبيرة لكلمة «حصان» -كما تستعمل فى لغة الكلام- فى حوالى خمسمائة منطقة فرنسية مختلفة، وهناك خرائط لكلمات أخرى، والمحصل النهائى لهذه الخرائط يعطينا مجموعات من الخطوط المتقاطعة التى تمثل كل منها واحدة من الخمسمائة لهجة محلية ليس فقط فيما يتعلق بالمفردات ولكن أيضًا فيما يخص مجموعات الكلمات التى تخدم الغرض النحوى، وبهذا يصبح من الممكن تمامًا استخلاص نحو وصفى لكل لهجة من تلك اللهجات المحلية باتباع أسس التحليل الفونيمية والصوتية[1].

وفى طريقتى وينكر وجيليرون يشترط فى الرواى اللغوى أن يكون من أهل المنطقة المدروسة الأصليين الذين لم يغادروها ولم يتأثروا بغيرهم ثقافياً

---

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٣.

أو اجتماعياً، وأن تتوافر فيه المقـدرة اللغوية على تمثيل النطق الصحيح لأهل بيئته، وأن يتوافر عنده قدر كـبير من الوعى والفهم للأسئلة بحيث يمكـنه الإجابة عليها دون تعثر أو انحراف.

وأن يكون صادق القـول غير واقع تحت مؤثرات تجـعله يخفى بـعض الإجـابة أو يجيب بغـير المطلوب، أو يعطى بيانات غيـر صحيحة أو غـير دقيقـة لأسباب أخرى.

«وكلما كان الراوى اللغوى أقل ثقافة كان أفضل لأن المتعلمين، أو الأكثر تعلما فى المنطقة تتأثر لغتهم بمعلوماتهم واحترامهم للغة الأدبية الوطنية»[1].

وفى الأطلس الفرنسى لم تحدد خصائص أو عبارات مـعينة يقاس عليها كما فى الطريقة الألمانية. وبهذا يمكن أن نميز الطريقـة الفرنسية بأن المسجلين اللـغويين لا يؤثرون على المتكلم الذى تدرس لهجتـه بل يترك على طبيعته ليقـول ما يشاء، أما الطريقة الألمانيـة فقد فرضت نظمـا معينة تتطلب الإجـابة بما يمكن أن يتكلف لها المجيب أو يحور من طريقـة الإجابة تبعًا للتأثير النفسى والـلغوى عليه، وإن كانت الطريقـة التى اتبعـها النظام الألمانى تأخـذ فى الاعتـبار شـمول النواحى المتـعددة للاستعمال اللغوى مما يجعلها أوسع وأشمل.

والأطلس اللغوى يحوى خـرائط متعددة للوقوف على ظواهر اللغـة أو اللهجة مع الاستعانة ببعض النواحى الهندسية.

وعلى هذا فالأطلـس اللغـوى يقوم على عمل خرائط لبيـان أصوات أو كلمات أو تراكيب لغة أو لهجة معينة أو عـدة لهجـات وتوضيح صـلتها باللغـة الأصـلية أو بأخواتها من اللغات أو اللهجات الأخرى.

وعمل الأطالس اللغوية يعـتمد ـإلى حد كبيرـ على مـفردات اللغة وهو عمل لغوى يتم تحت ظروف البيئة المعينة[2].

---

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٣١ بتصرف.

وتتجلى أهميـة هذه الخرائط اللغوية فى أنها توقفنا على بيـان النواحى الصوتية واختـلاف الألفاظ تبـعًا لاخـتلاف المناطق وأوجـه الشبه بـين اللغات واللهـجات ومظاهر الاختلاف بينها على نحو دقيق.

ويخضع ذلك لطرق قياسية محددة لـتوضيح ما يتعلق بالنواحى اللغوية المتنوعة على المستوى الصوتى والدلالى للغة واحدة ولهجاتها أو للغات لها علاقة بها أرقى منها أو أدنى، وهذا يتطلب عمل إحصاءات تتوقف عليـها النتائج العلمية اللغوية، وهذا يتوقف على نوع الإحصاء العمـيق الدقيق أو السطحى الموجز، وكلما لوحظ التوحد فى طرق القياس والإحصاء كان ذلك داعيًا إلى دقة النتائج.

والذى ينبغى عمله -فى هذا- هو الاستعانة بالمعلومات الدقيقة وجمع المادة التى تمثل ظواهر اللغة أو اللـهجة بشمـول واف فى مختلف المناطق وأن تلاحظ كـفاءة الرواة اللغويين والمسجلين بحيث تأتى النتائج دقيقة سليمة فلا تختلف من راو إلى آخـر ولا من مسـجـل إلى غيره، ولابـد من تحـديـد الأسئلة التى ستلقى بحيث لا تختلف بين المسـئولين، وألا تكون هناك عوامل مـؤثرة فى اختـلاف الإجـابات أو صدقها.

وعن طريق الأطالس اللغوية تتحـدد سمات اللغة أو اللهجة وخـصائصها -فى مجـالات الأصوات والكلمـات والجمل وشتى الـنواحى اللغوية- ويعـرف مكانها وصلتها باللغـات أو باللهجات المجاورة وعلاقتهـا بالأم التى تفرعت عنها، وعلى هذا يمكن رسم الحدود الجغرافية لها على خريطة بوضـوح كامل ومعرفة التغييرات التى تطرأ عليها من حين لآخر[١].

وهذه الأطالس تعتمد فى الكشف عن التاريخ الذى مرت به اللغة فى عصورها التى مرت بها وبـيان اللهجة التى تعد أقـرب إلى الفصحى -إن وجدت- ونتـيجة لهذا اللون من الدراسـة تكون الحدود اللهجيـة -أحيانًا- واضحة كـما فى المناطق الصحراوية أو الغـابات أو المرتفعات، وأحيـانًا تكون غير محددة تحـديدًا واضحًا،

---

(١) انظر: الأطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩.

كمــا فى لهجــات المناطق التى يتــصل بها غــير أهلهــا كحــدود لهجات الــعواصم كالقاهرة ولندن وبغداد لتأثر البلاد المجاورة بها، ولهجة مصر بالنسبة للعالم العربى هى مصدر تتأثر به البــلاد العربية الأخرى لمركزها السياسى والثــقافى الذى يجعلها محط الأنظار.

والأطلس اللغوى يصــبح ـبعد إتمامهـ مرجــعا للغوى حــيث يزوده بالمعلومات التى يريدها بدلا من الخــروج بنفــسه، ومــحاولة الــذهاب إلى الحقل اللغــوى فى المنطقة موضوع اهتمامه، وإن كان نزول اللغوى المباشر إلى الحقل اللغوى قد يصبح ضرورياً مع وجــود الأطلس اللغوى حينمــا تواجهه مشكلات خــاصة. ومع ذلك فالأطلس اللغوى خاضع للتغيير وغيــر ثابت لما يعترى الحياة من تغيير ولذا لا تظل نتائجه ثابتة بل يقــتضى عمل أطالس بين الحين والآخر لمعرفة ما جــد من تغييرات وتأثيــرات لغوية فى المناطق التــى درست من قبل. وهذا شــأن اللهجــات العامــة الخاضعة للتطور السريع[1].

وعلى ذلك ينبغى فى دراسة اللهجة مراعاة أمور أهمها ما يلى:

١- إقامة الدراسة على أساس جغرافى.

٢- الاعتماد على الجانب الوصفى أى على ما هى عليه لا على ما ينبغى أن تكون عليه.

٣- بيان الطبقة الاجتماعية التى يراد دراســة لهجتها من عمال أو فلاحين أو صناع أو مثقفين. . . إلخ.

٤- أن يكون الخبراء اللغويون الذين تؤخذ عنهم اللهجة من الناطقين بها ممن يمكن أن يمثلوا اللهجة تمثيلاً صحيحًا، والكلام الطبيعى خير مثال صادق.

٥- الاعتماد على النصوص فى اللهجات الصوتية المكتوبة.

٦- لابد من تمحيص الحــقائق لكل إقليم عدة مرات لتــوضيح الخصائص الصــوتية والمعجمية والصرفية إلخ التى تتزاحم وتتراكب.

---

(١) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٣.

٧- أن تكون الاستبيانات مخططة بوضوح وتعاون المؤسسات المحلية.

ثم يحلل مـا جمع من مـادة علميـة عن طريق الأجهـزة والآلات ـإن أمكن ـ ويوازن بين النتائج المعملية والنتائج السمعـية المستنبطة بالملاحظة الذاتية وتستخلص النتائج الصحـيحة التى اتفق عليها سـمعا وتجربة وحال الخلاف بينهـما ينظر سبب الخلاف حـتى يهتـدى الباحث إلى الحقـيقة، ثـم يستخلص النظام العـام للظاهرة اللغوية المدروسة.

ويمكن استخدام هذه الأطالس فـى دراسة العربية الفصحى ولهجـاتها وصلتها باللغات السامـية واللغات الأجنبية وهذا وثيق الصلة بـالنصوص اللغوية ويمكن أن يساعد فى مـعرفة اللهجات المعـاصرة وربما كشف شيئًـا من تاريخ الظواهر اللغوية وعناصرها عندنا وتأثرها بغيرها[١] وربما كشف ذلك شيئًا من الصلة بين اللهجات القـديمة الفـصحى واللهـجات الحـديثة عن طريـق الموازنة العلميـة والكشف عن الألفاظ الدخيلة من اللغات الأخرى.

وهذا العمل فى العربية يحتاج إلى جهد مضن وإلى عمل جماعى دائب يتحلى بالروح العلمية الجادة حتى يمكن الوصول إلى أطلس لغوى عربى حديث.

واللغة المشتركة تحكمها قواعد وقوانين فى مفـرداتها وتراكيبها ودلالاتها الحقيقية والمجازية إلى غير ذلك مما عرف بقواعد النحو والصرف والبلاغة ومتن اللغة.

ولم يكن القدمـاء يهتمـون بلهجات الـعربية خـوفا على الفصـحى منها ولأن اهتمامهم الأساسى بالفصحى وإن كانت بعض اللهجات قد درست فى كتب النحو واللغة دراسـة جانبـية. والعامـيات يمكن دراسـتها على أسـاس أن لها قـواعدها وليست ـكما ظن ـ لا قواعد لها بل يمكن ضبطها وحصر مفرداتها وتراكيبها أيضًا ودراستها دراسة وصفية.

وهى فى العالم العـربى لها مظاهرها المتـعددة والمتأثرة باللغـات التى كانت فى المناطق التى تنتشر فيها كالفارسية فى العراق والرومية والسريانية فى الشام والقبطية

---

(١) الأطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩.

فى مصر وكذلك اللغات التى تدخل تلك المناطق مع التفاعل المتبادل بين شعوبها وشعوب العالم من ذوى اللغات المختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية إلى غير ذلك، وكذلك آثار البربرية فى لغات شمالى أفريقية وتأثير النوبية فى السودان، وهناك تأثيرات للغة الهندية فى الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية.

وهذه التأثيرات كما تتناول نقل بعض الألفاظ والتراكيب الأجنبية قد تتناول تأثيرات فى جوهر اللغة فتصاغ الألفاظ العربية بطرق جديدة وكذلك التراكيب مثل: أعطنى واحد شاى أو اثنين قهوة إلى غير ذلك، واللهجات الحديثة تحوى جانبًا من اللغة الفصحى ولهجاتها إلى جانب ما دخلها من مظاهر جديدة وإن كان لا يعرف على وجه التحديد كيف تطورت ولا كيف اختلفت أو تفرعت، ويبدو أن اللهجات العامية مستمدة من الفصحى العربية مع تأثرها باللغات المحلية للأقاليم التى دخلها الإسلام.

وإن الفاتحين الذين نزلوا فى ثكنات عسكرية كانوا خليطًا من العرب أرباب اللهجات العربية الأصيلة وقد اختلطوا بسكان البلاد المفتوحة وأثروا فيهم فنشأت لغة تجمع بين خواص اللغة الأصلية للسكان ولهجات العرب الفاتحين.

ولذا تبدو فى لهجات الأقاليم التى دخلها الإسلام مظاهر من اللهجات العربية القديمة للعرب الذين انتقلوا إليها -كقيس وتميم والحجاز وأضرابهم- وهى متأثرة بلغات البلاد الأصلية.

ومن هنا يمكن أن تدرس اللهجات العامية لبيان أصواتها ومفرداتها وتراكيبها وقواعدها ومعرفة أصولها المؤثر منها والمتأثر. وهذا الكشف عن الخصائص والسمات يحتاج إلى مجهود كبير وتواجه الباحثين فيه مصاعب جمة.

وقد اتجه بعض المستشرقين إلى دراسة اللهجات فى الوطن العربى ومن ذلك:

- لهجة اليمن لـ .غ. كمبفماير الألمانى.
- لهجة بغداد لـ (مايستر).

- لهجة القدس لماكس مولر الألمانى.

- دراسة صوتية فى العامية المصرية بـ (هاريل).

- نحو اللسان العربى العامى الدارج بمصر لـ: (و. اسبيتاباى).

- دراسات فى اللسان العربى العامى ببيروت لـ: (أ. ماتسون).

- دراسات فى اللسان العربى الدارج بدمشق لـ: (غ. برجشتراسر).

وقد قام: المستشرق الألمانى برجشتراسر ببعض الرحلات إلى سوريا وفلسطين لعمل خريطة جغرافية للهجات هذه المناطق.

- لهجات شرقى الجزيرة (م جونسون) بجامعة لندن.

- صوتيات العربية بالمغرب الأقصى لـ: (أ. فيشر).

- نحو العربية التونيسية لـ: (هـ. اشتمه).

وسار على هذا المنوال دارسون عرب فى العصر الحديث فنرى دراسة لهجة القاهرة على يد الدكتو إبراهيم أنيس ولهجة لبنان على يد الدكتور كمال بشر ولهجة الكرنك على يد الدكتور تمام حسان ولهجة إقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر ولهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى للمؤلف إلى غير ذلك من دراسات لهجية - وسنعرض لتطبيق ذلك فى دراستنا للهجة صنعاء فيما يلى.

****

الأصوات اللغوية فى لهجة صنعاء
وصلتها بالعربية الفصحى[1]

كان للعربية شأنها فى العصر الجاهلى - بعد أن استوت على سوقها - ثم جاء الإسلام ونزل بها القرآن الكريم، فزادها استواء وقوة، فلما انتشر الإسلام فى البلاد المجاورة للجزيرة، دخلت العربية مع أهلها الفاتحين، وكان لتلك البلاد لغات يتكلم بها أهلها الأصليون، كالفارسية فى العراق، والرومية فى الشام، والمصرية القديمة فى مصر، فلما التقى العرب بأهل تلك البلاد، دخلت لغات هذه الشعوب مع العربية فى صراع انتهى بانتصار العربية عليها، وحلولها محلها، بعد قرن أو قرنين من الزمان[2] ولكن العربية لم تبق على صورتها القوية التى جاءت بها من الجزيرة، بل اعتراها الضعف والتشوه، وفقدت بعض مقوماتها، وخصائصها.

---

(١) هذا البحث وليد تجربة ميدانية عكفت على إجرائها عامين قضيتهما فى صنعاء، وشافهت إخوتنا اليمنين، وتحدثت إليهم طويلا، وسجلت كثيرًا من المحاورات معهم تسجيلا صوتيًا، يعد ذا أهمية بالغة فى البحث اللغوى.

والنتائج التى وصلت إليها - فى هذا البحث - وليدة مراس طويل ومعاناة شاقة، وعمل جديد يصل بين ماضى العربية وحاضرها.

وصنعاء - كما هو معروف - عاصمة اليمن، وكانت كذلك فى معظم العصور الإسلامية، وقيل: إنها سميت بهذا الاسم لجودة الصنعة فيها فى الأيام الغابرة، وهى من أقدم المدن العربية، وكانت تسمى فى الجاهلية مدينة (أزال)، وتقع فى سهل واسع، وتحيط بها الجبال على أبعاد مختلفة، وترتفع صنعاء عن سطح البحر أربعة وأربعين وخمسمائة وسبعة آلاف قدم، وبها عدد من المساجد من بينها المسجد الكبير الذى يضم مكتبة علمية تعد من أكبر المكتبات فى العالم العربى.

وتنقسم إلى ما يعرف بصنعاء القديمة، وكان عليها سور زال معظمه، وصنعاء الحديثة وتشمل حى بير العزب - وهو القاع ويسمونه أحيانًا قاع اليهود - وأبنيتها تئول إلى ما قبل العهد التركى، وقد أخذت الأبنية الحديثة تنشأ فيها الآن.

وتحيط بصنعاء عدة قرى منها حدة وعصر والروضة، وبها قبائل عربية أصيلة مثل همدان التى من بطونها بكيل وحاشد، وقبائل بنى حشيش وغيرهم. وقد أنجبت صنعاء الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء والمؤرخين وغيرهم.

انظر: صفة جزيرة العرب للهمدانى ص٥٥ ومعجم البلدان لياقوت ٣/ ٤٢٥، وجزيرة العرب للأستاذ مصطفى الدباغ ص٢٧٧- ٢٨١.

(٢) فى اللهجات العربية ص٥٨.

كما دخلت تلك الأقطار المفتوحة بعض اللهجات العربية، غير اللغة النموذجية مع قبائل عربية هاجرت إليها، كبعض بنى قيس وتميم، فظهرت فى تلك الأقطار المختلفة لغات تعد مزيجًا من العربية ولهجاتها، واللغات الأصلية لأهلها.

ويلاحظ الآن وجود نوعين من الاستعمالات اللغوية.

١ - الاستعمال اللغوى الخاضع لقوانين العربية الفصحى:

وهذا لا يزال سائدًا فى المجالات الرسمية للدول العربية، وعلى ألسنة المثقفين من أبنائها، وفى تدوين الكتب. والمؤلفات فيها، بحيث لا تزال الرباط الوثيق بين أبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج؛ لأن الأنظار تتجه إليها على أنها المثال الذى يجب أن يحتذى.

وكان لكتاب الله العزيز، وما أحيط به من عناية، دينية، وعلمية، أثر كبير فى الاهتمام بهذه اللغة الفصحى، وحفظ قواعدها، وتلقينها للأجيال على مر العصور، وهذا هو السبب القوى فى استمرارها وبقائها حتى اليوم.

٢ - الاستعمال اللغوى الدارج:

وهذا قد خضع لسنة التطور الاجتماعى، الذى يخضع له المتكلمون باللغة، تبعًا لاختلاف بيئاتهم، وظروفهم السياسية والثقافية، والعقلية، والنفسية، واختلاف الأزمان وتطاولها.

فنشأ فى كل إقليم من أقاليم الأمة العربية، لغة مختلطة، من عناصر اللهجات العربية، واللغة الأصلية لذلك الشعب، وقد خضعت لما مر به من عوامل مختلفة، وهذه اللغة هى التى تستعمل فى التخاطب العادى، وفى حاجات الناس وشئونهم المختلفة.

وقد كان لسقوط الخلافة العباسية سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة وانقسام أقطارها إلى دويلات مستقلة أثر بارز فى تغذية كل لغة، وتكوين كيان مستقل لها، عن أخواتها فى بقية الأقطار.

وهذه اللهجات المتعددة، فى الأقطار العربية، راجعة - فى معظم أصولها وخصائصها - إلى العربية الأم التى لا تزال تعيش بجوارها، وتمدها بكثير من المقومات.

ولكن الحقيقة أننا فى حاجة ملحة إلى دراسة تلك اللهجات الدارجة لنقف على سبيل اعوجاجها، وتحريفها، فإذا شخصنا ظواهرها المختلفة، ورصدناها رصداً دقيقًا، وعرفنا اتجاهاتها، وما لحق بها من عيوب، وأسبابه، استطعنا أن نضع العلاج الناجع الذى يقضى على أدوائها، ويعيد ربطها القوى بأصلها الفصيح، فتتوحد لغة العرب، وتعود إلى سابق عنفوانها الذى كان لها.

ولهجة صنعاء إحدى لهجات اليمن، التى هى جزء من جزيرة العرب، مهد اللغة العربية، قبل تفرعها وانقسامها، ولا ريب أن دراستها تعد حلقة فى سلسلة الدراسات اللغوية المتعلقة باللهجات الدارجة، وهى - بينها - لها أهمية خاصة، لأنها لهجة تعيش فى منطقة ذات أصل عربى عريق.

ولعلنا - بوقوفنا على خط سيرها واستقامته أو اعوجاجه عن اللغة الفصحى - نضع هذا النموذج أمام الدراسة اللغوية الصحيحة، لتقوم من انحرافه، فنكون قد عالجنا عضواً فى جسم الكيان العربى اللغوى، وباستمرار السير فى هذا الطريق الدراسى الناجح يتحقق لنا - بإذن الله - الوصول إلى توحيد النطق فى بلاد الأمة العربية بأسرها، وإنا لواصلون إليه بتوفيق الله ومعونته.

وتشخيصنا لظواهر لهجة صنعاء يقوم على الأسس التالية:

١- بيان طريقة نطق الأصوات فيها، وما حدث لها من تغيرات.

٢- القواعد الصرفية، والنحوية.

٣- الألفاظ والمعانى وتطورها.

ونتناول - فى هذا البحث - الأساس الأول - وهو طريقة نطق الأصوات - ونرجئ الحديث عن الأساسين الآخرين لمجال آخر[١].

---

(١) سيظهر لنا كتاب عن اللهجات اليمنية وصلتها بالعربية الفصحى إن شاء الله تعالى.

مدخل ومنهج

عندما نتحدث عن الأصوات اللغوية فى تلك اللهجة، ينبغى أن نتناول مخارج الحروف وصفاتها، ولحديثنا جوانب عدة:

الأول: بحث الحروف حين تكون فى موقع يسمح لها بالنطق مفردة دون أن تتداخل مع غيرها أو تتأثر بما قبلها، وما بعدها من الأصوات.

الثانى: بحث الحروف حين تتأثر بغيرها، فقد ثبت أن أصوات الحروف حينئذ تتغير، بالإبدال والقلب بصور كثيرة.

الثالث: ملاحظة إبدال الحروف، وبخاصة ما كان سببه راجعًا إلى طبيعة البيئة التى يعيشها سكان المدينة، أو طبيعة الحياة القبلية التى لا تزال تحمل طابع الحياة الصحراوية وخصائصها.

وحديثنا عن الأصوات اللغوية، يشمل نوعيها الصامت، والصائت، وإن كنا سنسلك اتجاه الفصل بينهما، فنبحث كلا على حدة.

فالحروف ـ كما ورثت عن الأسلاف ـ هى: ء هـ ـ ع ح ـ غ خ ـ ق ك ـ ج ش ى ـ ض ـ ل ن ر ـ ط د ت ـ ص ز س ـ ظ ذ ث ـ ف ـ ب م ـ وحروف المد (و ا ى)[1].

وتنقسم على حسب ما عرف لدى المحدثين، من علماء اللغة، إلى صوامت وصوائت ويقصد بالصوامت: الحروف التى يقل وضوحها فى السمع، لانحباس الهواء معها، فى إحدى مناطق النطق، بحيث يتسبب فى خفاء الكثير منها عند النطق به، فلا يمكن التفريق بين بعضها، وبعض أحيانا، فعند نطق الكلمات، (كتب - كثب - كثم) لا يميز السامع بينها بسهولة، لتقارب التاء والثاء، فى النطق، وكذلك لتقارب الباء والميم فيصعب التمييز[2].

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٥٢. ٥٣، وانظر كتابنا (العربية - خصائصها وسماتها) ص١٥٨، ١٥٩ وكتابنا: الصوتيات اللغوية. ط دار الكتاب الحديث ص ١١٣ وما بعدها.

(٢) انظر كتابنا (العربية) ص١٤٩ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ١٢٠ وما بعدها.

وهذه الأصوات هى ما عدا أصوات المد - وهى الواو والألف والياء إذا سكنت وجانستها الحركة التى قبلها - والحركـات القصيرة - الضمة والفتحة والكسرة - إذ هى أبعاض أصوات المد[1].

فمعظم أصوات الأبجدية - كما نرى- تسمى أصواتًا صامتة، وتسمى فى بعض الأحيان: الحروف الساكنة لكن التسمية الأولى أوضح وأدق[2].

أما النـوع الثانى، فهـو ما أطلق علـيه علمـاء اللغة المحدثـون اسم (الأصوات الصائتة أو الصوائت) وهو خاص بحروف المد والحـركات القصيرة، وسميت بذلك لوضوحهـا فى السمع نتيجـة انطلاق الهواء معهـا، دون عائق يحبسـها فى إحدى مناطق النطق[3].

ولهجة صنعاء تشـتمل على نوعى الأصوات، كما فى العربيـة الفصحى، لكن نطق كل صوت فيها، يختلف ـ أحيانًا ـ على حسب موقعه فى الكلمة، وطبيعة المتكلم به، ولذا آثرنا أن نصـف كلاً من أصـوات تلك اللهجـة فى حال إفـراده، وحال تأثره بغيره، أو جريانه على لسان أهل البادية.

---

(1) سر الصناعة ١/ ٤٩.

(٢، ٣) انظر كتابنا (العربية) ص١٤٩ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ١٢٠ وما بعدها.

أولا: الأصوات المفردة (أو التى لا تتأثر بغيرها)

١- الأصوات الصامتة

أ- حروف الحلق[١]:

الهمزة:

ثبت لعلماء اللغة المحدثين «أن الهمزة المحققة تخرج من المزمار[٢] لأن فتحته تنطبق انطباقًا تامًا عند النطق بها، فلا يتسرب شيء من الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى[٣] هو ما يعبر عنه بالهمزة»[٤] وهى صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس[٥].

وتنطق الهمزة فى صنعاء نطقا عربيًا، فصيحًا، من مخرجها الطبيعى، بل إن أهل صنعاء، يخرجونها، وفيها نوع من الفرقعة، أو الانفجار الشديد، كما يلاحظ ذلك فى نطقهم مثلا: أنا - أنِى - تأمل - جاء.

الهاء: هذا الصوت من أقصى الحلق، كما ذكر سيبويه وابن جنى، وهو مهموس رخو.

---

(١) هى الأصوات التى تخرج من الحلق، وهو الجزء الذى يلى الحنجرة قبل الفم.

(٢) هو نسيج ليفى غضروفى مثلث الشكل يوجد خلف قاعدة اللسان، ويقوم كالحارس الأمين على الحنجرة. التجويد والأصوات ص ١٢.

(٣) معنى الانفجار، أن الهواء ينحبس حال مروره بالحنجرة نتيجة إقفالها، فإذا فتحت خرج الهواء دفعة واحدة محدثًا صوتًا له دوىّ يشبه الانفجار، ويسمى القدماء هذا الصوت شديدًا نتيجة إقفال مجرى الهواء، فالقدماء ينظرون إلى المرحلة الأولى، والمحدثون إلى المرحلة الثانية.

(٤) العربية ص١٧١ والصوتيات اللغوية ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٥) الصوت المجهور: هو الذى يهز الوترين الصوتيين، نتيجة اصطدام الهواء بهما، حال مروره بالحنجرة. والمهموس: هو الذى لا يهز الوترين الصوتيين، حال مروره، فالهمزة بين بين، لأنها تحدث نتيجة إقفال الحنجرة.

وهناك خلاف فى ذلك، فالقدماء يرون أنها من الحلق مجهورة، وبعض المحدثين يذهب مذهب القدماء، وبعضهم يرى أنها من الحنجرة - كما ذكرنا - لكنه يصفها بالهمس. انظر الكتاب ٢/ ٤٠٥ وسر الصناعة ١/ ٦٩، ٧٨ والتجويد والأصوات ٦٩ والأصوات اللغوية ٧٢ ودراسات فى فقه اللغة ص٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٥، وأصوات اللغة ص١٨٣ والعربية ص١٧١ - ص١٧٣ والصوتيات اللغوية ص ٢٠٣ وما بعدها.

ويوجد فى لهجة صنعاء، على هذا الوضع الموروث، حين يقع غير متأثر بغيره مثل: هيا - هم.

العين: هذا الصوت من وسط الحلق، وهو مجهور، ووصفه علماؤنا القدماء، بأنه متوسط بين الشدة والرخاوة[1] وقال أحد المحدثين[2] إنه رخو، ولكن لم يتضح أمره لمعظم الباحثين المحدثين فتركوه حتى تكشف عنه بحوث المستقبل[3].

ويرد على لسان الصنعانيين عربياً فصيحًا، مثل: رجعنا - يعلم الله. عَذًّا عَيِّجوا يعلمونى.

الحاء: من أصوات وسط الحلق، وهو مهموس، رخو.

ويوجد فى لهجة صنعاء بطبيعته الفصيحة، حين لا يؤثر عليه غيره، مثل: يتحاكو ـ راحت ـ الانشراح.

الغين: من أصوات أدنى الحلق، وهو مجهور، رخو.

ويقع فى تلك اللهجة، ـ كما وقع عند الأسلاف ـ عربيًّا فصيحًا، مثل أزغف[4] ـ ما هو الذى غثاكم؟[5] ـ شغلونا.

الخاء: من أصوات أدنى الحلق، وهو مجهور، رخو.

وينطق فصيحًا فى تلك اللهجة، مثل: أخوه - الدنيا خيرات - خلينا من الربطات[6] - الخُبره[7].

---

(١) الصوت الشديد: هو الذى يمنع الهواء أن يجرى فيه، نتيجة التقاء عضوى النطق التقاء محكمًا ويسمى المحدثون هذا النوع من الأصوات (الانفجارى) لأنه بعد أن ينفصل عضوا النطق أحدهما عن الآخر يخرج الهواء فجأة محدثًا دويًا.

والصوت الرخو: هو الذى يجرى فيه الهواء، نتيجة التقاء عضوى النطق التقاء غير محكم، ويسميه المحدثون (الاحتكاكى) لأن الهواء حال مروره بين عضوى النطق يصدر نوعًا من الحفيف.

والصوت المتوسط هو الذى يكون بين الشدة والرخاوة بحيث يلتقى عضوا النطق التقاء غير محكم يسمح للهواء بالخروج من غير إصدار حفيف ويسميه المحدثون (المانع).

(٢) هو الدكتور تمام حسان. مناهج البحث فى اللغة ص١٠٢.

(٣) الأصوات اللغوية ص٢٥، ٢٦.

(٤) أرمى بشدة.

(٥) ما الذى آلمكم؟

(٦) دعنا من الارتباط.

(٧) الأصدقاء.

ب- حروف أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى:

القاف: اتفق الأقدمون والمحدثون، من علماء اللغة، على مخرجه، وهو أقصى اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى[1] ويسمى صوتا لهويًا، لأن اللهاة تشارك فى إنتاجه، فأدنى الحلق - بما فيه اللهاة - يتصل بأقصى اللسان، ثم ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئًا[2] ولذا وصفه الدكتور السعران بأنه: صامت لهوى انفجارى[3].

بيد أن الأقدمين وصفوه بالجهر، والمحدثين بالهمس، وقد بنى المحدثون رأيهم على ما يسمع من نطق القراءات القرآنية فى مصر الآن[4].

ويذكر باحث حديث أن اللغات السامية تؤيد رأى المحدثين، ففى العبرية مثلاKol (קול) بمعنى، صوت، وفى الآرامية Kdam (קדם) بمعنى «قدام» وفى الحبشية Koma (ቆመ) بمعنى «قام» وفى الأكدية Pakad بمعنى «بحث» وكلها تشبه ما ينطقه مجيدو القراءات القرآنية فى مصر[5].

ولما كان العرب الفصحاء قد انقرضوا، ولم يعرف على وجه التحديد نطق هذا الصوت عندهم، فقد نظر المحدثون فى بعض اللهجات الدارجة، فى الأقطار العربية ليعرفوا أساس الوصف بالجهر عند علماء اللغة القدامى.

فلاحظوا أن معظم القبائل البدوية تنطقها (جافا) - مجهورة - كالجيم القاهرية، لكنها أكثر عمقًا، واستعلاء[6] وبعض السودانيين العرب، وبعض القبائل فى جنوب العراق ينطقون قافًا مجهورة قريبة من الغين[7] فيقولون مثلا فى (الاستقلال) (الاستغلال).

---

(١) التجويد والأصوات ص٥١.

(٢) الأصوات اللغوية ص٦٩. (٣) علم اللغة ص١٧٠.

(٤) الأصوات اللغوية ٦٧ ومجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠هـ مارس ١٩٦١م من مقال بعنوان (مصطلحات سيبويه فى أصوات العربية) للدكتور تمام حسان ص١٠٨١.

(٥) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض. العدد الخامس ص١١١ من بحث الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان (التطور اللغوى وقوانينه).

(٦) الأصوات اللغوية ص٦٨.

(٧) المصدر السابق ٦٧، ومجلة الأزهر. العدد السابق ص١٠٨١ والتطور النحوى ص ٩.

وبعض المصريين ينطقون القاف فى بعض الكلمات غينًا، مثل (يقدر) تصير على لسانهم (يغدر).

ويدا لبعض المحدثين - على سبيل الاحتمال - أن القاف العربية المجهورة كانت تشبه أحد النطقين السابقين، ثم همست على توالى الأيام[١].

ويقول أحد الباحثين: «وقد عد قدماء اللغويين العرب، (القاف) من الأصوات المجهورة، فإن صدق وصفهم هذا، كان ذلك النطق، من التغيرات التاريخية فى العربية القديمة، وقد بقى هذا النطق المجهور فى أغلب البوادى العربية فى الوقت الحاضر»[٢].

وكل هذا لا يمكن - فى رأينا - رده أو قبوله، لأن العرب الفصحاء قد انقرضوا ولم نستطع الوقوف على الطريقة التى كانوا يتبعونها فى نطق هذا الصوت[٣].

وقد تطور هذا الصوت على لسان بدو الجزيرة العربية إلى صيغة أخرى، فأهالى الرياض، ينطقونه صوتًا مزدوجًا، مكونًا من الدال والزاى، فى مثل (دزبلة) فى (قبلة) و(المدزيبره) فى (المقيبرة) وغير ذلك[٤] وقد زاد انحرافه على ألسنة العرب فى الأقطار الأخرى، ففى بعض بلدان الخليج كالبحرين ينطق صوتًا مزدوجًا كالجيم الفصيحة[٥] وفى بعض بلاد مصر والشام ينطق همزة، ولهذا الصوت تطورات أخرى غير ذلك[٦].

وهذا ما يجعلنا نشك فى أن النطق (جافًا) هو النطق العربى القديم، لأن احتمال تطوره لا يزال قائمًا، ولا سيما بعد مرور أكثر من ألف سنة على عصر قوة اللغة، وعنفوانها.

---

(١) الأصوات اللغوية ص٦٧، ٦٨.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض. العدد الخامس ص١١١ من بحث الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان (التطور اللغوى وقوانينه).

(٣) انظر كتابنا (العربية) ص١٧٤ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٤، ٥) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد الخامس ص ١١١ ونلاحظ عدم وضوح الدال كما نسمع فى الرياض.

(٦) العربية ص١٧٤ والصوتيات اللغوية ص٢٠٦، ٢٠٧.

وأياً ما كان الأمر، فإن الصنعانيين ينطقون القاف - كغيرهم من قبائل العرب البدوية - (جافا) مجهورة كالجيم القاهرية، ومن أمثلة ذلك نطقهم:

عنقسمهن - قد شرق وأنا قلص[1] - تتقالعى[2].

ج ج ج ج ج

وقد سمعت بعض خطباء المساجد فى صنعاء ينطقون قافًا قريبة من الغين، فسمعت أحدهم يقول: «اتقوا الله» بحيث نسمع منه القاف غينًا[3].

غ

الكاف: رفيق القاف، فى المخرج، إلا أنه مهموس باتفاق القدماء والمحدثين انفجارى (شديد).

وينطق هذا الصوت بطبعته العربية فى صنعاء، مثل: كثير -كذاك- اسكَبِه[4].

جـ- حروف وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى:

الشين: أحد أصوات هذا المخرج، ويتصف بالهمس، والرخاوة، والتفشى، وينطق فى اللهجة الصنعانية كما فى الفصحى.

ومن أمثلته: نشترى -شاقوم - شبعونى.

ج

الجيم: من المخرج المذكور، ويصفه القدماء بأنه شديد، على حين أن المحدثين يقولون: إنه قليل الشدة، لأنه حال نطقه «يلتقى وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئًا، سمع صوت يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربية الفصيحة، فانفصال العضوين -هنا- أبطأ قليلاً منه فى حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولذلك يمكن أن نسمى الجيم العربية الفصيحة صوتًا قليل الشدة»[5].

---

(١) الوقت متأخر وأنا متألم. (٢) تتشاجرين.

(٣) يتفق نطق هذا الخطيب مع نطق أهل تعز وإب من مناطق اليمن، انظر بحث الأستاذ حسين شرف الدين بعنوان «دراسات فى لهجات جنوب وشمال الجزيرة العربية» بمجلة «الدارة» العدد الأول - السنة الثالثة - ربيع أول ١٣٩٧هـ - فبراير ١٩٧٧م ص١٣٣.

(٤) صبه. (٥) الأصوات اللغوية ص ٦٥، ٦٦.

ويصفه الدكتور تمام حسان بأنه غارى مركب[١] مجهور مرقق[٢].

ويبدو -لى- أن الصوت شديد، ويتضح ذلك من نطقه فى صنعاء.

فهذا الصـوت ينطق عربياً فصـيحًا، فى لهجة صنعـاء، وقد لاحظت ذلك من التسـجيل الصوتى الذى أجـريته، ومن سمـاعى -بالأذن المجردة- نطق كثـير من الصنعانيين لهذا الصوت، فى أثناء حديثهم معى.

فهم يخرجـونه من مكانه الصحيح، من وسط اللسان مع مـا يحاذيه من الحنك الأعلى، وهم يعطشونه بمقدار ما نقل لنا عن العرب الفصحاء، كما أن صفة الجهر التى نقلها لنا علماء اللغة -كسيبويه- تتحقق فى هذا الصوت الذى يجرى نطقه فى صنعاء، فى مثل هذه الكلمات -رجعنا- جُشيت جشوة[٣]- جاوع[٤]- بيلبجنى[٥] -جى[٦]- الجهال[٧].

وهكذا لو تتبـعت كثيـرًا من الأمثلة التى وردت فى التسـجيلات الصـوتية التى أجريتها، لوجـدت، ووجد معى القارئ الكريم أن الجيم تنطق عربية فـصيحة فى صنعاء، بالتعطيش المقرر لها فى كتب الأصوات، وبالشدة التى وصفها بها القدماء فى كتبهم.

وهذا من المزايا التى تنفرد بها لهجة صنعاء، فى بقاء هذا الصوت الذى انحرف فى كثير من لهجات الأقطار العربية.

فالجـيم فى لهجة القـاهرة الحديثة، قـد خلت من التعطيش، وعـاد مخرجـها إلى الخلف، فتبرز من أقصى اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويذكر الدكتور عبد العزيز مطر أن سكان ساحل مريوط من بدو مصر ينطقون الجيم شديدة التعطيش[٨].

---

(١) ووصفه، بالتركيـب يرجع -فى نظره- إلى جمعه بين عنصرى الشدة والرخاوة فهـو مركب منهما. انظر مناهج البحث فى اللغة ص٨٧.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص١٠٣، ١٠٤، وكتابنا (العربية) ص١٧٥ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٣) جشأت جشأة.
(٤) جوعان.
(٥) يضربنى.
(٦) جىء.
(٧) الأطفال.
(٨) لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٤٥.

وفى بعض البلاد العربية كسورية زاد تعطيشها إلى درجة كبيرة، أخرجتها عن شدتها العربية، ومالت بها إلى الرخاوة.

وينطقها بعض أهالى صعيد مصر دالاً.

ويجعلها بعض العرب فى نجد مرحلة وسطى، فيها شىء من شدة الدال، وشىء من التعطيش.

وهذا التطور الذى اعترى الجيم العربية يسير وفق القوانين الصوتية؛ لأنها فى حالة تطورها إلى الجيم القاهرية لم تزد على أن تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلاً فقربت من أقصى الحنك، وبهذا زادت شدة وانقطع تعطيشها، أما فى تطورها إلى الدال فقد اقتربت بمخرجها إلى الأمام وبذلك زادت شدة أيضًا وانقطع ما يسمى -عادة- بالتعطيش»[1].

وهكذا نجد الانحرافات المتعددة، فى نطق هذا الصوت فى كثير من اللهجات العربية الحديثة، على حين نجده لا يزال سليمًا، فصيحًا، فى لهجة صنعاء.

الياء (التى ليست مداً):

يعد هذا الصوت من الصوامت، لأنه يقع موقعها، وتجرى عليه أحكامها، فمثلاً: الياء فى (يَنَع) لا تختلف فى طبيعتها عن الراء فى (رَحَل) وفى (بَيْت) لا تختلف عن الميم فى (حَمْل) وفى (عَمِى) لا تختلف عن الحاء فى (فرِح) فهى تأخذ مواقع الأصوات الصامتة، وتجرى مجراها، ولذا صح أن نذكرها مع الصوامت.

---

(١) (العربية) ص١٧٦ والصوتيات اللغوية ص ٢٠٩ ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب أن نطق الجيم غير معطشة -كالجيم القاهرية- هو النطق الأصلى فى اللغات السامية فكلمة (جمل) -مثلاً- فى اللغة العبرية هى: gamai ([illegible]) وفى الآرامية gamalá وفى الحبشية gamal، والنطق العربى الفصيح الآن يعد تحولاً عن هذا النطق السامى، من الطبق إلى الغار أى من أقصى الحنك إلى أوسطه، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار ثم ينتهى بشين مجهورة، ولذا فإنه انحل إلى أحد عنصريه فى اللهجات العربية الحديثة إذ ينطق كالدال فى صعيد مصر، وينطق كالشين فى الشام. انظر مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الخامس ص ١٠٨، ١٠٩.

والياء -ومثلهـا الواو التى ليست مدآ- لهما وجه آخـر إذ يمكن أن تتحول كل منهمـا إلى صوت لين طويل، وقد حـدث ذلك فى بعض اللهجات الدارجـة فإذا أميلت الفتحة قـبل الياء والواو فى (بَيت ونَوم) تحول كل من صـوتى اللين المركب (ai) و(au) إلى صـوت لين خالص، فـالياء أو الواو هنا حـركة مـشوبة بعنـصر سكوتى، ولذا يمكن أن تسمى شبه ساكن أو شبه حركة، كما يقول فندريس[١].

والذى دعانا إلى ذكر الياء غير المدية مع الصوامت أن أهل صنعاء ينطقون هذين الصوتين (الياء والواو) غير المديتـين، بصورة تفصلهما عن الفتحة قبلهـما فيما إذا وقعـتا عينًا فى مثل (بَيْـت وصَوْم) ولهذا صلة قوية بالعـربية الفصـحى، ويختلف حالهما فى بيئات عربية أخرى، نتيجة لما حدث لهما من التغيير.

فبـقاؤهما على الصـورة الفصحى فى لهـجة صنعاء مـزية لا تتوافر لكثـير من لهجات العرب المعاصرين.

وإلى جانب ذلك فـالياء غير المـدية -كما وصفـها لنا علماء اللغـة- تخرج من وسط اللسان، وهى صوت مجهور بين الشدة والرخاوة[٢] وتنطق فصيحة فى لهجة صنعاء، كما تنطق فى غيرها من اللهجات الحديثة الأخرى:

ومن أمثلة ذلك: عَيْسووها -بَيْنعد-[٣] ما علَيْكم -البَيْع- بَيْت إلخ.

د- حروف طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا:

الطاء: يتفق القـدماء والمحدثون، فى مـخرجهـا المذكور ولكنهم يخـتلفون فى وصفها بالجهر أو الهمس، فيرى الأولون أنها مجهورة، والآخرون أنها مهموسة.

ولا تعارض بين الرأيين حقـيقة، فالقدماء يتكلمون عن الطـاء العربية الأصيلة، التى سـمعـوها من العرب، ودونوها فى كـتبـهم مخـرجًا، وصـفة، والمحـدثون يتكلمون عن طاء أخرى مولدة هى التى ننطق بها الآن.

---

(١) اللغة ص٥١.

(٢) انظر كتابنا (العربية) ص ١٥٩ والصوتيات اللغوية ص ١٤٧.

(٣) أعد (من العدد).

ولقد سمعت من أهل اليمن ما يؤكد صحة مذهب القدماء فى نطق الطاء، فاليمنيون -بعامة- والصنعانيون -بخاصة- ينطقون صوت الطاء قريبًا من نطق الضاد المصرية وهذا النطق -حقاً- ينطبق عليه وصف القدماء للطاء العربية بالجهر.

فلو لاحظنا نطق الصنعانيين للطاء فى هذه الكلمات «طُلُعنا -شاخطَى-
ض ض
الطريق- مطن[1]- مطهر- ليطفحنك[2]- الطيقان[3]- تفرط[4]- اقطب[5].
ض ض ض ض ض ض ض ض

فإننا نجد هذا الصوت لا يشبه نطقنا الحديث للطاء، وإنما يشبه نطق الضاد المصرية، وهذا النطق ذاته مجهور، وينطبق عليه وصف علماء العرب فقد قال سيبويه «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً»[6] وردد ذلك القول ابن جنى[7].

والطاء - بالنطق الصنعانى كالضاد المصرية -لو زال منها الإطباق صارت دالاً، فيقولون فى (طلع) (ضلع) وهى -دون إطباق- (دلع)، كما نلاحظ فى نطق المصريين (ضرب) -مثلاً- إذ تصير دون إطباق (درب).

والذى يسوغ ذلك ويقويه أن الضاد المصرية تنطق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، موطن الطاء تمامًا، وليس موطن الضاد العربية الفصحى، إذ موطن الضاد العربية الفصحى. من جانب اللسان أو من كلا الجانبين ويخرج الهواء معها من الجانب أو الجانبين كما نص على ذلك علماء اللغة المتقدمون.

ويقول ابن الجزرى: «إن االمصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة»[8].

وإننا لو حاولنا أن نطبق كلام سيبويه على نطق الطاء الشائع بيننا الآن لكان التطبيق فاسدًا، فالنص الذى نقلناه يفيد أن الطاء العربية الأصيلة -مع زوال الإطباق- تصير دالاً، لكن الطاء -بالنطق الشائع- إذا زال عنها الإطباق -صارت

---

(١) مفكر. (٢) ليؤلمنك.

(٣) النوافذ الصغيرة.

(٤) تتنزه أو تقضى بعض الوقت عند الأصدقاء فى مناسبات كالزواج مثلاً.

(٥) أسرع. (٦) الكتاب ٢/ ٤٠٥.

(٧) سر الصناعة ١/ ٧٠، ٧١.

(٨) القول المفيد ص٧٥.

تاء فلو كان نطقها المألوف بيننا عربياً فصيحًا لكانت عبارة سيبويه على نحو آخر هو: لولا الإطباق لصارت الطاء تاء، لكن سيبويه لم يقل ذلك.

ثم إن عبارة سيبويه -بعد ذلك- تقول: «ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها».

فالضاد العربية الأصيلة -إذا زال عنها الإطباق- لا يوجد لها نظير فى حروف العربية بخلاف الضاد التى ينطقها المصريون الآن، فإذا زال إطباقها لم تخرج من الكلام، بل تنتقل إلى نظير معروف هو صوت الدال على الوصف الذى شرحنا.

وهذا يؤكد لنا أن نطق صنعاء هو العربى الفصيح، بل يمكن دون جدال أن نستدل به على صحة كلام علمائنا السابقين فى وصف الأصوات العربية وأن الواجب علينا أن نعتبر كلامهم مقياسًا لنا نحتذيه فى دراساتنا الصوتية، فإذا كنا نعالج الأصوات فى لهجاتنا الحديثة أو فى العربية الفصحى التى تجرى على لساننا اليوم. فعلينا أن نقوم تلك الدراسة بميزان كلام السابقين لأننا نثق فى صحته واستقامته.

وبهذا يندفع التهجم على سيبويه من بعض المحدثين[١] بأن سيبويه قد جانب الصواب أو على حد عبارة الناقد (أخطأ) فى وصف الطاء بالجهر، يقول: «وأما اعتبار الطاء مهجورة فلست أظن سيبويه فيه إلا مخطئا، فكل طاء ينطقها العرب فى أيامنا هذه مهموسة، ولو كان لجيل سيبويه من العرب طاء مخالفة لبقيت، ولو فى لهجة عربية منعزلة غير هامة، وإذ لا نجد طاء مجهورة فى كلام العرب المعاصرين، ولا على ألسنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيبويه مخطئًا فى وصف الطاء بالجهر»[٢].

فهذا القول -كما نرى- مبنى على التسرع فى الحكم دون استقراء واسع للهجات العربية الحديثة، فحكم الدكتور تمام بعدم بقاء الطاء العربية الأصيلة المجهورة، فى أية لهجة ولو منعزلة غير هامة حكم مبنى على النظر دون محاولة لمعرفة واقع بعض اللهجات الدارجة، فالواقع يشهد بخلاف ما قال، فلهجة صنعاء تحمل النطق العربى الأصيل وتنفى الرأى الذى ذهب إليه.

(١) الدكتور تمام حسان.

(٢) مجلة الأزهر العدد السابق ص ١٠٨.

والطاء التى تجرى على ألسنتنا اليوم طاء حديثة، لم تعرفها العربية من قبل، وهى مهموسة كما يقول المحدثون؛ لأن هذا الوصف ينطبق عليها، وتبقى لهجة صنعاء -كغيرها من لهجات البدو-[1] معبرة عن النطق العربى الفصيح لهذا الصوت.

الضاد: يقول اللغويون: إن هذا الصوت - على حسب نطق العرب الفصحاء- يخرج من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مع تكلفه من أحد جانبى اللسان -الأيمن والأيسر- أو منهما معًا[2] وقد وصفوه بأنه قليل الشدة لخروج الهواء معه على جانب اللسان أو الجانبين.

وتنفرد العربية بهذا الصوت دون سائر اللغات الأخرى حتى عدت «لغة الضاد» وعرفت بهذا اللقب بين اللغات العالمية.

وقد حاول الباحثون حديثًا تصويره لنا.

فالمستشرق برجشتراسر يرى أنه -بصورته العربية الأصيلة- كان قريبًا من اللام، إذ يشترك معها فى كونه من حافة اللسان، واستدل لذلك بإبدال اللام من الضاد - عند بعض العرب- مثل (الطجع) فأصلها (اضطجع) ومنه قول الشاعر:

لما رأى ألا دعه ولا شبع ... مال إلى أرطأة حقف فالطجع[3]

وعند عرب الأندلس أيضًا، وقد ورث الأسبان عنهم هذا النطق فى الكلمات العربية التى دخلت الإسبانية، فكلمة «القاضى» -مثلاً- ينطقونها alcalde[4].

والملاحظ -حديثًا- أنها تنطق كالظاء فى لهجات الجزيرة العربية، والعراق، وقرئ بها قوله تعالى -فى سورة التكوير- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] واتخذ بعض الباحثين من ذلك دليلاً على صورة الضاد العربية القديمة[5].

---

(١) يلاحظ أن بدو ساحل مريوط لم يتضح عندهم هذا النطق، ويظهر أنهم يسيرون على نهج بقية أهل مصر، انظر لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٤٧.

(٢) سر الصناعة ١/ ٥٢.

(٣) انظر كتب النحو ومنها: أوضح المسالك مع المنار ٢/ ٣٧٨.

(٤) التطور النحوى ص١٠.

(٥) المصدر السابق ص١١ والأصوات اللغوية ص٥٠ والتجويد والأصوات ص ٤٤.

ويبدو لنا -حسبما نسمع فى الجزيرة العربية- بعامة- وفى صنعاء- بخاصة- أن هؤلاء الناطقين يجعلون الضاد ظاء حقيقية بإخراجها من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، اللهم إلا عددًا قليلاً من أهل صنعاء التقيت بهم وحاولوا نطق هذا الصوت أمامى، فوجدت لسانهم -حين النطق به- يتجه إلى أحد جانبى اللسان، لكن فى صورة قلقة، لا تمثل -تمامًا- هذا الصوت الذى اختفى من الاستعمال.

ومع ذلك ينطقه بعض القراء المجيدين للقراءات بفصاحة ويمثل ذلك بعض علماء القراءات بفصاحة أيضًا.

بيد أنى اعتبرت ذلك أمارة حقيقية على صحة كلام علمائنا القدماء، فى تحديد مخرجه، وصفته، لأن وجود بعض القبائل التى تتجه بحافة لسانها إلى الجانب، ووجود بعض القراء والعلماء الذين ينطقونه يؤكد أن العربى الفصيح، كان يخرج الضاد على النحو المعروف فى كتب الأصوات العربية، وقد أدى مرور الزمن، وتطاوله، واختلاف البيئات التى عاش فيها الأبناء عن بيئات الأجداد، إلى تطوره، كما نلهج به ونسمعه الآن.

ومن أمثلة الضاد فى صنعاء قولهم: يقضى- الماضى- الحاضر- نضوى[1]- أخضع[2].
ظ ظ ظ ظ ظ

وينطق المصريون هذا الصوت بالتقاء طرف اللسان وأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا، فأصبح شديدًا لا قليل الشدة، ويشيع هذا النطق الآن على لسان كثير من قراء القرآن الكريم بمصر، وهو -بهذه الصورة- مستعار من صوت الطاء العربى الفصيح، كما ذكرنا ذلك من قبل.

والذى أريد قوله -هنا- أن صوت الضاد قد تطور بنطقه ظاء، أو بتحوله إلى صوت الطاء القديم.

التاء: مخرجها طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وتوصف بالهمس عند القدماء والمحدثين جميعًا.

---

(١) نعود.

(٢) أحمق.

وتنطق بمخرجها العربى الفصيح فى صنعاء، مع نوع من التفخم، الذى يلائم طبيعة البادية، والحياة فيها، ويمكن ملاحظة ذلك فى نطقهم هذه الكلمات: قلت- بتخايلك[1]- تحت- اختو شين عليّ[2].

ويظهر أن هذا التفخيم ليس خاصًّا بالتاء، فهم -بصفة عامة- يفخمون الأصوات، ويبرزونها قوية خشنة.

الدال: من تلك المجموعة التى تخرج من طرف اللسان على النحو السابق، وأهم ما تتصف به الجهر، والشدة.

وقد لاحظت أن نطق هذا الصوت فى صنعاء، يميل به نحو الهمس -قليلاً- حينما لا يقع تحت تأثير غيره من الأصوات المجاورة له، فهو يظهر مائلاً إلى صوت التاء المهموسة وتأمل معى نطقهم لهذه الكلمات: ادى لنا -دارى- مدارى-
ت ت ت
الوسايد[3]- دخلنا- مقصدى.
ت ت ت

هـ- حروف طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا:

الظاء: من أصوات هذا المخرج، وأهم ما يتصف به الجهر، والرخاوة، والإطباق.

وينطق -فى لهجة صنعاء- بصفاته العربية الفصيحة، وبخاصة الإطباق الذى يتمثل فى بروزه واضحًا، بتفخيم ظاهر، بخلاف ما ينتشر فى البيئة القاهرية من ترقيق هذا الصوت، وقربه فى النطق من صوت الزاى.

فيمكن أن نحس فيما يجرى حيًا على لسان الصنعانيين بتمثل المخرج والصفات كاملة لهذا الصوت كما هو مذكور فى كتب اللغة، ونلاحظ ذلك من سماع التسجيل الصوتى للكلمات الآتية:

ظهرى- الظُّهر- الظاهر- يحفظش[4].

الذال: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وهو مجهور رخو.

---

(١) يخيل إليك. (٢) التبست الأمور عليّ.

(٣) ما يتوسد به من حشو القطن ونحوه.

(٤) خطاب للمؤنثة بتحويل الكاف شينًا وأصله: يحفظك.

وينطق بفصاحـة فى مدينة صنعاء، ولعل سائر مناطق اليمن الشـمالية كذلك، فهم يخرجون لسانهم، بحيث يبـدو الصوت من طرف اللسان حين يتصل بأطراف الأسنان المعروفة بالثنايا- بوضوح جلى.

ويبـدو ذلك من الاستـماع إليـهم، ومن أقوالهم المدونة مـثل: الذى- ذِرِه- ذا الحين[1]- ذقت- أذان- جهال ساع الذر[2].

ويتبين -من هذا وغيره- صحة النطق الصنعانى للذال، وبقاء هذا الصوت الذى يحتاج إلى دقة فى استخدام أعضاء النطق.

ولذا انحرف فى بيئات عربية أخرى، ففى مـصر -مثلاً- قد تحول -أحيانًا- إلى صـوت الزاى الذى هو من طرف اللسـان وأصـول الثنايا العليـا فـالفـعل «ذهب» يقولون فيه «زهب» «ذنب» ينطقونه «زنب».

وأحـيانًا تحـول الذال إلى حـروف أخرى، كـالدال فى مـثل (دهب- للمعـدن المعروف- و(دبل) فـى (ذبل) للخضراوات ونـحوها- و(يدبح) فى (يذبح) وغـير ذلك كثير، بـيد أن الدكتور مطر يذكر أن بدو ساحل مـريوط لا يزالون يحتفظون بهذا الصوت[3].

وقد لاحظت أن بعض الحجازيين القاطنين بالرياض يبدلون الذال دالاً فيقولون: هدا بدل هذا مـثل قـــولهم: أعطنى من هدا ومن هـدا - ودحـين بدلاً من قـول الصنعانيـين: (ذا الحين) بإبدال الذال دالاً. أما سكان الرياض النجديون فـينطقون الذال عربياً فصيحًا.

الثاء: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، مهموس، رخو.

وقد بقى بنطقه الصـحيح فى لهجة صنعاء، -كسابقـه- فلسان العرب -هناك- يرتفع طرفه بحيث يتصل بأطراف الثنيتين العليين، فى صورة تحمل الطابع الأصيل

---

(١) هذا الوقت.

(٢) أطفال مثل الذر فى كثرة عددهم.

(٣) لهجة البدو ص٤٥.

ويمكن إدراك ذلك مما يوجد فى النصوص المسجلة، وما لاحظته بالمشافهة، فى مثل: ثلاثة وثلاثين -كثرة- أغثى[١] -الحراثات- ثوم.

وهكذا نلاحظ النطق العربى لهذا الصوت الذى يحتاج إبرازه إلى جهد[٢] بخلاف ما طرأ من تطور فى كثير من اللهجات العربية الحديثة، ففى لهجة مصر -مثلاً- انقلبت الثاء تاء فى بعض الكلمات مثل: تلاته وتالت فى (ثلاثة وثالث) وسينًا فى بعضها الآخر مثل (سبت) فى (ثبت) و(بحوس) فى (بحوث)، فترى أنها انتقلت من الثاء إلى حرفين آخرين فيهما نوع من الارتكاز الذى يقلل من الجهد العضلى.

وقد احتفظت بهذا الصوت لهجة بدو ساحل مريوط[٣] ولهجة نجد الحديثة، فقد سمعته بالرياض عربياً فصيحًا.

و- حروف طرف اللسان مع اللثة العليا:

اللام: من هذا المخرج، وهو مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة -كما يرى معظم الباحثين قديمًا وحديثًا- فهو من مجموعة الحروف المتوسطة (ل- ن- م- ر)، وهو -أيضًا- من الأصوات الواضحة (ل- ن- م)، وسميت هذه المجموعة بذلك؛ لأن نسبة وضوحها فى السمع أكثر من غيرها من الأصوات الساكنة، ولذا عقد علماء اللغة شبهًا بينها وبين أصوات اللين، إذ إنها ليست بالشديدة التى يسمع لها دوىّ وانفجار، وليست بالرخوة التى تسمح للهواء بالمرور المطلق، وهذا مستمد من وصف القدماء لها بالتوسط بين الشدة والرخاوة[٤].

ولكن سيبويه يعتبر هذه الأصوات شديدة، ونظرته تلك مبنية على تعريفه للصوت الشديد فهو -عنده- (ما يمنع الصوت[٥] أن يجرى فيه)[٦] ويبدو من

---

(١) أثالم.

(٢) إذ لابد لذلك من اتصال طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا بصورة تتطلب حذرًا ودقة.

(٣) لهجة البدو ص٤٤.

(٤) الأصوات اللغوية ص٥٢، ٥٣ وانظر كتابنا (العربية) ص١٨٠ والصوتيات اللغوية ص ٢١٤، ٢١٥.

(٥) الهواء. (٦) الكتاب ٢/٤٠٦.

كلامه أن الشــدة عنده ملحوظ فيها إقـفال المجرى الفموى وإن كــان مجرى الأنف مفتوحًا، والهواء مع اللام ينحبس بإقفال الفم باللسان وإن اتجه إلى طريق الأنف.

ولكن أحـدًا من العلماء لم يوافـقه على هذا الرأى فـما دام الهواء يـخرج عن طريق الأنف فهو متوسط، لأن الشدة تعنى حـبس الهواء مطلقًا، واللام لم يتحقق فيها ذلك، لأن الهواء معها يخرج من الأنف، وإن أقفل مجرى الفم.

وهذا الصـوت يخرج -فى الاسـتعـمال الصنعـانى- من مكانه الطبيـعى، وله صفات النطق العربى الفصيح ويتضح ذلك من مثل: صلين[١] -نزلنا- نصلى-.

الراء: من المخـرج المذكور، مـجهور مـتوسط كـسابقـه، ويعد -كـذلك- من الأصوات الواضحة التى أشرنا إليها.

ويوصف بأنه مكرر؛ لأن اللسان تـتكرر حركته واتصـاله باللثة العليا أكـثر من مرة، حال النطق به.

وينطق فصيحًا فى صنعاء، مثل: أنت عـتقنبر أو عتسير؟[٢] -أبرد لك يا رجال[٣] -لا حال بك شر[٤]- دفرت القبائل وفكوا السمسرة[٥].

النون: من هذا المخرج، إلا أن الأنف يشارك الفم فى خروجه، فالهواء معه يمر إلى نهاية الفم، ثم يتجـه إلى الأنف، حين يتصل طرف اللسان باللثة فـيخرج منه محدثًا الصوت المعروف بالغنة.

ويوصف هذا الصـوت بالجـهر، والتـوسط بين الشـدة والرخاوة، وهو رفـيق الصوتين السابقين (ل-ر) فى مجموعة الحروف الواضحة.

ونطقه -فى لهجـة صنعاء- فصيح كما يتـضح من الكلمات الآتية: نذقناه[٦] - النوم- سالبين[٧]- بنذبحهن[٨].

---

(١) إلى أين؟ (٢) اتجلس أو تسير؟
(٣) اسكت يا رجل. (٤) لا نزل بك مكروه.
(٥) دخلت القبائل بكثرة وفتحوا السمسرة -وهى بناء معروف تحفظ فيه الأموال.
(٦) استغنينا عنه وألقينا به.
(٧) مسرورين. (٨) يريد: نذبح الغنم.

ز- حروف طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى:

السين: من أصوات هذا المخرج، ويصفه علماء اللغة بالهمس، والرخاوة، كما أن له خاصية الصفير، وهو صدور صوت مصاحب له يشبه صفير الطائر.

وينطق عربياً فصيحًا فى لهجة صنعاء، ومن أمثلة ذلك:

سرنا -جلسنا- خلست الستر[١]- أجّس[٢].

الزاى: من أصوات هذا المخرج، وهو مـجهور، رخو، وله -كسابقـه- خاصية الصفير.

وينطق فصيحًا فى اللهجة المدروسة، ومن أمثلة ذلك:

زوجش[٣] -نكّزتنى[٤]- بيزاوطنى[٥].

الصاد: من أصـوات هذا المخرج، وهو مهمـوس، رخو، ويمتاز -كـالصوتين السابقين- بأن له صوتًا يشبه صفير الطائر حال التفوه به.

وينطق فصـيحًا فـى صنعاء، إذا لم يتأثر بغـيره، أو بموقع خـاص، ومن أمثلة ذلك:

الصبوح[٦] -العصيد[٧]- الرصده[٨].

ح- حروف الشفة مع الأسنان:

وهذا خاص بصوت:

الفاء: فهو شفوى أسنانى، مجهور شديد.

---

(١) خلعت المعطف.

(٢) يظهر أنها من (الهجس) الذى يمر بنفس الإنسان فيجعله يكثر من الكلام والتخيل.

(٣) زوجك. (٤) أيقظتنى.

(٥) يجرى ورائى محاولا اللحاق بى.

(٦) طعام الإفطار.

(٧) نوع من الأكل مصنوع من طحين الذرة المخلوط بالسمن.

(٨) الطريق المعبدة.

وينطق فصيحًا فى اللهجة المدروسة، ومن أمثلة ذلك:

افتهنت[١] -فيسع[٢]- فتوت[٣]- الفلاحش[٤]- تتفرطين[٥].

ط- حروف الشفتين:

الباء: تخرج من بين الشفتين، وهى صوت مجهور شديد، وينطق فصيحًا فى لهجة صنعاء.

ويبدو فيها مفخمًا قليلاً، حتى أدى ذلك إلى استعماله -أحيانًا- بصورة لا تعهدها العربية، كصوت (P) فى اللغات الأجنبية.

ومن أمثلة النطق الشائع: قبل -باقى- مابش[٦]- يا حجاب الله[٧].

ومن النطق باء (P) ثقيلة ما قرأته فى أحد النصوص المسجلة وهو: القبايل هجمت البير مع الظلمة مكنش به مثل الوقت الحاضر[٨].

ويذكر الدكتور رمضان عبد التواب أن الباء الثقيلة (P) مهموسة، وهى -أصلاً- كانت موجودة فى اللغة السامية الأم، وقد تطورت إلى (فاء) فى اللغات السامية الجنوبية، وهى: العربية، والحبشية، وبقى الأصل كما هو فى اللغات السامية الشمالية، وهى: العبرية، والآرامية والأكادية.

ومثال ذلك: palag (פלג) فى العبرية = plag (ܦܠܓ) فى الآرامية بمعنى: شق فيهما = Palag فى الأكادية بمعنى: قناة = Falag (ፈለገ) فى الحبشية، بمعنى: جدول = «فَلْجٌ» و «فَلَج» فى العربية، بمعنى: شق[٩].

---

(١) استرحت. (٢) بسرعة.

(٣) قطع من الخبز مع السمن أو الزبد.

(٤) الأشياء غير المهمة التى لا تفيد صاحبها.

(٥) التفرط: لقاء النساء فى حفل زواج أو ولادة أو نحو ذلك.

(٦) لا يوجد. (٧) أسلوب تعجب.

(٨) دخلت القبائل هذا المكان فجأة، وقت شدة الظلام فلم تكن الكهرباء أو غيرها من وسائل الإضاءة موجودة فى هذا الوقت الماضى كما هى الآن.

(٩) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس- ص ١٠٧، ١٠٨.

الميم: من أصوات الشفتين، وهو مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة.

ويمتــاز -كذلك- بخاصيــة مرور الهواء معــه من الأنف بعد انطباق الشفــتين، انطباقًا تامّــاً، فتسدان مجرى الهــواء الفموى، وتجعلانه يتجــه إلى مجرى الأنف، محدثًا ما يعرف لدى القراء باسم (الغنة).

وهذا الصوت يخرج فصيحًا فى لهجة صنعاء.

ومن أمثلة ذلك:

نقمبر(١) - مسقوفة(٢) - المجزرة(٣) - عيذ لجم(٤) - المصْون(٥).

ج ج

---

(١) مجلس.

(٢) ذات سقف.

(٣) محل بيع اللحم.

(٤) سيطير.

(٥) قطعة من القماش تضعها المرأة على رأسها.

٢- الأصوات الصائتة

أطلق المحدثون تلك التسمية -كما ذكرنا- على أصوات المد (واى) والحركات القصيرة ويسمونها -كذلك- «أصوات اللين» Vowels ولهذه الأصوات أهمية خاصة فى الدراسة، لأنها صعبة النطق فى اللغات الإنسانية المختلفة، بحيث لا يستطيع أحد أن يقلد نطقها فى لغة أخرى غير لغته الأصلية، إلا بالتعلم والتلقين الدائبين، ومع ذلك فإنه لا يحسن نطقها -غالبًا- كما يحسنه أهلها الأصليون، فيصعب على الإنجليزى تقليد النطق الفرنسى لهذه الأصوات، والعكس صحيح أيضًا، كما أن الألمانى لا يمكنه تقليد أحد النطقين المعروفين عند الإنجليز والفرنسيين، وذلك لما لهذه الأصوات من طبيعة خاصة بها تختلف بين هذه اللغات (الإنجليزية -الفرنسية- الألمانية) وكذلك شأن العربية بين هذه اللغات.

وفى لهجات اللغة الواحدة -أيضًا- يختلف نطق هذه الأصوات ففى اللهجات الحديثة للغة العربية نلحظ هذا الاختلاف، ففى اليمن والمملكة العربية السعودية- يقولون فلان (جا) والناس (جوا) على اختلاف فى طريقة نطق الألف، وفى مصر نجد بعض المناطق تنطق الفعل (جاء) (جه) وبعضها تنطقه (إيجه) ويقولون: الناس (جُم) إلى غير ذلك من وجوه النطق المختلفة فى تلك اللهجات وغيرها مما ينطق فى سائر أقطار الوطن العربى.

وفى اللهجات العربية القديمة يختلف نطق الألف فتحًا وإمالة عند قبائل الحجاز وقبائل شرقى الجزيرة ووسطها، كما نقلت لنا كتب اللغة ويتداول حتى الآن فى العربية الفصحى[1].

وهكذا نرى أن الألف قد اختلف نطقها بين طوائف متعددة، مع أنهم أرباب لغة واحدة تشمل لهجات هؤلاء جميعًا هى العربية الأم الفصحى.

---

(١) انظر مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد السادس- ص ١٥٠، ١٥١ من بحث بعنوان (تفسير بعض مشكلات العربية الفصحى) وانظر ص ١٧٣ وما بعدها من هذا الكتاب.

ولهذه الأصوات خصائص اكتشفها الباحثون حديثًا أهمها:

١ - أنها واضحة، فتسمع عند نطقها بكل صفاتها، بخلاف الصوامت التى تحدثنا عنها فهى كثيرًا ما تخفى على السامع[١].

٢- أنها شائعة فى التركيب اللغوى، فلا تخلو منها كلمة، فلذا يكثر الخطأ فى نطقها، ويتجلى ذلك فيما ذكرناه من وجوه نطق الفعل (جاء).

٣- أنها مجهورة -تحرك الأوتار الصوتية حال نطقها- بخلاف الصوامت فبعضها مجهور، وبعضها مهموس (لا يحرك الأوتار الصوتية حال النطق به).

وقد عرف علماؤنا القدامى طبيعة الصوائت فتناولوها فى بحوثهم، وكانت لهم نظرات ثاقبة فى إدراك خصائصها الصوتية إلا أنهم أطلقوا عليها تسميات مختلفة[٢].

ولما كانت للصوائت طبيعتها التى لا تثبت على حال واحدة، فقد آثرت أن أصفها -فى لهجة صنعاء- حين تبدو بوضعها الطبيعى، وعند حديثى عن التغيرات الصوتية أفصل ما يطرأ عليها من تغير واختلاف فى تلك اللهجة وستكون لهجة صنعاء دليلاً عمليّاً ميدانيّاً على التغيرات الكثيرة التى تعتور هذا النوع من الأصوات.

والصوائت -كما عرفناها- حروف المد والحركات (الفتحة -الكسرة- الضمة) ويطلق على أصوات المد اسم «أصوات اللين الطويلة» وتسمى الحركات: «أصوات اللين القصيرة» وتنطق جميعها فى لهجة صنعاء -فى بعض مقامات القول- نطقًا يتفق مع العربية الفصحى مثل:

قالوا: -كمسيتو؟[٣] -مساكم بالخير والعافية[٤]- الله يعافيش[٥] يا أختى هيا خاطركم[٦]- عتسيروا بيت فلان؟

---

(١) انظر ص ٤٧٠، ٤٧١ من هذا الكتاب.

(٢) انظر كتابنا (العربية) ص ١٤٧ وما بعدها وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ١٢٠ وما بعدها.

(٣) كيف أمسيتم؟

(٤) جعل الله مساءكم خيرًا وعافية

(٥) تلاحظ هنا الكشكشة المعروفة عند العرب وهى قلب الكاف فى خطاب المؤنث شينًا.

(٦) نستودعكم الله.

فلو لاحظنا الحركـات فى العبارات السـابقة نجدها تشـمل أنواع أصوات اللين الطويلة (وای) وأصـوات اللين القصـيرة (ـَـِـُ) ومعظم مـا ورد منها يمـثل فى اللهجة النطق العربى الفصيح، وإن كـان يبدو على النطق الصنعانى بعض السرعة البدوية التى تجـعلهم لا يوفـونها حقـها من المد اللازم لها، أو بعـبارة اللغويين لا يجعلونها -بوجه عام- تستغرق الوقـت المقرر لها، لأنهم يعتمدون على سرعة النطق المعروفة بين هذه القبائل وغيرها ممن نشأوا بالبادية.

كما يلاحظ عـلى نطـقهم لـهذه الأصـوات نـوع من النبر الشـديد، ويبدو ذلك -بوضوح- فى صوت الألف الذى يتمثل لسامـعه وكأنه همزة، لا ألف لينة، كما أن الواو الطويلة يبدو عليها لون من الخطف السريع.

وهم يقصـرون الحركـات الطويلة، ويطيلون الحركـات القصـيرة فى مناسـبات عديدة، وسوف نأتى على ذلك فيما بعد.

ثانيا: الأصوات حين تتأثر بغيرها

١- الصوامت

فى لهجة صنعاء طائفة من الأصوات الصامتة تتأثر بغيرها، فيعتريها الإبدال والقلب، وسنبين -هنا- اتجاهاتها، والقوانين التى تحكمها.

الهمزة:

تخلصت اللهجة الصنعانية من صوت الهمزة، فى كثير من مواقعه، بالحذف أو التسهيل، كما أنها أبدلته من حروف العلة، فيما اصطلح عليه بنبر الهمز.

أما الحذف فيبدو فى مواقع مختلفة من الكلمة، أولاً، ووسطًا، وآخرا، فمثال حذفها أولاً:

لعمال[١] -حداً[٢]- لجل[٣]- أين نت[٤]- صلين[٥]- شرقد[٦] وحمل حمله[٧]- يا بى[٨]- لخى[٩]- كمسيتو[١٠]؟

ومثال حذفها وسطًا:

مرة[١١]- فجة[١٢].

ومثال حذفها آخراً:

شى[١٣]- غدا- عشا- جا[١٤]- جوا[١٥]- جت[١٦].

---

(١) الأعمال.
(٢) أحد.
(٣) لأجل.
(٤) أين أنت.
(٥) إلى أين.
(٦) سأرقد.
(٧) وأحمل حملة أى أسرع.
(٨) يا أبى.
(٩) لأخى.
(١٠) كيف أمسيتم؟
(١١) مرأة.
(١٢) فجأة.
(١٣) شىء.
(١٤) غداء -عشاء- جاء.
(١٥) جاءوا.
(١٦) جاءت.

التحليل اللغوى للحذف:

يتبين من الأمثلة السـابقة أن الهمزة فى لهجة صنعاء تحـذف وسطًا، كما تحذف آخرًا، ولا تحـذف أولاً إلا فى حالة الوصل فى معظم الأحـيان أما فى غيـر حالة الوصل، فإن الصنعانى ينطقها دون حذف.

وحذفها يتجـه إلى التخلص من مقطعها الذى يحتاج إلى ضـغط وشدة، لتتجه الكلمة ناحية السهولة.

ويلجأ الصنعانى إلى حذف الهمزة أولاً، للتخلص منها، اختصارًا لمقطعها مثل: لا حدا -لخى، وفى حالة الوصل يعـمد كثيرًا إلى حذف الهمـزة التى كانت جزءًا من مـقطع مغلق، تبـتـدئ به الكلمة، ويكون من الـصوت السـاكن السابق لهـا والصوت التالى لها مقطعًا مغلقًا جديدًا، كما فى شرقد -وحمل- لجل، ولعمال- أين نت إلخ.

ويبدو أن العربى -آنذاك- يعامل الهمزة المحققة معاملة همزة الوصل فى حذفها إذا وقعت فى درج الكلام.

وقد يحـول الصنعانى المقطع المغلق فـى أول الكلمة إلى مقطع مـفتـوح فكلمة (مرأة) ينطقـها (مرة)، وكلمـة (فجأة) ينطقـها (فجـة) كما سـبق ويتوصل لذلك بتحريك الساكن، أو بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

وفى آخر الكلمة تتخلص اللـهجة من مقطع الهمزة، كما فى غـدا -عشا- جا وكذا إذا اتصلت الكلمـة المشتملة على الهمزة بغـيرها، كما إذا كـانت فعلاً اتصل بضمير أو علامـة تأنيث -مثلاً- فإن مقطع الهمزة يحـذف، وينشأ مقطع مغلق من المقطع المفتوح الذى قبلهـا، والضمير أو علامة التأنيث فـمثلاً: (جاءوا) و(جاءت) يقول فيهـما، (جوا) -(جِت) فيحول اللين الطويل إلى لين قصـير يتصل بالصوت التالى للهمزة، فـيكون معه مقطعًا مغلقًا جديـدًا، وبذلك تصير الكلمة مكونة من مقطع واحد مـغلق، بعد أن كانت تشتمل على مـقطعين أحدهما مفـتوح والآخر مغلق.

أما التسهيل فلم يأت أولاً، لأنهم اكتفوا بالحذف بدلاً منه، ولكن يبدو من تتبع كلامهم وقوعه وسط الكلمة، وفى آخرها.

فمثال وقوعه وسطا:

ملان[١] -هولاك[٢]- جاوع[٣]- خايف[٤]- بير[٥].

ومثال وقوعه آخراً:

نابى[٦] -شانبى[٧]- جشيت جشوه[٨]- أبطيت[٩]- خبّيته[١٠]- جى جى[١١].

التحليل اللغوى لتسهيل الهمزة:

التسهيل أحد طرق التخلص من الهمزة، وهو ظاهرة لغوية بارزة فى لهجة صنعاء، نلاحظها حين تقع الهمزة وسطًا أو آخرًا، أما إذا وقعت أولاً فإنه لا يتأتى التسهيل.

ويبدو أن الصنعانى -أحيانًا- يحول المقطع الذى وقعت فيه الهمزة -إذا كان مغلقًا- إلى مقطع مفتوح، وهو -مع ذلك- ينشئ صوت لين طويلاً، كما فى بير -ذيب- ماجور- راس- فاس- لوم- جى جى، فأصلها: بئر -ذئب- مأجور- رأس- فأس- لؤم- جىء جىء.

وقد يكون التغيير فى أكثر من مقطع، مفتوح ومغلق، مثل: ملان -شانبى.

وهو -كذلك- يحول الهمزة إلى واو أو ياء -ليستا مدآً- إذا كانت مضمومة أو مكسورة، كما فى هولاك، خايف، ونلاحظ أنه يحول الهمزة غير المضمومة إلى واو -فى بعض الأحيان- إذا تأثرت بالضم السابق عليها كما فى جشوة، ونحوها.

---

(١) ملآن.

(٢) هؤلاء.

(٣) جائع.

(٤) خائف.

(٥) بئر.

(٦) نبأ (خبر).

(٧) سأنبئ بمعنى: سأخبر.

(٨) جشأت جشأة.

(٩) أبطأت.

(١٠) خبأته.

(١١) جىء جىء.

وقد بقيت آثار لهجية تؤكد إحساس الناطقين بأصول الكلمات كما فى نطقهم كلمتى (جاوع) و(جاوعين) بالواو دون الياء، مع أنها مكسورة وكان مقتضى كسرها أن تقلب على حسب طريقتهم ياء. كما فى (خايف) ونحوها، فهذا منهم دلالة على أصل الواو التى تحولت إلى همزة فى الفصحى.

وقد يبدلون الهمزة ياء فيما يعرف بالتخفيف البدلى، مثل: جشيت -أبطيت- أخطيت، وكان ينبغى إطالة اللين القصير قبل الهمزة المبدلة، فيقال: جشات، أبطات، أخطات، على حسب القياس المتبع فى تخفيف الهمزة، فإذا كان قبلها فتحة أصبحت ألفًا، وإذا كان كسرة أصبحت ياء، وإذا كان ضمة أصبحت واوًا.

والتخفيف بنوعية القياسى والبدلى وارد عن العرب، قال ابن الأنبارى «ويقال أردأت الرجل وأرداته وأرديته، فمن قال: أرداته لين الهمزة، ومن قال: أرديته انتقل عن الهمز، وشبه أرديت بأرضيت، ومثل هذا قول العرب: قرأت بتحقيق الهمز، وقرات بتليين الهمزة وقريت بترك الهمز، والانتقال عنه إلى التشبيه بقضيت ورميت[1]».

وتحليلنا لهذه الظاهرة -فى لهجة صنعاء- يرينا أنها لجأت- كغيرها من اللهجات الحديثة- إلى تسهيل الهمز والتخلص منه، وهذا خاضع لما يسمونه بقانون السهولة، فاللغات -فى تطورها- تجنح إلى الخفة فى أصواتها، فتتخلص من الأصوات الشديدة الصعبة، وتلجأ إلى السهل من الأصوات -غالبًا- لأن المتكلم يفضل أن يقتصد فى الجهد العضلى، ليريح نفسه من العناء والمشقة اللازمة لنطق الأصوات الصعبة، ولكن هذا القانون غير مطرد، «فليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير ينطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية فى اللغة، فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتى كان عكسيًا أى من السهل إلى الصعب -كما وجد فعلاً فى بعض الحالات- فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة، تسوغ هذا التطور، وهو -لا شك- سيجدها فى ظروف خاصة باللغة التى قد يحدث فيها هذا النوع من التطور، فليس ينقض هذا القانون أن نجد أحيانًا أصواتًا سهلة تطورت إلى أصعب منها فى بعض الحالات»[2].

(١) الأضداد ص ٢٠٨.
(٢) الأصوات اللغوية ص ٦٩.

وقد اتجهت الهمزة إلى التسهيل لأنها صوت حنجرى انفجارى شديد يحتاج إلى جهد عضلى كبير، ولذا تخلصت منها فى القديم قبائل عربية فصيحة كقبائل الحجاز، على حين احتفظت بها قبائل البادية كتميم ومن جاورهم، فبيئة الحجاز المتحضرة -وبخاصة قريش فى مكة والأوس والخزرج فى المدينة- كانت تسهل الهمزة، وبيئة وسط الجزيرة وشرقيها -كتميم وقيس وأسد ومن جاورهم- كانوا يحققونها.

وقد تأثرت بهم بعض القبائل الحجازية فحققوا الهمزة، وسماهم سيبويه أهل التحقيق[١].

وهذا كله قائم على أساس اختلاف اللهجات وشئون الاجتماع العربى فالقبائل البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة فى نطقها، لأن طبيعتها تتناسب مع الفرقعات، والأصوات السريعة، على حين تميل القبائل الحضرية إلى رخاوة تلك الأصوات[٢].

وإذا كانت البيئة الصنعانية تعد من البيئات المتحضرة التى لجأت إلى التخلص من الهمزة بالحذف والتسهيل، فإن بقايا لهجية هناك لا تزال تحمل طابع البادية، كقلب حروف العلة إلى همزات فيما يعرف بنبر الهمز، كما نسمعها بالأذن المجردة فى نطق كلمات مثل: (هيأ)[٣] -(هانأ)[٤]- (مكأن)[٥]- (كتأب)[٦]- (سوُئ)[٧]- (جؤا)[٨]- (تخطئ)[٩]- (بئع)[١٠]- (خصمئ)[١١].

فالسامع لذلك يحس فرقعة شديدة تتناسب مع البدو وذلك يتمثل فى نطقهم للألف والواو والياء، وكأنهم ينطقون همزة لا حروفًا لينة.

---

(١) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد السادس- ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٥.

(٣) أصلها: هيا.

(٤) أصلها: هنا.

(٥) مكان.

(٦) كتاب.

(٧) كلمة تعنى الاتفاق.

(٨) جاءوا.

(٩) تخطو.

(١٠) بيع.

(١١) خصمى.

ومعنى ذلك أنهم ينتقلون من السهل إلى الصعب، لكن النظرة المتأنية تدرك أن هذا -فى الحقيقة- يرجع إلى طبيعتهم التى كانت متأصلة فيهم، وهم يعيشون حياة بدوية خالصة.

ويمكن أن نطبق ذلك على تحويلهم الفتحة الطويلة فى (ما) النافية إلى صوت العين الحلقى حين ينطقونها (مَعْ) التى يستعملونها للنفى فإذا قلت لأحدهم: هل ذهبت إلى البيت؟ أو هل قابلت فلانًا؟ وأراد النفى قال لك: (مَعْ) بمعنى (لا).

فالملاحظ أن كلمة (مَعْ) أصلها (ما) النافية -بالألف اللينة- ولعلها تطورت عن طريق النبر، بقلب الألف همزة كما هو واقع فى بعض اللهجات القديمة والحديثة على سواء، فقد ورد عن بعض العرب الفصحاء نطق بعض أصوات اللين همزة، مثل: حليت السويق يقولون: حلأت، ورثيت زوجى يقولون: رثأت وعليها بعض القراءات القرآنية فى مثل: ﴿**وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة: ٧] - ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**﴾ [الرحمن: ٥٦، ٥٧] تقرأ: (ولا الضألين) -(ولا جأن) بنبر الألف همزة.

ويلاحظ ذلك فى بعض اللهجات الحديثة، فالقاهريون يقولون فى (لا) النافية (لأ) بنبر الألف همزة.

وقد سلك الرجل البدوى مسلكًا آخر حين انتقل من نبر الهمز إلى القلب عينًا[1] مبالغة فى تفخيم الصوت وارتفاعه ليتناسب مع خلاء الصحراء الواسع، ولهذا نظائر فى لهجة صعيد مصر الحديثة، فهم يقولون فى (لا) النافية: (لع).

وهذا يوضح ما تنطوى عليه لهجة صنعاء من آثار الحياة البدوية التى كان يحياها بعض أهلها من قبل.

وقد حللنا ذلك فى إحدى المقالات اللغوية التى نشرناها عن تلك اللهجة فى جريدة الثورة اليمنية عام ١٩٧٤م.

---

(١) يقلب الصنعانى الهمزة أحيانًا إلى عين مثل (بدع) فى (بدأ). انظر: بحث الأستاذ أحمد حسين شرف الدين فى مجلة (الدارة) ص ١٢٨.

ولعل هذا مما يفسر الانتقال من السهل إلى الصعب، ويؤكد أن قانون السهولة ليس مطردًا كما ذكر الدكتور إبراهيم أنيس، وعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده للكشف عن أسباب أخرى لأية حال مخالفة لهذا القانون.

ومن هنا نفهم سر تحويل الهمزة إلى صوت لين والعكس فى لهجة صنعاء.

ويمكن -على هذا الأساس- أن نفسر «همز ما ليس أصله الهمز»[1] فى العربية الفصحى، مثل قولهم: حلأت السويق، ولبأت بالحج، ورثأت زوجى، قال ابن السكيت: «وقالوا: حلأت السويق، وإنما هو من الحلاوة وقالوا: لبأت بالحج وأصله: لبيت... وقالت امرأة: رثأت زوجى بإثبات الهمز».

فالتفسير العلمى لهذه الظاهرة -فى نظرنا- أن هذا الهمز- كما نسمع فى صنعاء- ناشئ عن طبيعة الحياة البدوية، فهى لهجة البدو التى تتسم بهذه السمة من الفرقعة والصخب، وتميل إلى الشدة فيما يتفوه به من أصوات، وليست للمبالغة أو التفصح أو الحذلقة عن طريق القياس الخاطئ كما يذهب بعض الباحثين المحدثين[2].

الباء: لاحظنا أن الباء تنطق عربية فصيحة، فى اللهجة الصنعانية، وقد سمعت الصنعانى يحول الميم إلى باء، بطريق الإبدال، حين يحاول تذكر اسم شىء غاب عن ذهنه فى أثناء الكلام مثل قوله: إدًى لنا مقلى -بِسمِه- فول حامى[3]- إنهم- بِسمِه- جؤسيس[4].

وهذا النطق خاص بحالة نسيان اسم شىء، وهى عادة فى كلامهم، ويشيع مثل ذلك فى لهجة الرياض بالمملكة العربية السعودية بطريقة أخرى حين نسمع أهلها يقولون: (إيش اسمه).

بيد أننا نلاحظ أن الصنعانيين ينطقون الفعل (سمى يسمى) دون أن يأتوا قبله بالباء التى يتوقع أن تكون بدلاً من الميم هنا.

---

(١) انظر إصلاح المنطق لابن السكيت فقد عقد فصلا بهذا العنوان ص ١٥٨.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس- من رأى للدكتور رمضان عبد التواب ص ١٥٥، ١٥٦.

(٣) جاء لنا بمقلى -ما اسمه؟ -فول ساخن.

(٤) إنهم -ما اسمهم؟ -جواسيس.

والتعبير الأول -كما يبدو- تحولت فيـه الميم التى هى جزء من (ما) الاستفهامية إلى باء، فكلمة (بسمه) أصلها: (ما اسمه؟!)، فصارت: (باسمه) بقلب الميم باء، ولما أمالوا ما قـبل هاء الضمير -كمـا هى عادتهم- تأثرت فتحة الـباء -المنقلبة عن الميم- بكسرة الحرف الذى قـبل الأخير فأبدلت كسرة، وهذا مـا يعرف لدى علماء الأصـوات المحدثيـن، بالتأثر الـرجعى، أو المدبر، وهـو جزء من قـانون المماثلة المشهور فى علم اللغة.

وهذا يوافق ما روى عن قبيلة مازن العربية الفصيحة قديمًا من أنها كانت تقول: (باسمه؟) فى: (ما اسمه؟).

فالذى نجده فى لهجـة صنعاء، يثبت صحة ما نقل إلينا عن هذه القـبيلة العربية ومن تابعها فى إبدال الميم باء.

ويحاول اللـغويـون المحـدثـون أن يفسـروا ذلك بما يـسـمى بالقـياس الخاطئ، أو الحذلقة اللغوية، فقبيلة مازن -مثـلاً- كانت تقلب الباء ميمًا، والميم باء، -فيما روى عنهـا- فى مثل: بكـر ومكر، بوضع الميم مكان البـاء، والعكس، ويتسـاءل الدكتور رمضان عبد التـواب عن السبب الذى كان يدعوها لقلب كل من الصوتين إلى صاحبـه ثم يقول: «الظاهر أن الأمر لم يكن كما رواه اللغـويون العرب تمامًا، وأن هذه القبيلة إنما كـانت تقلب الباء ميمًا، فحـسب، أى أنها كانت ترخى الطبق أو سقف الحنك الرخـو عند النطق بالباء فيتـسرب الهواء إلى الأنف، فتـبدو الباء كـالميم، غيـر أن الرجل من مازن عندمـا كـان يريد محـاكاة اللغـة الأدبية، لغـة الشعراء، والخطباء فى ذلك الوقت، كان يحاول إرجاع الميم إلى نطقها الأدبى وهو الباء، ويبـالغ فى ذلك إلى درجة يطغى مـعهـا على صوت الميم القـديم كذلك، فيـحوله فى نطقـه، إلى باء، حذلقة منه، ومـبالغـة فى التفصح، وهنـا يظهر لمن يسمعه فى كلامه اليومى، وكلامه الأدبى، كأنه يقلب الباء ميمًا، والميم باء»[1].

وهذا التحليل لا تـؤيده دلائل علمية أكـيدة، ولعل الظاهرة لم تكن من قـبيل القيـاس الخاطئ، أو الحذلقة اللغـوية، فلم يثبت ذلك فى لهجـة صنعاء، بل هى

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السابق ص ١٥٥.

مجـرد اختيار لصـوت الباء، وإبداله من الميم لسهـولته فالميم صوت يحـتوى على الغنة، وهى تحتـاج إلى جهد عـضلى، على حين أن البـاء لا تشتمل عليـها -مع اتحادها مع الميم مخرجًا- فيسهل النطق بها بدلاً منها.

التاء: تتـبادل التـاء مع الثاء، والدال، والزاى، والطاء، فى مـواقع معـينة من الكلمات.

فقد لوحظ أن صوت التاء إذا وقع فى ألفاظ العدد يفخم بحيث يصبح طاء لدى السـمع، مـثل: ثلطـعش -أربعطعش- خـمـسطعش- سطـعش- سـبـعطعش- ثمنطعش- تسعطعش[1].

كما لوحظ -أيضًا- أن التاء تنطق دالاً أحيانًا، مثل: (المدكأ)[2]- أصله: المتكأ- و(تدشع)- أصله: تتجشأ.

وتنقلب زايًا فى مثل: (زارة) -بمعنى: تارة.

كما لوحظ تحول الدال إلى تاء إذا سكنت أو سكن ما بعدها، مثل: (التيمة)[3] -أصله: الديمة- و(التفتر)- أصله: الدفتر- و(قد) و(شر قد)[4] بنطق الدال تاء.
ج ت ج ت

وهذا التطور خاضع لقوانين صوتية يسير وفقها.

فتحـول الثاء إلى تاء، وإدغامـها فيهـا، قائم على قانون السهـولة، والمماثلة، والتفخيم.

فـالسهـولة تـتمثل فى أن الـثاء من الأصـوات الرخـوة، والتاء من الأصـوات الشديدة، والصـوت الشديد أسـهل نطقًا من الصـوت الرخو، فالشـديد لا يكلف مجهودًا عضليًا كبيرًا، بخلاف الرخو الذى يحتاج إلى مزيد من الجهد، وبذل القوة فى النطق، يقول الدكتور أنيس: إنه قـد يكون أسهل على المرء وهو يجرى بأقصى

(١) ثلاثة عشر -أربعة عشر- خمسة عشر- ستة عشر- سبعة عشر- ثمانية عشر- تسعة عشر.

(٢) المجلس.

(٣) المطبخ.

(٤) سارقد.

سرعته أن يصطدم بحائط أمامه من أن يحاول الوقـوف قبل الحائط بمسافة قصيرة، وكذلك اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتـقاء به التقاء محكمًا ينحبس معه النفس -وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة- من أن تقف حـركته عند مسافة قصـيرة من الحـنك، ليكون بينهمـا مجـرى يتسـرب منه الهواء كـما يحـدث فى الأصوات الرخوة»[1].

فتحـول الثاء إلى التاء يؤدى إلى الاقتصـاد فى المجهود العضلى، وهذه طبـيعة الرجل البدوى، الذى يحاول دائمًا التقليل من هذا الجهد.

والذى دعـا إلى هذا الإبدال هو قـانون المـاثلة المشـهور الـذى ينبنى على أن الأصوات المتجاورة يتأثر بعضها ببعض، فلو تجاور صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين مـتقاربين، واخـتلف أحدهمـا عن الآخر فى بعض الصـفات كالجـهر والهمـس، أو الشدة والرخـاوة فإن التفـاعل بينهـما يدعوهمـا إلى التمـاثل، فى المخارج أو الصفات، وهذا يدعو إلى قلب أحدهما إلى صورة الآخر، ليتحد معه، فإذا مـا كان الاتحـاد تامًا بـينهمـا سمـوا ذلك بالتأثر الكلى، وإذا كـان فى بعض النواحى دون بعضها الآخر سموه بالتأثر الجزئى[2].

والواقع أن التأثر -هنا- فى كل الخصائص الصوتيـة، فقد قلبت الثاء تاء فاتحدتا مخـرجًا، وصـفـة، ثم سـكـن الصـوت الأول، وأدغـم فى الثانى، فـيدخل تحت ما يسمونه بالتأثر (الرجعى).

وتأتى عملية التفخيم بعد الإدغام.

ويبدو أن ذلك التـفخيم ناشئ عن قانون المـاثلة -أيضًا- فقد تجـاورت التاءان المدغمتـان مع العين، وهى حرف استعـلاء يقتضى تفخـيم الأصوات المجاورة له، فـأدى ذلك إلى اتجـاه التـاء إلى نظيـرها المطبق، وهو الـطاء، على الصـورة التى نسمعها من الناطق الصنعانى.

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٧١.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الخامس ص١١٢، ١١٣ والعدد السادس ص١٣٣، ١٣٤.

وقد اتجه إلى طريق المماثلة -كذلك- قولهم: (المدكأ) -فى المتكأ- فالتاء -كما نعلم- صوت مهموس، وقد تجاور مع صوت الميم المجهور قبلها، وهما متقاربان مخرجا، فالشفتان للميم، وأصول الأسنان للتاء، إلا أنهما يختلفان فى الجهر، والهمس، فالانسجام الصوتى يقضى بقلب التاء دالاً حتى يكونا مجهورين، وذلك أسهل لنطقهما، و«لتزداد -مع مجاورتها- قربها فى الصفات والمخارج»[1] وهذا التغير تقدمى.

وكذلك قولهم (تدشع) -فى تتجشأ- فالتاء المهموسة مجاورة للجيم المجهورة، فقلبت دالاً لتماثلها فى الجهر، ثم تحولت الجيم إلى دال لتتجانس مع سابقتها، وأدغمت فيها فصارت كما ترى، وهذا كله نابع من الانسجام بين الأصوات، وكثيراً ما يفعل ذلك أرباب البادية، لميلهم إلى إدغام الأصوات، وإدخال بعضها فى بعض.

ويقرب من هذا نطق أهل الصعيد فى مصر الجيم دالاً، فيقولون فى (جاموسه): داموسه، وفى (جمل): دمل.

وكذلك قلب التاء زايًا فى (زارة) -بمعنى: تارة- فلما كانت التاء مهموسة، وتجاورت مع الراء المجهورة، ناسب قلبها زايًا مجهورة لتكون موافقة للراء فى الجهر، وقريبة من التاء فى المخرج، وهذا خاضع لقانون المماثلة السابق.

أما تحول الدال إلى التاء -فى الأمثلة السابقة- فقد تم فى بعضها نتيجة مبدأ المماثلة -أيضًا- كما فى كلمة (الدفتر) التى تنطق (التفتر) إذ إن الدال -كما نعلم- مجهورة، والفاء والتاء مهموستان، ولابد للانسجام الصوتى من التماثل بينهما فى الصفات، فحولت الدال المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو التاء، إذ إنها من مخرج الدال، وتحمل صفة الهمس التى تتفق بها مع الفاء والتاء بعدها، فتحقق الانسجام الصوتى، وهذا التأثر يعد رجعياً أيضًا.

ويلاحظ إدغام اللام فى التاء المبدلة من الدال، وذلك جائز لتقارب المخارج، وقد أدى قانون المماثلة إلى تحول اللام إلى تاء وإدغامها فيها.

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٠٦، وانظر الكتاب ٢/ ٤٢٦ والخصائص ٢/ ١٤٤.

وفى بعض الأمثلة -كالديمة- حيث تنطق: (التيـمة) يبدو أن قانون المخالفة قد عـمل عمله، إذ إن الأصوات الثـلاثة: (د-ى-م) مجهـورات -تهز الأوتار الصوتية هزاً يتـوالى بعضه وراء بعض- وذلك قد يؤدى إلى بذل جـهد عضلى كبير، والبدوى -كما نعلم- يريد أن يقـتصد ما استطاع، فحول الصوت الأول إلى تاء مهـموسة، ثم إن صـوت الياء يترك لـلهواء حرية المرور إلى حـد ما، فالانتـقال منه إلى صوت الميم -مـع ما فيه مـن الذلاقة (الخفـة) يجعل النطق سهلاً.

ومع ذلك فقـد تحولت الدال إلى صوت من مـخرجها، وهـو التاء يفقد صـفة الجهر ذات الطابع المحتاج لهز الأوتار بشدة.

ويمكن أن نعلل بذلك قلب الدال تاء فى (قد) ونحوها.

ونخرج من ذلك بنتيـجة عامة هى أن الإبدال بين التاء والأصـوات السابقة يدل على طبيعة البادية، وميل أهلها إلى السـهولة، والاقتصاد فى الجهد العضلى، ولذا ماثلوا بـين الأصوات، وأدغمـوها، بخلاف سكان المدن الذين يعـطون كل صوت حقه من الجهد، فطبيعتهم تميل إلى فصل الأصوات ونطق كل منها بوضوح كامل.

الثاء: لاحظنا أن هذا الصوت ينطق صحيحًا حتى الآن، فى صنعاء، والكلمات التى تشتـمل عليه لا نحس فيـها بتغيـر، اللهم إلا فى الكلمات الخاصـة بالأعداد المركبة، كما ذكرنا فى صوت التاء.

الجيم -الحـاء- الخاء: لا يلاحظ تغيـر فى هذه الأصوات، حال التركـيب، فهى باقية بنطقها الذى أشرنا إليه فيما سبق، ما عدا الجيم فى كلمات قليلة مثل (يدشع) حيث قلبت دالاً بالتفصيل الذى أوضحناه فى حديثنا عن إبدال التاء.

وكذلك قلب الجـيم شينًا، فـالصنعانيون ومن جـاورهم ينطقونهـا شينًا عند مجاورتهـا للتاء مثل: يشتمع فى (يجتـمع)، ويخضع هذا التغييـر لقانون التأثر بالمجاورة، فالجيم مجهورة والتاء مهموسة، فزادوا تعطيش الجيم ومالوا بها ناحية

الرخـاوة بعد أن كـانت شديـدة، وحولوها إلى شـين مـهمـوسة، وهذا التـأثر رجعى.

ولأنهم يمـيلون إلـى رخـاوة بـعـض الأصـوات الشديـدة فقـد قلبوا الجيم شينًا -أيضًا- فى كلمة (وجهه) فينطقونها (وشِه)[1].

الدال: لاحظنا فى حـديثنا عن التـاء أنهـا تتـبادل مع الـدال، وحللنا ذلك من الناحية الصوتية.

ونتحدث -هنا- عـن انقلاب الدال- فى بعض الكلمات نتيـجة تأثر الأصوات بعضها ببعض -إلى أصوات (الذال- الطاء- الظاء).

انقلابها إلى الذال:

إذا وليت الدالَ ذالٌ وكانت ساكنة تبـدل ذالاً، ثم تدغم فى الذال بعدها، مثل: عذّا عـيجى[2] ـ قذّا، إذ أصل (عذّا): عـاد ذا، وأصل (قذّا): قد ذا[3] فحصل الإبدال والإدغام.

ولذلك ما يسوغـه من الناحية الصوتية، فـقد تجاورت الدال ـ وهى من طرف اللسان مع أصول الأسنان ـ مع الذال ـ وهـى من طرف اللسان أيضًا مع أطراف الثنايا ـ والدال شـديدة والذال رخوة، فـانتقلت الدال إلـى مخرج الـذال واتحدت معها، فى الرخاوة، ثم أدغمتا، وهذا لون من ألوان الانسجام الصوتى الناشئ عن نظرية المماثلة المعروفـة، ويقع فى العربية الفصحى، فـأنت تقول: قد ذهبت إلى صديقى: ويقـرأ به فى القرآن الكريم كقـوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

---

(١) انظر -أيضًا- مجلة (الدارة) ص ١٢٩.

(٢) سيجىء.

(٣) نظام تكوين الأفعال وتركيب الجمل فى لهجة صنعاء له بحث خاص سننشره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

انقلابها إلى الطاء:

لوحظ ذلك فى بعض الحالات التركيبية التى تتأثر فيها بأصوات الحلق والتفخيم والإطباق، مثل قولهم فى (غدوة): (غطوة) وفى (عبد الله): (عبط الله) وفى: (مبردة): (مبرطة) ـ بمعنى باردة ـ وفى (الرصده[1]): (الرصطة) وفى (صدق): (صطق). وفى (الصدرة)[2]: (الصطرة).

وإبدال الدال طاء راجع إلى قانون المماثلة، فقد سبقت الدال بالعين، والغين، وهما من أصوات الحلق المستعلية التى يرتفع اللسان معها إلى سقف الحنك، كما أنها سبقت فى بعض هذه الأمثلة بالصاد وهى إحدى أصوات الإطباق التى تدعو إلى ارتفاع اللسان، وصيرورته كالطبق والدال صوت مستفل لا يرتفع معه اللسان، فاتجهت إلى الاستعلاء والإطباق، بإبدالها طاءً تحقيقًا لمبدأ الانسجام والتماثل الصوتى، ويدخل ذلك تحت التأثر التقدمى، ـ يسميه علماؤنا القدماء «تقريب الصوت من الصوت» ويشبه ذلك فى اللهجات الفصيحة طريقة العرب فى تحويل السين إلى صاد فى مثل: سبقت وصبقت. ـ يساقون ويصاقون، ـ المسيطر والمصيطر ـ سراط وصراط، ونحو ذلك، لأن القاف والطاء مستعليتان تقتضيان تفخيم ما يجاورهما من الأصوات فلذلك قلبت السين صادًا على حد ما نرى فى الفصحى، والتأثر فى الأمثلة الفصيحة التى ذكرناها تأثر رجعى.

والتفخيم فى (عبط الله) لمناسبة اللام المفخمة، وفى (مبرطة) لمناسبة الراء المفخمة أيضًا، وهذا خاضع لمبدأ التجانس بين الأصوات على ما سبق بيانه.

وكل ذلك يمثل مظهرًا بدويًا للهجة.

انقلابها إلى الظاء:

من أمثلته المسجلة كلمة (قظكاه» وتفسير هذا النطق أن أصل الكلمة السابقة:
ج
(قد ذاك هو) فقلبت الدال ذالاً لسكونها، ووقوع الذال بعدها، تحقيقًا للمماثلة

(١) الطريق المعبدة.

(٢) قميص يلبسه القضاة فى اليمن.

والانسجام الصوتى، ـ على حد ما ذكـرنا سابقًا ـ ثم إن المعهود عند أهل صنعاء أنهم يفخـمون الذال فى اسم الإشارة إذا أرادوا الدلالة على بعد المشـار إليه، ولذا تبدو الـذال فى نطقهم مـفخمـة وكأنهـا صوت الظاء، ولما قلـبت (دال قد) ذالاً، وأدغمت فى (ذال اسم الإشارة) بعدها انقلبت معها مرة أخرى إلى صوت الظاء.

الذال: رأينا أنهـا قد تفـخم فتنطق ظاء فى اسم الإشـارة للبعـيد، مـثل قظكاه فيقـولون: هظاك فى (هذاك) كما أنها قد تحـول إلى دال فى قولهم: (هِدَار) بدلاً من (هذر الكلام) وهو ما لا يعتد به.

الراء: ينطق هذا الصوت ـ كما ذكرنا ـ فصيحًا، وهم ـ كذلك ـ يستخدمونه مرققًـا، ومفخمًا فى مواقـعه الصحيحـة عربية «فالراء تفخم إن فـتحت ولم تسبق بكسـر أو لم يقع بعدها كـسر[١] فى مثـل، رجّال[٢] ـ الرصـده، ويرققونـها إذا سكنت بعد كسر، أو وقعت متطرفـة، بعد ياء، أو تحركت بالكسر فى مثل: سرنا ـ عنسير[٣] ـ ابسره[٤] ـ السترة[٥] ـ مدرى[٦] ذرِه[٧].

فهذه نماذج توضح أنهم يسلكون فى هذا السبيل مـسلك العربية الفصحى، وإن كانت الألفاظ التى تقع فيها الراء، قد تغيرت عن المنهج المستقيم فى العربية.

الشين: تقلب إلى زاى فى مثل: (الزرقـة) بدل (الشرقة) أى شـروق الشمس، فيقولون: قبل الزرقة، بمعنى: قبل شروق الشمس.

ج

كما يلاحظ أنها تبدل من السين فـى حرف التنفيس مثل: شارح لى أى سأروح بمعنى: سأذهب، ـ وشاسمعك أى سأسمعك[٨].

ويـبـدو أن إبدالهـا من الزاى تم للماثـلة، فالراء بعـدها مـجـهورة، والشـين مهموسة، فأبدلت بنظيرها المجهور وهو الزاى.

(١) التجويد والأصوات ٧٦.

(٢) رجل. (٣) سنسير.

(٤) ابصره. (٥) المعطف.

(٦) ما أدرى. (٧) هو الذرة النبات المعروف.

(٨) هذا للمتكلم المفرد فقط.

والحقــيقة أن السين والشــين متباعــدتان فى المخرج، فالشــين من وسط اللسان، والسين من طرفه، فلا يسوغ الإبدال بينهــما، ولعل ذلك تم فى اللهجة على أساس اتفاقــهما فى بعض الصــفات كالهــمس والرخاوة، ولما بينهمــا من علاقة صــوتية، فللشين التــفشى، وللسين الصفــير، وهما متــشابهان، وقد حدث ذلك الــتبادل فى اللغات السامــية فكلمة (شمس) فى العربيــة هى (שֶׁמֶשׁ) فى العبرية، وفى التعريب والنقل عن اللغات الأجنبية يبدو ذلك مثل دست وهى بالفارسية دشت(١).

الصاد: يميل الصنعانى إلى استفال الأصوات بــدلاً من استعلائها، فينطق الصاد سينًا فى مثل (أبسر) - بدلاً من (أبصر) و(يسغى) - بدلاً من (يصغى) و(يسرخ)- بدلاً من (يصــرخ)- ومع أن بعض النمــاذج التى ســقناها تشــتــمل على أصــوات تقتضى التفخيم للأصوات المجاورة لها، مثل: الغين، والخاء، فإنه يتجه بها ناحية الاستــفال والأصوات المنفــتحة، ولعل هذا حــدث نتيجة الــتراخى فى نطق بعض الأصوات وعدم الاهتمام ببذل الجهد اللازم لها، كما هو الحال فى بعض اللهجات الحديثة الأخرى فنحن نلاحظ ذلك فى لهجات مصر الدارجة.

أما ما نــسمعه من مظاهر التــفخيم الأخرى فى لهــجة صنعاء فلا يــزال علامة واضحة على سلوك اللهجة البدوى.

كما تنقلب الصاد إلى زاى مثل: زغيــر وزغار -فى صغير وصغار- ويزقع -فى يصقع بمعنى يسر-.

وهنا نلاحظ تأثر الصاد بما بعدها من الغين والراء، والقاف والعين، فهى أصوات مجهورة فــلا بد أن يكون لها تأثير على صوت الصاد المهموس، فــتحوله إلى النظير المجهور وهــو الزاى، وهذه الزاى -حقًا- مفــخمة إلى حد مــا، لكنها لا تصل إلى المدى الذى يوجد فى بعض اللهجــات العربية الحديثة كاللهجــة المصرية، حتى نسمع فيها: زغير -الزغار- فى صغير والصغار- بصورة تقترب من نطق الظاء(٢).

---

(١) شفاء الغليل ص ٧ والمزهر ط عيسى الحلبى ١/ ٢٧٢-٢٧٤.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس ١٢٤.

وهذا الانسجام بين الأصوات واقع فى العربية الفصحى، فالصاد إذا وقع بعدها صوت مجهور -كالدال مثلاً- فإن الصاد تقلب إلى زاى مفخمة، مثل: يزدق- فى يصدق- قال ابن السكيت: «والعرب تقول: ازدق بمعنى: اصدق، ولا يقولون: زَدَق»[1].

غير أن الملاحظ -هنا- أن القلب خاص بالصاد الساكنة، وذلك معروف عند قبيلة طيئ، كقولهم: هذا فزدى أنه -فى فصدى أنا- وقرئ: «حتى يزدر الرعاء» -فى ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣]-[2].

ولعل لهجة صنعاء تؤكد أن هذا القلب يمكن أن يحدث دون وجود الدال طالما وجد مع الصاد صوت مجهور كالغين أو القاف أو الراء أو نحوها.

الطاء: إن قانون السهولة هو الذى دفع الصنعانيين إلى نطقها فى بعض الكلمات دالاً للتخفف من الإطباق كقولهم: دبيخ -فى طبيخ- وهذا مما يؤكد ميل اللهجة إلى الاستفال، إذ إن الكلمة السابقة تشتمل على صوت الخاء المستعلية فالأنسب بقاء الطاء بها، كما فى العربية الفصحى، لكن إبدالها دالاً يؤكد الحقيقة المذكورة.

الكاف: حينما يستخدم هذا الصوت لخطاب المؤنثة فإنهم يبدلونه شيناً، فيقولون: زوجش -لش- الله يسامحش. (بدلاً من: زوجك -لك- الله يسامحك).

وهذا يدل -كذلك- على أنهم يتخلصون من الأصوات الشديدة ويميلون إلى الأصوات الرخوة، فالكاف صوت شديد، فأبدلوه بصوت رخو وهو الشين.

وإن هذا النطق الذى نسمعه من الصنعانيين -وهو قلب الكاف فى خطاب المؤنثة شيناً- هو الذى قرأناه فى كتب اللغة للهجة المصطلح على تسميتها بالكشكشة، فبعض قبائل العرب الفصحاء كانوا يقلبون كاف المؤنثة شيناً أو يزيدون شينا بعد الكاف، فى الوقف فقط، أو فى الوقف والوصل على سواء[3].

---

(١) القلب والإبدال ص ٤٥.

(٢) الإبدال لأبى الطيب اللغوى ٢/١٢٦-١٢٨.

(٣) انظر كتابنا (العربية) ص ٧٢ وانظر ص ١٤٧ وما بعدها من هذا الكتاب.

ونلاحظ فى بعض مناطق المملكة العربية السعودية ما يتفق مع ذلك كمنطقة عسير حيث يقولون -أبوش- أمش (فى أبوك -أمك).

بيد أننا نلاحظ فى منطقة نجد العربية بروز هذا الصوت فى خطاب المؤنثة على هيئة (تاء وشين)، أو (تاء وسين) -تش- تس- فيقولون: امتش -امتس- أبوتش- أبوتس.

وهذه الظاهرة التى تعرف بالكشكشة أو الكسكسة قد اتسع نطاقها فى لهجات نجد فامتدت إلى كافات أخرى ليست للمؤنث مثل قولهم: تسيف حالك -فى كيف حالك؟ -وتسم- للاستفهام والإجابة فى ظروف لغوية كثيرة.

وانقلاب الكاف إلى شين يخضع لقانون الأصوات الحنكية، وقد وصل إليه العلماء فى مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغة اليونانية واللاتينية، فى أواخر القرن التاسع عشر، ولاحظوا أن أصوات أقصى الحنك كالقاف والجيم الخالية من التعطيش -كالجيم القاهرية مثلاً- تميل بمخرجها إلى نظائرها الأمامية، حين تليها فى النطق حركة أمامية كالكسرة لأن هذه الحركة الأمامية فى مثل هذه الحالة تجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج أى الجامع بين الشدة والرخاوة»[(١)].

ونحن لا نلاحظ فى لهجة صنعاء ازدواج الصوت المبدل، بل نجده شينًا خالصة، وطرد الظاهرة فى كاف غير المونث كانت معروفة فى القديم، كما نقلت لنا كتب اللغة فيما عرف باسم (الشنشنة) وهى قلب الكاف مطلقًا شينًا كما فى قول اليمنيين القدماء (لبيش اللهم لبيش)- فى لبيك اللهم لبيك- ونحو ذلك[(٢)] لكنها لم تعهد فيما تجرى عليه بعض اللهجات الحديثة من مخالفات.

اللام والنون:

تدغم اللام والنون فى لهجة صنعاء، فيقال: (قنا) مكان (قلنا).

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض -العدد الخامس- من مقال للدكتور رمضان عبد التواب ص ١٦٣ وانظر: اللهجات العربية. د. أنيس ص ١٢٣.

(٢) اللهجات العربية .د. نجا ص٨٣ وانظر بحث الأستاذ أحمد حسين شرف الدين السابق فى مجلة الدارة ففيه ذكر ألوانًا من النطق لهذا الصوت فى اليمن وغيرها ص ١٣٤.

والملاحظ أنهما من مخرج واحد، هو طرف اللسان مع اللثة العليا، ومتفقان فى معظم الصفات، كالجهر، والتوسط بين الشدة والرخاوة، غير أنهما يختلفان فى مجرى الهواء، فالهواء -مع اللام- يخرج من الفم، ومع النون يتجه إلى طريق الأنف، «بسقوط أقصى الحنك ليسد فتحة الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفى، محدثًا فى مروره نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع»[1].

والذى يحدث أن صوت اللام يتحول إلى نون، ثم يدغم فى النون وهو إدغام جائز للتقارب بين الصوتين، وهذا النطق بالإدغام من طبيعة القبائل التى ترغب عن الفصل بين الأصوات، وهى القبائل البدوية، وقد سرى ذلك فى كثير من اللهجات الحديثة، كاللهجة المصرية التى يبدو فيها هذا الإدغام فى مثل هذه الكلمة.

ومثل هذا الإدغام يقع فى العربية الفصحى، فقد عرفنا من الدراسات الصوتية أن الانسجام بين الأصوات يؤدى إلى الإدغام -أحيانًا- كما يحدث فى التقاء الحرفين المتجانسين- وهما اللذان اتحدا مخرجًا واختلفا صفة -ويدخل فيه التقاء اللام والنون فى مثالنا السابق- ويشترط للإدغام سكون الحرف الأول منهما، ويتجلى ذلك فى قراءة آيات من كتاب الله العزيز مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران: ٧٢] -﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فنجد التاء قد أدغمت فى الطاء -بعد تحولها إليها- والدال قد أدغمت فى التاء بعد تحولها إليها كذلك.

ومثل هذا الإدغام جائز - أيضًا - بين الحرفين المتقاربين مخرجًا وصفة كالدال والسين فى قوله عز حكمه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، والذال والجيم فى قوله سبحانه: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن

---

(١) التجويد والأصوات ص ٩٩.

فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحـزاب: ١٠] واللام والراء فى قوله جل شـأنه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] [طه: ١١٤].

وهذا يبين أن لهـجة صنعاء، ومثلهـا سائر اللهجـات العربية الحديثـة تجرى فى فلك الفصحى، وتسير على نهجـها، وتخضع للقوانين التى تحكم التطور الصوتى فيها.

****

(١) التجويد والأصوات ص ١٠١ وقد لوحظ أن اللام تقلب دالاً فى كلمة واحـدة هى لكم فيقال فيها دكم. انظر مجلة (الدارة) ص ١٣٥.

٢- الصوائت

لا ريب أن أصوات اللين فى لهجة صنعاء، اعترتها تغيرات كثيرة، باعدت بينها وبين الفصحى، بانتقال بعضها إلى بعض، وتحولها إلى أشباه أصوات اللين فى مواقع معينة، وتبادلها - أيضًا - مع بعض الصوامت.

وتحكم هذه التغيرات قواعد وأصول لغوية، ومناهج اعترف بها علم اللغة الحديث.

وسنعرض هذه الظواهر، ونلقى الضوء على أسبابها اللغوية، والبيئية، والاجتماعية ونوضح علاقتها باللغة العربية الفصحى.

فانتقال أصوات اللين بعضها إلى بعض يكون بإمالتها حينًا وإطالة قصيرها وتقصير طويلها أحيانًا أخرى، ويقع ذلك كثيرًا فى اللهجة.

فعندما نقارن نطق الصنعانى لبعض الكلمات، بالنطق العربى الفصيح لها، نرى أنه يحاول الميل بحركة إلى أخرى حتى يقرب من قلبها إليها، كالانتقال من الفتحة إلى الكسرة أو الضمة وهكذا باقى الحركات ينتقل من إحداها إلى الأخرى.

ومن هنا نشأت عدة حركات فرعية، بين الحركات المنتقل عنها، والحركات المنتقل إليها، وتتلخص فى التالى:

١- فتحة ممالة نحو الكسرة.

٢- ضمة ممالة نحو الكسرة.

٣- فتحة ممالة نحو الضمة.

٤- كسرة ممالة نحو الضمة.

٥- ضمة ممالة نحو الفتحة.

٦- كسرة ممالة نحو الفتحة.

ويمكن أن نجد الأمثلة الكثيرة على هذه الأنواع:

فإمالة الفتحة نحو الكسرة: تجرى فى الحركات القصيرة، والطويلة، على سواء. فهم يميلون الفتحة القصيرة قبل (هاء) التأنيث، وتلك قاعدة تكاد تكون عامة، عندهم، ولعل لذلك أصلا فى كتب النحو، فهاء التأنيث تمال الفتحة قبلها فى الفصحى[1].

ومن أمثلة ذلك قول الصنعانيين: زغيره (صغيرة) ـ واحدِه ـ دِجاجِه ـ ورْطِه ـ سِتّه ـ تسعِه ـ عشرِه[2].

كما تمال الفتحة الطويلة (الألف) نحو الياء فى مثل:

لكن - هكذا - سرنا - أنا.
ى ى ى ى

وإمالة الحروف، والأسماء التى تشبهها غير سائغة فى المشهور من قواعد اللغة ولكن النحاة أجازوا إمالة الضمير (أنا)، ويمكن أن نقول: إن الصنعانيين خرجوا على القواعد حين أمالوا بعض الحروف. والأسماء التى تشبهها.

ومن تحول الضمة إلى كسرة أو إمالتها نحوها: شِرْب (فى شُرب) ـ بنِى (فى بُنَى) ـ والبِنِيّة (فى البُنُيَّة) ـ هِنْ (فى هُن).

وربما كان الانتقال من الضمة إلى الكسرة ميلاً منهم إلى تجانس الحركات وتخلصًا من بذل جهد كبير، بإخراج الضمة وإيضاحها.

كما أنهم يميلون الحركة الواقعة قبل (هاء) ضمير المفرد الغائب ـ فتحة كانت أو ضمة - بالاتجاه بها نحو الكسرة، مثل: مالِه - ملكِه - أبَسرتِه (فى أبصرتَه).

والمعهود من قواعد اللغة إمالة الفتحة قبل ضمير المفردة الغائبة (ها) دون إمالتها قبل ضمير الغائب[3] وكأن الصنعانيين لم يميزوا بينهما، وفى ذلك - كسابقه - ميل إلى السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى.

---

(١) أوضح المسالك مع المنار ٣/ ٣٥٧.

(٢) لا يفرق الصنعانيون فى هذه الإمالة بين الحلقى وغيره.

(٣) أوضح المسالك مع المنار ٢/ ٣٥٧.

والإمالة التى تقرب بين الأصوات عادة بدوية ـ كما نعلم.

ونحن نلاحظ أن الانتقال من الفتح أو الضم إلى الكسر، كان يتم إما عن طريق الإمالة التى تخضع للقاعدة التى أشرنا إليها، أو عن طريق التجانس بين الحركات التى تأخذ شكل كسرات متتابعة، على الرغم من وجود بعض حروف الحلق التى تفضل الفتحة المناسبة لها فى الفصحى، ونجد أمرها ـ هنا ـ على العكس من ذلك بالميل إلى الكسرة، للتناسب الذى يريده الصنعانى، ليحقق اتفاق الحركات فتسهل عملية النطق بصورة يراها ملائمة لطبعه.

أما الفتحة الممالة نحو الضمة، والكسرة الممالة نحو الضمة: فيمكن أن نمثل للأولى منهما بقولهم: ظُهر لى - استقضُى - الطاقُه - طُلَعت - البُقرى - صُرُفو[1] -
ج ج ج
سوُى[2].

ويمكن أن نمثل للثانية بقولهم: قُصة (فى قِصة) - لُص (فى لِص).
ج

وإمالة الفتحة أو الكسرة إلى الضمة معروف عن العرب الفصحاء، إلا أنها تقع فى مواضع لا تتفق مع ما نلاحظه فى لهجة صنعاء[3] فما يجرى فيها له وجهة أخرى ذات طبيعية اجتماعية خاصة.

فالتحول الذى نراه فى هذين الاتجاهين دليل على بقاء الطبيعة البدوية فى لهجة صنعاء، وتزول غرابة ذلك لو أدركنا أن مدينة صنعاء تحيط بها عدة قرى كحدة وعصر والروضة وغيرها، ثم إن القبائل تزجف على المدينة من شتى بقاع اليمن لأهمية العاصمة منذ القديم، ولذا فإن كثيرًا من الناطقين باللهجة يتصلون بالبوادى، والمقيمون فى صنعاء وإن تأثروا بالحضر فإن صلاتهم بذويهم تبقى على لسانهم مظاهر النطق البدوى، مما يجعلنا لا نستغرب إذا رأينا الاتجاه إلى الضم الذى هو مؤشر الخشونة البدوية.

---

(١) معناها: صرف الله عنك الشر.

(٢) كلمة يقولونها بمعنى: نحن على اتفاق.

(٣) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد السادس - ص١٤٤، ١٤٥ وتمال أصوات الاستعلاء دائما إلى الضم فى لهجة صنعاء. انظر مجلة (الدارة) ص١٣٩ وانظر ص ١٧٣ وما بعدها من هذا الكتاب.

ويوجد كذلك الاتجاهان الآخران: ضمة ممالة نحو الفتحة، وكسرة ممالة نحو الفتحة.

فمثال الأولى قولهم: هانا (فى: هنا) ـ أخطا (فى: أخطو) ـ أنفاسنا (فى: أنفسنا) التِكبّار (فى: التكبّر).

ومثال الثانية: ما نجاد (فى: ما نجد) ـ تهداد (فى: تهديد) ـ فساحة (فى: فسيحة)

وهذان النوعان من الإمالة لا يوجد لهما نظائر فى الفصحى، وإن وجد فى بعض اللهجات الحديثة[1] ويظهر أن النبر كان طريقًا سلكته اللهجة الصنعانية فى الوصول إليهما، ونلاحظ أن الحركات القصيرة قد طالت نتيجة لذلك.

وكل ما ذكرنا. يؤكد أن الحركات جميعًا ينتقل بعضها إلى بعض.

ونحن نلاحظ أن هذه الأنواع من الإمالة ـ فى لهجة صنعاء ـ خروج بالأصوات عن طبيعتها الفصيحة ـ فى الكلمات المشار إليها - إلى أوضاع أخرى جديدة لا تعرفها العربية، وهى ـ بهذا الاتجاه ـ انحراف ظاهر غير مستقيم، لأنها لا تتفق مع المأثور عن أسلافنا.

بيد أن لنا ملاحظة أخرى ذات دلالتين:

أولاهما:

أن الصنعانى - فى تحوله من الصوائت الفصيحة إلى غيرها - فى نطق الكلمات السابقة - سلك طرائق العرب الفصحاء، فى الانتقال من صوت إلى صوت، فقد أمال الفتحة، والضمة إلى الكسرة، والفتحة والكسرة إلى الضمة، والضمة والكسرة إلى الفتحة، وهى أنواع يجرى معظمها فى قواعد العربية ونظمها الصوتية الفصيحة[2].

ثانيتهما:

أن أسباب الإمالة المعروفة لنا فى الفصيح تكمن وراء الاتجاه الصنعانى فالتناسب بين الأصوات، وتجانسها، واضح فى أنواع الإمالة السابقة، وذلك موروث عن العرب الفصحاء، فإننا نعلم أن السبب الرئيس الذى حدده علماؤنا القدامى للإمالة

---

(١) لهجة البدو فى إقليم مريوط ص٤٩.

(٢) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السادس ص١٤٤- ١٤٦.

هو التناسب[1] وما ذكره المحدثون من رجوع الإمالة إلى طبيعة الحياة العربية يتمثل فى لهجة صنعاء. فالإمالة - كما نعلم - خلط بين الأصوات، يؤدى إلى الإسراع فى النطق والسهولة، وذلك طريق من طرق البدو يستعملونه فى محاوراتهم، وكلامهم ولا يهمهم الفصل الدقيق بين الأصوات، لأنه يحتاج إلى جهد عضلى كبير، وروية وأناة وتلك خصيصة من خصائص الحضر[2].

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن الإمالة التى عرفها علماء اللغة القدامى ونسبوها إلى قبائل شرقى الجزيرة ووسطها تنسب ـ كذلك ـ إلى قاطنى صنعاء، فإذا عرفنا أن الصنعانيين عرب وفد أغلبهم من بادية اليمن تأكدنا أن الإمالة من طبيعة سكان البادية فى جنوبى جزيرة العرب، ولا تقتصر على وسطها، وشرقيها، وإذا صح النقل والنسبة إلى هذا الجزء فقط فيما ورد لنا من العربية الفصيحة قديمًا، فإن هذا البحث الحديث يشير إلى أن رواة اللغة تركوا جزءًا كبيرًا من ثروة اللغة العربية وتراثها حين لم يرووا لنا كثيرًا عن عرب اليمن القدماء.

وعلى الرغم من هذا الخلط بين الحركات فإن الصنعانى يميل إلى فصل أصوات اللين بعضها عن بعض، فى مثل: بَيت ونَوم ومَوت[3] وأشباهها.

وملاحظتنا لذلك فى كلامه تؤكد البقايا الفصيحة فى اللهجة.

والمعروف أن نطق الصوائت - فى العربية الفصحى - له مدة يستغرقها، ويقدرها القراء على حسب طرائقهم، وهم ينظرون إلى هذه الأصوات بحسب وقوعها فى الكلمات والأصوات السابقة عليها أو التالية لها.

فحروف المد (واى) تمد مداً طبيعياً - بمقدار حركتين[4] ويسمى هذا المد «المد الأصلى» وهو الذى يكون تعبيرًا عن النطق الطبيعى للصوت دون مؤثرات عليه كما فى قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١][5].

---

(١) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد (السادس) ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) المصدر السابق ص١٥٠.

(٣) لكنه أحيانًا يخرج على تلك القاعدة فيميل الحركات فى مثل: كيف حالك؟

(٤) الحركة بمقدار قبض الإصبع أو بسطه.

(٥) يستثنى مما ورد فى الآية صوت المد فى (نا) فهو متأثر بالهمزة الواقعة بعده.

وتمد مداً يستغرق مدة أطول ـ أحياناً ـ وهو مـا يسمونه، «المد الفرعى» لتفرعه فى طلب المد[1] وذلك إذا وقعت بعد هذه الأصوات هـمزة، أو تلاها سكون كما فى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨] ـ ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] ـ ﴿وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات: ١٤] - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ - ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج ٢٤] - ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢].

وفى حالة اتصال الهمز يمد بمقـدار ثلاث حركات إلى ست حركات، وفى حالة الانفصال يمد بمقدار حركتين إلى ست[2].

وإن التعود على إعطاء أصـوات المد حقها فى النطق يعتمد أسـاساً على التلقين والمشافهة، ويقوم على المران الطويل.

وتعلم اللغـات -بعامـة- يكتسب أيضـاً بالمران، لمعرفـة أصواتهـا وطرائق نطقـها، وخواصها، وواجب علماء اللغات أن يوضحوا طرائقها، والزمن الذى يستغرقه نطق كل صوت فيها، ليمكن إتقان تعلمها، وقد حدث ذلك فى بعض اللغات كالإنجليزية[3].

وقد أثبت علمـاء اللغة المحدثون أن الأصوات الصامـتة -فى العربية- تسـتغرق زمناً أقل من الزمن الذى تسـتغرقـه الأصوات الصـائتة، وعند حديـثهم عن طول الصوت اللغوى يضعون الصـائتة فى المقدمة، ثم يضعون الصامتة مرتبـة فيما بينها بنظام خاص[4] وقد تحدثوا عن العوامل التى تؤثر فى طول الصوت اللغوى، كالنبر والتنغيم، والتأثر بالمجاورة[5].

---

(١) التجويد والأصوات من ٨٩، ٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ١١٧، ١١٨.

(٣) من ذلك -مثـلاً- أن صوت (d) إذا وقعت مـتطرفة فى الإنجليـزية يستغـرق حوالى (٠,٥) من الثـانية وصوت (A) يسـتغرق حـوالى (٠,٤٣) من الثانـية. انظر: التـجويد والأصـوات ص ٨٨ والأصوات اللغوية ص ١٠٤.

(٤) التجويد والأصوات ص ٨٨، ٨٩ والأصوات اللغوية ص ١٠٤ وما بعدها.

(٥) التجويد والأصوات ص٩٠، ٩١ وكتابنا: الصوتيات اللغوية ص ٣٣٨ وما بعدها.

لكن الذى نلاحظه -فى لهجة صنعاء- أن الحركات القصيرة قد تطول، نتيجة النبر، كما رأينا فى قولهم: أنفاسنا (أنفسنا) -نجاد (نجد).

ولو حاولنا أن نتتبع إطالة الحركات القصيرة فيها لوجدناه كثيرًا مثل، قوِم -إذا أريد الأمر- فتثبت الواو- أنتى، فقد أشبعت كسرة الضمير فتحولت إلى ياء - المخزان، فأطيلت الفتحة على الزاى إلى أن صارت ألفًا.

ومع أن لهجة صنعاء تشترك فى بعض هذه الأمثلة مع بعض اللهجات العربية الحديثة، والقديمة[1]، فإن الاتجاه السائد فيها أن الضغط على مقطع معين يؤدى إلى إطالة أصوات اللين بالصورة التى نجدها واضحة فى لسان الصنعانيين.

كما يلاحظ أنهم يقصرون الحركات الطويلة -أحيانًا- مثل قولهم: حَرَم (حرام) -ذِك (ذاك) -أبِه (أبى)- الأوله (الأولى).

وفى التراكيب خضعت بعض أصوات اللين فى لهجة صنعاء لتغيرات كثيرة نتيجة للمؤثرات التى اقتضتها البيئة التى اختلفت كثيرًا عن بيئة أجدادنا الفصحاء.

فصيغة الفعل الماضى الأجوف المهموز المسند للضمير -كما سيأتى أن نتحدث فى القسم الخاص ببنية الكلمات -قد اختلفت وتغيرت، وتبعًا لذلك تغير صوت اللين، فالصنعانى إذا أسند الفعل (جاء) إلى المؤنثة، أو جماعة الذكور يقول: جِت جَوْا فنلاحظ أن الألف حذفت - فى الحالة الأولى، -ولم يبق فى الحالة الثانية إلا الفتحة القصيرة.

ونلاحظ -كذلك- أن الواو التى كانت مداً (ضمير جماعة الذكور) قد انقلبت إلى شبه صائت، إذ قد ترتب على حذف الهمزة حذف حركتها معها، فبقيت الواو ساكنة بعد فتحة، فتحولت فى نطقها إلى طريقة تختلف عنها فى الفصيح.

فأصوات اللين الطويلة ارتبك استعمالها ارتباكًا بينًا، ففى معظم تراكيب الكلمات والجمل تمسخ إلى أصوات أخرى قصيرة أو محرفة.

---

(١) انظر كتابنا (العربية) ص ٨٩

ولعله قد تـأكد لك الآن أن أسبـاب إطالة الحركـات عند الصنعانيـين يعود إلى النبر، وكراهة توالى الحـركات التى تؤدى إليه، ومعظم أسباب التـقصير يرجع إلى سرعة النطق البدوى.

أما تحول الصوائت إلى أشباه السواكن: فله أمثلة منها قولهم: يُوَقِّفِهِنْ (يُوقفهُنّ) فقد حول الصنعانى الضمـة الطويلة إلى قصيرة، وأنتج واوًا، ومثل: (الجُبَىْ)[1] -بقلب الألف ياء- (عَلَىْ صياح) (أصلها: علا صياح).

ولعل الأول من اللحن العامـى الذى اعترى اللهجـة، أما الثانى والثـالث فمن قبيل التأثر بالأصوات المزدوجـة التى يميلون إليها كثيرًا، ويحاولون تطبـيقها بصور يمكن أن تسمى بـ(الحذلقة اللغوية)[2].

وتحويل الأصـوات اللينة إلى أصـوات صامـتة: يظهر أنه تم وفـقًا لقـانون لغوى مشـهور معـروف بتفاعل الأصـوات، وهو تأثرها بما قبلها أو بعـدها فيمـا يسمى بالمماثلة والمخالفة.

ومن المماثلة ما ينطقه الصنعانى فى مثل: (زقزقى) (فى زقاق) فقد حول الألف زايًا، ولعل ذلك نـوع من الممـاثلة بين الصـوت المبـدل وبين الصـوت الأول من الكلمة، حتى يبدو التناسق بين جزءيها.

ومن المخالفة ما نـسمعه من قوله: (لا حال بك شر) فـأبدل من إحدى اللامين فى الفعل «حلّ» ألفًا، وقوله (تحيـذق) أصله: (تحذّق) -أى كن حاذقًا- فأبدل من إحدى الذالين ياء، وقوله: (نغسول) فأصلـه -على ما يبدو- نغسّل، فأبدل إحدى السينين واوًا.

ففى الأمثلة المتقدمة تخلص من أحد المضعـفين بقلبه إلى صوت لين. تبعًا لمبدأ المخالفة المشهور[3].

---

(١) السقف.

(٢) اللغة (فندريس) ص ٨٠.

(٣) انظر بحثنا فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السادس ص ١٣٣- ١٣٥.

وبعد:

فـإن هذه الظواهر الصـوتية تؤكـد أن أهالى صنعـاء لا يزالون يحـملون بعض سمـات أجدادهم فى تمسكهم بـبعض الصفـات اللغوية التى امـتازت بهـا بيئـتهم القديمة إلى جـانب تأثرهم بالأحداث الاجتمـاعية، ونظم الحيـاة المتجددة وتطاول الأزمان، واختلاطهم بالأجناس البشـرية العديدة، فانحرفت بعض الأصوات على لسانهم وتطورت على النحو الذى رأينا.

وهذا البحث وأمثاله يحقق نتائج خطيرة فى الدراسات اللغوية، يستعين بها علم اللغة الحديث فى معالجـة التغيرات اللغوية التى اعترت العربية الفـصحى، فى كثير من أقطار الوطن العـربى، فـتـشخـيص الظواهر اللـهجـيـة، وإدراك أسبـابهـا، وخصائصها يؤدى إلى وضع العلاج الناجع لها، ولعل ذلك -كما نأمل- يسهم فى عودة الفصحى إلى التخاطب الشعبى، كما كانت فى سابق العصر والأوان.

ولا ريب أن دراسة لهـجة صنعاء -بعـامة- والجانـب الصوتى منها -بخـاصة- على درجة كبيرة من الأهميـة فى هذا الاتجاه، الذى يرجى منه -بعون الله- انتشار الفصحى، وذيوعها، ولا سـيما أن علماء اللغة والباحثين فـى اللهجات قد اهتدوا إلى بعض أسباب الانحـراف فى نطق الأمة العربية، ونحن نستطيع أن نستـخلصها من دراستنا السالفة ونلخصها فى الآتى:

١ - الاختلاف فى نطق الأصوات الصامتة:

فنحن قد لاحظـنا أن الصنعانيين ينـطقون القاف جـيمًا قـاهرية، كمـا ينطقون الكاف شينًا فيما نعرف باسم (الكشكشة) فى خطاب المؤنث مثل (لكِ) يقولون فيها (لش)، وكما فى صوت الضاد الذى تحول إلى ظاء.

وهذا الاختلاف موجود فى سائر اللهجات العربية الأخرى، فالقاف تنطق جيمًا أو همزة فى مصر، فيقال: فى نطق (قال): (جال -آل)، كما تنطق الضاد بطريقة تختلف عن العربية، فتنطق فى مصر من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، بعد أن كانت من أحـد جانبى اللسـان، أو من كلا الجـانبين، كـما انحـرفت أصوات

صامتة كثيرة هناك، فالثاء قد تحولت إلى تاء أو سين، والذال قد تحولت إلى زاى أو دال، وفى الرياض -بالمملكة العربية السعودية- نسمع القاف جيمًا قاهرية -كذلك- كما فى قولهم: جال -فى قال- ونسمع الذال دالاً من بعض الحجازيين القاطنين بها كقولهم هدا فى هذا وهكذا.

٢- الاختلاف فى نطق أصوات اللين:

فقد رأينا فى لهجة صنعاء أن الحركات تتبادل، ويحل بعضها محل بعض كما نلاحظ فيها أن أصوات اللين الطويلة تقصر فى بعض الأحيان فيقال: (قلّى) - (جَبْلى)- قال لى -جاء لى بكذا- وهو موجود فى اللهجة المصرية الدارجة، كذلك تمال بعض أصوات اللين مثل (عائشة) ففتحة الشين قد أميلت نحو الكسرة فى لهجة صنعاء، على حين تمال الألف نحو الياء فى بعض اللهجات العربية الأخرى.

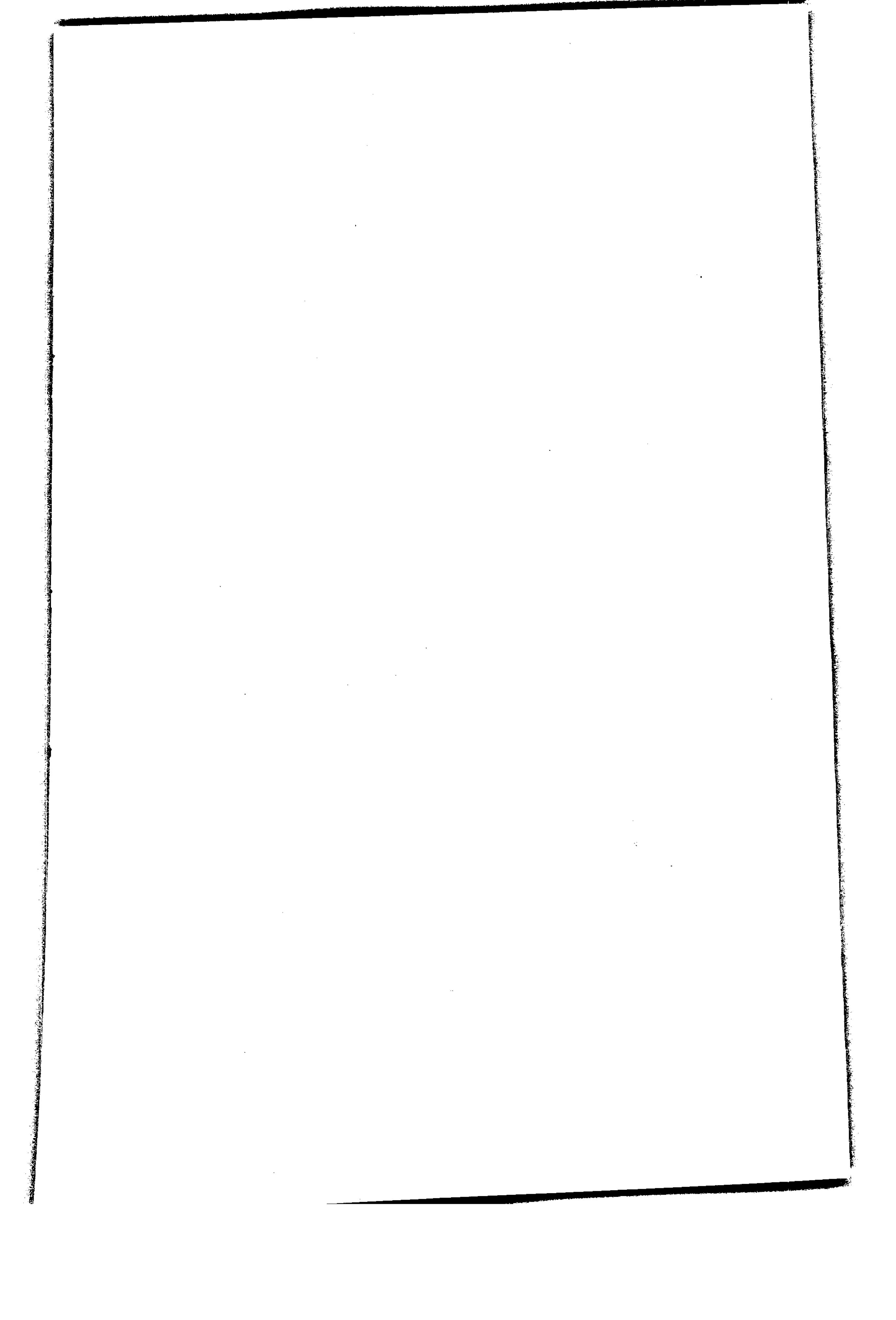
وهذا يعنى أن أصوات اللين قد انحرف نطقها على الألسنة العربية.

٣- الاختلاف فى موضع النبر:

وهذا يبدو واضحًا فى طريقة النطق الصعنانى، التى تتسم بالسرعة والضغط على مقطع معين، بدرجة تختلف قليلاً أو كثيرًا عن نظيره المنبور من الكلمة نفسها حين تنطق فى شتى الأقطار العربية.

فلو أمكننا الاهتداء إلى معالجة هذا الانحراف، بعد تشخيص ظواهره الصوتية المتعددة، إلى جانب ضبط التغيرات المعنوية لوصلنا إلى درجة معقولة فى طريق توحيد اللهجات العربية، ويمكن -بالإضافة إلى ذلك- تقوية العوامل الموحدة للهجات، كوسائل الإعلام، والثقافة والتوجيه التربوى، وتعميق اللقاءات العربية، بين أبناء تلك الأمة التى كتب الله لها أن تكون واحدة فى كل شىء؛ عقيدتها، وأهدافها، ونواحى حياتها، وهى واصلة إلى ذلك بإذن الله.

****



نهاية وخاتمة

درسنا موضوع اللهجات متتبعين جذوره وعناصره من جوانبها المتعددة بما رأينا أنه يمثل أساس الدراسة اللهجية فتحدثنا عن الكلام والقول واللغة واللهجة وأسباب الانقسام والتوحد اللغوى ليكون مدخلنا لتناول اللهجات العربية، ثم تناولنا أثر البيئة ولقاء المجتمع البشرى بعضه ببعض -بعامة والعربى بخاصة- فى نشأة ألوان لهجية متنوعة توحدت فى لغة عامة للعرب جميعًا، بعد صراع لغوى طويل.

وكانت لنا وقفات مع المتجنين عليها من مستشرقين وغيرهم لنرد الحق إلى نصابه.

ثم تناولت اللهجات العربية فيما بقى محفوظًا فى كتب اللغة والنحو والقراءات من مظاهر إبدالية تناولت عديدًا من مصطلحات اللهجات، وقد حاولت الاستقصاء والتتبع لذلك فى كل ما يتصل بالتغيير فى الأصوات سواء كانت حروف علة أو صوامت.

ومع أن الظاهرة واسعة متباعدة الأطراف حاولت جمع شتاتها ونظمه فى إطار علمى درسته بعرض آراء القدامى والمحدثين منتهجا البحث عن الحقيقة العلمية الناصعة.

وقد قام البحث على الربط بين الدراسة اللهجية والنحو والقراءات وأكد عمق الصلة بين ذلك كله، مما يكشف للباحث والدارس أن الإفادة الكاملة تأتى من الموازنة بينها، وربط كل منها بالآخر.

ثم عرضت للدرس اللهجى الحديث مبينًا أسسه ومبادئه وكيف نفيد منه فى الاهتمام بالفصحى.

وقد عرضت الآراء فى نشأة العربية وتطورها ولم آل جهدا فى الكشف عن خصائصها وصلتها بأهلها وبيئاتهم وثقافاتهم.

ونخلص من ذلك إلى ما يلى:

١- دراسة اللهجات العربية تمثل مدخلا مهما فى فهم طبيعة العربية الفصحى، لأنها تكشف كيف تنوعت، وتعددت طرق التعبير فيها، وأسرارها، ويمكن فهم قواعدها، وقوانينها التى تحكمها.

٢- وإن تعدد القبائل العربية قد بدا أثره فى كلامها وصلتها ببيئتها بدوا أو حضرا، سواء فيما يتصل بالجانب الصوتى أو الجانب الدلالى.

٣- إن التنقيب عن أولية العربية وتطورها يجد بابا واسعًا فى لهجاتها للتعرف على النشأة والتطور، ويلقى بيانًا واضحًا عن تفرعها من الأم الأولى.

٤- فى إطار الدراسة اللهجية العربية نستطيع معرفة اتجاه التقنين اللغوى فيها، وصلته بالتعليل النحوى وكيفية توجيهه لمعرفة ما أراده العرب الفصحاء.

٥- لعل فى تنوع الإبدال بين الحروف والحركات ما يدل على تحول الحياة الإنسانية بعامة والعربية بخاصة فى مظاهرها الاجتماعية واتصالها باللغة.

وهناك صلة بين التبدلات الصوتية فى اللغات العالمية يمكن الكشف عنها بمعرفة خصائص الإبدال وطرقه، ولكن ذلك يحتاج إلى صبر وأناة، واطلاع واسع وإلى حيدة علمية وإنصاف فى التحليل اللغوى لبيان الحقيقة العلمية واللغوية.

ولعلنا نتمكن إن شاء الله تعالى من إجراء نوع من هذه البحوث فيما يوفقنا له الله تعالى فى المستقبل القريب بالربط بين الإبدال فى العربية وبعض اللغات الإنسانية الأخرى كالإنجليزية وغيرها.

والله ولى التوفيق

أهم المصادر

* الإبدال لأبى الطيب اللغوى. دمشق ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠.

* ابن جنى اللغوى. رسالة دكتوراه للمؤلف فى مكتبة كلية اللغة العربية مقدمة سنة ١٩٧١م وط. دار الفكر العربى ٢٠٠٦م.

* أبو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى. نهضة مصر ١٩٥٨م.

* الإتقان للسيوطى. ط مصطفى الحلبى ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م.

* إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى ط ١٣٥٩م.

* أدب الكاتب لابن قتيبة ط ١٣٢٨هـ. القاهرة.

* أسس علم اللغة لـ (ماريوباى) ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر. الطبعة الثانية ١٤٠٣- ١٩٨٣م مطابع سجل العرب.

* الأشباه والنظائر للسيوطى. ط حيدر آباد.

* الاشتقاق لابن دريد. السنة المحمدية ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.

* إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق الأستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون ط القاهرة.

* أصوات اللغة العربية للدكتور عبد الغفار هلال. مطبعة الجبلاوى ط الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م. وط. دار الكتاب الحديث ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

* الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس. لجنة البيان العربى ١٩٦١م.

* الأصول. دراسة إيبستمولوجية لأصول الفكر اللغوى العربى .ط مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ط الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

* إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى. القاهرة ١٩٤١م.

* الاقتراح للسيوطى. ط. الأولى.

* الإمالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح شلبى. نهضة مصر ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

* الأمالى لابن الشجرى (نشره كرنكو) ط حيدر آباد ١٣٤٩هـ.

* الأمالى لأبى على القالى. ط الثالثة. القاهرة. ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م.

* أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوى) للقاضى ناصر الدين البيضاوى. جدة المكرمة ١٣٥٨هـ.

* أوضح المسالك لابن هشام ومعه منار السالك للأستاذين محمد عبد العزيز النجار وعبد العزيز حسن. مطبعة الفجالة.

* البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط ١٣٢٩هـ. القاهرة.

* البيان والتبيين للجاحظ ط. القاهرة ١٣١١هـ.

* تاج العروس بشرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدى. المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ، ط بيروت ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

* تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ط الأميرية ١٣٩٢هـ ودار الكتاب العربى ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م.

* تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعى. مطبعة الأخبار ١٩١١م.

* تاريخ الأدب العربى. العصر الجاهلى. للدكتور شوقى ضيف. ط دار المعارف ١٩٦٠م.

* تاريخ الأمم والملوك للطبرى. تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم. دار المعارف ١٩٦٨م.

* تثقيف اللسان لابن مكى الصقلى. لجنة إحياء التراث الإسلامى ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

* التجويد والأصوات للدكتور إبراهيم نجا. ط السعادة.

* تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون. لجنة التأليف ١٣٧٤- ١٩٥٤م.

* التصريف الملوكى لابن جنى. أوربا (ليبزج) ١٨٨٥م، ط مصر (شركة التمدن الصناعية) ١٣٣١هـ- ١٩١٣م.

* التطور اللغوى التاريخى للدكتور إبراهيم السامرائى. دار الرائد. القاهرة ١٩٦٦م.

* تنوير الحوالك. شرح موطأ مالك للسيوطى ط القاهرة. دار إحياء الكتب العربية.

* تهذيب اللغة للأزهرى. الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب.

* الجامع الصحيح للترمذى ط ١٣٤١هـ وما بعدها وبتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ط ٣ القاهرة ١٩٦٨م.

* الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) للإمام القرطبى. ط الشعب.

* جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار المعارف ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

* جمهرة اللغة لابن دريد مطبعة المعارف بحيدر آباد. الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

* جمع الجوامع للسيوطى. ط ١٣٣٧هـ.

* الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى. بتحقيق الأستاذ طه محسن. نشر جامعة بغداد ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

* الحجة لأبى على الفارسى. الجزء الأول ط دار الكتاب العربى.

* الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ط ٢ دار الشروق ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. لابن عمر البغدادى. الطبعة الأولى ببولاق سنة ١٢٩٩هـ وط دار الكاتب العربى ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون.

* الخصائص لابن جنى. ط دار الكتب ١٣٧١هـ- ١٣٧٦هـ (١٩٥٢م- ١٩٥٦م) مع مقدمة محققه الشيخ محمد على النجار.

* دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح. ط بيروت ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

* دراسات فى اللغة للدكتور إبراهيم السامرائى. بغداد ١٩٦١م.

* دراسات فى اللغة للدكتور إبراهيم السامرائى. بغداد ١٩٧٤م.

* درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم. ط نهضة مصر ١٩٧٥م.

* دروس فى علم أصوات العربية لجان كانتينو ترجمة صالح القرمادى -تونس ١٩٦٦م.

* دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس. الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.

* دور الكلمة فى اللغة لاستيفن أولمان ترجمة الدكتور كمال بشر ١٩٦٢م.

* ديوان الأدب للفارابى بتحقيق الدكتور أحمد مختار عمر ط الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤م.

* ديوان صفى الدين الحلى. المطبعة العلمية ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

* سر صناعة الإعراب لابن جنى. الجزء الأول ط ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م ومخطوط مكتبة الأزهر (١١٦ لغة) ودار الكتب المصرية ٥٨١٦هـ.

* السيرة النبوية لابن هشام ط الثالثة ١٩٧٨م.

* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك مع حاشية الشيخ محمد الخضرى المطبعة الأزهرية ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م.

* شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى. ط دار إحياء الكتب العربية. المطبعة الأزهرية ١٣٢٥هـ.

* شرح الشافية للرضى ط صبيح ١٣٤٥هـ وط حجازى بتحقيق الأستاذ محمد نور الحسن وآخرين ولعبد الله الحسينى، والفاضل العصام ط دار إحياء الكتب العربية.

* شرح شذور الذهب لابن هشام. ط صبيح ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.

* شرح المفصل لابن يعيش. ط المنيرية.

* الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق الأستاذ أحمد شاكر. ط دار المعارف ١٩٨٢م.

* الصاحبى لابن فارس. المؤيد ١٣٢٨هـ- ١٩١٠م وط بيروت ١٣٨٢هـ- ١٩٦٤م.

* صبح الأعشى فى صناعة الإنشا لأبى العباس أحمد القلقشندى. الأميرية ١٣٣١هـ- ١٩١٠م.

* صحيح مسلم بشرح النووى. المطبعة العصرية. ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م.

* صفحة جزيرة العرب للهمدانى. ليدن ١٨٨٤م.

* الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للسيد محمود شكرى الألوسى. ط السلفية ١٣٤١هـ.

* طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى. دار المعارف ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

* الطبقات الكبرى لابن سعد. بيروت ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

* العربية. خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار هلال مطبعة الحضارة ١٩٧٦ ومطبعة الجبلاوى ١٩٩٥ وط مكتبة وهبة.

* العربية ولهجاتها للدكتور عبد الرحمن أيوب. مطابع سجل العرب ١٩٦٨م.

* العقد الفريد لابن عبد ربه ط ١٢٩٣هـ القاهرة.

* علم الأصوات عند سيبويه وعندنا. أ. شادة. ليدن ١٩١١م.

A.Schade: Sibwaihi's Lautiehre Leiden, 1911.

* علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى. ط السلفية ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م ونهضة مصر ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

* علم اللغة بين القديم والحديث للدكتور عبد الغفار هلال. مطبعة الجبلاوى ط الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

* العين للخليل بن أحمد الفراهيدى الجزء الأول إلى الثامن ط بغداد ١٩٦٧م- ١٩٨٥م.

* فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى لابن حجر. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

* فتوح البلدان للبلاذرى تحقيق صلاح الدين المنجد. ط النهضة المصرية ١٩٥٦م.

* فصول فى علم اللغة العام لفرديناند دى سوسير -ترجمة الدكتور أحمد نعيم الكراعين. المطبعة العصرية. الإسكندرية ١٩٨٥م.

* فعل وأفعل للأصمعى تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغرباوى ط لجنة تحقيق التراث ببغداد.

* الفائق فى غريب الحديث والأثر للزمخشرى ط حيدر آباد ١٣٢٤هـ- ١٩٢٥م.

* فقه اللغة للدكتور إبراهيم نجا. السعادة ج٣ -١٩٦٥م، ج٤ -١٩٦١م وطبعة أخرى جديدة.

* فقه اللغة للدكتور عبد الله العزازى، دار الطباعة المحمدية ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

* فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى. لجنة البيان العربى ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.

* فقه اللغة للدكتور محمد المبارك. ط جامعة دمشق ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.

* فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى ط. الحلبى ١٣٩٢هـ.

* الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية للأستاذ جورجى زيدان. دار الهلال ١٩٢٣م.

* فى أصول اللغة (مجموعة القرارات التى أصدرها المجمع اللغوى عن الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين فى أقيسة اللغة وأوضاعها العامة) ط ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

* فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس (ط٢) لجنة البيان العربى ١٩٥٢م، (ط٣) المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٥م.

* القاموس المحيط ط بولاق ١٢٨٩هـ، والحسينية ١٣٣٠هـ، والسعادة ١٣٣٢هـ- ١٩١٣م.

* القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين. دار القلم ١٩٦٦م.

* القراءات وصلتها باللهجات العربية. للدكتور عبد الغفار هلال. بحث منشور فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض. العدد الثانى عشر.

* القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث للدكتور عبد الغفار هلال. الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. دار الفكر العربى.

* القلب والإبدال ليعقوب بن السكيت. القاهرة ١٣٩٨- ١٩٧٨م.

* قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى بتحقيق إبراهيم الإبيارى ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٣م.

* الكامل فى اللغة والأدب للمبرد. مطبعة الاستقامة ١٣٦٥هـ.

* الكتاب لسيبويه. ط بولاق ١٩١٦م، ١٩١٧م، وبتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار القلم ودار الكاتب العربى.

* كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد بتحقيق الدكتور شوقى ضيف ط دار المعارف ١٩٨٠م.

* كنز المعانى شرح حرز الأمانى (الشاطبية) المشهور باسم شرح شعلة لأبى عبد الله الموصلى. ط دار التأليف. بالقاهرة.

* اللسان والإنسان للدكتور حسن ظاظا. ط دار المعارف ١٩٧١م.

* لسان العرب لابن منظور. ط بولاق ١٣٠٠هـ- ١٣٠٧هـ، ط بيروت ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

* لغات البشر لـ «ماريوباى» ترجمة الدكتور صلاح العربى. نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

* اللغات فى القرآن أخبر به إسماعيل بن عمر المقرى عن ابن عباس حققه الأستاذ صلاح الدين المنجد. ط الرسالة ١٩٤٦، ودار الكتاب الجديد ١٣٦٨هـ- ١٩٧٨م.

* اللغة للأستاذ فندريس تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص. لجنة البيان العربى ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م.

* اللغة بين الفرد والمجتمع (جسبرسن) ترجمة الدكتور عبد الرحمن أيوب. الأنجلو المصرية -١٩٥٤م.

* اللغة الشاعرة للأستاذ عباس العقاد. مطبعة مخيمر ١٩٦٠م.

* لغة تميم للدكتور ضاحى عبد الباقى ط ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

* اللغة العربية كائن حى للأستاذ جورجى زيدان. دار الهلال.

* اللغة والمجتمع للدكتور محمود السعران ط ٢ دار المعارف بالإسكندرية ١٩٦٣م.

* اللغة والمجتمع للدكتور وافى. دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م.

* اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن. دار المعارف ١٩٦٦م.

* اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا. ط السعادة.

* اللهجـات العربيـة فى الـتراث للدكـتور أحمـد علم الدين الجندى ط ١٩٧٨م. الدار العربية للكتاب.

* اللهجـات العربية فى القـراءات القرآنية للدكـتور عبده الراجـحى. دار المعارف ١٩٦٩م.

* ليس فى كلام العرب لابن خالويه. الطبعة الأولى بالمطبعة المحمودية التجارية.

* مجالس ثعلب لأبى العبـاس أحمد بن يحيى ثعلب. تحقيق الأستـاذ عبد السلام هارون ط. القاهرة دار المعارف ١٩٦٠م.

* مجمع الأمثال للميدانى. السعادة ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

* محاضرات فى فقه اللغة ألقاها أستـاذنا الدكتور محمد قناوى عبد الله على طلبة الصف الثالث بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٣م.

* محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها للدكتور أنيس فريحة ١٩٥٥م.

* المحتسب لابن جنى. دار التحرير ١٩٨٦هـ، ١٣٨٩هـ.

* المحكم والمحـيط الأعظم فى اللغة لابن سـيده ط. مـصطفى الحلبى ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م وما بعدها.

* مختـصر شواذ القرآن لابن خـالويه. نشره المستـشرق برجشتراسـر. ط القاهرة ١٩٣٤م.

* المخصص لابن سيده ط الأميرية ببولاق ١٣٢٠هـ، ط بيروت.

* المزهر للسيوطى. ط الأولى. المطبعة السنية ١٢٨٢هـ، ط صبيح.

* مستقبل اللغة العربية المشتركة للدكتور إبراهيم أنيس. القاهرة ١٩٦٠م.

* مسند الإمام أحمد. ط بيروت ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

* المصباح المنير للفيومى بتحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى. ط دار المعارف.

* المعاجم اللغوية للدكتور إبراهيم نجا. ط السعادة ١٣٨١هـ- ١٩٦٤م.

* المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

* معانى القرآن للأخفش الأوسط. تحقيق د. عبد الأمير محمد أمين ط الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

* معانى القرآن للفراء بتحقيق الأستاذين محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتى ط. دار الكتب المصرية ١٩٥٥م والنسخة المصورة عنها بيروت ١٩٨٠م.

* معانى القرآن وإعرابه للزجاج بتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى ط ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

* معجم قبائل العرب للأستاذ رضا كحالة ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م.

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكرى تحقيق الأستاذ مصطفى السقا. القاهرة ١٩٤٥ وما بعدها.

* معجميات عربية سامية للأب مرمرجى الدومنكى. مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٥٠م.

* المغازى للواقدى بتحقيق جونس ط طهران المصورة عن طبعة جامعة اكسفورد. لندن ١٩٦٦م.

* المغنى فى تصريف الأفعال للدكتور محمد عضيمة. ط العهد الجديد ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

* مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام. المطبعة الأزهرية ١٣٤٧هـ- ١٩٢٨م وط المدنى بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

* مفاتيح الغيب وبهامشه تفسير أبى السعود. المطبعة الخيرية ١٣٠٧هـ.

* المفردات فى غـريب القرآن للراغب الأصفهـانى. ط مصطفى الحلبى ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.
* المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام للأستاذ جواد على ط بيروت ١٩٦٨م.
* مقاييس اللغة لابن فارس. تحقيق الأسـتاذ عبد السلام هارون. دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٦هـ.
* المقتضب للمبرد بتـحقيق الشيخ محمد عبد الخـالق عضيمة. ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٨هـ (١٩٦٣- ١٩٦٨م).
* المقدمة لابن خلدون. القاهرة ١٣٢٧هـ.
* مقدمة لدرس لغة العرب للأستاذ عبد الله العلايلى. المطبعة العصرية.
* مقدمة لدراسة فقه اللغة للدكتور محمد أحمد أبو الفرج. ط بيروت ١٩٦٦م.
* الممتع فى التصريف لابن عـصفور الأشبيلى. تحقيق الدكتـور فخر الدين قباوة ط ٤ بيروت ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
* مميزات لغات العرب للأستاذ حفنى ناصف. السعادة ١٣٣٠هـ- ط الثانية.
* من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس. الأنجلو المصرية ط الثالثة ١٩٦٦م.
* مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان. ط الرسالة ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.
* المنصف لابن جنى. ط مصطفى الحلبى ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.
* من لغات العرب لغة هذيل للدكتور عبد الجواد الطيب ط ١٩٨٥م.
* منهج السالك إلـى ألفية ابن مـالك (الأشمونى) بحـاشية الصـبان ومعـه شرح الشواهد للعينى. ط دار إحياء الكتب العربية.
* النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى. ط مصطفى الحلبى بتحقيق الشيخ الضباع.
* موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامـية للدكتور أحمد شلبى ط النهضة المصرية ١٩٧٧م.

* موطأ الإمام مالك. ط الثالثة بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف. نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

* نهاية الأرب لأبى العباس أحمد القلقشندى. العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.

* النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير بتحقيق الأستاذين طاهر الزاوى ومحمود الطناحى ط. الأولى عيسى الحلبى ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.

* النوادر لأبى زيد الأنصارى. بيروت ١٨٩٤م.

* همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى. ط السعادة ١٣٢٧هـ.

* الوجيز فى فقه اللغة للأستاذ محمد الأنطاكى. ط بيروت ١٩٦٩م.

مراجع أجنبية:

* An outline of English phonetics by Daniel Jones. Cambridge university press.

****

محتوى الكتاب

الباب الأول

الكلام والقول واللغة واللهجة والصلة بينها

(١٩-٤٢)

الباب الثانى

انقسام اللغة وتكون اللهجات

(٤٣-٧٠)

الباب الثالث

التوحد اللغوى والعربية الباقية

(٧١-٩٧)

الباب الرابع

اختلاف اللهجات العربية ومظاهره

(٩٩-٤٤٦)

الفصل الأول

الإبدال وأثره فى اللهجات

(١١٣-٣٧٨)

الفصل الثالث

الفك والإدغام

(٤١٧-٤٣٢)

الفصل الرابع

نقص بعض الحروف وزيادتها

(٤٣٣-٤٤٦)

الباب الخامس

الدرس اللهجى الحديث

(٤٤٧-٥٢٨)

****